بسم الله الرحمن الرحيم

خُلاصة كتاب: براهين وُجُود الله في النَّفس والعقل والعلم

تأليف: الدكتور سامي عامري

الفهرس

قبل البدء ١٢
أيَّام من حياتي ١٢
هل ينطوي الوُجُود في كتاب؟ ١٢
مَن أُحَدِّث؟ وبِمَ أُحَدِّث؟ ١٣
اندهش! ١٣
اثبتْ على مبدَئِك! ١٣
كلمات قبل تصفُّح الكتاب ١٤
الباب الأول: مدخل معرفي إلى سؤال الإيمان والإلحاد ١٥
تمهيد ١٥
الفصل الأوَّل: الأسئلة الوُجُودِيَّة.. والحاجة إلى طَلَب جوابها ١٥
المبحث الأوَّل: الإيمان والسُّؤال ١٦
المطلب الأوَّل: وَسواس الغيبيّات أم محاولة فهم؟ ١٦
المطلب الثاني: أسئلةُ الوُجُود الكبرى، وسلبيَّةُ العاقِل ١٧
المبحث الثاني: الإيمان، حقّ أم واجب؟ ١٩
المطلب الأول: هل من المُمكن أن نحيا دون «إيمان»؟ ١٩
المطلب الثاني: الحقيقة، وفصامُ النَّسبيّة والبراغماتيّة ١٩
المطلب الثالث: هل علينا أن نبحث في صِدْقِ أَعيَانِ كُلَّ الأديانِ؟ ٢٠
مراجع للتَّوسُّع ٢٠
الفصل لثاني: المواقف العَقَدِيَّة في مسألة وُجُود الله ٢١
المبحث الأول: المذهب الألوهي Theism ٢١
المبحث الثاني: الرُّبوبيَّة Deism ٢١
المبحث الثالث: الإلحاد Atheism ٢١

المبحث الرابع: اللَّاأَدْرِيَّة Agnosticism..... ٢٤
المبحث الخامس: الشَّيئيَّةُ Ietsism ٢٥
المبحث السادس: اللا اكتراثية Apatheism ٢٥
مراجع للتَّوسُّع..... ٢٥
الفصل الثالث: البُرهان المُقْنِع.. حقيقته، ووُجُوبه، وحدُّه ٢٥
المبحث الأول: الإيمان والبُرهان ٢٦
المطلب الأول: هل البُرهان شرط ضروريّ للإيمان؟..... ٢٦
المطلب الثاني: البُرهان المقنعُ عند أعلام الإلحاد ٢٦
المبحث الثاني: المعرفة بين العَقْل والحِسّ..... ٢٧
المطلب الأول: العَقْل.. حُجِّيَّته وحُدُوده..... ٢٧
المطلب الثاني: الحِسّ، حُجِّيَّته وحُدُوده ٢٩
المبحث الثالث: العِلْمُ وسُؤالُ الإيمان ٣٠
المطلب الأول: العِلْم الطَّبيعيُّ ووُجُود الله ٣٠
المطلب الثاني: العِلْمَوِيّة، إشكالاتُ المبدأ والوُعُود..... ٣١
المطلب الثالث: الإلحاد والعِلْمَوِيَّة ٣٣
المطلب الرابع: هل ماتت الفلسفة؟..... ٣٤
المبحث الرابع: البرهانُ الخَيَرِيُّ والإيمانُ ٣٥
المطلب الأول: الاستدلال بالخبر الصادق..... ٣٥
المطلب الثاني: هل يُستدلّ بالقرآن للإيمان بالله؟..... ٣٦
المبحث الخامس: الموقف الإيماني بين تَعَدُّدِ المداخل وعثرات النَّظَرِ ٣٦
المطلب الأول: مسالكُ إثباتِ صدقِ الدِّينِ..... ٣٦
المطلب الثاني: مُعوِّقاتُ في الطَّريقِ إلى الجوابِ ٣٧
مراجع للتَّوسُّع..... ٣٧
الفصل الرابع: هل الإلحاد عقيدةٌ عقلانيَّةٌ؟ ٣٧
المبحث الأول: إيمانَّويةُ المعتَقَدِ الإلحادِيَّ..... ٣٧
المبحث الثاني: لا بُرهانيَّةُ المعتَقَدِ الإلحاديَّ..... ٤١

المبحث الثالث: هَذْرِيَّةُ المعتَقَدِ الإلحاديّ ٤١
المبحث الرابع: لاعقلانيَّةُ الدَّماغِ الإلحاديّ ٤٢
المبحث الخامس: جبريّةُ المعتَقَد الإلحاديّ ٤٣
المبحث السادس: رَغْبَوِيَّة النُّزُوع الإلحاديّ ٤٤
المبحث السابع: بُرهان الإيمان السَّاذج عند أئمَّةِ الإلحاد ٤٥
مراجع للتَّوسُّع ٤٦
الفصل الخامس: مُغالطات إلحادية ٤٦
المبحث الأول: مُغالطاتٌ جَدَلِيَّةٌ شائِعةٌ ٤٧
المبحث الثاني: مُعارضاتٌ إلحاديَّةٌ فاسدةٌ ٤٨
المطلب الأول: مُشكلة خفاء الله ٤٨
المطلب الثاني: عِبْءُ الإثبات يَقَع عَلَى المُؤمِن بإلهٍ أم الملحِدُ؟ ٤٩
المطلب الثالث: اللهُ أم القوانين الكَونِيّة؟ ٤٩
المطلب الرابع: مُغالطة وَحشِ السّباجيتي الطَّائر ٥١
المطلب الخامس: هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يستطيع حَملَهَا؟ ٥١
المطلب السادس: أنت مؤمنٌ بالله أو مسلِمٌ، لأنّك ابنُ بيئةٍ مُسلِمة! ٥١
المطلب السابع: لا سبيل للعِلْم بوُجُود اللهِ لامتناعِ عِلْمِ الإنسانِ المحدود بالإلهِ المُطلقِ ٥٢
المطلب الثامن: حُجّيةُ كَثرَةِ الاعتراضاتِ على الإيمانِ ٥٢
مراجع للتَّوسُّع ٥٢
الباب الثاني: بُرهانُ النَّفس ٥٢
تمهيد ٥٢
الفصل الأول: برهانُ النُّزوعِ الفِطْريّ ٥٣
المبحث الأول: الفطْرةُ.. ما هي؟ ٥٣
المبحث الثاني: الإيمان بالله بِضْعةٌ من حقيقة الإنسان ٥٤
المبحث الثالث: الدَّراساتُ النَّفْسيّةُ والنُّزوع الطبيعيُّ ٥٦
المبحث الرابع: كانط والخير الأقصى المطلوب ٦٠
المبحث الخامس: أجمعوا.. لماذا أجمعوا؟ ٦١

المبحث السادس: الإلحادُ، أَزْمَةُ المعنى وطريق الانتحارِ..... ٦٢
المبحث السابع: رُمُوزُ الإلحاد ينتصرون لبرهان الفِطْرةِ..... ٦٤
المبحث الثامن: مغالطةُ برتراند راسل: الدَّيْنُ وَهْمٌ سَبَبُهُ الخوفُ من الطَّبيعِة ٦٤
المبحث التاسع: مغالطةُ كونت: الإيمانُ بالله أَثَرٌ عن تَرَقٍّ في محاولةِ تفسيرِ الكَوْنِ ٦٧
المبحث العاشر: مُغالطة ماركس: الدَّينُ ظلُّ البِنْيةِ الاقتصاديَّةِ..... ٦٧
المبحث الحادي عشر: مغالَطَةُ فرويد: عُقْدَةُ أُوديب ٦٧
مراجع للتَّوسُّعِ..... ٦٨
الفصل الثاني: البرهان الأخلاقي ٦٨
المبحث الأول: البرهانُ الأخلاقي وسُلطانُه النّفسيّ..... ٦٩
المبحث الثاني: معنى موضوعيّة الأخلاق..... ٧٠
المبحث الثالث: هل الأخلاق حقيقةٌ موضوعيةٌ؟ ٧٠
المبحث الرابع: عندما يواجه الملحِدُ نفسَه! ٧٢
المبحث الخامس: هَل يَلْزَم مِن مَوضُوعِيَّةِ الأخْلَاق وُجُودُ الله؟..... ٧٥
المبحث السادس: مَلَاحِدَةٌ يَنْتَصِرُون لِبُرهَانِ الأخْلَاقِ ٧٧
المبحث السابع: مُحاوَرَة ظَرِيفَة في مَوضُوعِيَّة الأخْلَاق..... ٧٨
المبحث الثامن: نُقُودٌ ورُدُودٌ ٧٩
المطلب الأول: اعتراضٌ: المُلْحِدُ قَدْ يَكُون طَيِّبًا، خَيِّرًا، دُون أن يؤمن بالله؟! ٧٩
المطلب الثاني: اعتراض: إذا كانت الأخلاقُ مَوضُوعِيّةً، فَمَا الحاجة إذن إلى الدَّين؟ ٧٩
المطلب الثالث: اعتراض: اختلافُ الأنساقِ الأخلاقيّةِ حُجّةٌ لِنَفي موضوعيَّتِها ٨٠
المطلب الرابع: اعتراضٌ: الأخلاقُ الصَّالحة ما حَقَّقَ الرَّفاهية للإنسان..... ٨١
المطلب الخامس: اعتراض: الأخلاق مُنتَجٌ بيولوجيٌّ..... ٨٢
مراجع للتَّوَسُّعِ..... ٨٤
الفصل لثالث: بُرهان العَقْل..... ٨٤
المبحث الأول: العَقْل تَحْتَ تَهْدِيد المَادِّيَّة ٨٥
المبحث الثاني: ظَاهِرَةُ الوِعْي..... ٨٨
المطلب الأول: الانتخاب الطَّبيعي والوَعْي ٨٨

المطلب الثاني: انبِثاقُ الوَعيِ من المادَّةِ الصَّمَّاءِ ٨٩
المبحث الثالث: الدَّماغُ البشريُّ ومُشْكِلَةُ فائِضِ الحاجةِ إلى البقاء ٩١
المبحث الرابع: ملاحدةٌ ينتصرون لبرهان العقلِ ٩٣
المبحث الخامس: رُدَّودٌ ونُقُودٌ ٩٤
المطلب الأول: نحن نُصدِّقُ العقلَ لأنه ناجِعٌ ٩٤
المطلب الثاني: العَقْلُ وبصيرة الكمبيوتر ٩٥
المطلب الثالث: الطّبيعة انتَخَبَتِ العَقلَ ٩٦
المطلب الرابع: العِلْم سَيُفَسَّرُ ظاهرةَ العَقل ٩٦
مراجع للتَّوَسُّعِ ٩٧
الفصل الرابع: بُرهان الغَرِيزَة ٩٧
المبحث الأول: غرائِزُ الكائناتِ الحَيَّةِ وأَزْمَةُ التَّفسيرِ المَادِّيِّ ٩٧
المبحث الثاني: وسائلُ مُحافظةِ الكائناتِ الحَيَّةِ على أسبابِ البقاءِ ٩٨
المبحث الثالث: آلاتُ الحيواناتِ لِكَشْفِ الواقعِ المحيط بها والاستفادةِ منه ٩٩
المبحث الرابع: عجائِبُ الغرائِزِ مع داوكينز ١٠١
مراجع للتَّوَسُّعِ ١٠٢
الباب الثالث: آيات الله في وُجُود الوُجُود ١٠٢
تمهيد ١٠٢
الفصل الأول: لماذا كان الوُجُود وُجُودًا؟ ١٠٣
المبحث الأول: سؤال من أعماقِ البَدَاهَةِ ١٠٤
المبحث الثاني: لماذا وُجِد ما أَمْكَنَهُ أَلَّا يُوجَدَ؟ ١٠٥
المبحثُ الثّالثُ: الوُجُودُ والحاجةُ إلى تفسيرٍ: لمَ يُوجَد شيءٌ بدلًا من لا شيءٍ؟ ١٠٦
المبحث الرابع: ملاحدة ينتصرون لبُرهان الإمكان ١٠٧
المبحث الخامس: نقودٌ وردودٌ ١٠٧
المطلب الأول: فماذا لو كان سبب الممكِنِ ممكنًا آخر؟ ١٠٧
المطلب الثاني: إمكان البعض لا يلزم منه إمكان الكُلِّ ١٠٨
المطلب الثالث: ما هو سَبَب وُجُود الله؟ ١٠٨

المطلب الرابع: واجب الوُجُود ليس هو إلهُ المُؤَلَّهةِ ١٠٨
مراجع للتَّوَسُّعِ ١٠٨
الفصل الثاني: بُرهان المعنى ١٠٩
المبحث الأول: عَدَمِيَّةُ الإلحاد ١١٠
المبحث الثاني: الكون الناطق بالمعنى ١١١
المطلب الأول: دليلُ المفهوميّةِ ١١١
المطلب الثاني: دليلُ النَّظامِ ١١٢
المطلب الثالث: دليل الرِّياضِيَّات ١١٦
المطلب الرابع: عِناد قانون الإنتروبيا ١١٧
المبحث الثالث: ملاحدةٌ ينتصرون لبُرهانِ المعنى ١١٨
مراجع للتَّوسُّعِ ١١٩
الفصل الثالث: الخَلْق ١٢٠
المبحث الأول: البُرهان العَقْلِيّ عَلَى نَفْيِ أَزَليّةِ الكونِ ١٢٢
المطلب الأول: امتناعُ وجودِ ما لا يَتَنَاهى في الواقِعِ ١٢٣
المطلب الثاني: عَدَم إمكانِ تحصيلِ مَا لا يَتَنَاهى بمجموعِ الزّيادات المُتَتَالية ١٢٤
المطلب الثالث: عَدَم إمكان عُبُور اللَّا مُتنَاهِي ١٢٤
المبحث الثاني: البُرهان العِلْمِيّ عَلَى نَفْيّ أزلِيَّة الكَوْن ١٢٥
المطلب الأول: القانون الثاني للدّيناميكا الحراريّة ١٢٦
المطلب الثاني: تَمَدُّد الكَوْن ١٢٨
المطلب الثالث: اللَّيلُ المُظلِمُ ١٢٩
المطلب الرابع: نَظَرِيَّةُ النِّسْبِيَّة العَامَّة ١٣٠
المطلب الخامس: نظرية الانفجار العظيم ١٣١
المبحث الثالث: مَلَاحِدَة وَلَا أدْرِيُّون يَنْتَصِرُون لِبُرهَانِ الخَلْق ١٣٢
المبحث الرابع: نُقُودٌ وَرُدُودٌ ١٣٤
المطلب الأول: الاعتراض عَلَى خَلْقِ العَالَم مِن عَدَم ١٣٤
المطلب الثاني: الاعتراضُ على قانون السَّبَبِيَّةِ ١٣٨

المطلب الثالث: الاعتراض على دَلَالَةِ البُرهان عَلَى إلهِ المُسْلِمِينَ ١٤٣
مراجع للتَّوسُّع ١٤٦
الباب الرابع: آيات الله في نظم الكون ١٤٦
تمهيد ١٤٧
الفصل الأول: بُرهان الضَّبط الدَّقيق ١٤٧
المبحث الأول: حُجِّيَّة بُرْهَان الضَّبْط الدَّقِيق ١٤٨
المطلب الأول: رَهَافَة بُرهَان الضَّبْط الدَّقِيق ١٤٩
المطلب الثاني: الضَّبْط الدَّقِيق للقوانين ١٥٠
المطلب الثالث: الضَّبْط الدَّقِيق لِلثَّوابِت الكَوْنِيَّة ١٥١
المطلب الرابع: الضَّبْط الدَّقِيق للظُّرُوف الأولى لظُهُور الكَوْن ١٥٢
المطلب الخامس: الضَّبْط الدَّقِيق في تَفَاصِيل المُركَّبات الكِيميائيَّة والبَيُولُوجِيَّة عَلَى الأرْض ..١٥٤
المبحث الثاني: مَلَاحِدَة انْتَصَرُوا لبُرْهَان الضَّبْط الدَّقِيق ١٥٤
المبحث الثالث: نُقُودٌ وَرُدُودٌ ١٥٥
المطلب الأول: الإنسان أتْفَه مِن أن يُصمَّم الكَوْن لأجله ١٥٥
المطلب الثاني: نُدْرَة الحَيَاة في الكَوْن ١٥٦
المطلب الثالث: الضَّبْط الدَّقِيق، وَهْمٌ مِن أوْهَام المُؤمِنِين بإلَه! ١٥٧
المطلب الرابع: أهِيَ الضَّرُورَة المَادِّيَّة؟ ١٥٨
المطلب الخامس: هَلْ هِيَ الصُّدْفَة؟ ١٥٩
المطلب السادس: لأَنَّنَا هُنا؟ ١٦٠
المطلب السابع: فَمَاذَا عَنْ حَيَاةٍ عَلَى غَيْرِ صِفَةِ حَيَاتِنَا؟ ١٦٠
المطلب الثامن: لَكِن الاحْتِمَالَات كُلّهَا مُمْكِنَة عَلَى السَّوَاء ١٦٠
المطلب التاسع: الأكوان المُتعدِّدة؟ ١٦٠
مراجع للتَّوسُّع ١٦٢
الفصل الثاني: بُرْهَانُ النَّظْمِ فِي عَالَم الأحْيَاء، الحَقِيقَة والمُعَارَضَات ١٦٢
المبحث الأول: مدخل إلى بُرهان النَّظم ١٦٣
المطلب الأول: تاريخ البُرهان ١٦٣

المطلب الثاني: حَقِيقَةُ النَّظْمِ.. وَعِبْء الإثبَات.....١٦٤
المطلب الثالث: المذاهب في تفسير النَّظم.....١٦٥
المبحث الثاني: هل يتحدَّى التَّطوُّر وُجُود الله؟.....١٦٦
المطلب الأول: معنى «التَّطوُّر».....١٦٦
المطلب الثاني: حَاجَة الإلْحَاد إلَى التَّطوُّر البَيُولُوجِيّ.....١٦٦
المطلب الثالث: التَّطوُّر البيولوجي لا يَلْغِي وُجُود الله.....١٦٧
المطلب الرابع: التَّطوُر المزعوم حُجَّة لوُجُود الله.....١٦٨
المبحث الثالث: التَّطوُّر وتكذيب التَّاريخ.....١٦٩
المطلب الأول: شجرة الحياة في مُواجهة عِلْم الأحياء الجزيئي والشَّفرة الجينية.....١٦٩
المطلب الثاني: شجرة الحياة في مُواجهة كُشُوف الأحافير.....١٧٢
المبحث الرابع: التَّطوُّر وعقم الآلية.....١٨١
المطلب الأول: آلية الطَّفرات العشوائية.....١٨٢
المطلب الثاني: آلية الانتخاب الطَّبيعي.....١٨٦
المطلب الثالث: هل الدَّاروينية حقيقة عِلْمِيَّة أم مُجرَّد نَظَرِيَّة، أم...؟.....١٨٧
المبحث الخامس: تطوُّر الإنسان، حقائق مُخالفة واستدلالات قاصرة.....١٨٩
المطلب الأول: تطوُّر الإنسان وتحدِّي الزَّمان.....١٨٩
المطلب الثاني: ترتيب ظُهُور جنس (الهومو).....١٩٠
المطلب الثالث: حُجَج التَّطوُّريين لتطوُّر الإنسان في الميزان.....١٩١
المبحث السادس: ملاحدة شهدوا للخلق ضِدّ التَّطوُّر.....١٩٤
المبحث السابع: نُقُودٌ وَرُدُودٌ.....١٩٧
المطلب الأول: التَّطوُّر مَحَلّ إجماع عِلْمِيّ، وإنكاره مُكابرة.....١٩٧
المطلب الثاني: فماذا عن الأحافير الوسيطة التي تملأ المتاحف؟.....١٩٩
مراجع للتَّوسُّع.....٢٠٠
الفصل الثالث: بُرهان النَّظم الأحيائي، الأدِلَّة.....٢٠٠
المبحث الأول: نشأة المعلومات.....٢٠٢
المطلب الأول: الكون.. معلومة.....٢٠٣

المطلب الثاني: المعلومة والذَّكاء والحكمة ٢٠٤
المطلب الثالث: التَّعقيد المُتفرِّد ٢٠٥
المطلب الرابع: الحياة.. معلومة قبل المادَّة ٢٠٧
المبحث الثاني: نشأة الحياة ٢٠٧
المطلب الأول: ما هي الحياة؟ ٢٠٧
المطلب الثاني: مُعضلة النَّشأة.. وعقم الخيال العلمي ٢٠٨
المطلب الثالث: أقوى الحُلُول.. عقيم ٢١٠
المطلب الرابع: ظُهُور الحياة، والسَّير عكس القانون ٢١٣
المطلب الخامس: الخَلِيَّة الأولى البدائية، هل هي بدائية؟ ٢١٤
المطلب السادس: مُعضلة الرَّصيد الجيني الأدنى ٢١٦
المطلب السابع: مُشكلة تعقيد (ما تحت الخلية) ٢١٦
المطلب الثامن: أصل الحياة.. وضرورة المُعجزة ٢١٨
المطلب التاسع: تَضَخُّم المُشكلة ٢١٨
المطلب العاشر: مُشكلة البيضة والدَّجاجة ٢١٩
المطلب الحادي عشر: اعتراض: مُخالفة جماعة العلماء ٢١٩
المطلب الثاني عشر: اعتراض: إله الفجوات ٢١٩
المطلب الثالث عشر: خُلاصة النَّظر، المعجزة ٢٢٠
المبحث الثالث: التَّشفِير ٢٢١
المبحث الرابع: وَعْي الكائنات الحَيَّة الدُّنيا ٢٢٢
المبحث الخامس: التَّعقيد غير القابل للتَّبسيط ٢٢٥
المطلب الأول: التَّحدِّي الذي ارتضاه الدَّراونة ٢٢٥
المطلب الثاني: التَّحدِّي الذي قبله المُؤلِّهة ٢٢٦
المطلب الثالث: هل هَدَمَ الدَّراونة أيقونة (بيهي)؟ ٢٢٦
المطلب الرابع: بطَّارِيَّتُكَ تَتَحَدَّاهُم ٢٢٧
المطلب الخامس: العَتَّالُ الذَّكِيُّ ٢٢٨
المبحث السادس: النَّظم الفائض عن الحَدّ الأدنى للحاجة المعيشية (Overdesign) ٢٢٩

المطلب الأول: فائض الحاجة العضوي ٢٢٩
المطلب الثاني: الآلات الدِّفاعية والهُجُومية للحيوانات والنَّباتات ٢٢٩
المطلب الثالث: البناء التَّمويهي للكائنات الحَيَّة ٢٣٠
المبحث السابع: الزَّوجِيَّة وظُهُور التَّكاثُر الجنسي ٢٣٠
المطلب الأول: الزَّوجِيَّة، التَّحدِّي القرآني الصَّلب ٢٣٠
المطلب الثاني: رحلة الإنجاب، رصيد لا ينتهي من العجائب ٢٣٢
المبحث الثامن: التَّماثُل عن غير أصل مُشترك (مُشكلة التَّطوُّر المُتقارب) ٢٣٢
المطلب الأول: التَّطوُّر المُتقارب، مهرب الدُّوغمائيين ٢٣٢
المطلب الثاني: صدمة العُلماء ٢٣٣
المطلب الثالث: تعدُّد أنواع التَّطوُّر المُتقارب ٢٣٤
المبحث التاسع: اللُّغة ٢٣٥
المبحث العاشر: النَّظم في مُواجهة نبوءات الدَّاروينية ٢٣٥
المبحث الحادي عشر: ملاحدة ينصرون بُرهان النَّظم ٢٣٧
المبحث الثاني عشر: نُقُودٌ واعْتِرَاضَات ٢٣٩
المطلب الأول: التَّطوُّر ليس صُدْفَوِياً ٢٣٩
المطلب الثاني: الدَّاروينية أبطلت أوهام النَّظم، العين نموذجا! ٢٤٠
المطلب الثالث: بُرهان النَّظم لا يُحدِّد المُصمِّم ٢٤٢
المطلب الرابع: بُرهان النَّظم وحُجَّة «إله الفجوات» ٢٤٢
المطلب الخامس: هيوم، ومُعارضة قياس الحكمة الإلهية على الذَّكاء البشري ٢٤٣
المطلب السادس: التَّصميم المَعِيب ٢٤٤
المطلب السابع: النَّظم الحكيم عِلْم زائف ٢٤٧
مراجع للتَّوسُّع ٢٤٨
الفصل الرابع: الجمال الشَّفيف ٢٤٨
المبحث الأول: الجمال في عين العِلْم ٢٤٩
المطلب الأول: الجمال والكون الإلحادي، لماذا يتنافران؟ ٢٤٩
المطلب الثاني: الجمال الرياضي، معيار العلم ٢٥١

المطلب الثالث: الجمال.. أصل العِلْم ٢٥٣
المطلب الرابع: تغريد العصافير.. دراسة حالة ٢٥٤
المبحث الثاني: الجمال يتحدَّى الاختزال المادِّي ٢٥٥
المطلب الأول: هل الجمال في عين الرَّائي أم هو حقيقة موضوعية؟ ٢٥٥
المطلب الثاني: بُرهان الجمال وأزمة التَّفسير الدَّاروينِي ٢٥٨
المبحث الثالث: ملاحدة يَنْصُرُون برهان الجمال ٢٦١
مراجع للتَّوسُّع ٢٦٣
مُحلق: توحيد أم تعدُّد آلهة ٢٦٤
الختام في كلمات ٢٦٧
كلمة في الختام ٢٦٨
المصادر والمراجع ٢٦٨
الكتب العربية ٢٦٨
الكتب الإنجليزية ٢٦٨

قبل البدء

أيَّام من حياتي

تهمة الانتماء إلى الإسلام، بداية رحلةُ المعاناة في الزَّنازين. ولكنّ الأفكار مدانة، حتّى لو كانت حسيسًا في الصدر.

كانت المكتباتُ العامة والخاصَّةُ طافحَةً بكتب العالمانيَّين والملحِدين الدَّهريين، وكل المعطلين لأُصول الدَّين؛ بل انتشرَتِ الأناجيل بصورة وَبَائيَّة وعجيبة في معارض الكتاب، في بلد ليست فيه أقلية نصرانية..

وقد اعتدنا ونحن في المدارس جُرْأَةَ بعض المدرّسين على سبَّ الدَّين، والاستهزاء بمقدّسات الإسلام، والدَّعوة جهارًا إلى الإلحاد..

منظر مدرسة «التربية الإسلامية» دخلت قاعة التدريس تحملُ قبعة على رأسها.

فلماذا لا يُشكل الإسلام واقعَهُم؟ كيف تُطيق نَفْسُ المسلم أن تختصر هذا الدين في أشكال نُسُكيَّة منزوعة الحرارة؟

جميلٌ أن تكتشفَ أنَّ في الدنيا بشرًا يَسْعَون إلى فَهمِها، ويحرصُون على الوفاء لذلك، ويرضون حَمْلَ هَمَّ الفهم وأوجاع السَّيْر خِلاف القطِيع التَّائِهِ...!

وقد قرأتُ في تلك الفترة في العقائد الدينية (خاصّة النصرانيّة) والمذاهب المعاصرة، فلم أجد فيها غيرَ برهان جديد يدعم بأجوبَتِهِ المتهافِتَةِ عن أسئلة الوجود الكبرى، صِدْقَ الأجوبة الإسلاميّة وحلولها البسيطة والعميقة.

هل ينطوي الوُجُود في كتاب؟

أن تشرح للناس، على اختلاف ثقافاتهم، ومقدمات نظرهم، ومَلَكاتهم، لماذا أنت على الإسلام، ولم على كل إنسان أن يكون على هذا الدين، مشروع ضخم.

ثنائية «**لماذا أنا مُسلم؟**» تهتم بجواب الاعتراض الإلحادي الذي يزعم غياب أدلّة إيجابيّة على وجود الله ووحدانيتّه وصدق النبوّة المحمدية..

يا عَجَبًا كيف يعصى الإلهُ... أمْ كيفَ يَجْحَدُهُ الجاحدُ

ولله فِي كُلَّ تـــــــحرِيكة... وفي كُلّ تَسْكينة شَاهدُ

وفـِي كُـــــل شيء له آيةٌ.... تَدُلُّ عــلى أنَّهُ الواحِدُ

إنّ دلائل الوجود الإلهي ظاهرةُ في حقيقة النَّفْس وتمدُّد الكون.

إن التفكير في كلّ موجود-حقيقته وهيأته ووظيفته -، لابُدَّ أن ينتهيَ إلى الإقرارِ بوجود إله..

كيف للكتاب أن يفي لموضوع براهين وجود الله بالعرض والبسط، والبراهين ظاهرة في كل شيء؟! لا حلّ غير الاكتفاء بأوضح الدلائل أو أدناها إلى العقل والعين، والاكتفاء بالتمثيل، بذكر بعض النماذج، دون الاستيعاب؛ فالاستيعاب محال.

مَن أُحَدِّث؟ وبِمَ أُحَدِّث؟

طبقات القراء

- العامَّةُ ممن يُحبّون سهولة العبارة وتبسيط الدليل واختصار الكلام.
- المثقفون، وهم الذين يحملون معرفةً متنوّعة بأمور مُتعدّدة دون تخصُّص معرفيَّ دقيق في كلّ باب.
- المتخصّصون، من الأنصار والخصوم، وهم «الذين يعلمون كلّ شيء عن شيء واحد»،

ولذلك كان هذا الكتاب متوجهًا في نسج الكلام وسبك الأدلة إلى العقل المثقف الجاد.

اندهش!

الاندهاش مفتاح كُلَّ كشف، والبلادةُ تُذْهبُ قَلَقَ العين الباحثة والعقل الجريء.

يواجهُ المرءُ بيئته بالاندهاش من فساد ما ألفُوه وطُبعُوا عليه...بالدّهشة يتجدَّدُ الوعي الكَوْثَرُ وينقطعُ الوَعْي الأَبْتر.

والنظر في هذا الوجود-حتى لمن سَلمَتْ فطرته من لوثات البيئة-يزيدُ إيمانَه عُمْقًا، ويُجذّره في أُصول القلب، ولذلك قال نبيّ الإسلام ﷺ يومًا: لقد نَزَلَتْ عَلَيَّ الليلة آيات وَيْلٌ لمنْ قَرَأَها ولم يَتَفَكَّرْ فيها:

{إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤]

فالتفكُّرُ في الظواهر الكونيّة سبيل لتعظيم أمْر الرب، وإكبار نِعْمته، وتجديد الإحساس بمعنى الحياة وغايتها. إنّ الاندهاش «إِكْسِيرُ الفَهْم»

الاندهاشُ زادُ المَسيرِ.. فانْدهِشْ لتَصْنَعَ السُّؤالَ؛ فالسُّؤال هو الذي يصنع الحضارة!

اثبتْ على مبدَئِك!

فهو إذا بحث في الإيمان بأمور لا تُدرك إلَّا من خلال آثارها، كان سهلًا ليّنًا؛ يُصدّق وجود السّبب

دون تكلُّف ولا تنُّطع إذا كان الأمر بعيدًا عن مجال البحث الدينيّ، غير أنّه يَنْقَلِبُ شَكَّاكًا أسير أدنى عوارِضِ الرَّيبة إذا واجَهَ سؤال «الله» و«الخالق»...

إن العاقل، يحاكم أَدلّةَ الإيمان والكفر بما يُحاكمُ به ما أَلِفَه من مسائل.

والنّاظر في أدبيّات الإلحاد يُدرك هيمنة النُّزوع الحادّ للشُكوكيّة التي لو التزمها صاحبها لانتهى ضرورةً إلى مذهب «وَحْدَةِ الأَنَا» «Solipsism» حيث يَشُكُّ في وجود كُلَّ شيء خارجَ ذِهْنِهِ.

متش ستوكس Mitch Stokes: فيلسوف أمريكي، من تلاميذ **ألفن بلانتنجا**.

الفيلسوف (متش ستوكس) صاحب كتاب: «**كيف تكون مُلحدًا: لماذا كثير من الشُّكوكيّين ليسوا شُكوكيّين بصورة كافية**».

Mitch Stokes: ***How to Be an Atheist, Why Many Skeptics Aren't Skeptical Enough*** (Wheaton: Crossway, 2016).

ينتقون من الشكّ ما يُوصلهم إلى يقين انتقاض الإيمان بالله.

Nancy Pearcey, ***Finding Truth: 5 Principles for Unmasking Atheism, Secularism, and Other God Substitutes*** (David c Cook Publishing Compan, 2015), pp 194-197.

«**إذا كانت غايةُ أَمْرِكَ هي ألاَّ تكون إلاَّ شَكَّاكًا؛ فلن تكتسب معرفَة جديدة. لنْ تَتَعَلَّم أيَّ شيءٍ جديدٍ.**» الكوسمولوجيّ الملحِدُ (**كارل ساجان**).

Carl Sagan, ***Skeptical Inquirer*** Volume 12.1, Fall 1987.

كلمات قبل تصفُّح الكتاب

- الكتاب يتعلّق بجواب أهم إشكال وجودي: «**ما حقيقة الوجود الكبرى؟**»
- وإنما يبدأ من التَّسليم بحجيّة العَقْل والحِسّ، ويطلُبُ من العقل والواقع هدايةً لحقيقة الوجود الكبرى.
- الذائع من المعارضات؛ شبهات يستغربُ حضورها كثيرٌ من الناس لظهور فسادها. وسبب إيرادنا لها رَواجُها اليوم في الأدبيات الإلحاديّة الغربيّة والمعارضاتُ تُطْرَقُ لا لقُوَّتها وإنّما لشُيوعها بين النَّاس.
- تَعَقَّبْتُ أهمَّ اعتراضات الملاحدة، من كتابات أكبر رموز الإلحاد في القرنين الأخيرين.
- حقيقة أن الإلحاد يبدأ من اختزال الوجود في أنّه «مادَّةٌ وطاقة في حركة عشوائيّة/غير مُوجَّهة»

– لا يُسمّى اللهُ-سبحانه -إلَّا بما سَمَّى به نفسه؛ فلا يُقال-مثلًا إنّه «عَقْلٌ» أو «مهندس»؛ وإنّما هو «حكيم» و«خبير» و«عليم».. ونحن في مقام المناظرة قد نخبر عن الربّ بألفاظ لم يأت بها الشرع؛ فباب الإخبار عنه بالاسم أَوْسَعُ من تسميته به.

قال **(ابن تيمية)**: «**وَأَمَّا الإِخْبَارُ عَنْهُ فَهُوَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ؛ فَإِذَا احْتِيجَ فِي تَفْهِيمِ الْغَيْرِ الْمُرَادَ إِلَى أَنْ يُتَرْجَمَ أَسْمَاؤُهُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمٍ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُحَرَّمًا**».

ابن تيمية، ***الجواب الصَّحيح***، ط. العاصمة، جـ٥، صـ٨.

اِعْلَمْ أنّني أريد لك يقينًا مُبْصِرًا، مُفْعَمًا بالحياة، وليس يقين عجائز يتزعزع عند أوَّلِ هَبَّة شَكٍّ أو خاطرِ رِيْبةٍ... أريد لك يقينًا مُشَعْشِعًا، يقفُ صامدًا أمام سَيْلِ الشُّبُهات المتراكبة التي تَقْذِفُ وَعْيَكَ من كُلِّ حدْبٍ، وتترصَّدُ بصيرتك كُلَّ حينٍ، ولذلك سيكون برهاننا مُنوَّعًا، من النَّفْس، ومن مبادئ العقل الأَوَّلِيَّةِ، ومن الكَوْنِ، ومن حقائق العلوم الطبيعيَّة...

الباب الأول: مدخل معرفي إلى سؤال الإيمان والإلحاد

تمهيد

فإنّه باب جليلُ من أبواب المعارف؛ بل هو أَجَلُّها على الإطلاق؛ لأَنَّ جواب أسئلته -مهما كانت الأجوبة- هو الذي يرسم معالم الرُّؤية الكونيّة الكبرى لكل إنسان.

فإنَّ بعض الخَلْق يقولون بالقول دون أن يُحْسنُوا تَصَوُّرَ مبدئِه ونهاياته.

لازمُ الشَّيْء ما يمتنع انفكاكُه عنه. ودلالة اللُّزوم هي: «دلالة اللَّفظ على معنى خارج عن مُسمَّاه لازم له لزومًا ذهنيا بحيث يلزم من فَهم المعنى المطابق فَهْمُ ذلك الخارج اللاَّزم»؛ كدلالة وجود السَّقْفِ على وجود الجدران؛ فإن السَّقْفَ لا يوجد مُعلَّقًا؛ وإنّما يقوم على جدران.

الفصل الأوَّل: الأسئلة الوُجُودِيَّة.. والحاجة إلى طَلَب جوابها

داوكينز: «**السَّؤالُ المُتعلِّق بوُجُودِ خالق فوق طبيعيّ، إله، واحدٌ من أهمّ الأسئلة التي علينا أن نجيب عنها**»

DAWKINS: The question of whether there exists a supernatural creator, a God, is one of the most important that we have to answer. I think that it is a scientific question. My answer is no.

Richard Dawkins, '***God vs. Science***,' Time.

https://time.com/archive/6596748/god-vs-science/

المبحث الأوَّل: الإيمان والسُّؤال

المطلب الأوَّل: وَسواس الغيبيّات أم محاولة فهم؟

«أعظم كُتُب العالم الغربي» Great Books of the Western World.

مورتمر ج. أدلر Mortimer J. Adler (١٩٠٢-٢٠٠١م): فيلسوف أمريكي مُعمَّرٌ وغزير التَّأليف.

الفيلسوف (مورتمر ج. أدلر) عن سبب اختيار الموضوع الدّينيّ ليكون الأكبر، قال: «**لأنَّه يترتَّب عدد من العواقب المُؤثِّرة في الحياة وأعمال الإنسان عن تأكيد وُجُود الله أو إنكاره أكثر من أيّ مسألة أساسية أخرى.**»

Ravi Zacharias, ***The Real Face of Atheism*** (Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 2004) p20.

وقد يقول ملحد أو لا اكتراثيٌّ... الوجودُ كما نراه مَحْضُ مادّة وطاقة؛ فلم علينا أن نتكلف البحث عن تفسير أوّليٍّ وغاية نهائيّة؟! هو اعتراض يرفض الاندهاش، وتلك خطيئة العقل الأولى والكبرى. وقد نظرت في أدّلة الإيمان، وهي كثيرة، وتأمَّلتُ في غفلةِ الملحد عنها، فوجدت عثرة الرَّجُل الكاسرة في الاعتقاد أنّ الكون بأشيائه ليس ممكنًا من الممكنات، وإنّما هو شيءٌ موجودٌ وكفى؛ فلا يستدعي نَظَرًا، ولا يستفزُّ في الصَّدر قلقًا.

إن الملحد الرافضَ للاندهاش قانعٌ بما يُبديه السَّطحُ؛ فلا يسأل عن هذا الكون: لمَ وُجِدَ؟ ولماذا أَخَذَ هذا الشَّكْلَ والترتيب؟ ومن أين جاء التنظيم والتّهذيب؟ ولماذا التركيب والتأليف؟

من أين يبدأ نظر العاقل؟ من الصَّفر! من العَدَم! ليسأل: لم كان ما كان؟

يبدأ العقل من حقيقة أوّلية بسيطة، وهي أنّ الوجود الماديّ بأكمله مثيرٌ، يستدعي تفسيرا. فكيف وُجِد؟ ولماذا كان بما هو كائن عليه؟

لمَ كان الوجودُ موجودا؟ لمَ لمْ يكن العَدَمُ السَّاترُ هو القاهرُ؟

إريك متكساس Eric Metaxas (١٩٦٣_): كاتب وصحفي أمريكي مشهور.

(إريك متكساس): «**كُلَّما ازدادَتْ كُشُوفُ العِلْم، اتَّضح أَكْثَر أنّه رغم أنَّنا هُنا، إلَّا أنَّه يجب ألَّا نكون هُنا. ونحنُ عندما نَبْدَأُ بحِسابِ كُلَّ أَدِلَّةِ ذلك، تصبح الاحتمالاتُ العاليةُ ضِدّ إمكان وُجُودِنا مُثيرةً للقلق. ما الذي علينا أن نُفكّر فيه أو نشعر به عندما نكتَشِفُ الهشاشة الكبيرةَ لإمكانِ وُجُودِنا، ونبدأ في فَهمِ كيف أَنَّنا -بكلّ اعتبار- يجبُ أَلّا نُوجَد؟ إنّ وُجُودنا لا يبدو فقط مُجرَّد مُعجزة تكاد تكون مُستحيلةً، وإنَّما هو أعظمُ المُعجزات الصَّارخةِ التي من المُمكن تصوُّرها؛ مُعجزةٌ تجعل المُعجزاتِ المُدهِشة السَّابقة تبدو كأنَّها لا شيء.**»

Eric Metaxes, ***Miracles: What They Are, Why They Happen, and How They Can Change Your Life*** (New York: Plume, 2014) p54.

أصل الإشكال -إذن-هو تجاهلُ إمكانِ الإمكان.. ثم تجاهلُ غَرَابةِ الإمكان.. ثم إغفالُ معجزة الإمكانِ!

المطلب الثاني: أسئلةُ الوُجُود الكبرى، وسلبيَّةُ العاقِل

ألبير كامو Albert Camus (١٩١٣-١٩٦٠م): فيلسوف وروائي ومسرحي فرنسي من مواليد الجزائر.

فيلسوف الوُجُودِيَّة (ألبير كامو) «**تُوجَدُ مُشكلةٌ فلسفيةٌ وحيدةٌ جادَّةٌ، هي الانتحارُ. الحُكْمُ على الحياة أنَّها جديرةٌ بأن تُعاشَ أوْ لا، يرقى إلى أن يجيب عن السؤال الأساسيَّ للفلسفةِ**»

Albert Camus, ***Le Mythe Sisyphe*** (Paris, 1942), p15.

معنى الحياة -إن كان لها معنى- هو السُّؤالُ، والسُّؤالُ مبدأ الجوابِ، وجوهَرُهُ. ولا يمكن العبورُ إلى إدراكِ معنى الحياة أو عَبَثيَّتها دون تناولِ سؤال وجودِ الله. ولا يمكن لجوابِ السؤال عن وجود الله أنْ يَفِيَ بالغاية حتّى ندركَ إن كان لله حِكْمة في خَلِقنا. ولا معنى لأنْ ندركَ هذه الحكمة إلَّا أن نبحث إن كانت له إلينا رسالةٌ.. وكلُّ ذلك مُضمَّنٌ في حديثنا عن الدِّين عامَّةً، والإسلام خاصّةً، وصدْق دلائلِ الإيمانِ.

لكنّ أئمَّة الإلحاد أنفسَهم انتهوا إلى التُّهمةِ نفسِها التي رَمَوْا بها المُؤلهَّة؛ إذ أنكروا أنَّ للحياة معنى، لكنهم انتهوا إلى وجوب صناعة معنى لها رغم أنّها بلا معنى أصيل. رؤوس العَدَمِيّين أكثر النَّاس إصرارًا على صناعة المعنى حتّى يملك الإنسانُ قُدرةً على معايشة الحياة.

إنَّ المعنى لا يُكتشف، وإنّما يُصْنع، ولكنْ هلْ من العقل أنْ يَبذر العَدَمُ حَبَّ الحياة في مفازة قاحِلة؛ كان القرآن مفعما بالحديث عن الحياة.

فقد خُلِقَ الناس ليَخلُفوا بعضهم بعضًا، ويُقِيمُوا العَدْل. والوُجُود لم يُخلق بغير حكمة، والنَّاسُ إلى مَعَاد بعد هذه الحياة.

ومن محفّزات البحث عن الله أنّ الملحد لو آمن بالله فلن يخسر شيئًا إذا كان هذا الإله غير موجود، لكنه سيربح سعادة المآب الباقي إذا كان موجودًا.

بليز باسكال Blaise Pascal (١٦٢٣-١٦٦٢م): عالم رياضيات وفيزيائي فرنسي.

(رهان باسكال) Pascal's Wager ... النَّجاة يوم القيامة لا ينالها الذين يقامرون بالإيمان، وإنَّما هي جائزة للَّذين يُحققون الإيمان بيقين ثم إنّ الإيمان بالله لا يكفي وحده للنَّجاة، فلا بدّ أن يقارنه

الإيمان بنبوة محمد ﷺ. فما قيمة هذا «الرَّهان» إذن؟

فالمسألة خيار بين أمْرَيْنِ، مآل أحدهما عظيمٌ، ومآل الآخر حقيرٌ.. مآلُ الإيمان بالله-إن كان الإله موجودًا-أن ينجوَ المؤمن يوم الحساب من عذاب لا يَفْتُر، وأن يَتَنَعَّمَ يوم القيامة بنعيم لا يَنْضُبُ، وأن يعيش في الحياة هادئ الصَّدر...

لأنَّ التَّدَيُّنَ في **(التَّفسير الكُونتيّ)** وَهْمٌ يُؤالِف به الإنسان بين أشتات الطبيعة، ويُفَسَّرُ به أحوالها على صورة تُصالِحهُ مع مظاهرها القاسية.

نسبة إلى إمام المدرسة الوضعية، الفيلسوف الفرنسي **(أوغست كونت)** Auguste Comte.

وفي **(التفسير الدوركايميّ)** مِلاطٌ يَشُدُّه إلى بقيّة المجتمع ليُحقّق وحدته.

أميل دوركايم Emile Durkheim (١٨٥٨-١٩١٧م): أكاديمي فرنسي، أحد أعلام علم الاجتماع المعاصر. أكد على أثر التاريخ في صناعة المجتمع، بأخلاقه ودينه.

وفي **(التَّفسير الفرويدي)** وَهْمٌ يُسَكّن به قَلَقَ النَّفْس.

نسبةً إلى عالم النَّفس النَّمساوي **(سيجموند فرويد)** **(Sigmund Freud)** (١٨٥٦-١٩٣٩م).

يُحقّق بالإيمان معنًى للحياة، ويمنح النَّفس قاعدةً للأمل، ويمنع الإنسان من الانتحار في وجود بلا قيمة.

James W. Sire, ***Why Should Anyone Believe Anything at All?*** (Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1994), p55.

فَأَمرُ الإيمان جَنَاهُ حُلْوٌ أبدًا، وليست معه خسارةٌ، وأَمْرُ الكُفْر لا يُحقّق الرَّبْحَ؛ لأنّ الإلحاد مَصْدَرُ قلق وكَرْب حتّى إن صَحَّ مذهب الملاحدة، والخسارة فيه لا شيء أعظم منها... إذا كان الفارق بين الحالين على تلك الصورة، كان الهمّ لهذا الموضوع عظيمًا ضرورة، وكان البحث عن كلّ برهان ممكن لإثبات وجود إله أخْرى بالنَّظَر.

الكفر دون استفراغ الجهد والجدّ والاجتهاد في مراجعة أدلّة المؤمنين، تهَوَّرٌ سادر.

أنتوني فلو Antony Flew (١٩٢٣-٢٠١٠م): فيلسوف إنجليزي شهير.

قال **الفيلسوف (أنتوني فلو)** -أيَّام كان مُلحداً- «**إذا كان هناك أيّ احتمال لأن نكون على الحقيقة مُهدَّدين بِبُؤس لا نهائي؛ فالمعرفة التي من المُمكن أن تُظهِر لنا كيف من المُمكن تلافي ذلك، عظيمةُ القيمة.**»

Antony Flew, ***God and Philosophy*** (Amherst, N.Y.: Prometheus, 2005), p34.

المبحث الثاني: الإيمان، حقّ أم واجب؟

المطلب الأول: هل من المُمكن أن نحيا دون «إيمان»؟

لكن لا يمكنه أن يحيا دون إيمان مُطلقًا. والإيمان الذي نقصده هو التصوّر الكونيّ المُعْلَن أو المُضْمَر، والذي منه تندفع العواطف العفويّة من القلب، وتَنْبَجِس الأفكار الفاعلة من الذِّهن.

إنّ فعل الإنسان -كلّ إنسان- رهينُ تصوُراته النّظرية... ولذلك فأَعْقَلُ النّاس هم الذين يصدرون في أفعالهم عن تصوّرات طافية على سطح وُعْيِهم، تناولوها بالتأسيس والاختبار، ولم يستقرّوا عليها حتى أيقنوا صوابها.

جلن شولتز Glen Schultz: أستاذ التربية في Columbia International University.

«**إنّنا نجد على أُسُس حياة كلّ إنسان، إيمانيّاته. وتُشَكِّلُ هذه الإيمانيات قِيَمَهُ التي تَقُودُ أَعْمالَهُ**» **(جلن شولتز)**

Glen Schultz, ***Kingdom Education*** (Nashville, TN: LifeWay, 1998), p39.

المطلب الثاني: الحقيقة، وفصامُ النَّسبيّة والبراغماتيّة

وأمّا «الحقيقة»، فهي الصُّورة التي تَنْطَبع في العقل والقلب موافقةً لصورة الوجود مهما كانت طبيعته.

فلاسفة ما بعد الحداثة: إنَّ الإنسان قد فَكَّكَ الواقع إلى قِطَع صغيرة، وترك لنفسه إعادة تركيبه على الصُّورة التي يريدُ؛ فالوجود فيضُ الذَّوق لا كَشْفُ العَقْل.. وذاك هو الأَفْيُون.

إنّ «الحقيقة» هي «موافَقَةُ ما في الأذهان لما في الأَعْيان»؛ أيْ: مُطابقةُ التصوُّر الذهنيّ للواقع الخارجيّ.

قال شابٌّ للدكتور ماكدويل: **لماذا علينا أن نَهْتَمَّ أصلًا بأمر الحقيقة؟!**

أجابه قائلاً: **هل تريد جوابًا صوابًا أم جوابًا خطأ؟**

فهذا الشابَّ الرَّافض للحقيقة المُطابقة للواقع، جاء يطلب جوابًا مُطابقًا للواقع!

Josh McDowell & Sean McDowell, ***Evidence That Demands a Verdict: Life-changing truth for a skeptical world*** (Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 2017), p607.

في اليونانيّة (alhtheia) [أليثيا]، من فتتكوَّنُ من بادِئةِ السَّلب (الهَمْزة)، والفعل (Lhthw) [ليثو]؛ أي: مَسْتُور أو مخفيّ لأنّها كَشْفٌ للْمسْتُورِ، وليست صناعَةَ المَعْدُومِ.

عبد الرحمن بدوي، ***مدخل جديد إلى الفلسفة***، صـ١٣٧.

فرنسيس برادلي Francis Bradley (١٨٤٦-١٩٢٤م): فيلسوف مثالي من أعلام فلاسفة بريطانيا في زمانه.

قال **(فرنسيس برادلي)**: «**إذا صَحَّتْ مرة؛ صَحَّتْ دائِمًا**»

Francis Bradley, ***The Principles of Logic*** (London: K. Paul, Trench, 1883), p133.

فاختلافُ النَّاس في القول في وجود الله لا يَمَسُّ حقيقةَ وجود الإله أو عدمه لأنّ هذا الوجود أو العَدَمَ قائمٌ بذاته خارجَ وَعْيِنَا.

الحقَّ لا يُختار ولا يُصْنَعُ، وإنما يُكْتَشَفُ؛ إذ هو وجودٌ ذاتيٌّ قائمٌ بنفسه خارج وَعْيِنَا.

المطلب الثالث: هل علينا أن نبحث في صِدْقِ أَعيَانِ كُلَّ الأديانِ؟

هل الإسلام هو الحقُّ الذي يُطابقُ واقع الوُجُود؟

يبدأ بحثُنا -عمليًا- في خيار وُجُود الإله، وعدم وجوده.. ثم إنَّنا أثناء البحث في وجود الله، سنتناول حقيقة هذا الإلهِ الخالِقِ والمصوَّر؛ أَهُوَ ذاتٌ مُريدةٌ فاعلةٌ، أم شيءٌ مجرَّدٌ (كالأرقام مثلًا)، أم هو والطبيعة واحد (وحدة الوجود).

أإلُه المُؤلهة الفاعِلُ في الكونِ، أم إلهُ (أرسطو) السّلبيُّ المنصَرِف عن كونِنا إلى ذاتِ نفسِه العَليّةِ؟ وإذا انتهينا إلى إله المؤلهة؛ لَزِمَنَا أن نبحث عن طريق معرفة الإنسان بذات الإله وذات الوجود.

إنّنا بمعرفة أنّ مُحَمَّدًا ﷺ خاتم النبيّين نستغني عن البحث عن كلّ طريقٍ آخر لحقائق الوجود الكبرى.. إذا صحَّتْ هذه النبوّة بَطَلَ كلُّ ما يخالفُها، وإذا ثبت فسادُهَا، وَجَبَ المسيرُ إلى غيرها.

يكفي استبعاد أجناس الدَّين الفاسد بأنواعها الكُبْرى.

مراجع للتَّوسُّع

يوسف القرضاوي، ***الإيمان والحياة***. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

Ravi Zacharias, ***Can Man Live Without God***, Nashville: Thomas Nelson Publishers, 2004.

الفصل لثاني: المواقف العَقَدِيَّة في مسألة وُجُود الله

المبحث الأول: المذهب الألوهي Theism

الإيمان بذاتٍ كاملةِ الصِّفات يمتِنعُ عَقْلًا أَلَّا توجد لأنَّ عَدَمَها يلزَمُ منه محالاتٍ عقليّة.

واجب الوجود والإله عند الأُلوهيّين مُفارِقٌ بصورةٍ كُليّةٍ للعالم؛ فالعالَمُ والإله لا يتطابقان.

المذهب الألوهي يُقصَد به ضرورةً اليهوديّةُ والنصرانيّةُ والإسلامُ.

إله المؤلِّهة يتواصلُ مع خَلْقِه من خلال الوَحْيِ لخواصَّ أنبيائه، أو الإلهام والكَشْفِ لأصْفِيائه؛ فقد خَلَقَ الخَلْقَ ولم يتركهم دون عنايةٍ.

وأبرزُ خلافات المؤلهة سببَهُا تَأَثُّرُ جماهيرهم بالحضارات الوثنيّة المجاورة لهم أو التي عاشوا في ظلِّها.

المبحث الثاني: الرُّبوبيَّة Deism

الإيمان بخالقٍ مُصوّرٍ لهذا الكون، نَظَّمَ عَمَلَ الكون بقوانين آليَّةٍ مُسْتَغْنِيَةٍ عن التَّوجيه والتَّعديل، والكونُ عند الرُّبوبيّ المصدرُ الوحيدُ لمعرفة الله وصفاتِه، فالرُّبوبيّون يُنْكِرُون الوَحْيَ، ويُعارِضون الأديان، ويَرَوْنَ أنَّ الإله الخالق لم يتواصل مع أحد من البشر.

يُنكر الرُّبوبيّون وقوعَ المعجزات، فالكون آلةٌ ضخمةٌ تعمل بقانونٍ لا يَتَعَطَّلُ.

ويَغْلُبُ على الرّبوبيّين اليومَ رفضهم للأديان لإنكارهم كمالَ رحمة الله، واعتقادهم أَنَّ الشرّ الموجود في العالم يمنع الإيمان بإله رحيم يَهْتَمُّ بأوجاع النَّاس وأحلامهم، يعتقد الرُّبوبيّون أنّ غاية الحياة تحقيق السَّعادة في هذه الدُّنيا.

يختلفُ الرّبوبيّون في أمرِ المعاد، فمنهم من يُنْكِرُ الدَّارِ الآخرة، ومنهم من يرى أنّ الله يبعث النَّاسَ لِيُجازي الطَّيِّبَ على ما أَحْسَنَ فيه، والمفْسِدَ على ما أَساءَ فيه.

المبحث الثالث: الإلحاد Atheism

الإلحادُ في اللُّغة العربيَّةِ: «المَيْلُ جانِبًا»، وفي التَّعريف القرآنيّ: (إِنْكارُ أَيَّ حقيقةٍ من حقائق الشَّرْع؛ كوجود اللهِ وصِفاتِهِ ومُحْكَمِ شَرْعِهِ)، وفي الاصطلاح العُرْفِيِّ اليومَ: الإلحادُ هو إنكارُ الرّبَّ الخالق.

ومن أهمَّ مقولات الإلحاد أن الكون مادَّةٌ وطاقةٌ وحركةٌ عَمْياءُ، وأنّه أزليٌّ (أو حادثٌ بلا سببٍ، عند قِلَّةٍ)، وأنّه عالَمٌ فاسدٌ بما فيه من شرَّ، وأن الأخلاق نسبيّةٌ، وليس للحياة غايةٌ، ونهايةُ الإنسان الموتُ، فَهُو مِن الرَّحِمِ-بلا غايةٍ-وإلى الموت-بلا حكمةٍ.

والإلحاد على نوعَيْنِ:

– الإلحاد القويُّ (strong atheism): وهو: «الإيمان أَنَّ الله غير موجود» أيْ: أَنَّ الملحدَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا وجود لإلهٍ...لأَنَّ النَّفْيَ المطلق هنا مُتَعَذِّرٌ ضرورةً.
– الإلحادُ الضعيفُ (weak atheism): وهو: «عدم الإيمان بوجود اللهِ» أَي: أَنَّ الملحد يرى أَنَّ حجّة المؤمن لم تُقْنِعُه حتَّى يؤمن بالله.

فكتور ستنجر Victor Stenger (١٩٣٥-٢٠١٤م): فيزيائيٌّ وفيلسوف أمريكيّ. من أعلام تيَّار الإلحاد الجديد.

الفيزيائيُّ (ستنجر): «***الإله: الفرضيَّةُ الفاشِلة، كيف يُثْبِتُ العِلْمُ أَنَّ اللهَ غير موجودٍ***»

God: The Failed Hypothesis, How Science Shows That God Does Not Exist.

رغم أنّه صَرَّحَ مرارًا أنّه لا يمكنُ إثباتُ أنّ الله غيرُ موجودٍ، وغاية ما يمكن إثباته أَنَّ الإلحادَ أكثر معقوليَّة من الإيمانِ بالله!

«theothanatology» الذي يدعو إلى «مَوْتِ الإله»، ويستمدُّ الإلحادُ الحَدِيْثُ إلهامَهُ من عبارة الفيلسوف **(نيتشه)** القائل: «**الإله قد ماتَ، لقد قَتَلْنَاه**»

Friedrich Nietzsche, ***The Gay Science***, tr. Josefme Nauckhoff (Cambridge: University Press, 2001), p120.

فظهر تَيَّارُ «الإلحاد المسيحيّ» الذي يدعو إلى اتّباع المسيح ورَفْضِ وجود الله... «**كلَّ إنسانٍ مُنْفَتِح اليومِ على التَّجربةِ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ غائِبٌ، ولكن المسيحيّ وَحْدَهُ الذي يَعْلَمُ أَنَّ الإلهَ قد ماتَ، وأَنَّ مَوْتَ الإله حَدَثٌ نهائيٌّ، لا رَجْعَةَ فيه**»

Thomas J. J. Altizer, ***The Gospel of Christian Atheism*** (Philadelphia: The Westminster Press, 1966).

بدأ الخطاب المضادّ للإلحاد في الظهور من جديد في عالم الأكاديميا مع كتابات الفيلسوف (ألفن بلانتنجا).

ألفن بلانتنجا Alvin Plantinga (١٩٣٢م): فيلسوف أمريكي بارز. من أعلام المدرسة التحليلية في أمريكا الشمالية. له عناية خاصة بفلسفة الدين ونظرية المعرفة.

مايكل شرمر Michael Shermer (١٩٥٤-): ناشط لاديني أمريكيّ كثيف الحضور الإعلامي. يشرف على المجلة الإلحادية المعروفة Skeptic.

كتب **(مايكل شرمر)**: «**إنّنا: لا نَشْهَدُ -فقط- أَنَّ الإلهِ لم يَمُتْ، وإنَّما نَشهَد أيضًا أَنَّ الإلهِ لم يَكُنْ أَكْثَرَ حياةً منه اليومَ**».

Michael Shermer, ***How We Believe: Science, Skepticism, and the Search for God*** (New York: Freeman, 2000) pp. 16-31.

كان الإلحادُ في السَّابق مُرْتَبطًا بأَعْلام الفلسفة في القرنين التاسع عشر والعشرين مثل **(نيتشه)** و **(ماركس)** و **(راسل)**.

كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨-١٨٨٣م): فيلسوف اقتصاد وعالم اجتماع ألمانيّ، تُنسب إليه الماركسية. قادَتْ أفكارُه ثورةً مادّيةً واسعةً على الإيمان بالله في البلاد التي حَكَمَها الماركسيُّون.

برتراند راسل Bertrand Russell (١٨٧٢-١٩٧٠م): فيلسوفٌ وعالم منطقٍ ورياضيات بريطانيّ. أحد أعلام الفلسفة التحليلية. حاصل على جائزة نوبل للآداب.

غير أنّه مع بداية القرن الحادي والعشرين، وصدور كتاب **(وَهْم الإلهِ)** للبيولوجيّ **(ريتشارد داوكينز)** ظهر ما يُعرف بـ «الإلحاد الجديد». ظهر تّيار «الإلحاد الجديد» بعد أحداثِ تفجير بُرْجَي التَّجارة في أمريكا سنة ٢٠٠١.

<u>علماء الإلحاد الجديد:</u>

- **ريتشارد داوكينز Richard Dawkins** (١٩٤١): عالم سلوك الحيوانات بريطانيّ. رأسُ تيَّارِ «الإلحاد الجديد». ساهَمَت مؤلَّفاتُه في تشكيل أُصولِ هذا التيَّار، خاصَّةً كتابه «وَهْمُ الإله».
- **سام هاريس Sam Harris** (١٩٦٧م): عالم أعصاب أمريكيّ. له اهتمام خاصٌ بعلاقة علم الأعصاب بالوعي والأَخْلاق. نال شعبيَّةً كبيرةً بعد نشره كتابه: «نهاية الإيمان».
- **لورنس كراوس Lawrence Krauss** (١٩٥٤): عالم فيزياءٍ نظريّة أمريكي. اشتُهِرَ بِزَعْمِهِ سَذَاجة الإيمان الدينيّ في مقابل نجاعَةِ التَّفكير العلميَّ.
- **كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens** (١٩٤٩ -٢٠١١م): كاتب وصحفي بريطانيّ-أمريكيّ واسع الشهرة بسبب كتاباته العنيفة ضدّ الأديان.

(هيتشنز) سَمَّى أَشْهَرَ كُتُبِهِ الإلحاديَّة: «**الله ليس كبيرًا**»

God Is Not Great: How Religion Poisons Everything (2007).

يُوْصَفُ «**الإلحاد الجديد**» أنَّهُ يتميَّزُ بمجموعةٍ من الخصائص:

- استدعاءُ العِلم الطَّبيعي لِنُصْرَةِ القول باستغناءِ العقل عن الإلهِ لِفَهْمِ العالم.
- الدَّعوةُ إلى إقامة الحياة كُلِّها على أساس العِلْم الطَّبيعيَّ.
- الاختزاليَّةُ؛ وذلك باختصارِ الإنسانِ في طبيعته الماديَّةِ.

- اللُّغة العُدْوانيَّة تجاه الأديانِ؛ حتى وُصِفَ رُموز هذا التيَّار بأنّهم أَكْثَرُ من ملاحدة؛ فَهُمْ «كارهو اللهِ» «miso-theists»
- عَدُّ الأديانِ مِصْدَرَ القَتْلِ والفوضى والدَّمارِ في العالم.
- عَدُّ التَّدَيُّن خَطَرًا على المجتمعِ والجيلِ الجديد، ووجوبُ حماية الأطفال منه.
- الزَّعْمُ أَنَّ الإلحاد فكرةٌ نبيلةٌ وَجَبَ القيام للدَّفاع عنها، ومحاربة التَّدَيُّن بكلَّ صُورةٍ ممكنة.
- اللُّغة الشَّعبيّة للخطاب بعيدةٌ في الأغلب عن الخِطابِ الفلسفيّ النُّخْبَوِيّ لمن سبقهم من أَعْلام الإلحاد.
- جَهْلُ أَعْلامِ الإلحاد الجديد بالمعارف الدينيّة، ولذلك قال فيهم اللَّاهوتيُّ والفيلسوف (أليستر مكجراث): إنَّ انشغالهم بتأليف كتبٍ في نقد الدِّين أَلْهَاهُمْ عن قراءة الكتب الدينيّة.

أليستر مكجراث Alister McGrath (١٩٥٣_): لاهوتيّ وعالم كيمياء بريطانيّ. من أوسع المفكّرين تأليفًا في الرد على تيَّار الإلحاد الجديد.

المبحث الرابع: اللَّاأَدْرِيَّة Agnosticism

كلمة اللَّاأَدْرِيَّة نَفْيٌ للمعرفة في مبنى المصطلح، وقد نَحَتَ هذه الكلمة الدَّاروينيُّ الشَّهيرُ **(توماس هكسلي)** الذي كان على القول إن الأمور الميتافيزيقيّة لا سبيلَ لإثباتها أو دَحْضِها، وإن كان استعماله لمصطلح «لا أدرية» وَصْفًا لمنهج عَدَمِ الحسم في غياب الأَدِلَّةِ القاطعة، وليس بالمعنى المستعمل اليوم في شأن الحكم في أمر وجود الله.

توماس هكسلي Thomas Huxley (١٨٢٥-١٨٩٥م): بيولوجيّ إنجليزيّ اشتهر بدفاعه الدوغمائيّ عن (داروين) ونظريّته.

واللَّا أدريُّون يَرَوْنَ أنّه من الممتنِع القولُ بوجود الله أو عَدَمه؛ فهم يُعلّقون الحُكْمَ في هذا الموضوع؛ وذلك لواحدٍ من سببَيْن: إمّا لاستواء حُجَج الملحدين والمُؤَلَّهَة، وامتناع التَّرجِيح بينها، أو لاعتقادهم أَنَّ الإنسان غيرُ مُهَيَّأٍ معرفيًا لأن يجزم أو يُرجّح في هذا الموضوع.

للشكوكية (Skepticism)... إمكان المعرفة بصورة كُليّةٍ لا خصوص العلم بوجود الله.

الفيلسوف (برتراند راسل) الذي قال في كُتيَّبٍ بعنوان: **(هل أَنا مُلْحِدٌ أم لا أَدرِيٌّ؟)** «**كفيلسوفٍ، إذا كنتُ أَتَحَدَّث إلى جمهور فَلْسَفيَّ بَحْتٍ، وَجَبَ عَلَيَّ القولُ: إنّه يَجِبُ أنْ أَصِفَ نَفْسِي بأَنَّنِي لا أَدريّ؛ لأنَّني لا أعتقد أنّ هناك حُجّةً قاطعة يمكن للمرء أن يُثبِتَ بها أنّه لا يُوجَد إله. من ناحية أخرى، إذا كان لي أن أنقل الانطباع الصَّحيح إلى رجل الشارع؛ فإنّني أعتقد أنّه يجب عليّ أن أقول إنّي ملحدٌ؛ لأنه عندما أقول: إنّه لا يُمكن أن تُثْبِتَ أنّه لا يُوجَد إله، يجب على أن أُضِيْفَ أنه لا يمكن أن تُثْبِتَ أنه لا توجد آلهة هوميروس.**»

Bertrand Russell, ***Last Philosophical Testament*** 1943-68 (London; New York: Routledge, 1997). p91.

ويليام سومرست موغام William Somerset Maugham (١٨٧٤-١٩٦٥م): روائيٌ بريطانيّ شهيرٌ.

(ويليام سومرست موغام): «**النتيجةُ العمليَّةُ للَّا أَدْرِيَّةِ هي أن تَتَصَرَّف كما لو أنّه لا يُوجَد إلهٌ**»

William Somerset Maugham, ***The partial view*** (London, 1954), p161.

المبحث الخامس: الشَّيئيَّةُ Ietsism

يقولون: نؤمن بشيء ما غير مادي لا نعرف التعبير عنه، قوة عظيمة تتجاوزنا بعظمتها، فالرُّبوبيّون يعلمون أنهم يتحدثون عن خالق له صفاتٌ ذاتيّةٌ واضحة، وأما الشَّيئيُّون فمعرفتهم بهذه «القوة» غامضة، فهي أحيانًا قريبة من معنى الرب، وأخرى قريبة من مفهوم الملائكة أو الطاقة.

يَجِدُ هذا المذهب زاده الأكبر في الكسل المعرفي في الغرب حيث لا يَنْشَغِلُ الإنسان في بحث معاني الغايات الكبرى ومعنى الحياة؛ لاستغراقه الكلي في أسباب الحياة.

المبحث السادس: اللا اكتراثية Apatheism

اللَّا اكتراثيَّةُ موقف عملي من قضية وجود الله، وذلك بإهمال النظر فيها وفي عواقبها نظريا وسلوكيا، ومعايشة الحياة على الأرض كَأَنَّهُ لا يوجد إله.

لا يرى اللَّا اكتراثيّ أهمية لسؤال الوجود الإلهي، وينشغل عن التفسير الديني بهموم الدنيا.

مراجع للتَّوسُّع

Norman Geisler, ***A Handbook on World Views: A Catalogue for World View Shoppers***, Bastion Books, 2014.

Michael Palmer, ***Atheism for Beginners: A Coursebook for Schools and Colleges***, Cambridge: The Lutterworth Press, 2013.

الفصل الثالث: البُرهان المُقْنِع.. حقيقته، ووُجُوبه، وحدُّه

البحث في قضايا الإيمان رأسه النَّظَرُ في فلسفة المعرفة.

المبحث الأول: الإيمان والبُرهان

المطلب الأول: هل البُرهان شرط ضروريّ للإيمان؟

فئة ترى أن الإيمان تصديقٌ أعمى ضرورة، فالإيمان بالله عند هؤلاء إذعانُ العقل بلا بَيِّنةٍ.

تعريف (**نيتشه**) للإيمان هو: «**الرَّغْبة في اجتناب معرفة ما هو حقّ**»

Nietzsche, ***The Antichrist***, tr. H. L. Mencken (New York: A. A. Knopf, 1920), p148.

الإيمان بالمعنى الإسلامي ليس قرين التَّصديق الأعمى، إذ هو تصديق ما لا يُدرَك مباشرة بالحِسّ؛ كالإيمان بغيب يوم القيامة تبعًا للإيمان المدلّل بصحّة ربّانيّة القرآن؛ فهو إيمان معقولٌ أو عقلانيٌّ (reasonable faith).

إنّ ما لا دليل على وجوده لا وجود له هومن رَهَقِ العقول المتشنّجة؛ إذ إنّ وجود الشيء بدخوله حيز الوجود غير ظهور أدلة وجوده.

والقول بوجوب إقامة البرهان العَقْليَّ أو العلْميَّ على وجود الله للإيمان بوجود الذّاتِ العليّةِ يقوم على دعوى إلحاديّةٍ فاسدةٍ، مضمونها أنَّ الإلحاد هو الأَصْلُ، ولإثبات نقيضِه يحتاج المرء إلى برهان إيجابي.

لا يقتضي عَدَمُ العِلْمِ علمًا بالعَدَمِ.

وأما من الناحية الشرعية؛ فلا يُشترط فمن يُسْلِمُ أن يستدلَّ بالعقل أو العلم؛ فلو وَجَدَ الإنسان في نفسه قبولا للإسلام دون حاجة إلى إقامة البرهان؛ فهو على الإيمان المقبول شرعًا.

قال (**ابن حزم**): «**فمن الباطل المتيقَّن أن يكون الاستدلالُ فرضًا لا يَصحُّ أن يكون أحدٌ مسلمًا إلَّا به ... فالقول به واعتقاده إفْكٌ وضلالٌ. وكذلك أَجْمَعَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم جميعُهم على الدُّعاء إلى الإسلام وقبوله من كل أحد، دون ذكر استدلال ثمَّ هكذا جيلًا فجيلاً.**»

قال (**ابن حزم**): «**إنّما يضطرُّ إلى الاستدلال مَنْ نازَعَتْهُ نفسه إليه ولم يَسْكُنْ قلبه إلى اعتقاد ما لم يعرف برهانه؛ فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ لِيَقِيَ نفسَهُ نارًا وَقُودُها النَّاس والحِجارة.**»

المصدر: ابن حزم، ***الفصل في الملل والأهواء والنحل***، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ومحمد إبراهيم نصير، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ج ٥، صـ٢٤٤-٢٤٦.

المطلب الثاني: البُرهان المقنعُ عند أعلام الإلحاد

الإيمان بإله من خلال آثارِهِ لا عن طريق المعاينة المباشرة ـ تَفْسَحُ ـ ضرورةً-لطالب الحق أن

يستهدي إلى مطلوبه من أبواب متفرقة؛ لأن الآثار متنوعة في أوجه العلم بها؛ فمنها ما يعرف بالعقل المجرد، ومنها ما يعلم بالعلم التجريبي، ومنها ما يعرف بالذّائقة الجماليّة.

فالقول: إن المرء لن يؤمن بالله حتى يُدْرِكَهُ بالبحث المعملي يقوم على أن الذات الإلهية تقبل الرصد المعملي!

لا يوجد برهان واحد مقنِعٌ للجميع على السَّواء؛ فما يُقْنِعُ فردا قد لا يُقْنِعُ الآخر، والنفوس والعقول سجايا.

يقول (**ابن تيمية**): «**وَكَثِيرٌ مِنْ الطُّرُقِ لَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهُ. أَوْ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ غَيْرِهِ. وَبَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ كُلَّمَا كَانَ الطَّرِيقُ أَدَقَّ وَأَخْفَى وَأَكْثَرَ مُقَدِّمَاتٍ وَأَطْوَلَ كَانَ أَنْفَعَ لَهُ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ اعْتَادَتْ النَّظَرَ فِي الْأُمُورِ الدَّقِيقَةِ؛ فَإِذَا كَانَ الدَّلِيلُ قَلِيلَ الْمُقَدِّمَاتِ أَوْ كَانَتْ جَلِيَّةً لَمْ تَفْرَحْ نَفْسُهُ بِهِ؛ وَمِثْلُ هَذَا قَدْ تُسْتَعْمَلُ مَعَهُ الطُّرُقُ الْكَلَامِيَّةُ الْمَنْطِقِيَّةُ وَغَيْرُهَا لِمُنَاسَبَتِهَا لِعَادَتِهِ؛ لَا لِكَوْنِ الْعِلْمِ بِالْمَطْلُوبِ مُتَوَقِّفًا عَلَيْهَا مُطْلَقًا.**»

ابن تيمية، ***مجموع الفتاوى***، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، ط دار الوفاء، جـ٩، ص١١٥.

المبحث الثاني: المعرفة بين العَقْل والحِسّ

المصدر المعتبر للمعرفة، وما يتأسس عليه فَهْمُ العالم.

المطلب الأول: العَقْل.. حُجِّيَّته وحُدُوده

تَكَرَّرَ استفزازُ القرآن الإنسان أن يُعْمِلَ عقله لِيُدْرك الحقيقة، لينجو من شراك الزَّيْف والوهم، فكان التَّعَقُّل قرين العلم بكثير من حقائق الوجود الكبرى، {**وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ**} [العنكبوت: ٤٣]، وكان تَرْكُ التعقل من أسباب دخول النار: {**وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ**} [الملك: ١٠].

والعقل هو إدراك العلوم الضرورية، أو هو «**قوانين الفِكْر الضَّرُورِيَّة الكُلِّيَّة**»

عبد الرحمن بدوي، ***مدخل جديد إلى الفلسفة***، ص١٥٢.

١. مبدأ الماهية Law of Identity: كل شيء هو نفسه.
٢. مبدأ عدم التناقض Law of non-contradiction: كُلُّ شيء هو غير نَفْسِه: لا يمكن أن يكون (أ) هو (أ) و(غير أ) في الآن نفسه.
٣. مبدأ الثالث المرفوع Law of excluded middle: الشَّيْءُ إِمَّا نَفْسُهُ أو غَيْر نَفْسِه.
٤. مبدأ العلّة الكافية Principle of sufficient reason: هو-في أعدل الأقوال لِكُلّ شَيْءً تفسير لوجوده، إما من خارجه أو بسبب طبيعته.

٥. يتفرَّع عنه قانون السَّنْخِيَّة الذي يَكْشِفُ طبيعة السبب في طبيعة الأثر؛ فالقصيدة البارعة دالَّةٌ على شاعر بارع، والصَّنْعَةُ المُتْقَنَةُ أثر عن طبيعة الإتقان عند الصَّانع، {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ} [الإسراء: ٨٤].

يقول **(ابن تيمية)** في أحد تعريفات العقل: «**عُلُوم ضرورية يُفرِّق بها بين المجنون الذي رُفِعَ القلمُ عنه، وبين العاقل الذي جرى عليه العقل، فهو مناط التَّكليف**»

ابن تيمية، ***بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية***، تحقيق: موسى الدويش، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، صـ٢٦٠.

والطّاعِنُ في الفكر بالفكر واقع في «مغالطة المفهوم المسروق» The fallacy of the Stolen Concept؛ إذ يقيم مذهبه على «سرقة» جوهر المبدأ الذي يريد نَقْضَهُ. وهو ما وقع فيه الفيلسوف الشُّكوكيّ **(هيوم)** عندما شَكَّك في المَلَكاتِ العقلية بالعقل.

وزعم **(ديكارت)** بعد شكه في الحس والعقل أنه قادر على أن يبدأ من يقين لا يُخالِطُهُ رَيْبٌ يُؤسَّسُ عليه المعرفة اليقينية، وهو يَقِيْنُهُ أنه يفكر من خلال ظاهر فِعْلِهِ الذهني المُتمثِّل في الشك؛ فهو، حتى لو شك أنه يشك، فسيبقى بذلك ممارسا لفعل الشك؛ أي: إنه مُفَكِّرٌ ضرورةً، مهما بلغ مدى شكه فيما يعرض له.

الثِّقة في حُجيّة الشّكَّ على وجود الذات المفكرة قائمة في الحقيقة على أهم مقولات العقل (مبدأ عدم التناقض)، ولولا البَدْءُ بالثقة في العقل لما أمكن الثقة في شيء، ولو حتى دلالة الشك على وجود ذات تَشُكُّ؛ فتفكَّرُ.

لو طَلَبَ الإنسان البرهنة على كل الأوّليّات؛ فسينتهي به الأمر إلى التسلسل اللّانهائيّ في طلب برهانٍ لكل برهانٍ؛ فلا يصح شيء إلا إذا سَبَقَهُ برهان دون بداية؛ بما يلزم منه ألا يُنْشِئَ الإنسان معرفة لأنه لا بداية لسلسلة البراهين المطلوبة؛ وهو ما قَرَّرَهُ (أرسطو) منذ قرون، ووافقه على ذلك علماء الإسلام.

ابن تيمية، ***درء تعارض العقل والنقل***، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام سعود ج٣، صـ٣٠٩.

وأَسَّس الفيلسوف الفرنسي **(أوغست كونت)** ديانته الوضعية على أنقاض النصرانية، وجعل العقل رَأْسَها، وحَلَّ العقل مكان الوحي، وازْدَهَرَ المذهب الرُّبُوبيُّ المستغني «بالدين الطبيعي» أو «اللاهوت الطبيعي» المكتفي بمعرفة الرب بالعقل والنظر في الطبيعة عن سلطان المعرفة المتعالية والقداسات الخارجية الملزمة.

العقل بين هذا وذاك، مَلَكَةٌ تُصيبُ الحق، فلا تضرب في عَمايةٍ تامّةٍ، وتدرك من الحق بعضه لا

كله. والعقل في باب الإلهيَّاتِ ليس له إلا أن يلتقط الأوليات التي تقوده إلى معرفة حاجة الوجود إلى إلهٍ، وبعض صفات هذا الإله، إنّ العقل المؤمن لا يملك أن يعرف من حقيقة الإله سوى بعض صفة وجوده كالحياة، والقُدْرِة، والعِلْم، والأُحاديّة.

ولا يملك العقل أن يصل إليها كلها لأن العقل أَسِيْرُ آفاق هذا الكون...ولذلك كانت ميتافيزيقا اليونان أَوْهَنَ تُراثهم العقلي لأنها جرت بالعقل في غير مضماره.

قال (ابن عباس) رضي الله عنهما «**تفكَّرُوا في كُلِّ شيءٍ، ولا تُفكِّروا في ذات الله**»

رواه البيهقي في «***الأسماء والصفات***» (٦١٨).

وقد تكرَّر الأمر في القرآن بالنَّظر في الآثار لمعرفة المُؤثِّر:

قال تعالى: {**أَوَ لَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم**} [الروم: ٨]

وقال تعالى: {**أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ**} [الأعراف: ١٨٥]

ليبقى الخبر الصَّادق (الوحي) هو السَّبيل الأوحد لمعرفة ما وراء حُجُبِ المادّة.

المطلب الثاني: الحِسّ، حُجِّيَّته وحُدُوده

١. صِدْق الحَوَاسّ

نُسَلِّمُ كُلُّنا في حياتنا اليومية لقدرة حواسنا وتجاربنا على كشف الواقع الذي يحيط بنا، عَمَلِيًّا، كلنا نخضع لصدق حواسنا.

فالحاسة لا تُدْرِكُ واقع الأشياء وإنما تَنْقُلُ صُوَرَها ضمن ظروفٍ مكانية وزمانية مخصوصة، ويبقى الحُكْمُ للعقل الذي يجمع الصورة التي يتلقاها من الخارج بحقائق الحسّ الأخرى ومبادئه لِيُصْدِرَ الحُكْمَ النهائيّ.

يقول (**كانط**): «**فمن الصواب إذن أن نقول: إن الحواس لا تُخْطِئُ، لا لأَنَّ حُكْمَها دائمًا صحيح؛ بل لأنها لا تحكم على الإطلاق**»

نقله: فؤاد زكريا، ***نظرية المعرفة***، صـ ٦٢.

وهو ما قَرَّرَهُ (**ابن تيمية**) قبله بقوله: «**الحاسَّة لا يُمَيِّزُ بها بين الأشياء؛ بل مُجرَّد السَّمْع الذي يُدرك الصَّوت لا يُميِّز بين الصَّوت وغيره؛ بل يُحسُّ الصَّوْتَ، ثمَّ الحُكم على الصَّوْتَ بأنه غير اللَّونِ يُعْرَفُ بغير الحاسة وهو العقل، وبه يُعْرَفُ غَلَطُ الحسّ، إذ الأحول يرى الواحد اثنين، والمَمْرُورُ يَجِد الحُلْو مُرًّا، لكنَّ العقل به يُميِّز سلامة الحِسّ من فساده، إذ قد استقرَّ عنده ما**

يُدرك بالحِسّ السَّليم، فإذا رأى من له عقل حِسًّا يُدرك به خِلاف ذلك عَلِمَ فساده، ونظر في سبب فساده»

ابن تيمية، ***بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية***، صـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

إن الشك في صدق الحواس قرين الشك في العقل؛ لأن مصدَرَهُما واحد، سواء قلنا: إن المصدر هو الله-سبحانه-أم الطبيعة.

٢. المذهب التجريبي

يرى أَنَّ الحواس أَصْلُ كل المعرفة، ... وتُعَدُّ النَّواةُ الصلبة للمذهب التجريبي تقرير أن المعارف البشرية كلها بَعْدِيَّةٌ (a posteriori)، فالإنسان كما يَزْعُمُ الفيلسوف **(جون لوك)** يُولَدُ خلوًا من المعارف والقَبْلِيَّات.

جون لوك John Locke (١٦٣٢-١٧٠٤م): أحد أعلام عصر الأنوار.

يُقابل المذهب التجريبي مَذْهَبُ «الأَصْلانيَّة» «Innatism» الذي يُقرِّر أن الإنسان، كل إنسانٍ، يُولَدُ ممتلئًا بمجموعة من المعارف المنحوتة في وَعْيِه. وهي معارف متمايزة وواضحة.

فالطفل يَنْشَأُ فارغًا من المعلومات المرقُونة. وهو ما قَرَّرَهُ القرآن في قولهِ تعالى: «**وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا**» [النحل: ٧٨].

إذ إن الإنسان يَنْشَأُ بقابليّةٍ لاكتشاف حقائق النفس والوجود إذا لم تَدْفَعْهُ عن ذلك العوارض الفاسدة.

المبحث الثالث: العِلْمُ وسُؤالُ الإيمان

العلم الطبيعي اليوم في بعض الدوائر الغربية «هُبَل» العصر.

المطلب الأول: العِلْم الطَّبيعيُّ ووُجُود الله

العلم الطبيعي هو «**المُراقبةُ المُنتظمة للأحداث والظُّرُوف الطَّبيعِيَّة مِن أجلِ اكتشاف الحقائق المُتعلّقة بها، وصياغة قوانين ومبادئَ قائمة على هذه الحقائق**»

Christopher G. Morris, ed. ***Academic Press Dictionary of Science and Technology*** (C.A.: Academic Press, 1992), p1926.

والعلم في تعريف «**الأكاديمية الوطنية الأمريكية للعلوم**»: «**استخدام الأدِلَّة لبناء تفسيراتٍ وتوقُّعاتٍ قابلة للاختبار مُتعلّقةٍ بالظَّواهر الطَّبيعية، وكذلك المعرفة المُتولَّدةُ من خِلال هذه العملية**»

National Academy of Sciences, ***Definitions of Evolutionary Terms***.

https://www.nationalacademies.org/evolution/definitions

كلمة «علم» في التراث الإسلامي تعني: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع، أو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع، وهو تعريف لا يطابق مفهوم science، الغربي؛ فهو أوسع منه وأشرف. وقد اكتسب العلم الطبيعي بعض بَرِيْقِهِ الزائد من مطابقته لَفْظًا لمصطلح «العلم»؛ ولذلك نضطر أحيانًا لضبط المقصود بأنه «العلم الطبيعي» لا «العلم» بالمعنى التراثي عندنا.

العلم يبحث في حقيقة تَشَكُّل العالم المادَّيَّ وطريقة عَمَلِهِ؛ أي سؤال: الكَيْفِ؟ ولا يبحث عن العِلَلِ الأولى والغايات النهائية، أي سؤال: لماذا؟ ...

وإنما للعلم أن يكون مقدمة صُغْرى في برهانٍ فلسفيَّ عن وجود الله.

العلم الطبيعي لا يُثْبِت -بنفسِه-وجود اللهِ ولا يَنْفِيه، وإنّما تقريراتُه مقدماتٌ في بُرهانٍ عَقْلِيٍّ فلسفيّ عن وجود الله.

جون بولكنجورن John Polkinghome (١٩٣٠_): فيزيائي إنجليزي بارز. له اهتمام خاص بمباحث علاقة العلم بالدين.

قال الفيزيائي الكبير والفيلسوف (**جون بولكنجورن**): «**نحن نعيش في عصر يَشْهَدُ إحياءً عظيمًا للاهوت الطبيعي. لا يَحْدُثُ إحياء اللاهوت الطبيعي اليوم في مجموع جماعة اللاهوتيين الذين فقدوا سلطانهم في هذا المجال، وإنما هو يَحْدُثُ بين علماء الطبيعة**».

John Polkinghorne, '***So Finely Tuned a Universe of Atoms, Stars, Quanta & God***' Commonweal, August 16, 1996, p16.

ماكس بورن Max Born (١٨٨٢-١٩٧٠) فيزيائي ألماني حائز على جائزة نوبل. له إسهامات بارزة في تطوير ميكانيكا الكم ونظرية الاحتمالات في الفيزياء.

«**لابُدَّ من القول: إنّ أولئك الذين يقولون: إنّ دراسة العِلْم تجعل المرء مُلْحِدًا، حَمْقى**». الفيزيائي الحاصل على نوبل (**ماكس بورن**)

Frederick E. Trinklein, ***The God of Science*** (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1971), p64.

المطلب الثاني: العِلْمَوِيّة، إشكالاتُ المبدأ والوُعُود

العِلْمُ قائمٌ على مُسلّماتٍ لا يملك إثباتها؛ كالمنطق، والرِّياضيات، وموثوقية العقل والحواس،

ووُجُود العالَم الخارجي، والقُدرة على العِلْم بحقيقة هذا العالَم، وقدرة اللغة على وصف العالم... ولا يُمكن للعالِم أن يُنْشئَ تجربة عِلْمِيَّةً واحدةً، دون تلك المُقدِّمات.

«أَدْرَكَ كُلُّ مُمارِسِ للعَمَل العلميَ أنّه قد كُتِبَ على مَدَاخِل (مَعْبَدِ العِلْمِ)، الكلمات التَّالِية: لا بُدَّ أَنْ يكون عندك إيمانٌ!» (ماكس بلانك)

Max Planck, ***Where Is Science Going?*** (New York: W.W. Norton, 1932), p214.

العلم الطبيعي بعيد كليَّةً عن المشاركة في التقويم الأخلاقي والجمالي، والإحساس والذوق؛ بل العقل نفسه الذي يمثل حالة وعي، يعجز العلم عن وصفه بمقاييس الفيزياء.

إرفين شرودنغر Erwin Schrodinger (١٨٨٧ -١٩٦١م): فيزيائي نمساوي بارز. له مساهمات كبيرة في ميكانيكا الكم.

ويُعبِّر الفيزيائي الحاصل على نوبل **(إرفين شرودنغر)** بلُغَةٍ حَزِينَةٍ: ضِيق أُفُقِ العِلْم وقُصُور يَدِهِ بقوله: إنَّ العِلْم «**لا يُمكن أن يقول كلمةً واحدةً عن اللَّوْنَيْن الأحمر والأزرق، وعن المُرّ والحلو، وعن الألم والاستمتاع الجسديَّيْن. إنَّه لا يعرف شيئاً عن الجمال والقُبح، والجَيِّد والرَّديء، والله والأَبَدِيَّةِ. يَدَّعِي العلم أحيانا أنَّه يُحسن الجواب في مثل الأبواب السَّابقة، لكن هذه الأجوبة في كثيرٍ من الأحيان سخيفة جدًا حتى إنَّنا لا نميل إلى أخذها على مَحْمَل الجَد**»

Schrodinger, ***Nature and the Greeks*** (Cambridge, Cambridge University Press, 1954), p93.

إدوارد فزر Edward Feser (١٩٦٨-): فيلسوف توماوي أمريكي. له اهتمام خاص بالإلحاد الجديد، والفكر الأرسطي والتوماوي، ومشكلة الوعي.

«إذا كانت هُنَاكَ حُدُود لِمَا يَمْلِكُ العِلْم وَصْفَهُ، فكذلك تُوجَد حُدُود لِمَا يَمْلِكُ العِلْمُ تَفْسِيرَهُ» الفيلسوف (إدوارد فزر)

Edward Feser, ***Scholastic Metaphysics, A Contemporary Introduction*** (Heidenstam: Editiones Scholasticae, 2014), p20.

العلم لا يملك غير الصَّمْتِ في مواجهة الأسئلة الأَوّليّةِ...

بيتر مدوار Peter Medawar (١٩١٥-١٩٨٧م): بيولوجي بريطاني. رأس «المؤسسة الوطنية للبحث الطبي». له اهتمامات بالبحث الفلسفي.

ولذلك كتب **(بيتر مدوار)** الحائز على جائزة نوبل في الطب: «**وُجُودُ حُدُودٍ للعِلْمِ أَمْرٌ ظَاهِرٌ مِن**

عَجْزِهِ عَن الجواب عَن أسئلة الأطفال الأَوَّلِيَّةِ المُتعلّقة بالأُمُور الأوّليَّةِ والنِّهائيَّة، والتي هي أسئلة مثل: كيف بدأ كل شيءٍ؟ ولماذا نحن كلنا هنا؟ وما الغاية من الحياة؟»

Peter Medawar, ***Advice to a Young Scientist*** (London, Harper and Row, 1979), p31.

لودفيج فتجنشتاين Ludwig Wittgenstein (١٨٨٩-١٩٥١م): فيلسوف نمساوي مشهور. له عناية خاصة بالمنطق وفلسفة اللغة والرياضيات.

الفيلسوف **(فتجنشتاين)**: «**الوَهْمُ الكَبِيرُ للحَدَاثَةِ هو أنَّ قَوَانِينَ الطَّبِيعَةِ تُفَسَّرُ لَنَا الكَوْن. قَوَانِينُ الطَّبِيعَةِ تَصِفَ الكَوْنَ، فَهِيَ تَصِفُ الانْتِظَامَ. لَكِنَّهَا لَا تُفَسِّرُ شَيْئًا**».

Cited in: John Lennox, ***Gunning For God: Why The New Atheists Are Missing The Target***. (Oxford: Lion, 2011), p228.

العِلْمُ مَدِينٌ لِعَقِيدَةِ وُجُودِ اللهِ بِحَقِّ الوُجُود.

فتفسير العلم الطبيعي للوجود الطبيعي يحتاج إلى تفسير؛ واحتمال العشوائية في هذا الوجود أَرْبَى بكثير على احتمال الانتظام والتناسق والتكامل، والواقع مُنْتَظِمٌ، على خلاف المتوقع، فالقدرة التفسيرية للعلم رهينة وجود الانتظام والتناسق والتكامل بين عناصر الطبيعة.

المطلب الثالث: الإلحاد والعِلْمَوِيَّة

وصف **(ريتشارد داوكينز)** علماء الطبيعة أنهم «**المُخْتَصُّون في أَمْرِ كَشْفِ مَا هُوَ حَقِيقِيّ بِشَأنِ العَالَم والكَوْن**»

Richard Dawkins, ***A Devil's Chaplain: Selected Writings*** (London: Phoenix, 2004), p242.

الملحد العِلمويّ ينطلق من مبدأ: «**الطّبيعانيّة الميتافيزيقيّة Metaphysical Naturalism**»؛ أي: إنه يبدأ بحثه من مقدمة وجودية أولى تقول: الوجود مادة، ولا يمكن غير ذلك.

مايكل روس Michael Ruse (١٩٤٠_): فيلسوف علوم (بيولوجيا) بارز. له عناية خاصة بالعلاقة بين الإيمان والعلم، وجدل الخلق والتطور.

كتب الفيلسوف الملحد **(مايكل روس)**: «...**إذا كُنْتَ تُرِيدُ اعْتِرَافًا، فَقَدْ قُلْتُ دَائمًا: إنَّ مَذْهَب الطَّبِيعَانِيَّة اخْتِيَارٌ إيمَانَوِيّ**».

Cited in: Robert Stewart, ed. ***Intelligent Design: William A. Dembski***

Michael Ruse in Dialogue (Minneapolis Minn.: Fortress Press, 2008). p37.

إذ العلم الطبيعي فرع عن حقيقة النظام في الكون، والنظام في الكون إعلان لخضوعه لسلطان الحكمة.

وقد يُفَاجَأُ القارئ إذا علم أن **(داوكينز)** أحد أعلام العلمويين، يقول: «**لَيْسَ لِلْعِلْمِ أيّ سَبِيل لِنَقْض وُجُود كائن أَعْلى**»

"Science has no way to disprove the existence of a supreme being."

Dawkins, ***A Devil's Chaplain***, p149.

أَخَاهُ العِلْمَوِيّ المُلْحِد **(لورنس كراوس)** قال: «**إنَّ نجاح العِلْم لا يعني أنَّه يشمل كامل الخبرة الفكرية الإنسانية... العِلْم لا يجعل الإيمان بالله من المُحَالات. يجب أن نعترف بهذه الحقيقة، وأن نتعايش معها**»

Cited in: Brooks, '***This Week: Beyond Belief***,' New Scientist, 18 November 2006 p11.

المطلب الرابع: هل ماتت الفلسفة؟

ستفن هاوكنج Stephen Hawking (١٩٤٢-٢٠١٨م): عالم فيزياء نظرية إنجليزي شهير. عضو الجمعية الملكية للفنون.

شعار «مَوْت الفلسفة» الذي أطلقه الفيزيائي **(ستفن هاوكنج)**

العلم لا يمكن أن يقوم دون قاعدةٍ فلسفيةٍ أولى ينطلق منها.

واعْلَمْ أنه لا يمكن للمَرْءِ أن يَحُكَّ رَأْسَهُ إذا شعر بداع لِحَكِّهِ حتى يُسلِّمَ لمجموعة مقررات فلسفية أولى ليس للعلم الطبيعي فيها نصيب، ومنها:

١. هل المعرفة ممكنة، أم أن الشكوكية هي الحق في عدم إمكان إدراك الحقيقة؛ وإذن: هل العلم الصادق بالشعور البغيض-الذي يستدعي اليد للحك-ممكن أم لا؟
٢. هل الوجود الخارجي (جلْدةُ الرأس واليد بأظافرها) حقيقة موضوعية، ولذلك يجب حك الرأس لكف الشعور البغيض، أم لا حقيقة خارج الدماغ-وهي المشكلة الفلسفية القديمة في أمر وجود عالم خارج أذهاننا _؟
٣. هل الحواس التي تنقل لنا هذا الإحساس البغيض جديرة بالتصديق؟
٤. هل آلة العقل التي تفسر الشعور بأنه بغيض، جديرة بالتصديق؟
٥. هل يجب الوثوق في قانون السببية بما يدفع المرء إلى تحريك يده فوق رأسه حتى يتمكن

من حك فَرْوَتِه استجابة لداعي الحك؟ أم أن السببية وَهْمٌ من آثار التكرار والتعاقب كما يقول (هيوم)؟

٦. هل الشعور البغيض هو الشعور البغيض؛ أي: هل علينا أن نثق في قانون الماهية؟

٧. هل (الشعور البغيض) ليس (غير الشعور البغيض)؛ ولذلك فإزالة الشعور البغيض تكون بغياب الشعور البغيض-وهذا هو قانون عدم التناقض الذي يحاول بعض الكموميّين إنكارَهُ _؟

٨. الشعور البغيض، إما أن يوجد أو لا يوجد، ولا يوجد خيار ثالث، وهذا هو قانون الثالث المرفوع؛ إذ إن الشيء إما أن يوجد أو لا يوجد، ولا يوجد خيار ثالث، أم إنه علينا أن نبحث في خيار ثالث، ورابع؟

٩. إشكالية اختيار الرأي أو ما يعرف بـ «Doxastic voluntarism» هل للإنسان قدرة على اختيار أفكاره، أم هو مَقُودٌ قَسْرًا إليها؟ هل الوعي بالإحساس البغيض اختياريٌّ أم قَسريٌّ؟

حتى قال (**مايكل روس**) في مقاله: «***لماذا أَعْتَقِدُ أَنَّ [رُمُوز] الإلحاد الجديد كارثةٌ عُظْمى***» إنَّ كتاب «**وهم الإله**» لـ (**داوكينز**) لا يرتقي صاحبه لِيَنْجَحَ به في مُقَرَّرِ «**مدخل إلى الفلسفة**» في الجامعة.

Michael Ruse, ***Why I think the New Atheists are a bloody disaster***.

https://www.beliefnet.com/columnists/scienceandthesacred/2009/08/why-i-think-the-new-atheists-are-a-bloody-disaster.html

الميتافيزيقا مُقدَّمةٌ ضروريّةٌ لكلّ إبستيمولوجيا، والإبستيمولوجيا مُقدّمةٌ أساسيّةٌ لكل بَحْثٍ علميٍّ تجريبيٍّ.

المبحث الرابع: البرهانُ الخَيَرِيُّ والإيمانُ

المطلب الأول: الاستدلال بالخبر الصادق

يَشْهَدُ الواقع العملي أن جميع الناس على اتفاق أن الخبر الصَّادق مّصْدَرٌ للمعرفة إذا ثبت صدق الناقل وانْتَفَتْ عن النقل النَّكارَةُ؛ فإن خبر الصادقين حجة كمشاهدة العين للخبر، سواء بسواءٍ.

فإن الجانب الأكبر من معارفنا مصدره الخبر الصادق، كما أن تطور العلم قائم على تصديق الخبر الصادق في نقل التجارب العلمية السابقة وحقائق العلم الثابتة.

فقال له الداعية المسلم: هل تُؤمن بالدَّاروينيّة؟ -لعلم هذا الداعية أن (**كراوس**) وإخوانه يَرَوْنَ رُكْنِيَّةَ الإيمان بالدَّاروينيَّةِ لنصرة الإلحاد- فأجابه بالإيجاب، فقال الداعية المسلم: هل اخْتَبَرتَ ذلك بنفسك-لعلمه أن (**كراوس**) ليس بيولوجيًّا. فَبُهتَ (**كراوس**)، ولم يَدْرِ جوابًا!

المطلب الثاني: هل يُستدلّ بالقرآن للإيمان بالله؟

وإنما هو كتاب يُقدَّمُ أيضًا سُبُلَ نَظَرٍ في طلب الحقيقة، وقبل ذلك منهجًا للتفكير...

ثم إن معرفة حقيقة عقيدة الإسلام عند محاكمة تناسق التَّصوُّر الكوني الإسلامي ورسوخ أصوله، تقتضي إدراك هذه الصورة من مصادرها، والقرآن مصدر رئيس لمعرفة حقيقة الإسلام؛ ولذلك فاختبار صدق الإسلام يقتضي معرفة خَبَرِهِ.

المبحث الخامس: الموقف الإيماني بين تَعَدُّدِ المداخل وعثرات النَّظَرِ

المطلب الأول: مسالكُ إثباتِ صدقِ الدِّينِ

فإذا لم تَفِ الشَّواهدُ (كَطَلَبِ خارقةٍ ماديّةٍ يَرَوْنَهَا عيَانًا) لإثبات صحة الإسلام، تركوا الإيمان إلى ما ليس عليه برهان (الإلحاد أو الأديان المحرفة أو الأيديولوجيات الباطلة)

النظر في أدلة الحق له مسالك مختلفة، من أهمها:

الدليل المباشر: الدليل المباشر هو الذي يقدم حجة إيجابية قاطعة؛ كالاستدلال بخارقة القرآن لإثبات النبوَّة. وهذا طريق الجادين الذين لا تَهُوْلُهُمُ الشبهات لأن «اليقين عندهم لا يزول بالشك».

الدليل التراكمي: لا يُشترَطُ لإثبات أمر ما أن يقوم على ذلك دليل مباشر قاطع في ذاته، وإنما يكفي أن تتآلف البراهين المختلفة التي لا تصل آحادها إلى مطلب الجزم ليثبت هذا الأمر.

قال (**ابن تيمية**): «**وممّا ينبغي أن يُعرف أنّ ما يحصلُ في القلبِ لمجموع أمورٍ، قد لا يَستقلُّ بعضها به؛ بل كُلُّ ما يَحصلُ للإنسان مِنْ شبعٍ وَرِيٍّ وسُكْرٍ وفَرَحٍ وغَمٍّ بأمور مُجْتَمِعَةٍ لا يَحصُلُ ببعضها، لكنَّ بعضَها قد يُحصِّلُ بعضَ الأَمْرِ، وكذلك العِلْمُ بخبر الأخبار، وبما جَرَّبَهُ من المُجَرِّباتِ، وبما في نفس الإنسان من الأمور؛ فإنَّ الخبر الواحِدَ يُحصِّلُ في القلب نَوْعَ ظَنٍّ، ثم الآخر يُقوّيهِ، إلى أن ينتهيَ إلى العِلم، حتّى يتزايَدَ ويَقْوى؛ وكذلك ما يُجرّبه الإنسانُ من الأُمورِ، وما يراه من أَحْوالِ الشَّخصِ، وكذلك ما يُستَدلُّ به على كَذِبِهِ وصِدْقِهِ**»

ابن تيمية، **شرح الأصبهانيَّة**، تحقيق: محمّد السّعوي، الرياض: دار المنهاج، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م، صـ٥٦١.

التفسير الأفضل (Inference to the Best Explanation)

الظَّنَّ الراجح يُجْدِي كسبيل إلى الإيمان الجازم؛ الإيمان بالله-مثلا-وجه لتفسير وجود الكون وتنظيمه، وليس على الضفة الأخرى غير القول بالعشوائية.

يطرح القول الضعيف، ويلتزم القول الأقوى وإن لم يكن قطعيًا إذا كانت البدائل قاصرة وعاجزةً تفسيريًّا.

وهذا الظن الغالب يؤول في ختام الأمر بالمرء إلى اليقين في وجود الله لأنه الخيار الوحيد الذي يملك قوة تفسيرية تفي بالمطلوب.

المطلب الثاني: مُعوِّقاتُ في الطَّريقِ إلى الجوابِ

البحث في الأسئلة الكبرى -ولا شيء أكبر من الحقائق الوجودية الكبرى- يحتاج جُهْدًا في تَطَلُّبِ الدليل، وتواضعًا في طلب المعرفة، وصبرًا في تَعَقُّبِ الحقائقِ.

فالنَّبْشُ في جُذورِ الاعتراضات الإلحادية كثيرًا ما يَحْسِمُ أمر زَيْفِها قبل تناول المقولة الإلحادية بالنظر.

مراجع للتَّوسُّع

راجح الكردي، ***نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة***.

عبد الله الدعجاني، ***منهج ابن تيمية المعرفي***.

Noah Lemos, ***Common Sense: A Contemporary Defense***, Cambridge University Press, 2010.

Nigel Brush, ***The Limitations Of Scientific Truth: Why Science Can't Answer Life's Ultimate Questions***, Grand Rapids, MI: Kregel Publications, 2005.

J. P. Moreland, ***Scientism and Secularism: Learning to Respond to a Dangerous Ideology***, Crossway, 2018.

الفصل الرابع: هل الإلحاد عقيدةٌ عقلانيَّةٌ؟

المبحث الأول: إيمانَّويةُ المعتَقَدِ الإلحادِيَّ

بعبارة (**داوكينز**) هو: «**تَصْدِيق أعْمَى، في غِيَاب الدَّلِيل، أو حَتَّى عَلَى خِلَاف الدَّلِيل**»

Richard Dawkins, ***The Selfish Gene*** (Oxford: Oxford University Press, 1989) p198.

الملحد يُقيم تفكيرَهُ كما المؤمن على مقدمات تَسْلِيمِّية، أو ما يعرف «properly basic beliefs» وهي الاعتقادات التي لا تَسْتَنِدُ على برهان، وإنما هي الأصول التي تقوم عليها المعرفة، مثل تصديقنا لعقولنا، وتصديق المبادئ الرّياضيّة.

بول ديفيس Paul Davies (١٩٤٦_): فيزيائي إنجليزي شهير، لا أدري. درس في عدد من كبرى الجامعات الغربية. من أبرز الشخصيات الفكرية في الغرب كتابة في علاقة العلم والإيمان.

(بول ديفيس): «**... حتى أَشَدُّ العُلَمَاء إلحَادًا يَقْبَلُ إيمَانِيًّا وُجُود قانون للنِّظَام فِي الطَّبِيعَة مَفْهُوم عِنْدَنَا وَلَو جُزئيًّا. وَلِذَلِكَ فَلَا يُمْكِن لِلْعِلْم أنْ يَتَقَدَّمَ إلَّا إذا تَبَنَّى العُلماء أساسًا نظرةً كونيَّةً لاهوتيَّةً**»

Paul Davies, ***The Appearance of Design in Physics and Cosmology***, in ***God and Design: The Teleological Argument and Modern Science***, ed. Neal A. Manson (New York: Routledge, 2003) p148.

والعقيدة الإلحادية -عَيْنًا- تقوم على مُسلَّمات تصديقيّةٍ كثيرةٍ تسير ضد البرهان، فضلا عن تلك التي ليس عليها برهان؛ ومنها:

- الكون أَزَلِيٌّ أو أنه حَدَثَ بلا مُحْدِثٍ.
- المعلومة (information) تَنْشَأُ من الفوضى.
- النظام المُبْهِرُ نَشَأَ من العشوائية العمياء.
- الوَعْيُ نَشَأَ من اللاَّوَعْي (من مجرد تفاعل كيميائيات الدماغ).
- الأخلاق المدنيّةُ نَشَأَتْ من طبائِع الغابيَّةِ الحيوانيَّةِ.
- الحياةُ نَشَأَت من اللاَّحياةِ.

هبرت يوكي Hubert Yockey (١٩١٦-٢٠١٦م): فيزيائيٌّ وعالم معلوماتٍ أمريكيٌّ. اهتمَّ بربط نظريّة المعلوماتِ بالبيولوجيا.

وهي المسألةُ التي وَصَفَها **(هبرت يوكي)** أنّها: «**مُجرَّدُ مَسْأَلَةٍ إيمانويّةٍ بالمَعْنَى الضَّيِّقِ للإيمانِ، تَسْتَنِدُ كُلِّيًّا عَلَى الأيديولوجيا**»

Hubert Yockey, ***Information Theory and Molecular Biology***, (Cambridge: Cambridge University Press, 1992), p284.

وعندما يزداد الخناق ضيقا على العقل الإلحادي عند مواجهته بأدلة الإيمان، تتعاظم قائمة العقائد الإيمانية التي لا يَدْعَمُها برهان أو المعارضة للبرهان؛ كالقول بالأَكْوان المتعددة التي لم يَرَها أَحَدٌ، ولا سبيل البتة لإدراك وجودها.

دافيد بيرلنسكي David Berlinski (١٩٤٢م): مفكر أمريكي معروف، من أصل ألماني. درس في عدد من جامعات أمريكا والنمسا وفرنسا.

العلم لا يَنْصُرهُمْ في شيءٍ؛ إذ ليس في العلم كَشْفٌ واحد يَنْصُرُ دَعْوى ألا إله، وهو ما فضحه عالم الرياضيات والبيولوجيا الفيلسوف اللا أدري (**دافيد بيرلنسكي**) في غلافِ كتابِه الخارجيِّ «***وَهْمُ الشَّيطانِ: الإلحادُ ودَعَاواه العِلْميّةِ ٢٠٠٩م***»، مُلَخِّصًا خاتمةَ رِحْلَةِ فُتوحاتِ العِلمِ:

«**هَلْ قَدَّمَ أَيُّ شخصٍ دليلاً على عَدَمِ وجود اللهِ؟ لا، ولا قريبًا من ذلك.**

هل شَرَحَ علمُ كوسمولوجيا الكَمِّ ظُهورَ الكونِ أو لماذا هو هنا؟ لا، ولا قريبًا من ذلك.

هل أَوْضَحَتْ عُلُومُنا لماذا يبدو الكونُ لدينا مضبوطًا بدقّةٍ لِتُوجَدَ الحياةُ؟ لا، ولا قريبًا من ذلك.

هل يريد الفيزيائيُّون والبيولوجيُّون أن يؤمنوا بأيّ شيءٍ ما دام أنّه ليس فكْرًا دينيًّا؟ الأَمْرُ قريبٌ من ذلك.

هل قدَّمَتْ لنا العقلانيَّةُ والفِكْرُ الأخلاقيُّ فهمًا لما هو جيّدٌ، وما هو حقٌّ، وما هو أخلاقيٌّ؟ الواقع ليس قريبًا من ذلك بما فيه الكفاية.

هل كانت العالمانيَّةُ في القرن العشرين المروِّع مصدرَ خيرٍ؟ الأمر ليس قريبًا من أن يكون قريبًا من ذلك.

هل هناك عقيدةٌ قويمةٌ رسميّةٌ ضيّقةٌ وقمعيّةٌ في العلوم؟ الأمر قريبٌ من ذلك.

هل يُبَرِّرُ أيُّ شيءٍ في العلومِ أو فلسفتها الادِّعاء بأن المعتقدَ الدّينيَّ غيرُ مَنْطِقيٍّ؟ ليس الأمر في حُدود المقبولِ.

هل الإلحادُ العلميُّ ممارسةٌ تافهةٌ في ازدراء الفِكْرِ؟ الأَمْرُ كذلك لا ريبَ»

لما سئل (**داوكينز**) عن السلسلة التطورية لِرِيْشِ الطيور، وهو شيء مُعَقَّدٌ جدا، وغير قابل للتبسيط، أجاب: «**لا بدَّ أَنَّ هُناك سلسلة من التَّطوُّرات للوُصُول إلى الرِّيش. إذا لم يُمكنك أن تتصوَّر طريقًا لذلك؛ فَتِلْكَ مُشْكِلَتُكَ وَلَيْسَت مُشْكِلَة الانْتِخَاب الطَّبِيعِيّ**»

«**تِلْكَ مَسْأَلَة إيمَانَوِيَّة مِنِّي**»

عنوان الفيديو على اليوتيوب: ***Dawkins on Irreducible Complexity***

https://www.youtube.com/watch?v=WGORCVB629Y

لويس ولبرت Lewis Wolpert (١٩٢٩م): بيولوجي بريطاني من مواليد جنوب إفريقيا. له عناية بتبسيط العلوم.

الملحد الشَّرِسُ (**لويس ولبرت**) «**كيف نشأَت الخليَّةُ، ذاك أَمْرٌ... WOW! إنَّه أمر يَذْهَبُ**

بالعقل. إنَّه أمْرٌ مُعْجِزٌ حقيقةً - تقريباً بالمعنى الدِّيني»

ولمّا سُئِلَ كيف يجمع بين تصوير الأمر أنه معجزة مع إيمانه بالتفسير الدّاروينيّ، أجاب: «**لا يُوجَدُ في الحقيقة طريق آخر، وإلَّا فعليك أن تذهب إلى تفسير الأمر بوُجُود الله!**»

Wolpert, ***The Hard Cell***, Third Way, March 2007 p18.

روبرت لاغلن Robert Laughlin (١٩٥٠_): أستاذ الفيزياء في جامعة «ستانفورد».

الفيزيائي الحائز على نوبل (**روبرت لاغلن**) يقول: «**كثيرٌ من معارفنا البيولوجيّةِ اليومَ أيديولوجيا. ومن علامات التَّفكيرِ الأيديولوجيِّ التفسيرُ الذي ليست له لوازِمُ، ولا يمكن اختباره. وأنا أُسمّي تلك المآزقَ المنطقيَّةَ: (ضدَّ النَّظريَّاتِ)؛ لأنّها تَحْمِلُ بالضَّبطِ الأَثَرَ العَكْسِيَّ للنَّظريَّات الحقيقيّة: إنّها تُجَمِّدُ التَّفكيرَ بَدَلَ استِفْزازِه. التَّطوُّر عبر الانتخاب الطّبيعيّ - مثلاً - ، والذي ذهبَ داروين إلى أنّه نظريّةٌ عظيمةٌ، تَبَيَّنَ مُؤَخَّرًا أَنَّهُ يَعْمَلُ (ضِدَّ النَّظريَّة) بأن يَتِمَّ استعمالُه للتَّغْطِيةِ على نقائصِ الاختبارات المحرجة، وتسويغ النَّتائجِ التي هي في أَفضل الأحوالِ مَحَلُّ رِيْبةٍ وفي أَسْوَئِهَا لا تبلُغ أن تكون حتّى خَطَأً.**»

Robert Laughlin, ***A Different Universe: Reinventing Physics from the Bottom Down*** (New York, Basic Books, 2005), pp 168-69.

ريتشارد ليونتن Richard Lewontin (١٩٢٩م): بيولوجي وعالم رياضيات أمريكي. له عناية خاصة بأبحاث التطور الجزيئي.

كما يقول عالم الجينات المُلحد (**ريتشارد ليونتن**) في مقالِهِ النَّقْديِّ لأَحَدِ كُتبِ الملحِدِ الشَّهيرِ (كارل ساجان) يقومُ على تصوُّراتٍ تُخالِفُ البَدَاهةَ بما هو ظاهِرُ الفَسَادِ علميًّا. ويَفْضَحُ (**ليونتن**) أَصْلَ الداء بقوله: إننا «**نَحْمِلُ التزامًا مبدئيًّا، التزامًا بالخُضُوع للمَادِّيَّةِ. ليست مناهجُ العِلْمِ ولا مؤسَّساتُه هي التي تُلزِمنا بصورةٍ ما بقَبُول تفسيرٍ ماديٍّ لهذا العالَمِ المذْهِلِ، وإنّما على العكس من ذلك، نحنُ مُلْزَمُون سَلفًا بولائنا للأسبابِ الماديَّةِ لِخَلْقِ هامشٍ للبحث ومجموعةٍ من المفاهيمِ التي تُنْتِجُ تفسيراتٍ ماديَّةً، مهما خالَفَ ذلك البَدَاهَةَ**»

Richard C. Lewontin, ***Billions and Billions of Demons***, in The New York Review of Books, January 9, 1997, p28.

http://www.nybooks.com/articles/1997/01/09/billions-and-billions-of-demons

(**توماس ناجل**) فقد رُمِيَ «بالهرطقة» رغم أنه ما يزال مخلِصًا لإلحاده ووُضِعَتْ صورته على

غلاف مجلة «The Weekly Standard»

Thomas Nagel, ***Mind and Cosmos: Why the materialist neo-Darwinian conception of nature is almost certainly false*** (New York: Oxford University Press, 2012).

Joseph Brean, "***What has gotten into Thomas Nagel? Leading atheist branded a heretic for daring to question Darwinism***" National Post, 23 March 2013.

المبحث الثاني: لا بُرهانيَّةُ المعتَقَدِ الإلحاديَّ

لا سبيل لإثبات عدم وجود الله؛ لامتناع نَفْيِ وجود ما لا نُدْرِكُهُ بالحس.

جون لزلي ماكي John Leslie Mackie (١٩١٧-١٩٨١م): فيلسوف أسترالي له عناية خاصة بفلسفة الدين، وفلسفة الأخلاق.

الفيلسوف الملحد **(ج. ماكي)**، الذي يعد أشرس الملاحدة استدلالًا بمشكلة الشر انتصارًا للإلحاد إن مشكلة وجود الشر هي «**مُشكلة فقط لمن يؤمن أن هناك إلهًا قديرًا كامل الخيريّةِ. وهي مشكلة منطقية تتمثَّل في توضيح عَدَدٍ من الاعتقادات والتوفيق بينها.... إذا كنت مُسْتَعِدًّا للقول: إن الله غير كامل الخيرية، وليس تامَّ القُدْرَةِ... فعندها لن تواجهك مشكلة الشر**»

J. L. Mackie, '***Evil and Omnipotence***,' Mind ,64 no. 254 (1955): 200, 201.

الأديان وسائط للتَّعريفِ بالإلهِ، وليست هي حقيقة وجود الالهِ.

ج. ك. شسترتون G.K Chesterton (١٨٧٤-١٩٣٦م): فيلسوف وواعظ إنجليزي شهير. اشتهر بكتاباته الدفاعية عن الإيمان بالله والنصرانية.

على حَدَّ تعبير **(ج. ك. شسترتون)**، فإن الدُّوغمائيَّات الأخرى تقوم غالبًا على الإيمان بوجود شيءٍ، وأما الإلحاد فيقوم على نفي شيءٍ بصورة كليةٍ في هذا الوجود. والنَّفْيُ الكلي لأمرٍ ما في هذا الوجود دون برهان، دوغمائيّةٌ متطرّفةٌ.

Gilbert Keith Chesterton, ***Varied Types*** (New York: Dodd, 1908) p86.

المبحث الثالث: هَذْرِيَّةُ المعتَقَدِ الإلحاديَّ

الإلحاد في حقيقته لا يُهَيَّءُ لهذه القيم قواعد وجودية.

كل الدعاوى الإيجابية للإلحاد تقوم على مُقدّمتَيْنِ أساسيَّتَيْن، وهما أن للحياة معنًى أصيلًا-بصورة

ما -، وأن الإنسان كائن شريف له قيمته في هذا الكون، وهما ادَّعاءان يُنافِران العَدَمِيَّةَ الصميميّة للإلحاد. إن الإلحاد عَدَمِيٌّ ضرورة لأنه لا يعترف بغير المادة والطاقة والحركة، وليس من بين ذاك قيمة كونية ذاتية

إن الملحد المهتم بالفعل وقيمته هو -داخل منظومَتِهِ التَّصوُّرِيَّةِ- كائن طُفَيْلِيٌّ أخلاقيًّا؛ إذ يعيش على الأخلاق المقترَضَةِ من الأديان.

Vox Day, ***The Irrational Atheist*** (Dallas, Tex.: BenBella Books, 2008), p263.

جون جراي John Gray (١٩٤٨م): فيلسوف بريطاني له عناية بالفلسفة التحليلية وتاريخ الأفكار.

وقد كتب الفيلسوف الملحد (**جون جراي**) مقالاً تحت عنوان (***الإنسانية غير موجودة***): «**دعوى أن الإنسانية (humankind) لها مقام خاص ضمن مجموع أشياءِ العالم تملكُ حُضورًا ضمن أدبيات المفكرين اللادينيَّين الذين يقولون لنا: إن الإنْسَ قد ظَهَرُوا صُدْفةً، ويُصرُّون على أن «الإنسانية» يمكن أن تَضُخَّ الغائيَّةَ في العالم. ولكن في الفلسفة الطَّبيعانيَّةِ البَحْتَةِ، ليس لجنس الإنس أي غايةٍ. ليس هناك سوى الإنس، مع دَوَافِعِهم وأهدافِهم المتضاربة. باستخدام العلم، يُغَيِّرُ الإنسان كوكب الأرض، ولكن «الإنسانية» لا يمكن أن تستخدم مَعْرِفَتَها المتنامية لتحسين العالم؛ لأن الإنسانية لا وجود لها**»

John Gray, '***Humanity doesn't exist***,' *New Statesman* (10/02/11).

وما الإلحاد إلا لصٌّ يسرق من رصيد الإيمان ليكتسب أنفاس الحياة!

المبحث الرابع: لاعقلانيَّةُ الدَّماغِ الإلحاديَّ

حتى يكون المرء مُلحِدًا لابُدَّ أن يؤمن بالتطور العضويّ العشوائيّ...والإيمان بعشوائية التطور يلزمُ منه عدمُ الثّقةِ في قدرة الدماغ على اكتشاف الحقيقة الموضوعية.

فرنسيس كريك Francis Crick (١٩١٦-٢٠٠٤م): عالم بيولوجيا جزيئية وفيزياء حيوية بريطاني. نال جائزة نوبل (مشاركة) على اكتشافه تركيب الحمض النووي الصبغي.

فهذا البيولوجي الحائز على نوبل (**فرنسيس كريك**) يقول بعبارة جازمة: «**أَدْمِغَتُنَا المُتَطَوِّرة هي في خِتام الأمر لَمْ تَتَطَوَّر تحت ضَغْط الحاجة إلى كَشْف الحقائق العِلْمِيَّة، وإنَّما هي فقط قد تَطَوَّرت لِتَمْكِيْنِنَا أن نكون على درجة مِن الذَّكاء تكفي للبقاء على قيد الحياة**»

Francis Crick, ***The Astonishing Hypothesis: the scientific search for the soul*** (Simon & Schuster, 1994) p262.

(**جون جراي**) «**الإيمان أنَّ البشرية بإمكانها مِن خِلال العِلْم أن تَعْرِف الحقيقة؛ وبذلك تكون حُرَّةً. ولكن إذا كانت نظرية داروين في الانتخاب الطَّبيعي صحيحة؛ فسيكون الأمر السَّابق مُسْتَحِيلًا؛ الدِّماغ البشري يَخْدِمُ النَّجاح التَّطَوُّرِيَّ لا الحقيقة**»

John Gray, ***Straw Dogs: Thoughts on Humans and Other Animals*** (New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2007), p26.

حَيَوانِيَّةُ الإنسان المُتَطَوِّرِ عَشْوائِيًّا في المَنْظُورِ الإلحاديِّ تَمْنَعُ عَقلانِيَّةَ تَفْكِيرِهِ

الفيزيقانيّةُ هي الاعتقاد أنَّ الإنسان مُختزَلٌ في بِنْيَتِهِ الفيزيائيَّةِ، وأنَّ حالاته الذِّهنية أثر حصري لحالاته الدِّماغية...

ومنهم (**ألكسندر روزنبرج**) الذي أكد أن أفكارنا حول الأشياء مجرد وهم، وأنّها ليست في وحداتها الذريّة سوى نبضات كهربيّة. هذه النبضات «**عندما تعمل معاً، «تصنعُ» الوَهْمَ أنَّ هُناك أفكارًا حول الأشياء**»

Alexander Rosenberg, ***The Atheist's Guide to Reality: Enjoying life without illusions*** (New York: W. W. Norton, 2011), pp190-191.

إنّ التسليم أنّ العمليّة العقليّة ليست أكثر من حركةٍ تفاعليّةٍ بين ذرّاتِ الدّماغ، لا يلغي فقط صِدْقَ معرفتنا بالعالم الخارجيّ؛ بل إنّه يمنعنا من أن نُصدِّق أن أَدْمغتنا تتكوّن من ذَرَّات؛ لِعَجْزِنا عن فَهْمِ أيِّ شيء، مهما كان هذا الشَّيء.

J.B.S. Haldane, ***Possible Worlds*** (NJ: Transaction Publishers, 2009), p209.

نحن إذن أمام خيارَيْنِ لا ثالث لهما؛ إما أن نفهم العالم من زاوية تميزنا بالتكريم الإلهي بالوعي، أو أن نُقِرَّ أننا آلات مُبَرْمَجَةٌ لا تعلم شيئًا...أن الإلحاد إمكانية مستحيلة، وإن شئت فقل: دعوى منتقضة ذاتيًا

للمُلحد دماغ وليس له عقل. العقل في التَّصوُّر الإلحادي خديعةُ الوَهْم.

المبحث الخامس: جبريّةُ المعتَقَد الإلحاديّ

إنَّ «**الإنسان الفيزيائي**» لا يختارُ مَوْطِئ قَدَمِهِ، وإنَّما يُساق إلى ما يفعل؛ فأفكاره أثرٌ ميكانيكي لحتميّاتٍ بيولوجيةٍ، وما حُرِّيَّة الإرادة إلا وَهْمُ غِرٍّ.

الفيلسوف الفيزيقاني الملحد (**ألكسندر روزنبرج**) «**حقيقة أنَّ العقل هو [فقط] الدِّماغ يَضْمِن لَنَا أنَّه لا تُوجَد إرادةٌ حُرَّةٌ. إنَّها حقيقة تُلغِي أيّ غاياتٍ أو تصميم يُنَظِّمُ أعمالنا أو حياتنا**»

Alex Rosenberg, ***The Atheist's Guide to Reality***, p195.

جيري كوين Jerry Coyne (١٩٤٩_): بيولوجي أمريكي، ض أصل يهودي. مهتم بالترويج لدعوى تعارض العلم والدين. من أهم خصوم «تيار التصميم الذكي» في أمريكا.

البيولوجي الملحد العنيدُ (**جيري كوين**) «**إنَّ سُلُوكِيَّاتنا تُقَرِّرُها بصُورة حَصْرِيَّةٍ جيْنَاتُنا وبيئاتُنا، ولا شيء آخر!**»

Jerry Coyne, ***once again with free will: a question for readers***.

https://whyevolutionistrue.wordpress.com/2OI6/O8/I6/once-again-with-free-will-a-question-for-readers

الفيزيقانيّةُ تُلْغِي من الإلحاد معقوليَّتَهُ لأنها تُثْبِتُ أن اختيار الإلحاد نزوعٌ آليٌّ لكائنٍ لا يختار.

«**مِن العسير تَصَوُّر كيف يُمكن للإرادة الحُرَّة أن تعمل إذا كان سُلُوكنا أسير القانون الفيزيائي؛ ولذلك يبدو أنَّنا لسنا أكثر من آلات بيولوجيّة، وأنَّ الإرادة الحُرَّة لا تعدو أن تكون وهمًا**». **(ستفن هاوكنج)**.

Stephen Hawking, ***The Grand Design*** (New York: Bantam Books, 2010), p32.

المبحث السادس: رَغْبَوِيَّة النُّزُوع الإلحاديّ

ألدوس هكسلي Aldous Huxley (١٨٩٤-١٩٦٣م): حفيد اللَّا أَدري الشهير (توماس هكسلي) مفكر إنجليزي. عضو الجمعية الملكية للآداب. رشح لجائزة نوبل سبع مرات.

الفيلسوف الروائي الملحد (**ألدوس هكسلي**) «**كانت لَدَيَّ دوافع لئلَّا أَرْغَبَ في أن يكون للعالم معنًى؛ ثمَّ أن أفترض أنَّه ليس له معنى، وكنت بذلك قادرًا دون أيّ صُعُوبةٍ أن أعثر على أسباب مُرْضِيَة لهذا الافتراض. عامَّة الجهل، جهل من الممكن تَلَافِيه. نحن لا نعلم؛ لأنَّنا لا نُريد أن نعلم. إنَّ إرادتنا هي التي تُقرِّر كيف نستعمل ذكاءَنَا وموضوع بحثنا. الذين لا يجدون في العالم معنى، يصلون إلى ذلك عامَّةً -لسبب أو لآخر- لأنَّ ذلك يُوافق رأيهم في أنَّ الكون يجب أن يكون بلا معنى**»

Aldous Huxley, ***Complete Essays***: 1936-1938 (Chicago, M.: Ivan R. Dee, 2001) p367.

مارتن روسن Martin Rowson (١٩٥٩_): صحفي بريطاني، معروف برسوماته السياسية الساخرة.

الكاتب البريطاني (**مارتن روسن**) «**لَنْ أومنَ بالله، حتَّى لَوْ أثْبَتَ اللهُ وُجُودَهُ... أنا لا أومِن بالله لا لأنَّني لا أَمْلِكُ أن أفعل ذلك، وإنَّما لأنِّي لا أريدُ ذلك**»

Martin Rowson, ***If God proved he existed, I still wouldn't believe in him***, the spectator, 8 March 2008, p22.

https://www.spectator.co.uk/article/if-god-proved-he-existed-i-still-wouldn-t-believe-in-him/

درس عالم النفس (**بول فيتز**) في كتابه «**إيمانٌ فاقِدُ الأَبِ: عِلْمُ نَفْسِ الإلحاد**» تاريخَ طائفةٍ من أهمَّ الشَّخصيَّات الإلحاديّةِ المؤثّرةِ في التاريخ، وانتهى إلى أنَّ هؤلاء جميعًا إمّا يتامى افتقَدُوا حنانَ الأب ورعايَتَهُ (نيتشه، راسل، كامو..) أو كان لهم آباءٌ ضعاف أو غلاظٌ أَسَاؤوا إليهم (هولباخ وغيره...) فقد كانت نشأتُهُمُ الأوْلى بمشاقّها وآلامِها سَبَبًا لِكُفْرَهِمْ بمفهوم العَدْلِ في هذا الوجود؛ ثم كُفْرِهِمْ بِالإلهِ.

الكتاب «***إيمانٌ فاقِدُ الأَبِ: عِلْمُ نَفْسِ الإلحاد***» صدر مُعرَّباً عن «**مركز دلائل**» تحت عنوان رئيسٍ: «**نفسية الإلحاد**».

كما أَجْرَت «**الجمعية الأمريكية لعلم النفس**» دراستَيْن في أثر العوامل النفسية والعقلية التي تقود إلى الإلحاد، وقد تَمَّت الأولى على ١٧١ أمريكيًّا، وكانت نتيجتها أَنَّ ٥٤% ممن وصَفَوُا أنفسهم أنهم ملاحدة أو لا أَدْرِيِّون اعترفوا أن أسباب تركهم الإيمان بالله عاطفية، في حين أقر ٧٢٪ في التجربة التالية التي أجريت على ٤٢٩ أمريكيًّا أن توجههم إلى الإلحاد أو اللاَّأَدْرِيِّةِ يعود إلى أسباب عاطفيّةٍ.

American Psychological Association أكبر تجمع علمي للمتخصصين في علم النفس في أمريكا.

المبحث السابع: بُرهان الإيمان السَّاذج عند أئمَّةِ الإلحاد

ما الذي من الممكن أن يُقنع أئمة الإلحاد بوجود الله؟ ظهور سحابة على شكل كلمة التوحيد، أو سماع صوت من السماء يقول: اعبدُوا اللهَ...إنما يدل على انتقاض القانون الطبيعي مَرَّةً واحدةً لداع فوق طبيعي...فسيبقى تعبيرًا عن خارقةٍ مجهولة السبب. وليس في تلك الخوارق دليل على أن الله-سبحانه-هو الخالق، ولا أنه مُصوِّرُ العالم، ولا أنه مَصْدَرُ الوحي.

إن البرهان الذي يطلبه بعض أعلام الإلحاد للإيمان بالله هو فقط برهان لإمكان حدوث أمر خارق للسنن الكونية، وهو لا يُثْبِتُ بعد ذلك أي شيءٍ تقريبًا.

مراجع للتَّوسُّع

علي عزت بيجوفيتش، ***الإسلام بين الشرق والغرب***.

Thomas Reid, ***An Inquiry into the Human Mind on the Principles of Common Sense***. Ed. Derek R Brookes, Edinburgh: Edinburgh University Press, 1997.

Mitch Stokes, ***How to be an Atheist: why many skeptics aren't skeptical enough***, Wheaton: Crossway, 2016.

Mitch Stokes, ***A Shot of Faith (to the head): Be a confident believer in an age of cranky atheists***, Nashville, TN: Thomas Nelson, 2012.

Frank Turek, ***Stealing from God: why atheists need God to make their case***, Colorado Springs: NavPress, 2014.

الفصل الخامس: مُغالطات إلحادية

(داوكينز) لما قيل له: إنّك تُوصَفُ بأنك «**أشهر ملحد في العالم**»، استنكر هذا الوصف، قائلا: «**لَمْ أَقُلْهُ أَنَا!**»، مُضيفاً: «**أنا غير واثق بصورة مُطْلَقَةٍ أنَّني أعلم [ذلك] بصورة مُطْلَقَةٍ، لأنَّني لست كذلك**»

في مناظرته لرئيس أساقفة كانتربري (Rowan Williams) (٢٠١٢):

Dialogue with Richard Dawkins, Rowan Williams and Anthony Kenny

https://www.youtube.com/watch?v=bow4nnh1Wv0

ثم إذا حُوْصِرَ ببراهين العلم، قال: إنه من الممكن الدفاع عن مذهب الربوبية، كما في مناظرته مع عالم الرياضيات **(جون لينوكس)**

جرت المناظرة في Oxford Museum of Natural History، بتاريخ ٢١ أكتوبر ٢٠٠٨م.

«**بإمكانك أن تُقيم دعوى جديرة بالاحترام للرُّبُوبِيَّة**»، وإن صرَّح أنَّه لا يُوافق على نتيجتها.

"Has Science Buried God?"-Richard Dawkins vs John Lennox debate

https://www.youtube.com/watch?v=DxD-HPMpTto

بُرهان الحَقِّ هو ما توافَرَت فيه شُرُوط ثلاثة؛ وُضُوح العِبَارَة، وصِدْق المُقدِّمَات، ومَنْطِقِيَّة

الاستدلال.

Peter Kreeft, ***Three Philosophies of Life*** (San Francisco Ignatius Press 1989), p54.

المبحث الأول: مُغالطاتٌ جَدَلِيَّةٌ شائِعةٌ

١. **مغالطة الالْتِبَاسِ** (fallacy of equivocation): وهي مغالطة تظهر في تغيير معنى الكلمة في الجملة نفسها، باستعمالها مرة بمعنى غير مذموم، ثم استعمالها بمعنى آخر مَقْبُوحٍ يكون محل الإنكار.
٢. **مغالطة رَجُلُ القَشِّ** (Straw Man fallacy): تشويه مذهب المخالف أو حُجَّتِهِ لتبدو ضعيفة متهافتةً، ثم مهاجمة هذا المذهب أو هذه الحجة في صياغَتِهِما المُشَوَّهَةِ.
٣. **مغالطة السُّلطة الزَّائفة** (False authority): الاحتجاج بمرجعيَّةٍ غير موثوق بأَهْلِيَّتِهَا في الموضوع محل الجدل؛ إيهامًا أن رأي المناظر يَدْعَمُهُ أهل التَّخَصُّص أو الخبرة.
٤. **مغالطة الاحتكام إلى الصَّخْرةِ** (argumentum ad lapidem): اتهام مذهب المخالف بالفساد دون بيان سبب فساده.
٥. **مغالطة المُعْضِلَةِ الفاسِدةِ** (False dilemma): وَضْعُ المخالف أمام خيارين فاسدين لا ثالث لهما. وإلزامُه أن يختار أحد الخيارين رغم وجود خيار ثالث منطقي.
٦. **مغالطة حُجَّة الجَهْل** (argumentum ad ignorantiam): يزعم الواقِعُ في هذه المغالطة أن دَعْواهُ صحيحة حتى يثبت خلافها أو عكس ذلك، غير آبِهٍ بأنه لم يتم البحث جيدا في إمكان ثبوت القول أو الأقوال المخالفة. وعادة ما يراد نقل عِبْءِ الإثبات بهذه المغالطة إلى المخالف.
٧. **مغالطة الحَيْدَة عن المطلوب** (Ignoratio elenchi): تقدم هذه المغالطة حجة لا تؤدي إلى النتيجة المدَّعاةِ.
٨. **مغالطة المُصَادَرَةِ على المطلوب** (Begging the question): تضمين النتيجة في المقدمات.
٩. **مغالطة نَقْلِ عِبْءِ الإثبات** (Shifting the burden of proof): ادعاء صاحب الدعوى أنه ليس ملزما بإثبات ما يدعي، وأن مخالفه هو المطالب بالبينة، على خلاف الأصل.
١٠. **مغالطة الالتماسِ الخاصَّ** (Special pleading): استثناء أمر أو مسألة ما من حكم عام، دون دليل.
١١. **مغالطة الرنجة الحمراء** (Red herring): تَشْتِيُت ذهن المخالف وخداع السامعين بالانتقال من السؤال الأصلي إلى قضايا جانبية.
١٢. **مغالطة الشَّخْصَنَة** (Ad hominem): مهاجمة الشخص لا الفكرة لإسقاط الفكرة.

١٣. **مغالطة تَسْمِيمِ البِئرِ** (Poisoning the well): فرع عن مغالطة مهاجمة الشخص لا الفكرة؛ وذلك بذكر معلومات عن المخالف أو مَصْدَرِهِ غير متعلقة بموضوع المباحَثَةِ بقصد إسقاط قيمة ما يقول.
١٤. **مغالطة الاقتباس دون مراعاة السَّياق** (contextomy): نِسْبَةُ دلالة إلى نص يَشْهَدُ بخلافها السياق.
١٥. **مغالطة السُّؤال المُعَقَّدِ أو المُتَعَدَّد** (Plurium interrogationum): وهي عرض دعوى صريحة أو ضمنية، وافتراض تسليم المخالف بها ضرورة.
١٦. **مغالطة القياس الفاسِدِ** (False analogy): افتراض أن تَشَابُهَ أمرين في بعض الأمر حجة للمطابقة بينهما في كل الأمر أو جُله.
١٧. **مغالطة الواقعية** (Fallacy of Reification): إسباغ صفة الأشياء المشخصنة على مفاهيم مجردة.

المبحث الثاني: مُعارضاتٌ إلحاديَّةٌ فاسدةٌ

المطلب الأول: مُشكلة خفاء الله

«**divine hiddenness**» وهي تقوم على زَعْمَيْنِ، أوَّلهما: أنه إذا كان الله موجودا، فلا بد أن يكون وجوده واضحًا للجميع بلا أدنى ريبةٍ، وثانيهما: أن وجود الله غير بَيِّن لِجُلَّ الناس.

أولاً: العلم بوجود الله حقيقة أَطْبَقَتْ عليها الأمم السابقة، حتى قال عامة الفلاسفة قبل قرونٍ: إن أعظم حجة على وجود الله تواطُؤُ الناس على ذلك، وهو ما يعرف بحجة « Consensus gentium».

ثانياً: الناظر بعدل وعمق في أدلة وجود إله يرى أنها تتخذ الوجود كله حجة لمطلبها؛ النفس والعقل والقلب. والزمان والمكان والمادة والحياة.

بل قد اتخذت من حجج المخالف للإلحاد (مثل مشكلة الشر) حجة للإيمان بطريق سديدة.

الفِطْرَةُ: الفِطْرَةُ هي الحال الأولى للنفس، وهي تظهر-بالفعل، بعد كُمُونِها بالقوة-عند نضوج العقل؛ بالتمييز بين الحق والباطل؛ حيث تكون مستعدة للميل إلى الإيمان؛ بل مُنْجَذِبةً إليه.

العقل: العقل آلة النظر في الكون، ومعرفة الأسباب بآثارها.

ظهور دلائل الوجود الإلهي في كون خلق فيه الناس للاختبار في باب التصديق والفعل، ليس هو الظهور القهري الذي يَشُلُّ إرادة الإنسان عن النكران، ويمنعه موقف الرفض والامتناع.

«**كُلُّ دينٍ لَا يَقُولُ إنَّ الإله خَفِيٌّ، لَيسَ دِينًا حَقًّا**» **الفيلسوف (بليز باسكال)**

Blaise Pascal, ***Pensées and Other Writings***, trans. H. Levi (New York: Oxford University Press, 2008), sec 275.

وهذا الخفاءُ الإلهيُّ -غير الكُلّيَّ، وغيُر المُلْغِزِ- هو الذي يُحفِّز الدَّهري إلى أن يبحث عن معنى الحياة، ويجد في طَلَب ذلك، وهو أيضاً الذي يدفع المؤمن إلى أن يجتهد في العُلُوّ في مراقي المعرفة.

المطلب الثاني: عِبْءُ الإثبات يَقَع عَلَى المُؤمِن بإلهٍ أم الملحِدُ؟

التعريف الكلاسيكي للإلحاد هو: العلم بعدم وجود الله، وفي التعريف الأقل وُثُوقِيَّةً، الإلحاد هو: رجحان عدم وجود الله لضعف أدلة القائلين بوجوده، وفي كلا الحالين، يكشف الإلحاد عن ادعاء امتلاك معرفة عن وجود الله، والقاعدة تقول: «البَيِّنَةُ على من ادعى!»

ولذلك فَعَدَمُ العِلْم بِوُجُود الشيء ليس حُجَّة لِعَدَم وُجُوده.

كاي نيلسون Kai Nielsen (١٩٢٦_): فيلسوف غزير التأليف، له عناية بفلسفة الدين والدفاع عن الإلحاد. عضو المجمع الملكي الكندي.

كَتَبَ **(كاي نيلسون)** -أحد أبرز ملاحدة أمريكا الشمالية: «**مِن المُمْكِن أنْ تَفْشَلَ كُلّ أدِلَّة وُجُود الله، لكن يَبْقَى مَعَ ذلك احتمال وُجُود الله قائماً. باختصار، إظهار أنَّ الأدِلَّة غير ناجِعَةٍ لَيْسَ كَافِيًا في ذاته. تَبْقَى هُنَاكَ مَعَ ذَلِكَ إمْكَانِيَّة وُجُود الله قَائمِة**»

Kai Nielsen, ***Reason and Practice: a modern introduction to philosophy*** (New York: Harper & Row, 1971), p144.

نعلم أن قيام الحجة الصحيحة غير الاقتناع بها، فقد لا يَقْتَنِعُ المرء بالحجة الصحيحة لسوء فهمه لها أو لسوء عرض أنصارها لها.

الجدل في وجود الله، ليس مجرد بحث في وجود ذات ما، في مكان أو لا مكان أو كل مكان...فهو متعلَّقٌ بجواب سؤال جوهري يقول: ما هو تفسير وجود هذا الكون بصفاته القائمة؟

إن المذهب الإلحادي يجب أن يكون جوابًا لأسئلةٍ وجوديةٍ كثيرة، وليس هو مَحْض الوُجوم أمام ظواهر الكون؛ عجز المؤلَّهِ عن إثبات وجود الله لا ينفي وجود الله.

المطلب الثالث: اللهُ أم القوانين الكَونِيّة؟

هي ثنائية فاسدة لأنه لا تعارض بين وجود الله ووجود القوانين؛ إذ العلم الطبيعي هو: معرفة قوانين الكون. ووجود القوانين الثابتة والمتقنة فقير إلى تفسير؛ إذ العَبَثِيَّةُ لا تنتج قانونا، والقانون أثر عن حكمة وقدرة.

الفيلسوف (**ريتشارد سوينبرن**): «**أنا لَا أُنْكِرُ قُدْرَةَ العِلْم على تفسير الكون، وإنَّما أنا أفترض وُجُود الله لتفسير لماذا يملك العِلْم القُدرة على التَّفسير. إنَّ نجاح العِلْم في أن يُظْهِرَ لَنَا مبلغ الانتظام الكبير لِعَالَم الطَّبيعة يُوَفِّر لَنَا أَرْضِيَّاتٍ قَوِيَّة للإيمان أنَّ هُناك سبباً أعمق لهذا النِّظام**»

Richard Swinburne, ***Is There a God*** (Oxford: Oxford University Press, 1996), p68.

إن العلم الطبيعي بحاجة إلى الإقرار بوجود الله لتفسير وجود العلم التفسيري للطبيعة؛ الكون الإلحادي العشوائي بعيد عن أن يضم قوانين؛ فضلا عن أن تكون القوانين بهذا التكامل والإتقان الذي نراه في كوننا

إن علمنا بالطريق الآلي لعمل السيارة لا يمنعنا من الإيمان أن لها صانعا، وإنما يدفعنا نظامها المعقد والمرتب إلى تطلب صانع ذكيَّ لها.

جوزيف هوتن تايلر Joseph Hooton Taylor (١٩٤١م): أستاذ الفيزياء.

«**الاكتشافُ العِلميُّ هو اكتشافٌ دينيٌ أيضًا؛ إذْ لا تَعَارُضَ بين العِلْم والدِّين؛ فإنَّ معرفَتَنَا بالله تزداد عند كلّ اكتشافٍ علميٍّ لَنَا عَن العَالَم**» **عالم الفيزياء الفلكية الحائز على جائزة نوبل (جوزيف هوتن تايلر)**

Cited in: Anthony J. Does, ***Blurry Daydream: When Faith Feels Like Make Believe*** (IN: WestBow, 2017), p22.

«**دَعْوَى أَنَّ العِلْمَ والدِّينَ في نِزاعٍ دَائمٍ لَمْ يَعُدْ يَأْخُذُ بِهَا أَحَدٌ مِن كِبَارِ مُؤَرِّخِي العِلْمِ بِجِدِّيَّةٍ**». **الفيلسوف (أليستر مكجراث).**

Alister McGrath, ***The Twilight of Atheism*** (London: Rider & Co, 2005), p87.

العِلْم المَادِّيّ اليوم بِكُشُوفِهِ المُتَنَامِيَةِ في العَالَم الأكبر (الكون) والعالم الأصغر (الخلية والذَّرَّة) ينصر بصُورة أقوى مِن أي زمن مضى حاجة الكون إلى خالق ومُصوِّر، فالعِلْم اليوم أعظم نصيرٍ للإيمان بالله.

جيمس طور James Tour: عالم كيمياء أمريكي. يحمل عشرات شهادات براءة الاختراع. انتخب سنة ٢٠١٤ م كأحد أهم ٥٠ عالما مؤثرا في العالم.

الكيميائي الشهير (**جيمس طور**) المهتمُّ بأدَقّ عُلُوم الكيمياء العَمَلِيَّة؛ أي: «النانو تكنولوجي»: «**فقط الغِرُّ الذي لا يعرف شيئًا عن العِلْم هو الذي يقول: إنَّ العِلْمَ يَصْرِف الإنسان بعيدًا عن الإيمان. إذا كنت تدرس العُلُوم حقيقةً؛ فسوف يجعلك ذلك أقرب إلى الله**»

Lee Strobel, ***The Case for Faith*** (Michigan: Zondervan, 2000), p111.

المطلب الرابع: مُغالطة وَحشِ السّباجيتي الطَّائر

إن المسلم يؤمن بالله لأنه يعلم أن وجود هذا الكون يدل ضرورة على وجود إله؛ إذ إن وجوده التفسير الوحيد لخلق الكون من عدم، وضبط الكون وترتيبه، وظهور الحياة وتعقيدها، ووجود الأخلاق الموضوعية، والنبوات، والمعجزات.

ويكشف مِثالَيْ وحش السباجيتي وإبريق (راسل) جهل أعلام الإلحاد بالتراث الفكري لجدل المؤلهة الإيماني، وغزارة الأدلة، وتعاضدها، ومتانتها.

علق الفيلسوف **(ويليام لين كريج)** غاضبًا، وساخرًا: «الدَّرْسُ الحقيقي الذي يمكن تعلمه من دعوى وحش السباجيتي الطائر هو أن ثقافتنا الشعبية بعيدة بصورة كليةٍ عن التراث العظيم للاهوت الطبيعي... يظهر اعتقاد الناس أن الإيمان بالله هو مثل الاعتقاد الذي لا أساس له في وهم الوحش جهلهم المطبق بكتابات أنسيلم، والأكويني، ولايبنتس، وبالي، وسورلي، وكثير من العلماء الآخرين، في الماضي والحاضر» ... ولو أضاف (كريج) خبر التراثي الإسلامي العظيم في جدل الرد على الملاحدة؛ لكان قوله أَصْدَقَ

المطلب الخامس: هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يستطيع حَملَهَا؟

الله كامل القدرة، لا يُعْجِزُهُ شيء؛ فهو قادر على كل شيء، ولكن هذه القدرة لا تتعلق بالمحالات؛ لأنها عدم، والقدرة لا تتعلق بعدم؛ فالصخرة التي تعجز من لا يعجزه شيء هي اسم لا يصدق على مسمى.

إن كان اللهُ يقدِرُ أن يخلقَ دائرةً مُرَبَّعةً أو أعْزَبَ له زوجة... تلك أسماء لا يمكن أن تَصْدُقَ على مسمى؛ فهي مجرد كلمات فارغة من المعنى يرفض العقل أن تكون لها مصاديقُ واقعية لأنها حَشْوٌ لَفْظِيٌ.

المُمتَنِعُ بذاتِه ليس بشيءٍ يُتَصَوَّرُ وُقُوعُهُ؛ ولهذا اتَّفَقَ النُّظَّار على أنَّه ليس بشيءٍ؛ فلا يَدْخُلُ في قوله: {إنّ اللهَ على كُلَّ شيءٍ قديرٌ} (ابن تيمية، *درء تعارض العقل والنقل*، ج ١٠، صـ ٣٦٥.)

المطلب السادس: أنت مؤمنٌ بالله أو مسلِمٌ، لأنّك ابنُ بيئةٍ مُسلِمة!

هذا الاعتراض واقع في «مغالطة الأَصْل genetic fallacy» وهي مغالطة تقوم على مهاجمة الأصل أو المصدر أو تمجيده لا مناقشة الفكرة نفسها؛ وجود فساد في الأصل أو النَّبْع لا يلزم منه ضرورة أن يكون كل ما يصدر عنه خطأ.

يعود هذا الاعتراض الإلحادي على نفسه بالنَّقْضِ؛ إن إلحاد سكان الصين وكوريا الشمالية -اليوم

مثلا- حجة على أن الإلحاد باطل؛ لأن أهل هذين البلدين قد وَرِثُوا الإلحاد عن آبائهم.

كثيرٌ من أعلام المفكّرين الذين أَلَّفُوا المطولات في الرد على الإلحاد في القرن الحالي والماضي كانوا يوما ما ملاحدة، مثل (سي. أس. لويس) و(أليستر مكجراث) و(أنتوني فلو) في الغرب... وفي العالم العربي (مصطفى محمود) و (العقاد) و (عبد الوهاب المسيري) ... فما تفسير ذلك دون تَخَلُّصِهم من سلطان البيئة؟!

المطلب السابع: لا سبيل للعِلْمِ بوُجُود اللهِ لامتناعِ علْمِ الإنسانِ المحدود بالإلهِ المُطلقِ

وجهُ فساد هذه الشُّبهةِ أنّها تخلط بين العلم بوجود الله من خلال آثاره في الوجود، والإحاطة علمًا بذاته من جهة أخرى.

الكون ومبادئ العقل دالة على وجود خالقٍ واجب الوجود؛ وذلك انطلاقًا من طبيعة الوجود المادي وأنه لا يملك تفسير وجود نفسه بنفسه في وجوده وأغراضه، وإنما هو محتاج إلى تفسير من خارجه لأنه من جِنْسِ الممكِنِ (contingent).

المطلب الثامن: حُجّيةُ كَثْرَةِ الاعتراضاتِ على الإيمانِ

وجود المعارضات لا يُثْبِتُ حقًّا ولا ينفي باطلا يقوم الاعتراض السابق على مقدمة مُضْمَرة، وهي أن وجود معارضات ينفي بذاته صِدْقَ الدعوى؛ فما تَمَّت مواجهته باعتراض؛ لَزِمَ سُقُوطُه بلا ارتياب.

مراجع للتَّوسُّع

نديم الجسر، ***قصة الإيمان***، بيروت: منشورات المكتب الإسلامي.

Norman L. Geisler and Ronald Brooks, ***Come Let Us Reason: An Introduction to Logical Thinking***, Grand Rapids, MI: Baker, 1990.

Edward Feser, ***The Last Superstition: A Refutation of the New Atheism***, South Bend, Ind: St. Augustine's Press, 2011.

Jacob Van Vleet, ***Informal Logical Fallacies: A Brief Guide***, Lanham: University Press of America, 2012.

الباب الثاني: بُرهانُ النَّفس

تمهيد

نَفْسُ الإنسانِ أقربَ شيءٍ إليه في هذا العالم. وفيها طبيعة العلم الحضوريَّ الذي لا يستأذن الذِّهن

لِيُهَيْمِنَ على العقل والقلب... أقوى البراهين وأعظمها زلزلةً لأقلامهم، وأبلغها إحراجًا لهم على المنصّات، خاصةً ما تعلَّق منها بالبرهان الأخلاقي.

الفصل الأول: برهانُ النُّزوعِ الفِطْريّ

يقول المؤلّفُ بيانًا للمعنى السَّالف: إذا كان اللهُ موجودًا؛ فإنَّ العقل يميل إلى القول:

- في الإنسان نزوعٌ عميقٌ إلى الإيمان بخالقٍ.
- النَّفْسُ غيرُ المؤمنةِ بخالقٍ تعيش في مُشاقَّةٍ للوجود.
- مصالحةُ المرء مع نفسِه تقتضي أن يستسلم لداعي الإيمان.

مفهومِ الفِطْرُة.. والفطرة هي الحقيقة الأصيلة... «**ما يَنْعَدِمُ أو يَعْتَلُّ مفهومُ «الإنسانِ» بانْعِدامِهِ أو باعْتِلالِه**» ...وهي تشمل الجوانب الأساسية في الإنسان بما يميزه عن الحيوان والمادة؛ كالعقل والإرادة والخلق.

فطريّةِ الإيمانِ يتناول معاني ثلاثة:

- **أوّلها**: ظاهرةُ البحث عن الله في الجنس البشري، على اختلاف الأزمان والبيئات والأعراقِ.
- **ثانيها**: أنّ إدراكَ وجود الله حضوري في النفس، لا ينفكُّ عنها.
- **ثالثها**: أنّ النفس مدفوعة إلى التوجُّه إلى الخالق بإحساسِ الحاجةِ والافتقارِ، خاصّةً عند الملِمَّاتِ.

مرتضى فرج، ***أفي الله شك؟*** (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١٣م)، ص٥٢.

لم تَسْتَغْنِ البشرية طوال تاريخها المعروف عن الإيمان بإله مُهَيْمِنٍ على الوجود، وما إنكار وجود الإله المعبود إلا شذوذٌ طارئٌ. كما أثبتت الدراسات النّفسيّةُ الجادّةُ حاجة الإنسان إلى الإيمان بخالقٍ لتحقيق الاستواء النفسي...عَجَزَ التفسير الطبيعي التطوّريُّ عن تقديم تفسيرٍ سائغٍ لظاهرة التّدَيُّنِ.

المبحث الأول: الفطْرةُ.. ما هي؟

الفِطْرةُ المَيْلُ الطَّبعيُّ للإنسان للإيمان بالخالق

قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ**»

رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (ح/١٣١٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (ح/٢٦٥٨).

قال (**الطّيبي**) في حديث الفطرة: «**الْمُرَادُ تَمَكُّنُ النَّاسِ مِنَ الْهُدَى فِي أَصْلِ الْجِبِلَّةِ وَالتَّهَيُّؤُ لِقَبُولِ الدِّينِ فَلَوْ تُرِكَ الْمَرْءُ عَلَيْهَا لَاسْتَمَرَّ عَلَى لُزُومِهَا وَلَمْ يُفَارِقْهَا إِلَى غَيْرِهَا لِأَنَّ حُسْنَ هَذَا الدِّينِ ثَابِتٌ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّمَا يُعْدَلُ عَنْهُ لِآفَةٍ مِنَ الْآفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ كَالتَّقْلِيدِ**»

ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد الرحمن البراك (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥م)، ١٨٣/٤.

والدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، دعوة لِيَتَذَكَّر الإنسان حقيقته الأولى، فإن النَّفسَ نَزَّاعة إلى النِّسيان إذا غَشِيَتْهَا غاشية هُمُوم الطَّيْنِ وأَظَلَّهَا هاجس الشَّهْوَةِ المتَجَدِّدَةِ.

أجرى باحثون في «**University of British Columbia**» سنة ٢٠١١ م دراسة على مجموعة من المتطوعين، وانتهى البحث إلى أن تَفْكِير المُتطوِّعين في المَوت يجعلهم أكثر قبولا للقول: إنَّ هذا الوُجُود قد خُلِقَ بِحِكْمةٍ ولِحِكْمِة.

Jennifer Welsh, ***Fear of Death Spurs Belief in Intelligent Design***.

https://www.livescience.com/13534-death-anxiety-intelligent-design-evolution.html

أوغست سباتييه Auguste Sabatier (١٨٣٩-١٩٠١م): أستاذ في كلية اللاهوت البروتستانتي بـ ستراسبورغ، ثم مؤسس كلية اللاهوت البروتستانتي بباريس. تقوم فلسفته على أن الإيمان ينشأ من توق الإنسان إلى مثال أعلى يظهر في شكل مجموعة من التصورات التي من الممكن أن تأخذ شكل عقيدة دينية.

قال اللاهوتي (**أوغست سباتييه**): «**لماذا أنا مُتَدَيِّنٌ؟ إنِّي لَمْ أحرِّكْ شفتيّ بهذا السُّؤال مرَّةً إلَّا وأراني مَسُوقًا للإجابة عنه بهذا الجواب، وهو: أنا مُتَدَيِّن لأنِّي لا أستطيع خِلافَ ذلك؛ لأنَّ التَّديُّن لازم معنوي مِن لوازم ذاتي. يقولون لي: ذلك أثَرٌ من آثار الوراثة أو التَّربية أو المزاج. فأقول لهم: قد اعترضت على نفسي كثيرًا بهذا الاعتراض نفسه، ولكنِّي وجَدْتُه يُعَقَّدُ المسألةَ ولا يَحُلُّها**»

حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون، ***بحوث في الثقافة الإسلامية*** (الدوحة: دار الحكمة، ١٤١٤-م)، ص٣٨.

المبحث الثاني: الإيمان بالله بِضْعةٌ من حقيقة الإنسان

يقول (**ابن القيم**) في شرح معنى الفطرة التي يُولَد عليها الإنسان: «**كُلُّ مَوْلُودٍ فإنَّه يُولَد عَلَى مَحَبَّتِهِ لِفَاطِرِهِ، وإقراره لَهُ بِرُبُوبِيَّتِه، وادِّعَائه لَهُ بالعُبُودِيَّة؛ فَلَو خُلِّي وَعَدَم المُعَارِض؛ لَمْ يَعْدِل**

عِنْ ذَلِكَ إلى غَيْرِهِ، كَمَا أنَّه يُولَد عَلَى مَحَبَّة مَا يُلائم بَدَنَه مِن الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويُغذّيه»

ابن القيم، ***شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل***، (بيروت: دار الفكر ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ص٢٨٨-٢٨٩.

كما يقول الفيلسوف (**بلانتنجا**) -أن يقع تَمَاسٌّ بين طبيعة الإيمان بالله الكامنة في النَّفس والعَالَم الخارجي، ليحصل استحثاث هذا الإيمان للخُرُوج من عَالَم القُوَّة إلى عَالَم الفِعْلِ.

Alvin Plantinga, ***Reason and belief in God***, in ***Faith and Rationality*** (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1983, p67.

مقال كَتَبَتْهُ صحفية أمريكية في «**الواشنطن بوست**» تحت عنوان: «**أنا مُلحدةٌ، فَلِمَ لَا أستطيع أنْ أصْرِف اللهَ عَنِّي؟**». وفيه تتحدَّثُ عن تجربتها مع الإيمان بالله والكفر به، وتنتهي في الآخر إلى أنَّها وإن كانت مُلحدةً إلَّا أنَّها لا تستطيع التَّخلُّص مِن «إحساس الألوهية» في صدرها... «**مِن المُحَيِّر والمُحْبِطِ أنْ تشعر بوُجُود شيء لا تؤمن به.... لَسْتُ عَلَى يَقِينٍ في شأن ما يجب فِعْلُه حِيال أمر الإله. إذا كان بإمكاني معرفة طريقة لإبعاد هذه الصُّورة عن نفسي؛ فسأفعل ذلك. لكن عِلْم النَّفْس ليس لصَالِحِي. يبدو أنَّه بَعْد أن أَلِفْتُ الإيمان بالله لسَنَوَات عديدة، وعِشْتُ بدماغ قد ثُبِّت فيه الإيمان؛ سأُجْبَر على أن أبقى مع ظِلِّه للأبد. ومع أنِّي لا أزَال ثابتةً على (عدم) الإيمان، إلَّا أنِّي أشعر أيضًا أنَّه لا خيار لي سِوَى قَبُول أنَّني مُلحدةٌ مع مَيلٍ إلى الله**»

Elizabeth King, ***I'm an atheist. So why can't I shake God?*** Washington post. 4 Feb. 2016.

https://www.washingtonpost.com/posteverything/wp/2016/02/04/im-an-atheist-so-why-cant-i-shake-god/

(**برتراند راسل**) «**لا شيء يُمكن أن يَخْتَرِق وِحْدَة قَلْبِ الإنسان إلَّا أَمْرٌ مُشْبِع بصُورة عَالِيةٍ مِثْل الحُبّ الذي بَشَّر بِهِ المُعلِّمُون الدِّينِيُّون**»

Bertrand Russell, ***The Autobiography of Bertrand Russell*** (London: George Allen and Unwin, 1967), p146.

(**ابن القيم**) «**فِي الْقَلْبِ شَعَثٌ، لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ. وَفِيهِ وَحْشَةٌ، لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْأُنْسُ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ. وَفِيهِ حُزْنٌ لَا يُذْهِبُهُ إِلَّا السُّرُورُ بِمَعْرِفَتِهِ وَصِدْقِ مُعَامَلَتِهِ. وَفِيهِ قَلَقٌ لَا يُسَكِّنُهُ إِلَّا الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَالْفِرَارُ مِنْهُ إِلَيْهِ. وَفِيهِ نِيرَانُ حَسَرَاتٍ: لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الرِّضَا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَقَضَائِهِ، وَمُعَانَقَةُ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ لِقَائِهِ.**

وَفِيهِ طَلَبٌ شَدِيدٌ: لَا يَقِفُ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَحْدَهُ مَطْلُوبَهُ. وَفِيهِ فَاقَةٌ: لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّتُهُ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَدَوَامُ ذِكْرِهِ، وَصِدْقُ الْإِخْلَاصِ لَهُ. وَلَوْ أُعْطِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَمْ تَسُدَّ تِلْكَ الْفَاقَةَ مِنْهُ أَبَدًا»

ابن القيم، **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ_١٩٧٣م)، ٣/ ١٦٤.

كتب **(بليز باسكال)**: «**مَا هُوَ الشَّيء الآخر الذي يُعلِنُه هذا الحَنِين وهذا العَجْز غير أنَّه كان في الإنسان في يوم ما سعادة حقيقية، لكن لَمْ يبق منها الآن غير عَلَامة فارغةٍ وأَثَر؟ وهو يُحاول -عَبَثًا- أن يملأ هذا الفَرَاغ بكُلِّ شيء حَوْلَه، يبحث في أشياء ليست موجودة عن عَوْنٍ لم يستطع أن يجده في الأشياء الموجودة، رغم أنَّه لا شيء من ذاك يَنْفَعُ؛ إذ إنَّ هذه الهُوَّةَ السَّحيقةَ لا يمكن أن تمتلئ إلَّا بشيء لا نهائي وغير مُتقلِّبٍ، بعبارة أخرى بالله**»

Blaise Pascal, ***Pensées***, 7.425.

المعنى الذي عبَّر عنه **(سي. أس. لويس)** بقوله: «**إذا كان الكون كلّه بلا معنى؛ فَيَلْزَم من ذلك ألَّا نَكْتَشِفَ -البَتَّةَ- أنَّه بلا معنى. فالأمر مثل القول: إذا لم يكن هناك ضَوْءٌ في الكون؛ ولم يُوجَد مخلوق بعَيْنَين؛ فيجب ألَّا نعرف -البَتَّةَ- أنَّ الكون مُظْلِمٌ. سيكون الظَّلام بلا معنى**»

C. S. Lweis, ***Mere Christianity***, The Complete C. S. Lewis Signature Classics (San Francisco, Calif.: Harper San Francisco, 2002), p41.

المبحث الثالث: الدَّراساتُ النَّفْسيَّةُ والنُّزوع الطبيعيُّ

وتعترف عامة الدراسات النفسية اليوم أن الإيمان بخالق مغروس في البِنْيةِ العصبيّةِ والذَّهْنيّةِ للإنسان.

(دين هامر) رئيسُ مركزِ أبحاثِ الجينات بالمعهد القوميِّ للسَّرطانِ في الولايات المتَّحدة الأمريكيّة: «**جِيْنُ الإلهِ: كيف ثُبِّتَ الإيمانُ في جِيْناتنا**»

The God Gene: How faith is hard wired into our genes (new York: anchor 2005).

كما أَلَّفَ عالم الأعصاب **(كفن نلسون)** كتابه «***نبضة [الإيمان] بالله: هل ثُبِّتَ الدِّينُ في أَدْمِغَتِنَا؟***»

The God Impulse: Is religion hardwired into our brains (London: Simon & Schuster, 2011).

وألف (**أندرو نيوبرغ**) (مشاركةً) كتابه «***لماذا لا يختفي الله: علم الدّماغِ وبيولوجيا الإيمان***»

Why God Won't Go Away: Brain Science the Biology of Belief (New York: Ballantine Books, 2002).

ونَشَرَتْ صحيفة (**تليجراف**) البريطانية-شهر نوفمبر من سنة ٢٠٠٨م- حصيلةَ بَحْثٍ أكاديمي عن الأطفال بعنوان: «**الأَطفالُ يُولدون مؤمنينَ باللهِ**»

Children are born believers in God.

https://www.telegraph.co.uk/news/religion/3512686/Children-are-born-believers-in-God-academic-claims.html

نُزوعٌ الأطفال إلى الإيمان بخالق وحكمة وراء هذا الكون المادي، نزوع عميق، ساكن في النفس الإنسانية، مُسْتَغْنٍ عن التَّلَقّي الخارجي من خلال أثر المجتمع.

قول الدكتور (**جستن بارت**) إن الصَّغارَ عندهم قابليةٌ كبيرةٌ للإيمان بالله لأنهم يفترضون أن العالم قد خُلِقَ لغايةٍ...وهو بذلك يؤكد فكرة (**ابن طُفَيْلٍ**) في روايته الفلسفية «**حي بن يَقْظان**» اهتدى طفل ناشِئٌ في جزيرة نائية-يَتَغَذَّى على لَبَنِ ظَبْيةٍ-لم يعرف له أما ولا جماعة من البشر يُعَلِّمُوَنُه حقائق الحياة أن للكون إلهًا بمجرد تفاعل عقله وقلبه مع البيئة المادية التي تحيط به.

ابن طُفَيْلٍ: أبوبكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي (١١٠٥م-١١٨٥م): فيلسوف أندلسي متعدد المعارف. عمل وزيرًا في دولة الموحدين.

بول بلوم Paul Bloom (١٩٦٣_): عَالِم نفس كندي. أستاذ عِلْم النَّفس وعِلْم الإدراك في جامعة يال.

(بول بلوم): «**عِنْدَمَا سُئِلَ الأطفال بصُورةٍ مُباشرةٍ عن أصل الحيوانات والنَّاس، مالُوا إلى تفضيل التَّفسيرات التي تنطوي على خالق صاحب قَصْدٍ، حتى لَوْ لَمْ يكُن للبالغين الذين ربُّوهم الرُّؤية نفسها**»

(بول بلوم): «**ظهرَتْ في السَّنوات القليلةِ الماضية، عِدَّةُ أبحاثٍ تكشِفُ حقيقةَ فَهْمِ الأطفالِ لبعضِ الأفكار الدّينيَّةِ العالميَّةِ. وتُشيرُ بعضُ النَّتائج الحديثةِ إلى أَنَّ اثنين من الجوانب التأسيسيَّةِ في المعتَقَدِ الدّينيَّ: (١) الإيمان بالذَّواتِ الإلهيَّةِ، (٢) وثُنائيَّةِ الجِسْمِ والعَقْلِ، تَرِدُ طبيعيًّا إلى الأَطْفالِ الصِّغار**»

Paul Bloom, '***Religion Is Natural***,' Developmental Science 10, no. 1 2007: 147-51.

https://minddevlab.yale.edu/sites/default/files/files/Religion%20is%20natural.pdf

(أوليفيرا بيتروفيتش) Olivera Petrovich عالمة النَّفس المُختصَّة في الوعي الطَّبيعاني والدِّيني عند الإنسان وتطوُّره، «**الإدراكُ اللَّاهوتيُّ الطَّبيعيُّ من الطُّفولة إلى الكُهُولَةِ**» الطفل يُوْلَدُ بِنُزوعٍ طبيعي سَلِسٍ إلى الإيمان بالله، وأنَّ الإلحاد مَوْقِفٌ مُكْتَسَبٌ طَارِئٌ.

Natural-theological Understanding from Childhood to Adulthood.

https://www.researchgate.net/publication/328109662_Natural-Theological_Understanding_from_Childhood_to_Adulthood

تذكر **(أوليفيرا)** أنَّ مُساعدَيْها اليابانِيَّين قد خالفوها رأيها في أصالة الإيمان بالله عند الأطفال بدعوى أنَّ اليابانيين يختلفون عن غيرهم في هذا الشَّأن. فعلقت -في لِقاء صحفي- بقولها إنَّها اختبرت أطفالاً بريطانيين ويابانيين، وكانت النَّتيجة واحدة. وأضافت أنَّه رغم أنَّ الدِّيانة الشنتوية في اليابان لا تعترف بإله، إلَّا أنَّ الأطفال لما عَرَضَت عليهم الظَّواهر الطَّبيعية وأُلْزِمُوا أن يختاروا تفسيرها بفعل الله، أو أنَّه لا أحد يعلم، أو أنَّ النَّاس فعلوها، كانت إجابتهم هي الخَيَار الأول. وهو ما عدَّته **(أوليفيرا)** أعظم اكتشاف في بحثها لأنَّه يُثبت أنَّ البيئة والثَّقافة بعيدتان عن تفسير هذه الظَّاهرة.

R. Bryant, ***In the Beginning: An Interview with Olivera Petrovich***, Science and spirit, 1999.

https://jasongoroncy.com/2008/07/28/in-the-beginning-an-interview-with-olivera-petrovich/

أثارت دراسات عالم الأنثروبولوجيا **(باسكال بوير)** انتباه الباحثين، خاصَّة بعد مقالَهُ الذي نَشَرَهُ في مجلة «**Nature**» منذ سنوات قليلة... أَكَّدَ عُمْقَ البناء الدِّيني في العقل الإنساني.

Pascal Boyer, ***Being human: Religion: Bound to believe?*** Nature, 455, 1038-1039 (23 October 2008).

https://www.researchgate.net/publication/258847104_Religion_Bound_to_believe

وقد علَّق أحدُ الباحثين على هذا المقال بمقال آخرَ ظريفٍ بعنوان: «**اكتشفَ العلماءُ أنّه رُبَّما لا يُوجَد ملاحدةٌ، وليست هذه طُرْفة**»: «**الإلحاد أمرٌ مُستحيل نفسِيًّا بسبب الطَّريقة التي يُفكِّر**

بها البشر... هُناك دراسات تُظِهر -على سبيل المثال- أنَّه حتى الأشخاص الذين يدَّعُون أنَّهُم مُلحدون؛ يلتزمون بصُورة ضِمْنِيَّة بمُعتقدات دِينِيَّة، مثل: وُجُود رُوح خَالِدَة»

Nury Vittachi, ***Scientists discover that atheists might not exist, and that's not a joke.***

https://www.science20.com/writer_on_the_edge/blog/scientists_discover_that_atheists_might_not_exist_and_thats_not_a_joke-139982

وقد انتهَتْ دراسةٌ لعلماءٍ ثلاثة من قِسْمِ علم النَّفْسِ ودراسات الدِّماغ من جامعة (بوسطن) تحت عنوان: «**الدَّماغُ المتفرِّقُ لغير المؤمِنِ**»، إلى أنَّ في الإنسان مَيْلاً طبيعيًّا إلى رُؤيةِ الطَّبيعة كشيءٍ مُصَمَّمٍ. وهي نتيجةٌ أُسِّسَتْ على ثلاثِ دراساتٍ أُجْرِيَتْ على مجموعاتٍ من المؤمنين باللهِ والملاحِدَةِ. وقد عُرِضَتْ فيها صُورٌ متتاليةٌ أمامَ المشاركين على سرعاتٍ مُتفاوتةٍ ليختاروا إنْ كانت المناظِرُ المعروضَةُ تَدُلُّ على أَنَّ ذاتًا قد صَمَّمَتْ ما في الصُّورِ لحِكْمةٍ. وكانت التَّجربةُ الثالثةُ خاصّةً بملاحِدَةِ فنلندا حيث الثَّقافةُ الإلحاديّة مُهَيْمِنَةٌ بصورةٍ شِبْهِ كُليّةٍ على الواقع الفِكْريّ، ومع ذلك كانت النَّتيجةُ واحِدةً في التّجارب جميعِها، وهي أَنَّ في الإنسان نُزوعًا للتَّفسير الغائِيِّ للوجودِ؛ بما يَدُلُّ على أَنَّهُ شيءٌ أَصيلٌ في ذاتِهِ.

Elisa Jarnefelt, Caitlin F. Canfield & Deborah Kelemen, ***The divided mind of a disbeliever: Intuitive beliefs about nature as purposefully created among different groups of non-religious adults***. Cognition 140:72-88.

https://www.sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0010027715000293

يمتد إلى أَبْعَدَ من ذلك، وهو سير مجرى حياة الإنسان، فقد تَضمَّنَ بحثٌ أُجْرِيَ سنة ٢٠١٤م، نشرتْهُ مجلّة (**Cognition**) «**لماذا يحدث هذا لي؟ التَّفكير الغائيُّ حول أحداث الحياة للمؤمنين المتدينين وغير المؤمنين**» دراسةً أجريت في أمريكا على عددٍ من المتطوّعين، طُلِبَ منهم فيها أن يُفَكِّرُوا في أحداثٍ مُهمّةٍ في حياتهم؛ كالتخرّج في الجامعة، وميلاد الأبناء، وعلاقات الحبّ، وموتِ أشخاصٍ قريبين منهم، وكانت المفاجأة أنَّ أغلبيّةَ غيرِ المؤمنين ذهبَتْ إلى نفس ما قالته أغلبيّة المؤمنين، وهي أنَّ ما وقع لهم كان لِحِكْمةٍ، وقَدَرٍ، وأنّه كان أثرًا عن تصميمٍ لا عشوائيّةٍ عمياءَ.

Konika Banerjee, Paul Bloom, ***Why did this happen to me? Religious believers' and non-believers' teleological reasoning about life events***.

Cognition , Volume 133, Issue 1, October 2014, Pages 277-303.

https://www.sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0010027714001358

وقد كان الجواب نفسُه حاضرًا في دراسة بهذه الطَّبيعةِ في بريطانيا.

Bethany T. Heywood & Jesse M. Bering, ***Meant to be: how religious beliefs and cultural religiosity affect the implicit bias to think teleologically***, Religion, Brain & Behavior Vol. 4, Iss. 3, 2014.

https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/2153599X.2013.782888

ثورة الإنسانِ الملحدِ على الإلهِ، وحِرْصَهُ الشَّديد على إظهار ملامِحِ الغضبِ والثَّورةِ عند حدوث المصائبِ، خاصّةً النَّوائبَ الطَّبيعيةَ الكبرى، كُلُّ ذلك لا يلتقي مع ما يجب أن يكون عليه الملحِدُ إذا كان يحمِلُ قناعةً أَلاَّ إلهَ في الوجود، وأنّ العشوائيّةَ تَحْكُمُ حركةَ كُلِّ شيءٍ، وأنّه لا معنى للمعنى في غيبة المعنى..

ولو أنَّ مُلحِدًا حقيقيًّا، صافي الإلحاد، عاش في أرضنا، لما ارتاعَ من أيّ مظهرٍ للشَّقاء أو الألم أو الظُّلْمِ في الوجود.

إنّ الإلحادَ في أقصى مظاهرِ ثورته ورفضِه للإلهِ، تعبيرٌ عن تنازعِ الإيمان باللهِ وشهودِ واقعٍ مُنْكَرٍ بما يُعجز البعض أن يؤالف بينهما.

المبحث الرابع: كانط والخير الأقصى المطلوب

لقد رفض الفيلسوف (**عمانويل كانط**) جميع البراهين العقلية على وجود الله (بمعارضات لا تخلو من مغالطة)، لكنه عاد ليقرّرَ وجود الله من باب ثقةِ النَّفس في مفهوم العَدْلِ...وإنّما كان يرى أن الإيمان بالله ضرورةٌ عمليةٌ للتصالح مع النفس؛ فإن إيمان النفس بمفهوم العَدْلِ عميقٌ جدًّا لا يمكن أن يُضحّى به لأَجْلِ وَهْمٍ فِكْريٍّ، كائنًا ما كان.

الفيزيائي اللَّا أَدْرِيّ (**بول ديفيس**): «**لا أستطيع أن أُصَدِّقَ أنَّ وُجُودنا في هذا الكون مُجرَّد حَدَث فُجائيّ، حَدَث تاريخيّ عَرَضِيّ، طَفْرة عَرَضِيّة في الدراما الكونية العظيمة. مُشاركتنا في هذا العالم حميمية جداً... لقد قُصِد حقًّا أن نكون هُنا**»

Paul Davies, ***The Mind of God*** (London, Simon and Schuster, 1992), p232.

السَّبْرُ الذي أَجْرَتْهُ مؤسسة دراسةِ الأسرة والثقافة في (**أوستن**) سنة ٢٠١٤م، مع ١٥٧٣٨ أمريكيًّا؛ إذ أَثْبَتَت الدراسة أن ثلث الملاحدة واللَّا أَدْرِيِّين (٣٢%) يؤمنون بالبعث واليوم الآخر!

Austin Institute for the Study of Family and Culture (AISFC)

Natalie Gaille, ***Do People Still Believe in Life After Death in Modern Times?***

http://relationshipsinamerica.com/religion/do-people-still-believe-in-life-after-death

كَشَفَتْ دراسة أُجْرِيَت في جامعة (**Otago**) أنَّ الذين لا يؤمنون بإله، وإن كانوا يُظْهِرُون شَكًّا أكبر في صِدْقِ الأديان، إلَّا أنَّهم إذا فَكَّرُوا في موتهم هُم أنفسهم، يتحوَّلون في لا وَعْيِهم إلى موقفٍ أكثر قَبُولًا للاعتقادات الدِّينية.

Death anxiety increases atheists' unconscious belief in God, April 2, 2012.

https://www.sciencedaily.com/releases/2012/04/120402094322.htm

المبحث الخامس: أجمعوا.. لماذا أجمعوا؟

حجّة القبول العام عند الجنس البشريّ لعقيدة الإيمان بالإله للبرهنة على صحّة هذه العقيدة، عريقة في مذهب الخائضين في الإلهيّاتِ منذُ القديم. أقدمَ إشارة إلى ذلك ما جاء في «**قوانين**» (**أفلاطون**) حيث استُدِلَّ بإيمان اليونان والبرابرة كلهم بالآلهة حجة لوجودها.

Plato, ***Laws***, 10.

قال (**هيوم**): «**المَسْأَلَةُ اللَّاهُوتِيَّةُ الوَحِيدَةُ الَّتي نَجِد فِيهَا اتّفاقًا بين البَشَر يَكَاد يكون عالَمِيًّا، هي وُجُود قُوَّةٍ ذَكِيَّة، غير مَرْئِيَّة في العالَم**»

David Hume, ***Essays, Literary, Moral, and Political*** (London: Alex. Murray, 1870), p523.

أبو المذهب الرُّبُوبي في إنجلترا (**إدوارد هربرت**): «**لَا يُوجَد اتِّفَاقٌ عَامٌّ حَوْلَ الآلهة، لكن يُوجَد اعْتِرَافٌ كَوْنِيٌّ بِالإِلَه**»

De Ventate, trans. Meyrick H. Carre, p289. (Cited in: Walter H. O'Briant, ***Is there an argument consensus gentium?*** International Journal for Philosophy of Religion, Vol. 18, No. 1-2 (1985), p78.)

https://link.springer.com/article/10.1007/BF00142281

قول المؤرخ اليوناني (**بلوتارك**) مُنذ أَلْفَيّ سنة: «**بإمكاننا لو عَبَرْنَا العالمَ أن نَجِدَ مُدُنًا بلا أَسوارٍ، ولا آداب، ولا مُلُوكٍ، ولا ثروةٍ، ولا نُقُود، ولا مَدَارِس ومَسَارِح، ولكن لَمْ يَرَ الإنسانُ قَطّ مدينة**

بلا مَعَابدَ أو عُبّادٍ»

Stephen Alexander Hodgman, ***Moses and the Philosophers*** (Ferguson bros. & Company, 1881), Volume 3, p254.

لماذا أجْمَعَ عامة الناس في تاريخ البشر -قبل عصرنا- على الإيمان بذاتٍ غَيْبِيّةٍ عظيمة القدرة والحكمة، هي التي خَلَقَتْ وصَوَّرَت، وهي الملتجأ في كل أمر؟

الفيلسوف **(بول كوبان)**: «**من الحِكْمةِ أن نفترضَ أنّ حواسَّنَا/ومَلَكَاتِ التَّفكيرِ عندنا، وغَرِيْزَتَنا الأخلاقيّةَ العميقةَ لا تقومُ بِخِداعِنا بصورةٍ مُمَنْهَجَةٍ. علينا أن نُسلِّم لِسلامةِ عَمَلِها، ونحن عادةً نفعل ذلك. في الحقيقةِ، حتّى أَشَدُّ الشُّكوكِيِّين تَطَرُّفًا يفترضُ ذلك عندما يسعى بكلّ ثقةٍ لتحصيل نتائجِه الشُّكوكيّة... نعم، قد يُخْطِئُ المرءُ في إقامةِ فِكْرةٍ أو يقعُ في خَطَأٍ مَنْطِقِيٍّ، لكنْ من المستبعَدِ أن تكون تلك الأخطاءُ سببًا في الشَّكِّ في الموثوقيّة العامةِ لحواسِّنا أو لملكات التَّفكير عندنا.. في الحقيقة هي تفترضها في مقدّمتها. إنّ القدرة على رَصْدِ الخَطَأ تفترِضُ وعيًا بالحقيقة**»

Paul Copan, '***God, Naturalism, and the Foundation of Morality***' in ***The Future of Atheism,*** Robert B. Stewart, ed. (Minneapolis: Fortress Press, 2008), p142.

لماذا آمنت عامَّة أمم الأرض بإله؟ الجواب: هو أنَّها استسلمت لداعي النَّفس، فاتَّجهت إلى السَّماء تطلب العون والحُبّ، كما استسلمت إلى ثقتها في جدارة العقل في أن يُبلِّغها الحقيقة، وجدارة الحِسّ الأخلاقي أن يهبها القُدرة على التَّمييز بين الخير والشر.

المبحث السادس: الإلحادُ، أَزْمَةُ المعنى وطريق الانتحار

الفيلسوف الملحد **(جون غراي)**: «**لا يُمكننا الفَرَارُ من خاتمةِ المأساة... لا يُوجَد خَلَاص من كونِنَا بَشَرًا**"

John Gray, ***The Silence of Animals*** (New York: Farrar, Straus & Giroux, 2013), p208.

وقد حاول **(برتراند راسل)** أن يصنع أملًا للمعنى في كونٍ بلا معنى فقال بعبارة متفائلةٍ: «**الإنسان نِتاجُ أسباب ليست لها بصيرة بالنهاية التي تسعى إليها؛ فأَصْلُهُ، ونماؤه، وآمالُه ومخاوفه، وحبه ومعتقداته، كل ذلك ليس إلا نتاجًا للتَّواطؤِ العَرَضِيّ للذَّرَّات...وقد قُدِّر له الفَنَاءُ بِفَنَاءِ النظام الشمسي، ولا بد ضرورةً أن يُدْفَنَ المعبد الكامل لإنجازات الإنسان تحت حطام الكون الخَرِب... فقط داخل سقالات هذه الحقائق، وفقط على أساس متين من اليأس الذي لا**

يَنْضُب، من الممكن بناءُ مَسْكنِ الروح بأمان»

حاول (**برتراند راسل**) أن يصنع أملاً للمعنى في كونٍ بلا معنى فقال بعبارة متفائلةٍ: «**الإنسانُ نِتاجُ أسبابٍ ليست لها بصيرةٌ بالنّهاية التي تسعى إليها؛ فأَصْلُهُ، ونماؤُه، وآمالُه ومخاوفه، وحبُّه ومعتقداتُه، كلُّ ذلك ليس إلاَّ نِتاجًا للتَّواطؤِ العَرَضِيّ للذَّرَّاتِ... وقد قُدِّر له الفَنَاءُ بِفَنَاءِ النِّظامِ الشَّمسيِّ، ولا بُدَّ ضرورةً أن يُدْفَنَ المعبدُ الكامل لإنجازاتِ الإنسانِ تحت حُطامِ الكَوْنِ الخَرِب... فقط داخِلَ سقالات هذه الحقائق، وفقط على أساسٍ متينٍ من اليأس الذي لا يَنْضُب ، من الممكن بناءُ مَسْكنِ الرُّوحِ بأمانٍ.**»

Bertrand Russell, ***Mysticism and Logic*** (Cited in: Mary Poplin, ***Is Reality Secular?*** Downers Grove, IL: InterVarsity, 2014, p45.)

وقد كان (**راسل**) نفسه، مُدرِكًا أنّ الإلحاد قرين الألم والعدم؛ فهو القائل في لحظة صدق: «**في أعماقي دائمًا وأبدًا أَلَمٌ فظيعٌ -ألم فُضوليٌّ ثائرٌ -، بحثٌ عن شيءٍ يتجاوز ما يحويه العالَمُ**»

Cited in: Philip Yancey, ***Disappointment with God*** (Grand Rapids, Michigan: Zondervan, 1988), p253.

إنّ الإيمان باللهَ هو الذي يُسْعِفُ العقل بالجواب عن الأسئلة الأربعة الأساسية التي تَبْذُلُ للإنسان أَصْباغَ صورة الوجود الحي وطريق الفهم، وهي أسئلة: الأصل (origin)، والمعنى، والأخلاق، والمصير.

وقد أجاب الملاحدة -حقيقة- عن أزمة المعنى البادية في أزمة الانتحار؛ إذ تشير الإحصائيات سنة ٢٠٠٤م، كما في «**المجلة الأمريكية للطب النفسي**»، أنَّ العقيدة الإلحادية عامل مُحَفِّزٌ للانتحار المادِّي... الحياة عندهم أقل قيمة، والحرج الأخلاقي عندهم من الانتحار أدنى من غيرهم، والموت عندهم انتقال من عَدَمٍ جارحٍ إلى عَدَمٍ فارغٍ.

American Journal of Psychiatry, ***Religious Affiliation and Suicide Attempt***

http://ajp.psychiatryonline.org/doi/abs/10.1176/appi.ajp.161.12.2303

كُلُّ اعتراض على صِدْق الفطرة النَّفسيّة يُصدِّق أيضًا على صِدْق العَقْل والحِسّ. ولذلك فالقول بحُجِّيَّة العَقْل والحِسّ دون الفِطْرة تناقض في تأصيل المَرْجِعِيَّة المَعْرِفِيَّة.

فالإنسان إذن أَسِيْرُ التَّسليم أنَّ عافية القلب والرُّوح ضرورة، وأنَّها تُطابِقُ المطلوب في هذه الحياة.

أنَّه لا يَلْزَمُ من الضَّرُوريَّاتِ لتكون ضروريّاتٍ أن يُسلِّم لها كُلّ النَّاس؛ فإنَّ قِيام الضَّروريَّاتِ في النَّفس مُرْتَبِطٌ بسلامة النَّفس من أعراض الفساد.

البيولوجيَّ الملحدِ الشهير (**فرنسيس كريك**) في قوله «**أَنْتَ.. أفراحُكَ وأحزانُكَ، ذكرياتُكَ وطموحاتك، إحساسك بذاتك وبحرية الإرادة، هي في الحقيقة ليست أَكْثَرَ من مجموعة كبيرةٍ من الخلايا العصبية والجزيئات المرتبطة بها... أنت لا تَعْدُو أن تكون سوى حُزْمَةٍ من الأَعْصابِ**»

Francis Crick, ***Astonishing Hypothesis*** (New York: Scribner, 1994), p3.

المبحث السابع: رُمُوزُ الإلحاد ينتصرون لبرهان الفِطْرةِ

(**ألبير كامو**): «**ثِقَلُ الأَيَّام مُخِيفٌ لكل امرئٍ يعيش وَحْدَهُ من غير إلهٍ ومن غير سَيد**».

Camus, ***The Fall*** (New York: Random House, 1956), p133.

وقال أيضاً: «**لا شيء بإمكانه أن يُخمِدَ الجَوْعَةَ لما هو إلهيٌ في قلب الإنسان**»

Camus, ***The Rebel*** (New York: Alfred Knopf, 1956), p147.

(**برتراند راسل**) فيعبر عن لحظات الفراغ الموجعة في قوله: «**يبدو أنَّ شيئًا في المرء ينتمي بعنادٍ إلى الله، حتى عندما يشعر المرءُ أنَّه أقرب ما يكون إلى أشخاص آخرين... في أدنى حال، هكذا عليَّ أن أُعبِّر عن هذا الأمر لو كان هُناك إله. هذا غريب، أليس كذلك؟ أنا أهتمّ بحماسة بهذا العالم وكثير من أشيائهِ وأَنَاسِيِّيهِ.. ما هو كلّ شيء... يجب أن يكون هُناك شيء أكثر أهمِّيَّة يشعر المرء به، على الرَّغم من أنَّني لا أومن بوُجُوده**»

Bertrand Russell, ***Autobiography*** 2/320.

قال (**ابن القيم**): «**ولمَّا كان -سبحانه- هو الشَّكُورُ على الحقيقة؛ كان أَحَبَّ خَلْقِهِ إليه مَن اتَّصَفَ بِصِفَةِ الشَّكْرِ، كما أنَّ أَبْغَضَ خَلْقِهِ إليه من عَطَّلَهَا أو اتَّصَفَ بِضِدِّهَا، وهذا شأنُ أسمائِهِ الحُسْنَى، أَحَبُ خَلْقِهِ إليه من اتَّصَفَ بِمُوجبها، وأَبْغَضهم إليهِ من اتَّصَفَ بِضِدِّهَا**».

ابن القيم، ***عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين***، تحقيق: محمد علي قطب، بيروت: دار الأرقم، ٢٠١٦م، ص٢٢٧).

المبحث الثامن: مغالطةُ برتراند راسل: الدَّيْنُ وَهْمٌ سَبَبُهُ الخوفُ من الطَّبيعةِ

يرتكب أنصار هذا التفسير «مغالطة الأصل»؛ بالابتداء بالحكم سلبًا أو إيجابًا على مَنْبَعِ الفِكْرَةِ؛ للحكم على الفكرة نفسها بالصواب أو الخطأ...مغالطة تَتَلَبَّسُ بها جميع التفسيرات غير الدينية للإيمان بالله.

وقد يوجد الإله ويجعل في قلب الإنسان خوفاً من الطَّبيعة يَسْتَحِثُّهُ إلى أن يبحث عن أمانه فيمن

يملك الكون، وقوانينه، والنوازل، ومفاتيحها. فالخوف من مظاهر الطبيعة في ذاته قابل لِسِياقٍ كوني إلحادي وسياق آخر إيماني، ولذلك فهو فارغ دلالة...وهي أن وجود الله يقتضي أن يقترن بوجود إنسان لا يخاف من الظواهر الطبيعية الحادّةِ.. ولا تَلَازُم منطقيًّا بين هذا وذاك، وذاك فساد الشبهة مَضْمُونًا!

ما الذي يمنع الإله أن يُنْشِئَ في الإنسان حاجة إلى البحث عن الخالق المعبود إذا خَشِيَ من نوائب الطّبيعةِ؟! ألا يكون ذلك رحمةً بالإنسان إذ يَمْنَحُهُ طريقًا جديدًا إلى الإله بعيدًا عن جَدَلِ النظر العقلي؟!

وقد أحسن الفيلسوف **(بول كوبان)** بقوله في هذا السياق -ردًّا على رُمُوز الإلحاد الجديد «**بإمكاننا أن نَقْلِبَ الاستدلال على رأسه بالقول: إذا كان اللهُ موجوداً، وكان قد صَمَّمَنَا لِنَتَواصَل مَعَهُ، فإننا -بذلك- نعمل بصورةٍ سليمةٍ عندما تَتَوَجَّهُ إرادتنا إلى الإيمان بالله... في هذه الحال، الحُجَّة الأساسية لـ داوكينز ودانيت يُمكن أن تدعم في الواقع فكرة أنَّ المؤمنين المُتديِّنين يعملون بطريقة لائقةٍ وضِمْنَ نِظامٍ**»

Paul Copan, ***Is God a Moral Monster?*** (Michigan: Baker Books, 2011), p30.

ولم تعرف دراسات اللاهوت الطبيعي عناية بدقيقِ العلم أكثر منها اليوم، وكلما فُتِحَ في سماء العلم فَهْمٌ؛ زادتْ في رصيد دلائل الإيمان آية.

بيتر برجر Peter Berger (١٩٢٩-٢٠١٧م): أحد أهمّ عُلماء الاجتماع في النِّصف الثاني من القرن العشرين وبداية الحادي والعشرين. أثَّرت أفكاره في فهم صِراع الدِّين والعالمانية في عُلماء الاجتماع المُعاصرين.

بل إنَّ العالَم في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين -كما يقول عالم الاجتماع الشهير **(بيتر برجر)**: «**مُتَدَيِّنٌ باهْتِياجٍ كَمَا كَانَ مِن قَبْلُ، وفي بعض الأماكِنِ أَكْثَرَ مِمَّا كانَ**»

Peter Berger, ***The Desecularization of the World: A Global Overview***, in ***The Desecularization of the World: Resurgent Religion and World Politics*** (Grand Rapids, MI: Wm. B. Herdmans, 1999) p2.

قال **(سباتييه)**: «**إنَّ شُعورَ الرَّهْبةِ والخوفِ مِن القُوَى العُلْوِيّةِ لا يَكْفِي وَحْدَهُ لتفسير فِكْرةِ الدّينيّةِ، ولَا بُدَّ مِن شُعُورٍ آخَرَ يُوازِيه ويُلَطِّفُ مِن حِدَّتِهِ. ذلك أنَّ الخَوفَ إذا استأثَرَ بالنَّفْس سَحَقَ الإرادةَ ووَلَّدَ اليأسَ. ومَنْ وَقَعَ فريسةً للرُّعْبِ، إن لم يَتَصَوَّرْ إمكانَ الخَلَاصِ، لَمْ يُفَكِّرْ في البحثِ عن عَوْنٍ يُنْقِذُهُ من الخَطَرِ الذي وقعَ فيه؛ فلا بُدَّ لِتحقيقِ الشُّعورِ الدّينيِّ من مُقاومةِ الخَوْفِ والرَّهبةِ بِمَا يُعَادِلُهُمَا مِن الأَمَلِ والرَّجاءِ اللَّذَيْنِ يَبْعَثَانِ على الدُّعاء والتَّضَرُّعِ. هذه هي**

حقيقةُ التَّديُّنِ»

Auguste Sabatier, ***Esquisse d'une Philosophic de la Religion d'Apres la Psychologie et l'Histoire*** (Paris, 1897) p13.

إدوارد فون هارتمان Eduard von Hartman (١٨٤٢-١٩٠٦م): فيلسوف ألماني له عِناية خاصَّة بدراسات الميتافيزيقا.

(إدوارد فون هارتمان): «**صحيح تماماً أنَّه لا يُوجَد شيء لمُجرَّد رَغْبَتِنَا في وُجُوده، ولكن ليس صحيحاً أنَّ الشيء لا يُمكن أن يكون موجودًا إذا رَغِبْنَا في وُجُوده. إنَّ كامل نَقْد فيورباخ للدِّين، وبُرهانه للإلحاد، يعتمدان على هذه الحُجَّة الوحيدة، والتي هي مُغالطة منطقية**»

Eduard von Hartman, Geschichte der Logik (2 vols: Leipzig, 1900), Vol.2, p444) .Cited in: Alister E. McGrath, ***Intellectuals Don't Need God and Other Modern Myths***, Grand Rapids, Mich.: Zondervan Publishing House, 1993, p97.

تشزلاف ملوز Czeslaw Milosz (١ ١٩١-٢٠٠٤م): أستاذ اللُّغات السَّلافِيَّة والآداب في جامعة «**كاليفورنيا**».

يقول الشاعر البولندي الحائز على جائزة نوبل **(تشزلاف ملوز)**: «**الأفيونُ الحقيقيُّ لِلشُّعُوبِ هو الإيمانُ بالعَدَمِ بعد الموتِ؛ فهو العَزَاءُ الكبيرُ للتّفكير بأنَّ خِيَانَاتِنَا، وجَشَعَنَا، وجُبْنَنَا، وقَتْلَنَا، لن يكونَ عُرْضةً لِلْمُحاسَبَةِ**»

Cited in: Timothy J. Keller, ***The Reason for God: Belief in an Age of Skepticism*** (New York: Penguin, 2008), p75.

كل الأبحاث التي تسعى إلى رَدِّ الإيمان بالله إلى عامل طبيعي صِرْفٍ تفتقِدُ البُرهان المادِّي أَيًّا كان نوعه.

كيث وارد Keith Ward (١٩٣٨_): فيلسوف ولاهوتي بريطاني. عضو الأكاديمية البريطانية. من أبرز الفلاسفة المهتمين بالجدل الإيماني-الإلحادي وأغزرهم تأليفا فيه.

قال **(كيث وارد)**: «**على الرَّغْمِ مِن حقيقةِ أنّه لا يُوجَد عَمَلِيًّا دليلٌ مُتاحٌ عَمَّا كان مِن أُصُولِ الدّينِ... لَمْ يمتنع العُلماءُ عن تقديمِ ادّعاءاتٍ نهائيّةٍ حول ما حدثَ بالفِعْلِ. هذا مثالٌ للحالِ التي تكون فيها دَعَاوى اليقينِ على خلافِ حَجْمِ الأَدِلَّةِ المُتاحةِ... أَثْبَتَ عالِمُ الأنثروبولوجيا في جامعة أكسفورد (إيفانز بريتشارد) في دراسته النّهائيّةِ (نظريات الدّين البدائيّ) عَدَمَ جَدْوى كلّ**

هذا الخيالاتِ، وهي القائمةُ على أَدِلَّةٍ غيرِ موثوقةٍ أو غير نقديّةٍ أو غيرِ موجُودةٍ»

Keith Ward, ***Is Religion Dangerous?*** (Oxford: Lion, 2011), pp. 10 -11.

المبحث التاسع: مغالطةُ كونت: الإيمانُ باللهِ أَثَرٌ عن تَرَقٍّ في محاولةِ تفسيرِ الكَوْنِ

«**قانون الحالات الثلاث**» الذي وضَعَهُ (**كونت**) ليس حصيلة استقراء تاريخي تامٍّ أو واسع، وإنما هو قراءة فلسفيّةٌ خاصة تم إسقاطُها عمدًا على حركة التاريخ. المراحل الثلاث التي عَرَضَها (**كونت**) ليست أدوارًا تاريخيّةً مُتعاقبةً، وإنَّما هي حالات قد تتعاصَرُ وقد تتعاقَبُ، وهي تتفاوت ظُهُورًا وخُمُولاً في كل شَعْبٍ، وفي كلّ عصر.

كَتَبَ (**العَقَّادُ**) في مُنتصف القرن العشرين: «**إنَّ القرن العشرين، عَصْر الشَّكّ في الإلحاد والإنكار، بمقدار ما كان القرن الذي قبله عصر الشَّكّ في الإيمان**»

عباس محمود العقاد، ***الله***، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، المجلد الأول: مجموعة توحيد وأنبياء (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م)، ص٢٣.

«**الكونجرس العالمي للأكاديمية الدولية للأَنْسَنَةِ**» صرح سنة ٢٠٠٥م قائلا: «**إنَّ هُناك مَلْمَحًا واضحًا لأَزْمةِ ثِقةٍ... تجتاحُ الإلحاد في الوقت الرَّاهنِ**»

www.thersa.org/acrobat/dennett_130306.pdf

اعترف (**كونت**) بالطّابع العَمَليَّ للتصوّرِ الإسلامي، وتَوَجُّهِهِ القويَّ إلى التّماس مع الحقيقة (ولذلك فَضَّلَ العبقرية الإسلامية على العبقرية الكاثوليكية).

Auguste Comte, ***Systeme de Politique Positive 'Paris***: Divers, 1895), 3/XLIX.

المبحث العاشر: مُغالطة ماركس: الدِّينُ ظلُّ البِنْيةِ الاقتصاديَّةِ

وصف (**برتراند راسل**) في موسوعته في تاريخ الفلسفةِ فلسفةَ (**ماركس**) أنها قاصِرةٌ، ومُبالِغةٌ في الجانب العملي على حساب الجانب الفكري، وأَسِيْرة مُشْكلاتِ عِصْرِها.

Bertrand Russell, ***History of Western Philosophy***, p788.

المبحث الحادي عشر: مغالَطَةُ فرويد: عُقْدَةُ أُوديب

اعْتُرِضَ على (**فرويد**) أنه -مَنْهَجِيًّا- لم يُقِمْ نَظَرِيَّتَهُ على دراسات واسعة تُمَهِّدُ للدَّعَاوَى الواسعة التي قدَّمها عن الأديان... اتَّهَمَهُ صاحبُ كتاب «***لماذا كان فرويد مُخْطِئًا***» أنه رَوَّجَ في كتاباته للعِلْم الزَّائِفِ.

Richard Webster, ***Why Freud was Wrong: Sin, science and psychoanalysis***

(Oxford: Orwell Press, 2005).

انتُقِدَ كتاب «**الطَّوْطَم والحرام**» انتقادات شديدة لهشاشة أَدِلَّتِهِ، وعُمُوميَّتِها، والإطار التاريخي الزائف لها.

Marvin Harris, ***The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture*** (New York: Thomas Y. Crowell Company, 1971), pp425-426.

برهان الفطرة جَوْهَرُهُ أن الإنسان لو تُرِكَ لنفسِه دون تعليم من ثقافة خارجية؛ فَسَيَتَّجِهُ إلى السَّماء يبحث عن «قُوَّة» و «سُلْطِة» عُلْيَا تُفَسَّرُ الوجود: المبتدأ والغاية.

لا نُسمّي الله -سبحانه- بغير ما سمّى به نفسه في الوحي، وما نستعمله من ألفاظ مثل «قُوَّة» هو من باب التَّدَرُّج مع المخالف في الإبانة عن المعنى أو من باب نَقْلِ معتقدات الناس.

الإيمان بالله شُعُور قَسْريٌ في الإنسان، وإنكار صِدْقِهِ كإنكار صدق العقل والحس في طلب الحقيقة.

لا يوجد ملحد صِرْفٌ؛ فالإيمان أصيل في النفس؛ قد تُعَفِّرُهُ الغَفْلَةُ أو يُعَمِّيْهِ التَّغَافُلُ، لكنه يظهر دائما عند خلوة المرء بنفسه، وافتقاره حين الحاجة والكرب.

الإيمان مُقدّمةٌ ضرورية لفهم ا لنفس والعالم، وبانعدام ا لإيمان يفقد الإنسان القدرة على الحكم على الأشياء لأن الكون بلا إله شَتَاتٌ للأشياءِ مُظْلِم.

مراجع للتَّوسُّعِ

Winfried Corduan, ***In the Beginning God: A Fresh Look at the Case for Original Monotheism***, B&H Publishing Group, 2014.

Tom Morris, ***Making Sense of It All: Pascal and the Meaning of Life***, Grand Rapids, Mich.: Wilham B. Eerdmans, 1992.

الفصل الثاني: البرهان الأخلاقي

«**قَبُولُ القِيَمِ الأخلاقية الموضوعية يُوفِّرُ أَرضيّةً للإقرار أنَّ الإله قد صَنَعَها**» (زعيم الإلحاد الفلسفي **ج. ل. ماكي**)

J.L. Mackie, ***The Miracle of Theism***, p118.

«البرهان الأخلاقي» هو الاستدلال بوُجُود قِيَمٍ أخلاقية تَسْتَقْبِحُ أُمُورًا وتُزكِّي أُخرى، لا بناءً على الذَّوق الشَّخصي أو العُرْفِ الاجتماعي وإنَّما بناءً على وُجُود معيار غير مادِّي يُحدِّد الخير من الشَّرّ، للقول بوُجُود إله مُقَنِّنٍ لِقِيَم الخير والشَّرّ.

وبالإمكان التّعبيرُ عن المعنى نفسِه بالصّيغةِ الأشهر اليوم، وهي:

١. إذا لم يكن الله موجودًا؛ فالقيم الأخلاقية الموضوعية غير موجودةٍ.
٢. القيم الأخلاقية الموضوعية موجودة.
٣. الله موجود.

المبحث الأول: البرهانُ الأخلاقي وسُلطانُه النّفسيّ

والميزة الكبرى للبرهان الأخلاقي أنه بسيط لا يستدعي من الباحث عن الحق معرفة بالعلوم وتعقيداتها، ولا الجدل الفلسفي العميق ومضائِقه.

هو برهان يَجِدُ فيه المؤمنُ تناسقًا في رؤيتِه للأشياءِ ويَتَعَثَّرُ في طريقِه الملحدُ الذي يسير في طريقٍ يُعاكِسُه؛ إذ يجد نفسَهُ في شَتَاتٍ بين واقعِ شُعورِهِ الذي يرى القُبْحَ حَقًّا والواجِبَ أَمْرًا من جهةٍ، وتفكيرِه الفلسفيِّ الذي يقول له: إنَّ كلَّ الأفعالِ سواءٌ؛ تَقْبِيلُ رَضِيعٍ أو إرضاعُه عند ظَمَأٍ أو جُوعٍ هو كَرَضْخِ رَأْسِهِ بين حَجَرَيْنِ حتى تَتَهَشَّمَ جُمْجُمَتُهُ وتَثْعبَ الدِّماءُ منه حتّى يَبْرُدَ، كلٌّ منهما فِعْلٌ لا يَرضى المَدْحَ ولا يَلْقى القَدْحَ.. إلقاءُ وردةٍ في حضن أُمِّك تستعطي بها دعاءً من فَمِهَا؛ كرَمْيِها بالرَّصَاصِ حتى تصير أَشْلاءً، كلاهما فِعْلٌ بلا حقيقةٍ قِيَمِيَّةٍ.. تعذيبُ قِطَّةٍ وتمزيقها لمجرّد اللَّهْوِ؛ كإطعامها حين مَسْغَبَةٍ من خَشَاشِ الأرضِ، عَمَلانِ بلا قِيمةٍ ذاتيّةٍ، فهما متساويان بلا شُكْرٍ ولا نُكْرٍ...

اعترف الفيلسوف الملحد (**كاي نيلسون**) بقُوَّة الحِسّ الأخلاقي وسُلطانه على العَقْل: «**الإيمان أنَّ مثل هذه الأُمُور الرَّئيسة تُعَدُّ شرًّا أكثر معقولية من الإيمان بأيَّ نظريةٍ شُكوكيّةٍ تقول لَنَا: إنَّه ليس بإمكاننا أن نعرف أو نَتَعَقَّلَ أنَّ أيَّ أمر من هذه الأُمُور شَرّ**»

Kai Nielson, ***Ethics Without God*** (New York: Prometheus Books, 1990), p59.

إنما لابد أن نُقِرَّ جميعًا أن عالَمَ الإلحاد عالم قاس جدًّا لا تُطِيقُه أنفسُنا ولا أنفاسنا، سواء أَقَرَّ المرء بوجود الله أم جَحَدَ ذلك.

ومن جلالةِ هذا البرهان أنه يقودنا إلى معرفة الله لا من جهة أنه الخالق أو المصور-كما سيأتي معنا -، وإنما من جهة دلالته على جمال الله-سبحانه -؛ فالرحمة التي في قلب العبد ظِلٌّ لِكَمَالِهَا في ذات الله-سبحانه.، وطلب العدل الذي يُهَيْمِنُ على أنفسنا بعض من العدل الكامِلِ لله-سبحانه - ، وكل خيرٍ نابضٍ بالحق في قلب الإنسان-يليق بالله سبحانه-هو على صورة أكمل في ذات الله.

«**إنَّ الأخلاقَ في أعمالِنا وَحْدَها القادرةُ أن تعطيَ الجَمَالَ والجَلَالَ لِحَياتِنا**» **(أينشتاين).**

Albert Einstein, ***Letter to a minister***, November 20, 1950, Cited in: Helen

Dukas, ***Albert Einstein: the human side***, 1979, p95.

المبحث الثاني: معنى موضوعيّة الأخلاق

إذ يقع الخَلْطُ-مثلاً-في هذ الشأن بين «موضوعية» الأخلاق و «إطلاقيّة» الأخلاقي. إطلاقية الأخلاق مُتعلّقةٌ بثبوت القيمة الأخلاقية نفسها في كل حال وحين.

موضوعية الأخلاق ليست مُتعلقة بذلك؛ وإنما تُشيرُ إلى أن القيم الأخلاقية قائمة خارج نفسك، ثابتة الوجود بعيدا عن حِسَّكَ أو ذَوْقِكَ أو أعراف المجتمع. إنها حقيقة قائمة بذاتها ثابتة في نفسها خارج حدود الأهواء البشرية؛ ولذلك فالطريق إليها اكتشافها لا اختراعها.

ويليام ريتشي سورلي William Ritchie Sorley (١٨٥٥-١٩٣٥م): فيلسوف أسكتلندي.

ولعل أَفْضَلَ من عَرَّفَ الموضوعية الأخلاقية بعبارة تدفعُ الالتباسَ الفيلسوف **(ويليام ريتشي سورلي)** بقوله: «**عندما أُؤَكِّدُ أنّ «هذا أمر جيّدٌ» أو «ذاك أمرٌ سيئٌ»، فأنا لا أعني أنّي ألقى مُتْعةً أو نُفُورًا في مُمارسته، أو أنّ عندي شُعُورَ إعجابٍ به أو سُخْطٍ عليه. من المُمكن أن تكون هذه التّجاربُ الشّخصيّةُ حاضرةً، لكنَّ الحُكْمَ لا يُشير إلى اختيارٍ عَقْلِيٍّ شخصيٍّ أو ذاتيٍّ، وإنّما هو مُتعلّقٌ بوُجُود قِيْمةٍ موضوعيّةٍ في هذه الحال. ما الذي يَلْزَمُ مِن هذه الموضوعيّة؟ بوُضُوح، وفي المقام الأوَّلِ، يلزمُ من طابع المَوضُوعيّةِ استقلالُ موضوع الحُكْمِ. فإذا كان تقريري: «هذا أَمرٌ جيّدٌ» صادقًا؛ فهو إذنْ جيّدٌ لا فقط بالنّسبة لي، وإنّما هو جيّدٌ لكلِّ أَحَدٍ.**

إذا قلتُ: «هذا أَمْرٌ جيّدٌ!»، وقال آخرُ مشيرًا إلى الأمرِ نفسِه: «هذا ليس بجيّدٍ»، فلا بُدَّ أنْ يكون واحِدٌ مِنَّا مُخْطِئًا في حُكْمِهِ... صِحَّةُ الحُكْمِ الأَخلاقيّ غيرُ مرتَبِطةٍ بالشّخصِ الذي يُصْدِرُهُ... يقتضي هذا القولُ موضوعيّةً مُنْفَصِلةً عن إنجازاتِ النَّاسِ.. بل هي مستقلّةٌ عن اعترافِهِم بِصِحَّتِها. وسواءٌ اهتدينا بهذه القِيَمِ أَمْ لا، وسواءٌ اعْتَرَفْنَا بها أم لا؛ تبقى هذه القِيَمُ صالحةً... القيمُ الأخلاقيّةُ الموضوعيّةُ صالحةٌ بصورةٍ مستقلّةٍ عن إرادتي، وهي مع ذلك شيءٌ يُرْضِي غايتي ويُكَمِّلُ طبيعتي.»

William Ritchie Sorley, ***Moral Values and the Idea of God*** (New York: Macmillan, 1921), pp.93 -94.

إن غَضَبَنَا من الشرّ إقرار ضروري أنه أمر مَرْذُولٌ، لا تهواه النفس، وترى أنه انحراف عن أصل الاستقامة على الخلق السوي.

المبحث الثالث: هل الأخلاق حقيقةٌ موضوعيةٌ؟

من المُمكن نَظْمُ البرهان على موضوعية الأخلاق؛ كالتالي:

١. لا بُدَّ أن يكون هناك قانون أخلاقي موضوعي كوني، وإلا فـ:

- لا يمكن أن يكون هناك اتِّفاقٌ عام حول جل المبادئ الأخلاقية.
- لا معنى للخلاف القِيَمِيَّ بين الناس، على خلاف ما يَظُنُّه الناس.
- كل المذاهب الأخلاقية لا تتعارض لأنها اختيارات شخصية.
- كل الإداناتِ الأخلاقية لِعُتَاةِ المُجْرِمِينَ (ستالين، هولاكو...) لا معنى لها.

٢. وُجُود هذا القانون الأخلاقي يتجاوز اختيار الفرد؛ فهو مُسَلَّطٌ عليه من الخارج؛ ودليل ذلك أنه:

- أحيانًا كثيرةً يتعارض مع اختياره ومصلحَتِهِ الآنيّة.
- يَتَعَارَضُ مع الطّابع العام للشعوب التي قبلته مع عجزها عن الالتزام العملي به.

ومن ذلك أنَّ شابًّا سأَلَ **(داوكينز)** بعد محاضرة له، قائلاً: «**إذا كان البشرُ آلاتٍ، ولم يكن من المناسب لَوْمهم أو مَدْحهم بسبب أفعالهم؛ فلماذا علينا -إذن- أن نعترف لك بالفضل لِكِتابِك الذي تُرَوِّجُ له؟**».

فأجابه **(داوكينز)** أنه يَتَصَرَّفُ في هذا المَقَام بأسلوب عاطِفِيٍّ، واللَّومُ يقع على النَّاس. فردَّ الشَّابُّ نفسُهُ بقوله: «**لكن، ألَا تَعُدُّ ذلك تَضَارُبًا في رُؤَاك؟**» فاعترف **(داوكينز)** بتناقُضِهِ، وأضاف: «... **ولكنَّه تَضَاربٌ يَجِبُ أن نَتَعَايَشَ مَعَهُ، وإلَّا فستكون الحياة قاسية**»

Nancy Pearcey, ***Saving Leonardo: A Call to resist the secular assault on mind, morals, & meaning***, (Nashville, Tennessee: B&H Publishing Group, 2010) p153.

The young man's name was Joe Manzari. See Logan Gage, "***Who wrote Richard Dawkins's new book?***" Evolution News & Views, 28 October 2006.

http://www.evolutionnews.org/2006/10/who_wrote_richard_dawkinss_new.html

My account is slightly different because it is taken from an audio tape. Tom Wolfe makes a similar observation: "**At a recent conference on the implications of genetic theory for the legal system—five distinguished genetic theorists are up on stage—I stood up in the audience and asked, 'If there is no free will, why should we believe anything you've said so far? You only say it because you're programmed to say it.' You've never heard such stuttering and blathering in response to anything in your life.**"

Cited in: Carol Iannone, "***A Critic in Full: A Conversation with Tom Wolfe***," Academic Questions, 11 August 2008.

https://www.nas.org/blogs/article/a_critic_in_full_a_conversation_with_tom_wolfe

أقْفَلَ الملحِدُ بابَ السَّجالِ بقوله: «**الإلحاد ينتهي بنا إلى التَّناقضِ، وعلينا أن نستسلم له**»، رغم أن حُجَّةَ الملحد لرَفْضِ الإيمان فسَادُ أَدِلَّتِهِ لتناقضها مع الواقع.

والتعبير الواعي وغير الواعي عن معرفة الشر الموضوعي دال بذاته على العلم بالخير الموضوعي؛ بل هو يسبقه؛ فإننا لن نغضب من الشر إلا بعد علمنا بالخير، ولن نرفض الشر إلا وقد علمنا ما يجب أن يكون لِتَسْتَقِيَم منظومة الوجود على سُنَّةِ الفَضْلِ.

جون كوتنهام John Cottingham (١٩٤٣_): فيلسوف إنجليزي. مختص في الفلسفة الحديثة المبكرة، خاصة الفلسفة الديكارتية، والفلسفة الأخلاقية. رأس «المؤسسة الأرسطية» وعدد من المؤسسات الفلسفية الأخرى.

يشهد الفيلسوف البريطاني، المختص في مباحث الفلسفة الأخلاقية، **(جون كوتنهام)**: «**للإجماع المتنامي بين الفلاسفة -بصورة مفاجِئةٍ لكل أَحَدٍ- أنَّ نَوْعًا من موضوعية القِيْمِة أمرٌ صَوَابٌ**»

John Cottingham, "***Philosophers are finding fresh meanings in Truth, Goodness and Beauty***," The Times (June 17, 2006).

https://www.thetimes.com/article/philosophers-are-finding-fresh-meanings-in-truth-beauty-and-goodness-dgm88sjgfmc

المبحث الرابع: عندما يواجه الملحِدُ نفسَه!

إنه يَنْطَلِقُ في حَرْبِهِ على الإيمان بالله من الإيمان بقيمة الحقيقة، وأن معرفَتَها فضيلة، وضرورة التَّحَلِّي بالمحامد، وأن ترك ذلك نقيصة... ولكن ذلك مخالف لِجَوْهَرِ الإلحاد العَدَميّ؟!

اعترف الفيلسوف الملحد **(ألكسندر روزنبرج)** أن المادية الفلسفية يَلْزَمُ منها القول بالإلحاد، ويَلْزَمُ من الإلحاد القول بالعَدَميّةِ، ومنها العدمية الأخلاقية... إذ إن القول: «**كُلَّ شيءٍ مَقْبُولٌ**» هو عينُ العَدَميّةِ، والعَدَميّةُ سيئة السمعة.

Alexander Rosenberg, ***The Atheist's Guide to Reality***, p95.

ويلخص **(روزنبرج)** حقيقة ماهيّة العَدَميّةِ وأعراضَها القِيَميّةِ بقوله: «**تَرْفُضُ العَدَميّةُ التَّمييزَ بين الأعمال المقبولةِ أخلاقيًّا، والممنوعةِ، والمطلوبةِ. لا تخبرنا العَدَميّةُ أنّه ليس بإمكاننا أن نَعْرِفَ**

أيَّ الأحكامِ الأخلاقيّةِ صحيحٌ، وإنما تخبرنا أنّها كلّها خطأ. وبصورةٍ أَدَقّ، تزعمُ العَدَميّة أنّ كلَّ الأحكامِ الأخلاقيّة مُؤسَّسةٌ على افتراضاتٍ لا أساسَ لها، وخاطئة. تقول العَدَميّة: إنّ فِكْرةَ «المباح أخلاقيًّا» بأكملها لا يمكن الدّفاع عنها وهي بلا معنى.

بالإضافة إلى ذلك، تُنْكِرُ العَدَميّةُ على الحقيقة وجود شيءٍ يُسمّى: القِيْمةَ الأخلاقيّةَ الجوهريّةَ... كما تُنْكِرُ وجودَ أيّ شيءٍ جيّدٍ في نفسِه أو قبيحٍ في نفسِه.»

Alexander Rosenberg, ***The Atheist's Guide to Reality***, p97.

ثم اعترف (**روزنبرج**) أنه يلزم من العَدَميّةِ ثلاثةُ أُمورٍ:

أَوّلها: العَجْزُ عن إدانة (هتلر) أو (ستالين) أو (ماو) أو (بول بوت) أو أي مجُرمٍ من مجرمي التّاريخ الحديث لافتقاد أرضيةٍ أخلاقية تسمح بذلك.

ثانيها: ألا يَثِقَ الناس في العَدَمِيَّ لأنه ليس كائنًا أخلاقيًّا.

ثالثها: العَدَميّةُ مُدَمّرةٌ للمجتمع. والقولُ بالعدمية سيرد الإنسان إلى الطابع الأنانيّ والوحشي كما صَوَّرَهُ الفيلسوف (**هوبز**) في الإنسان العاري من مُجَمَّلات الحضارة. ومن المؤكد أننا نحب ألا نكون عَدَمِيِّين إذا استطعنا أن نَتَفَادى ذلك، كما لا نحب لِغَيْرِنَا أن يكون عَدَمِيًّا.

Alexander Rosenberg, ***The Atheist's Guide to Reality***, p97.

أستاذ فلسفة أمريكيًّا ذكر أن طالبًا عنده كان مُصِرًّا على نفي موضوعية الأخلاق، معتقدا بصورة جازمة ذاتِيَّتَها (subjectivity)؛ فَنِسْبِيَّتَهَا. وفي يوم الامتحان كتبَ الطالب بحثًا مُؤَصّلًا في ذلك، فيه جهد كبير، وطول نفس في تَتَبُّع تفاصيله. ولما رَدَّ الأستاذ البحث إلى الطالب، فوجئ الطالب أنه قد حصل على علامة سيئة؛ فأسرع إلى الأستاذ معترضا، قائلاً: إن بحثه بلا شك جيد، ويستحق علامة جيدة. فرد الأستاذ: لم يعجبني غلاف البحث الذي قدمته، وأنا أعتقد أن ذلك أمر يُسيءُ إلى البحث... فانْتَبَهَ الطّالب إلى مآل النسبية الذوقية وظُلْمِها البادي إذا حَكَمَتْ في الحقوق، ونَكَارةِ هذا الحكم في بداهة الحس الأخلاقي.. ولم يدر الطالب كيف يرد على أستاذه لَفْتَتَهُ الذكية.

(**داوكينز**): «**أنا -كعالِمِ طبيعة أكاديميٍّ- أَعُدُّ نفسي داروينيًّا مُتحمّسًا لذلك، مؤمنًا أنّ الانتخاب الطّبيعيَّ، إن لم يكن القوّةَ الدّافعةَ الوحيدةَ في التّطوّر، فهو بالتأكيد القُوّة الوحيدةُ المعروفةُ القادرةُ على إنتاج وَهْمِ الغاية purpose الذي تمكّنَ من عقلِ كلّ من يُفكّرُ في الطّبيعةِ. ولكن في الوقت نفسِه الذي أَدْعَمُ فيه الدّاروينيّة كعالِمِ طبيعةٍ، أنا مُعادٍ للدّاروينيّة بحماسةٍ passionate anti-Darwinian عندما يَتَعَلَّقُ الأمرُ بالسّياسةِ وكيف ينبغي لنا أن نُديرَ شؤوننا الإنسانيّة**».

Richard Dawkins, ***A Devil's Chaplain***, pp10-11.

«**علم اليقين -عندنا- وارداتٌ تَرِدُ إلى النُّفوس تَعْجَزُ النُّفُوس عن رَدَّها**» (**نجم الدين الكبرى**).

نقله ابن تيمية، ***مجموع الفتاوى***، ٤ /٤٣.

بيتر كاف Peter Cave (١٩٥٢م): أستاذ الفلسفة في Open University وCity University بلندن. رئيس المؤسسة الإلحادية: Humanist Philosophers' Group.

وكان الكاتب الملحد (**بيتر كاف**) صريحًا في إصراره على نكارة المنظومة الأخلاقية الإلحادية، بقوله: «**مهما كانت الحُجَجُ الشُّكُوكيّةُ التي يُؤتى بها ضِدَّ إيماننا أَنَّ قَتْلَ البريءِ أَمْرٌ قبيحٌ أخلاقيًّا، يبقى الأمرُ أَنَّ ثِقَتَنَا في أنّ القتلَ أمرٌ قبيحٌ أخلاقيًّا أعظمُ من ثِقَتِنَا في أنَّ الحُجَّةَ [المعارضة] سليمةٌ... تعذيبُ طفلٍ بريءٍ لمجرد المُتْعَةِ أمرٌ خاطئٌ أخلاقيًّا. نقطة، فلا جِدَالَ**»

Peter Cave, ***Humanism*** (Oxford: One World, 2009), p146.

«**لا أعرف كيف أَنْقُضُ حُجَجَ ذاتية (subjectivity) القيم الأخلاقية، لكنني أجد نفسي عاجزا عن الإيمان أن الشيء الوحيد المنكر في الوحشية القاسية هو أنني لا أحبها**»

Bertrand Russel, ***Notes on Philosophy***, Collected Papers, Volume 11, 310-1 Cited in: Michael K. Potter, ***Bertrand Russell's Ethics***, London; New York: Continuum, 2006, p173.

ريتشارد تايلور Richard Tayler: أستاذ الفلسفة في جامعة «براون» في ولاية رود آيلاند.

كَشَفَ الفيلسوف الشهير (**ريتشارد تايلر**) ذلك في مقدمة كتابه عن الأخلاق، بقوله: إنَّ المُجتمعات الحديثة تَخَلَّتْ بدرجات مُتفاوتةٍ عن الإيمان بإله، ومع ذلك استْبَقَت فكرة الأخلاق «**حتى إنَّ مُثَقَّفين يُعلِنون في بعض الأحيان أنَّ أشياء مثل الحرب أو الإجهاض أو انتهاك بعض حُقُوق الإنسان هي «خطأ أخلاقيًّا»، وهُم يتصوَّرُون أنَّهم قالوا شيئاً حقيقيًّا ومُهِمًّا. لا يحتاج المُثقَّفُون إلى أن يُقال لهم: إنَّ مثل هذه الأسئلة لم تتِمّ الإجابة عنها البَتَّةَ من خارج الدِّين**»

Richard Taylor, ***Virtue Ethics: An Introduction*** (Prometheus Books, 2002), p2.

«**الكُتّابُ المُعاصرون الذين أَلَّفُوا في الأخلاق، والذين تحدَّثوا ببلاغة عن الحَقِّ والباطل الأخلاقِيَّيْن، والواجب الأخلاقي، دون إحالة إلى الدِّين، لا يعدو فِعْلُهُمْ أن يكون نَسْجًا لِشَبَكَةٍ فكرِيَّة مِن الهواء الرَّقيق، وهو ما يعني أنَّهم يتحدَّثون بلا معنى**»

Richard Taylor, ***Virtue Ethics: An Introduction*** (Prometheus Books, 2002),

p7.

المبحث الخامس: هَل يَلْزَم مِن مَوضُوعِيَّةِ الأخْلَاق وُجُودُ الله؟

ومن ذلك شهادة الفيلسوف الملحد **(ج. ماكي)** في كتابه «**معجزة الإيمان**» الذي يُعد من أهم المؤلفات الإلحادية في العقود الأخيرة-بقوله: إن المفاهيم الأخلاقية تمثل طابعًا نَشَازًا في التصوُّر الإلحادي للكون؛ ولذلك فإن «**وُجُود قِيَم أخْلَاقِيَّة موضُوعِيَّة يجعل وُجُود إله أرجح مِن الحال لَوْ لَمْ تَكُن هُناك أخلاق موضُوعِيَّة.. ولذلك، عندنا هُنا... حُجَّة في الأخلاق لوُجُود إله**»

J. L. Mackie, ***The Miracle of Theism***, pp 115-16.

وهي عين الحقيقة التي دافع عنها الفيلسوف الوُجُودِيّ المُلحد **(جون بول سارتر)** بمُوافقته **(دوستويفسكي)** قوله: «**كُلُّ شَيْءٍ مُبَاحٌ إذَا لَمْ يَكُن اللهُ مَوجُودًا**»؛ مُعترفًا أنَّ «**كُلَّ شَيْءٍ حقيقةً مُباحٌ إذَا لَمْ يَكُن اللهُ مَوجُودًا.. ولَا يَمْلِك الإنسانُ أن يَجِدَ أيَّ شيءٍ يعتمد عليه مِن داخل نفسه أو مِن خارجها**»

Jean-Paul Sartre, ***Existentialism is a Humanism*** (New Haven, Conn.: Yale University Press, 2007), p32.

يقول **(سارتر)**: على المُلحد أن يُواجِهَ حقيقة العالم بلا إله، كما هي. وهو وإن كان «**يَجِدُ عَدَمَ وُجُود إله أَمْرًا مُحْرِجًا للغاية لأنَّه تختفي مع اختفائِهِ كلّ إمكانية لإيجاد قِيَمٍ**» إلَّا أنَّه مُلْزَمٌ أن يَتَعَايَشَ مع ذلك.

Jean-Paul Sartre, ***Existentialism is a Humanism*** (New Haven, Conn.: Yale University Press, 2007), p28.

جويل ماركس Joel Marks: عَمِلَ أُستاذًا للفلسفةِ في جامعة «نيو هافن». له عنايةٌ بفلسفة علم النَّفْسِ.

ويُعبّرُ **(جويل ماركس)** -الفيلسوفُ المُلحد- في مقالٍ نَشَرَهُ سنة ٢٠١٠م عن تجربته مع **(الله)** و **(الأخلاق)** بقوله: «**لقد تَخَلَّيْتُ عن الأخلاقِ تمامًا!... كان [هذا] الفيلسوف (يقصد نفسه) لفترةٍ طويلةٍ يجتهدُ فكريًّا تحت افتراضِ غيرِ مُخْتَبَرٍ، وهو أنَّ هُناك شيئًا حَقًّا وآخر باطلاً. أنا الآن أعتقِدُ أنّه لا يُوجَد شيءٌ مِن ذلك ... لقد أصبحتُ مُقتنِعًا أنّ الإلحادَ يقتضي مذهبَ اللاَّأخلاقيَّةِ amorality، وبما أنّني ملحدٌ؛ فلا بُدَّ عَلَيَّ أن أَعْتَنِقَ اللاَّأخلاقيّةَ... لقد عِشْتُ الكشفَ الصَّادِمَ أنَّ الأُصُوليّةَ الدِّينيّةَ مُصِيبةٌ: بِدُون اللهِ، لا تُوجَد أخلاقٌ.**»

Joel Marks, ***An Amoral Manifesto (Part I)***

https://philosophynow.org/issues/80/An_Amoral_Manifesto_Part_I

الفيلسوف البريطاني المُلحد (**جوليان بجيني**): «**إذا لَمْ تَكُن هُناك سُلطة أخلاقية واحدة [أي: الله]؛ فعلينا عندها بصُورةٍ ما أن «نَخْلُقَ» قِيَمًا لأنفسنا... وذاك يعني: أنَّ الدَّعَاوَى الأخلاقية ليست صحيحة أو فاسدة... مِن المُمكن أن تختلِفَ معي لكن ليس بإمكانك أن تقول: إنِّي ارتكبْتُ خَطَأً واقعيًّا**»

Julian Baggini, ***Atheism: A Very Short Introduction*** (Oxford University Press, 2003), pp41-51.

وأمَّا زعيم الإلحاد العِلْمي (**داوكينز**) فيُعبِّر عن المعنى السَّابق في الكتاب الإلحادي الأشهر «**وَهْم الإلهِ**» بقوله: «**مِن العَسِير جِدًّا الدِّفَاع عَن الأخلاق المُطْلَقَةِ مِن أَرْضِيّةٍ غير الأَرْضيّةِ الدِّينِيَّة**»

Richard Dawkins, ***The God Delusion*** (London: Bantam Press, 2006), p232.

(**مايكل روس**) قال: «**لَقَد مَاتَ اللهُ؛ فَلِمَ عَلَيَّ أن أكون صالحًا؟ الجواب: هو أنَّه لا تُوجَد أدنى أسباب ليكون المرء صالحًا... الأخلاق لَغْوٌ. الآن وقد عَلِمْتَ أنَّ الأخلاق وَهْمٌ صَنَعَتْهُ جِيْنَاتُكَ لتجعلك فردًا مُتعاونًا مع غيره في المُجتمع، ما الذي يمنعك أن تتصرَّف مثل الرُّومان في القديم؟ حسناً، لا شيء، بالمعنى الموضوعي للكلمة**»

Michael Ruse, ***God is dead. Long live morality***, UK Guardian in March 2010.

https://www.theguardian.com/commentisfree/belief/2010/mar/15/morality-evolution-philosophy

جون مارك رينالدز John Mark Reynolds أستاذ الفلسفة في Houston Baptist University

«**أخلاقيًّا... يَخْدَعُ أَعْلامُ الإلحادِ الجديدِ النَّاسَ في كُلِّ مُناسبةٍ. إنَّهم يؤمنون بِفِعْلِ «الحَقّ»، لكنّهم لا يُجَذِّرُونَهُ في شيءٍ**». **الفيلسوف (جون مارك رينالدز).**

John Mark Reynolds, ***Atheism Ranting: The pity and poverty of modern anti-theism***.

http://dedicatedhon.blogspot.com/2007/05/atheism-ranting-pity-and-poverty-of.html

المبحث السادس: مَلَاحِدَةٌ يَنْتَصِرُون لِبُرهَانِ الأَخْلَاقِ

ولعلك إذا نظرت إلى أهم كتاب إلحادي في القرن العشرين، وهو كتاب: «**وهم الإله**» لـ (**داوكينز**) فَسَتَهْتَدِيْ إلى حقيقة عجيبة، وهي أن (**داوكينز**) -كما يقول الفيلسوف الملحد (**مايكل روس**): «**مُشَارِكٌ في غَزْوَةِ دينية أخلاقية، لا كفيلسوف يُحاول إقامة افتراضات ونتائج، وإنما كَمُبَشِّر يُخبر عن سُبُل الخلاص والهلاك. كتاب «وهم الإله» هو قبل كلّ شيء: عَمَل أخلاقي**»

Michael Ruse, ***Defining Darwin: Essays on the History and Philosophy of Evolution*** (Amherst New York, Prometheus Books, 2009) p237.

ولَخَّصَ هذه الظَّاهرة الفيلسوف المُلحد (**دافيد برنك**) في قوله: إنَّ «**التزامَنَا بموضُوعِيّةِ الأخلاق عَمِيْقٌ**»

David Brink, ***The autonomy of Ethics***, in ***The Cambridge Companion to Atheism***, ed. Michael Martin (New York: Cambridge University Press, 2007), p149.

إنَّها الأزمة التي تحدَّث عنها (**نيتشه**) في قوله عن مُفكِّري عصره سنة ١٨٨٨م: «**لقد تَخَلَّصُوا مِن الإله المسيحي، لكنَّهم يؤمنون الآن مع ذلك إيمانًا راسخًا أنَّ عليهم التَّعَلُّقَ بالأخلاق المسيحيّةِ**»

Nietzsche, ***Twilight of the Idols*** (Oxford: Oxford University Press, 2008), p45.

لقد نصر (**داوكينز**) البرهان الأخلاقي على وُجُود الله بامتيازٍ؛ إذ أَقَرَّ بمُقَدَّمَتَيْهِ؛ فقال: إنَّ عالمنا بلا إلهٍ، ولذلك فلا يُوجَد خير ولا شَرّ، وإنَّما هو تَمَاثُلٌ باهتٌ بين كلّ الأشياء.

Richard Dawkins, ***River Out of Eden: A Darwinian View of Life*** (New York: Basic Books, 2008) p133.

أُطروحةُ (داوكينز) في كتابه «وَهْمِ الالهِ»:

١. إذا لم يكن اللهُ موجودًا؛ فلا توجد أخلاقٌ موضوعيةٌ = وجودُ الأخلاقِ الموضوعيّةِ مُلازمٌ للإيمان باللهِ.
٢. الأخلاقُ الموضوعيّةُ موجودةٌ.
٣. يلزم من مُقدَّمَتَي (داوكينز): اللهُ موجودٌ.

فرانسيس كولتز Francis Collins (١٩٥٠م_): عالم جينات أمريكي مشهور. قاد «مشروع

الجينوم البشري» في أمريكا. مدير «المؤسسات الوطنية للصحة».

وقد كان البرهان الأخلاقي سبب عودة طبقةٍ من أعلام الفِكْرِ والعلم في الغرب إلى الإيمان بالله، ومن ذلك عودة الأديب الكبير **(سي. س. لويس)** وعالم الجينات ذائع الصَّيْتِ **(فرانسيس كولنز)** إلى الإقرار بالرَّبِّ بعد جَحْدِهِ.

كان أَهَمَّ ما هَزَّ **(كولنز)** في الكتاب عنوان الفصل الأول: «**الصَّواب والخطأ دليلان لمعنى الكَوْنِ**» ...ورغم أن **(كولنز)** داروينيٌّ-شديد في داروينيّتِهِ إلى اليوم-إلا أنه وجد التفسير التطوري لأخلاقية الإنسان شديد القصور لتفسير أصل المبدأ الأخلاقي.

أعلن **(كولنز)** بداية العودة في قوله: «**أَشْرَقَ هذا القانون الأخلاقي بِنُورِهِ الأبيض النَّاصِع في أعماق إلحادي الطُّفُولي، وطَلَب دراسة جادَّة لِأَصْلِهِ**»

ولخَّصَ التّجربة في قوله: «**كُنْتُ بدأت رحلة الاستكشاف العِلْمِيّ هذه لِتَثْبِيتِ إلحادي. وقد تَهَاوى هذا الإلحاد الآن بسبب القانون الأخلاقي (وعِدَّة أُمُور أخرى) أَجْبَرَتْنِي على الإقرار بمعقوليةِ فرضيّةِ وُجُودِ اللهِ**»

Frands Collins: ***The Language of God: A Scientist Presents Evidence for Belief***, New York: Free Press 2006), pp11 ff.

أشرقَ أيضًا في قلب **(فيليب فندر إلست)** Philip Vander Elst بعد تَأَثُّرِهِ -أيضًا- بكتابات **(لويس)** حتى إنَّه أَلَّفَ كتابين في التَّعريف بهذا المُفكِّر اللَّامعِ.

C. S. Lewis: ***A Short Introduction; Thinkers of Our Time: C. S. Lewis***.

حديث **(لويس)** في مشكلة الشر مذاقًا خاصًّا، وصدقًا، وعُمْقًا.. وكان حديث **(لويس)** عن الفساد الذاتيَّ لمشكلة الشر بقيامِها على وجود الشر الذي يستلزم وجود معيارٍ أخلاقي أساسُه وجود إلهٍ، سببًا في سُقوطِ هذه الشبهة من قلب **(إلست)**.

Philip Vander Elst, ***From Atheism to Christianity: A Personal Journey***.

https://www.bethinking.org/is-christianity-true/from-atheism-to-christianity-a-personal-journey

المبحث السابع: مُحاوَرَة ظَرِيفَة في مَوضُوعيَّة الأَخْلَاق

لكن البحث ليس في كيفية معرفتنا بهذه الأخلاق، وإنما هو لماذا كان الإيثار-كما قدَّمْتَهُ- وعناية الناس بعضهم ببعض أمرًا جيدًا؟ مَنْ قَرَّرَ ذلك؟

A Challenge to The Moral Argument

https://www.youtube.com/watch?v=8RqYK9972s0

المُلحِدُ لا يَفْهَمُ عَادَةً حقيقةَ التَّفسير الأنطولوجيَّ للأخلاقِ، فيبحثُ في جواب: لماذا نحن نَتَصَرَّفُ بصورةٍ أخلاقيّةٍ؟ في حين أنَّ السُّؤال هو: لماذا علينا أن نكون أَخْلاقِيِّين؟ وهو سُؤال عن الواجب، لا عن سَبَب الوُجُود.

المبحث الثامن: نُقُودٌ ورُدُودٌ

المطلب الأول: اعتراضٌ: المُلْحِدُ قَدْ يَكُون طَيِّبًا، خَيِّرًا، دُون أن يؤمن بالله؟!

القضية ليست: غِياب الإيمان بالله ووُجُود الأخلاق الذَّاتية، وإنَّما: غِياب الله ووُجُود الأخلاق الموضوعية.

ليست هي: الحاجة إلى الإيمان لوُجُود الأخلاق، وإنَّما: الحاجة إلى وُجُود الله لتكون هُناك أخلاق موضوعية يحتكِمُ إليها الجميع.

إنَّ الإيمان أنَّ الطَّبيعة هي كل شيءٍ ولا شيءَ وراءَها يلزم منه، كما يقول الفيلسوف المُلحد **(مايكل روس)** أنَّ «**الأخلاقَ الموضوعيّةَ مجرّدُ وَهْمٍ**»

Michael Ruse, '***Evolution and Ethics***', in ***The Nature of Nature: Examining the Role of Naturalism in Science***, eds. Bruce L. Gordon and William A. Dembski (Wilmington, DE: ISI, 2011), p862.

الملحد لا يملك أن يكون إنسانًا خَيِّرًا، ضمن منظومتِه التصوّريّة؛ إذ إن المادية الصَّرْفةَ لا تعترف بالخير والشر، والحق والباطل. إن الملحد بإمكانه أن يعمل صالحًا لكن ليس بإمكانه أن يكون صالحًا لأن إلحادَهُ لا يعترفُ بقيمة الصَّلاح.

المُلْحِدُ -ضِمْن تصَوُّره الكَونيَّ المَادِّيَّ- لا يُمكنه أن يكون طَيِّبًا ولا أن يكون شرِّيرًا، لانعدامِ مفهومِ الخير والشَّرّ في تصوُّرِه الكونيّ.

المطلب الثاني: اعتراض: إذا كانت الأخلاقُ مَوضُوعِيّةً، فَمَا الحاجة إذن إلى الدِّين؟

يجبُ أَلَّا نخلِطَ بين الحاجة إلى وجود الله لإثبات إمكان الأخلاق الموضوعية، والحاجة إلى الله لتفصيل المنظومة الأخلاقية...والإنسان قادر على إدراك الحقيقة الذاتية لكثيرٍ مما هو حَسَنٌ أو قبيحٌ بمعزلٍ عن الشرائع السماوية.

اتّفاقُ البشر على كثيرٍ من القيم الأخلاقية حُجّةٌ للدين لا ضِدّه؛ إذ تُظْهِرُ تَسَاوُقَ الخَلْقِ والأمر

الإلهيَّيْن؛ فقد خلق إله الإنسان على صفة الاستواء الأخلاقي، وأَلْهَمَهُ معرفة الخير والشر، سواء اهتدى بعد ذلك إلى الإيمان بالله أم جَحَدَهُ، ثم أَمَرَهُ بما يوافق ما فَطَرَهُ عليه.

اتّفاق البشر على مجموعة كبيرةٍ من الأحكام الأخلاقية لا يمنع اختلافهم في أخرى بسبب عوامل البيئة والثقافة والهوى والمصلحة الشخصية. ووظيفة الوحي إحكامُ المتشابه ومَنْعُ الانحراف عن حدود الأحكام.

يتحرَّك الإنسان بالرَّهْبَةِ كما الرَّغْبَةِ؛ ولذلك يحتاج الدين لِيُحَذِّرَهُ مَغَبَّةَ مُفارَقَةِ الخُلُقِ القويم، ويُحَفِّزَهُ بالوعد بالنعيم ليلازم طريق الاستقامة الأخلاقية. فالمعرفة الأولية بأصول الخلق الحَسَنِ لا تغني عن الحاجة إلى الدين لأن المعرفة وَحْدَهَا ليست ضمانةً للالتزام الأخلاقي.

المطلب الثالث: اعتراض: اختلافُ الأنساقِ الأخلاقيّةِ حُجّةٌ لِنَفْيِ موضوعيَّتِها

روس شافر لاندو Russ Shafer-Landau (١٩٦٣_): أستاذ الفلسفة في جامعة «نورث كارولاينا». له عناية خاصة بالفلسفة الأخلاقية.

ويُنْكِرَ الفيلسوف المُلحد **(روس شافر لاندو)** دلالة اختلاف النَّاس على رَدِّ موضوعية الأخلاق بقوله: «**لا يَحِقُّ لَنَا أن نستنتج من حقيقة أنَّ الفيزيائيين البارِعِين أيضًا يختلِفُون فيما بينهم أنَّه لا تُوجَد حقائق موضوعية في الفيزياء الأساسية... إذا كانت الاختلافاتُ العِلْمِيَّة لا تُقَوِّضُ الواقع الموضوعي للعِلْم، فكذلك يجب ألَّا تُقَوِّضَ الاختلافات الأخلاقية الواقع الموضوعي للأخلاق**»

Russ Shafer-Landau, ***Whatever Happened to Good and Evil?*** (OUP, 2004), pp 68, 70.

يقول **(سي. أس. لويس)** ردًّا على الزَّعْمِ أنَّ الحضارات لها مقولات أخلاقية مُختلفة بصورة واسعة: إنَّها «**كذبةٌ، كذبةٌ عظيمةٌ جدًّا. لو يذهبُ شخصٌ ما إلى المكتبة، ويُمضي أيَّامًا في قراءة «موسوعة الدِّين والأخلاق Encyclopedia of Religion and Ethics»؛ فسيكتشف بسرعةٍ الاتّفاقَ الهائل في اختيارات العقل العَمَلِيّ عند النَّاس. سَيَجْمَعُ مِن ترانيم بابل إلى ساموس، ومن قوانين مانو إلى كتاب الموتى، وتعاليم كونفوشيوس، والرواقيين، والأفلاطونيين، والسُّكَّان الأصليين لأستراليا والهُنُود الحمر، الاستنكارات المُتكرِّرة الحماسية نفسها للقمع والقتل والغدر والباطل، والأوامر نفسها بالعطف على كبار السن، والصِّغار، والضُّعفاء، والصَّدقة، والنَّزاهة، والصِّدق**»

C. S. Lewis, "***The Poison of Subjectivism***," in C. S. Lewis, ***Christian Reflections***, Walter Hooper, ed. (Grand Rapids: Eerdmans, 1967), p77.

(داوكينز) نفسُه قد أَقَرَّ أنه لا يُوجَد اختلاف جوهري بين الحِسّ الأخلاقي للمُتدَيِّنين والحِسّ الأخلاقي للمَلَاحدة رغم أنَّهما على طَرَفَي نَقِيضٍ في النَّظر إلى الكون؛ حتّى إنَّه وصف هذا التَّطابق بالمفاجئ.

Richard Dawkins, ***The God Delusion***, p298.

المطلب الرابع: اعتراضٌ: الأخلاقُ الصَّالحة ما حَقَّقَ الرَّفاهية للإنسان

حاول **(سام هاريس)** أن يَجِدَ حَلًّا لأساسِ الأخلاقِ في المنظومة الإلحادية، فَزَعَمَ في كتابه: «***المشْهَد الأخلاقيّ: كيف يُحَدَّدُ العِلْمُ القِيَمَ الإنسانَيَة***» (٢٠١٠م) أن غاية الحياة الإنسانية الواعية تحقيق الرفاهية الإنسانية.

Sam Harris, ***The Moral Landscape: How Science Can Determine Human Values*** (New York: Free Press2010) p1.

لا يوجد مِعيارٌ موضوعي لمفهوم الرفاهية؛ فهو ليس شيئًا يَقْبَلُ القياس الحسابي ولا يَخْضَعُ لمعادلات الفيزيائيين ولا مِشْرَطِ الجرَّاحِين.

وقد انتقدت دعوى **(هاريس)** أنَّها «**أكثر الدَّعَاوَى المُبالغة في غُرُورِها، وهي مَعِيبةٌ بصُورة واضحةٍ. إنَّ العِلْم لا يُنْتِجُ قِيَمَه الأخلاقية الخاصَّة. إنَّه بالإمكان استعماله للخير والشَّرّ، وقد استعمل لذلك.. و «المُستقبل السعيد» الذي يَتَنَبَّأُ به، هو في حَدِّ ذاته انعكاس ثقافي**»

David Sexton, ***The King James Bible bashers***.

http://www.standard.co.uk/lifestyle/the-king-james-bible-bashers-6388687.html

شون كارول Sean Carroll (١٩٦١م): كوسمولوجي أمريكي. مختص في ميكانيكا الكم والجاذبية.

الفيزيائي الملحد -الشَّرِسُ في حماسَتِه للإلحاد- **(شون كارول)** الذي شَنَّعَ على هاريس استخلاص «**يجب ought**» من «**كائن is**»؛ فالعلم يَشْرَحُ عمل أشياءِ الطبيعة، ولا يملِكُ أن يقول كلمة في «ما يجب».

اختلاف الناس في تعريف الرفاهية، «وهو أمرٌ بَدَهِيٌ بصورةٍ تامةٍ»

هدفُ تحقيق أعلى قدر من الرفاهية لا يمثل هَدَفًا بَدَهِيًا للأخلاق فإن مدارس الفلسفة الأخلاقية تَتَصَارعُ في ذلك...يبقى الإشكال أن مصالح الناس في تحقيق الرفاهية عُرْضةٌ للتَّعارضِ والتَّصَادُم.

Sean Carroll, ***You Can't Derive Ought from Is***.

https://www.preposterousuniverse.com/blog/2010/05/03/you-cant-derive-ought-from-is/

(هاريس): إنه إذا قام نظام إسلاميٌّ يُهَدِّدُ مصالحَ الغَرْبِ، وكانت الحرب النَّوويَّةُ هي الطَّريقُ الوحيدُ للقضاء عليه، فَعَلَى الغَرْبِ أنْ يَخُوضَ هذه الحرب، حتّى لو أَدَّتْ إلى قَتْلِ عَشَرَاتِ ملايين الأَبْرِياءِ؟!

Sam Hams, ***The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason*** (London: Simon & Sdmster, 2006) p129.

رضا الإنسان مسألة لا قيمة لها في كَوْنِ الملاحدةِ حيث لا يَتَمَيَّزُ الإنسانُ عن ابن عَمِّهِ الشِّمْبَانزيِّ إلا ببعض رَصِيْدِهِ الجِيْنِيِّ.

الفيلسوف الملحد **(مايكل روس)** أن نكون مثل النَّمْلِ الأَبْيضِ، الذي تَطَوَّرَ بسبب حاجته إلى «**أن يَسْكُنَ في الظَّلام، ويأكل فَضَلاتِ بعضِه بعضًا، ويَتَغَذَّى على جُثَثِ الموتى، ولو سِرْنَا في الخَطِّ التَّطَوُّريِّ للنَّمل الأبيض، فإننا سوف نَنْظُرُ إلى مثل تلك الأعمال على أنَّها جميلة وأخلاقية**» و «**نجد أنَّه مِن المُثير للاشمئزازِ أخلاقيًا العيشُ في الهواء الطَّلْقِ، والتَّخَلّص مِن فضلات الجسم ودفن الموتى**»

Michael Ruse and E. O. Wilson, "***The Evolution of Ethics***," in ***Religion and the Natural Sciences: The Range of Engagement***, James Huchingson, ed. (Eugene, Ot.: Wipf & Stock, 2005), p311.

المطلب الخامس: اعتراض: الأخلاق مُنتَجٌ بيولوجيٌّ

ويقوم التَّفسير البيولوجي للنَّزْعَةِ الأخلاقية ونَسَقِيَّتِهَا على ثلاث مُقدِّمات مُضْمَرَةٍ مُتعلّقةٍ بكشف الحقيقة، ليس عليها برهان.

- **أولاها**: ميتافيزيقيّةٌ، وهي أنَّ الوُجُودَ مادَّةٌ وحَسْبُ.
- **ثانيها**: تعليليّةٌ، وهي أنَّ الأسباب العاملة في الكون كُلها مادَّيَّةٌ وجَبْرِيَّةٌ.
- **ثالثها**: أنَّ المعرفة لا يُمكن تحصيلها إلَّا بالعِلْم الطَّبيعي أو تحت ظِلّ العِلْم الطَّبيعي.

Paul Copan, ***"My Genes Made Me Do It": Is Ethics Based on Biological Evolution?***

https://ministry.journeyonline.org/my-genes-made-me-do-it-is-ethics-based-on-biological-evolution

تفسير الانتخابِ الطبيعي لِوَجْهٍ من أَوْجُهِ الطَّبيعِة الأخلاقية للإنسان لا يُلْغِي فِعْلَ الله في ذلك وفي

غير ذلك. فالانتخاب الطبيعي قد يكون آلةَ اللهِ لإنباتِ الحافِزِ الأخلاقيِّ في النفس.

السبب الأعظم لِفَشَل التفسير الدَّاروينيِّ لالتزام الملحد بحدود القيم الأخلاقية أن هذا التفسير لا يُفَسِّرُ لماذا علينا أن نَفْعَلَ فِعْلًا أخلاقيًّا، وإنما يَشْرَحُ لماذا نفعل نحن ذلك الفعل.

وقد انتبه عالِمُ البيولوجيا المُلحد العَدَمِيُّ الحائز على نوبل **(جاك مونو)** إلى قُصُور التَّفسيرات المَادِّيَّة -ومنها التَّفسير الدَّاروينيِّ الطّبيعانيُّ -، فقال: «**واحدةٌ من أعظم مُشكلات الفلسفة: العلاقة بين عالم المعرفة وعالم القِيَم. المعرفةُ هي ما هو «كائنis» والقِيَم هي ما «يجب ought» أن يكون. أَوَدُّ أن أقول: إنَّ جميع الفلسفات التَّقليدية حتى الشيوعية قد حاولت استخلاص «يجب» من «كائن». وذاك أمرٌ مُستحيل. إذا كان صحيحًا أنَّه ليس هُناك هدف في الكون، وأنَّ الإنسان ليس إلَّا عَرَضًا حادِثًا، فلا يمكنُك -عندها- استخلاص «يجب ought» من «كائنis ».**»

Jacques Monod, ***Chance and Necessity*** (London: Collins, 1971) p110.

(داوكينز) ومَنْ على قِبْلَتِهِ يَسْتِبشعُوَن الاغتصابَ.. ولذلك لما سألت مجلة **(Skeptic)** **(داوكينز)**: «**هل بإمكاننا أن نلتجِئَ إلى التّطوّرِ لا لِيُجِيْبَنَا عما هو كائنٌ، وإنّما لِيُعَرِّفَنَا بما يجب أن يكون؟**»، أجاب **(داوكينز)**: «**لا أُفَضِّلُ أَنْ أَفْعَلَ ذلك**»

Frank Miele, '***Darwin's dangerous disciple. An Interview With Richard Dawkins***', The Skepsis, vol. 3, no. 4, 1995.

https://scepsis.net/eng/articles/id_3.php

الاغتصاب «ظاهرة بيولوجية طبيعية من آثار الموروث التَّطوُّريّ للإنسان.. [مثل] بُقَع الفُهُود والرَّقبة الطَّويلة للزرافة». (راندي ثورنهيل) و(كريج بالمر).

Cited in: Cheryl Brown Travis, ed. ***Evolution, Gender, and Rape*** (Cambridge: MIT Press, 2013), p223.

الرَّبْطُ بين النُّزوعِ الأخلاقيَّ وتفاصيل القيم الإنسانية والانتخاب الطبيعي الأعمى، مجرد دعوى؛ كعامة دعاوى الدَّرَاوِنة، دعوى بلا شرح جاد لآليات هذا التَّطَوُّرِ المُدَّعى.

(داوكينز): «**لا يملِكُ العِلمُ مناهِجَ لِتحديدِ ما هو أخلاقيٌّ**»

Richard Dawkins, ***A Devil's Chaplain***, p34.

موضوع أساس الأخلاق موضوع صَعْبٌ جدًّا، وأنه لا يُعْرَفُ على الحقيقة لم نحن أَخلاقِيُّون.

Richard Dawkins On the Source Of Morality

https://www.youtube.com/watch?v=7XtvWkRRxKQ

إنّ العلم مُتَنَاءٍ بصورةٍ تامةٍ عن الأخلاق في باب التفسير لأنه أعمى لا يرى ألوانها، لكنه محتاج إلى الأخلاق لِيُقِيمَ حضارةً مُنْصِفَة، عاقلةً، غير داميةٍ ولا مجنونةٍ.

«**كل محاولة لاختزال الأخلاق في قوالب علمية لابُدَّ أن تَفْشَلَ**» بعبارة (**أينشتاين**).

John C. Lennox, ***Gunning for God: Why the New Atheists are Missing the Target***, p99.

- وجودُ الأخلاقِ الموضوعية يقتضي وجود الله باعتراف أئمّةِ الإلحاد.
- الالتزامُ النَّفْسِيُّ بموضوعية الأخلاق مسألة صَمِيْمِيَّةٌ في الإنسان لا يستطيع التَّخَلِّيَ عنها.
- البرهانُ الأخلاقيُّ أعظمُ براهين الإيمان التي يَجِدُ الملاحدة مَشَقَّةً في رَدِّهَا.

مراجع للتَّوَسُّعِ

Paul Copan, "***The Moral Argument***" in Paul Copan and Paul K. Moser, eds. ***The Rationality of Theism***, London: Routledge, 2003, pp. 74-149.

David Baggett and Jerry L. Walls, ***Good God: The Theistic Foundations of Morality***, Oxford University Press, 2011.

الفصل لثالث: بُرهان العَقْل

جرج بنسون Greg Bahnsen (١٩٤٨-١٩٩٥): فيلسوف ودفاعي كالفيني.

«**ليس [للمُلْحِد] مَقَامٌ مَفْهُومٌ يَقِفُ عليه، ولا نَظَرِيّةٌ معرفية مُتَّسِقَةٌ، ولا مُسوِّغٌ لخطابٍ له معنى أو ترابط داخلي، ولا حُجَج**». الفيلسوف (**جرج بنسون**)

Greg Bahnsen, ***Always Ready Directions for Defending the Faith*** (Tex.: Covenant Media Foundation, 1996) p55.

بين خيارَيْنِ: الله والعقل أم الجنون؟

يعتقد المؤمن بالله أن العقل هِبةٌ ربَّانيّةٌ من إله كامل العلم والرحمة؛ ولذلك يملك العقل أن يفكر في وجود الله، وأن يهتدي إلى الحقيقة.. ولولا ذلك لامْتَنَعَ أن تَصِحَّ ضمانة لوجود العقل.

أمَّا العَقْلُ واللهُ، أو لا إلهَ؛ فلا عَقْلَ!

إدراك الحقيقة رهينُ صِدْقِ العَقْلِ وحُجَّيَّتهُ.

صِياغَة البُرهان:

العقل إذا آمَنَ بالعقل، لَزِمَهُ الإيمان بالله.

يكفي العقل أن يُقِرَّ للعقل أنَّه عقل حتى يَعْقِلَهُ عن الفرار من الإيمان بالله.

يقوم «**برهان العقل**» «argument from reason» على أنَّ مفهوم «الإنسان العاقل» لا يَصِحّ إلَّا ضمنَ تصوُّر كوني رأْسُهُ الإيمانُ بالله.

فكتور ريبرت Victor Reppert (١٩٥٣_): فيلسوف أمريكي. له عناية خاصة بالتراث الفلسفي للكاتب البريطاني «سي أس. لويس».

فارسه في أيامنا فهو الفيلسوف (**فكتور ريبرت**) الذي ناقش سنة ١٩٨٩م أطروحَتهُ للدكتوراه في شرحِهِ والرُّدود على ما انتُقِدَ عليه، وهو مستمر إلى اليوم في بيان صياغاته، ولوازِمِهِ، وتَعَقُّبِ ما يُقال فيه.

عنوان الأطروحة:

***Physical Causes and Rational Belief: A Problem for Materialism*.**

من الممكن صياغة برهان العقل على الصورة التالية:

١. إذا كان المذهب الطّبيعانيُّ صحيحًا؛ فيلزَمُ من ذلك ألا تكون مَلَكَاتُنَا المعرفية قادرةً على معرفة الحقيقة.
٢. لكن مَلَكَاتُنَا المعرفية قادرة على اكتشاف حقائق في الكون.
٣. إذن المذهب الطَّبيعانيُّ فاسِد.

Victor Reppert, ***C. S. Lewis's Dangerous Idea: In Defense of the Argument from Reason*** (Downers Grove, Illinois: InterVarsity Press, 2003) p85.

يَسْبِقُ «الإيمان بالعَقْلِ» «الإيمان العَقْليَّ باللهِ» معرفيًّا، ويَسْبِقُ «الإيمان باللهِ» «الإيمان بالعَقْلِ» أنطولوجيًّا.. فلا عَقْلَ بلا إيمان باللهِ.

المبحث الأول: العَقْل تَحْتَ تَهْدِيد المَادِّيَّة

ويؤمنُ عامة المُؤَلَّهَة أن العقل غير الدِّماغ، وأنَّ العقل مُتَسَلِّطٌ على الدِّماغ.

ملاحظة (التاعب): موضوع التسلط يحتاج إلى مراجعة.

إلغاء مفهوم العقل من الوجود الطبيعي بِتَبَنِّي الملاحدة كُلِّهم تقريبًا للتفسير الدّاروينيّ لِنَشْأَةِ الإنسان، حيث الإنسان أَثَرٌ مُتَأَخِّرٌ عن تطور عشوائي بسبب أخطاء النَّسْخ الجِيْنِيِّ في الخلايا.

وليس في ذاك الصّراع-كما يَعْرِضُهُ-الماديُّون الدَّراونةُ-مكان لإكرام الإنسان المتطور عن الأسماك والزواحف بالعقل الذي يسعى إلى فهم العالم كما هو فَيَنْعِكِسُ في الذهن خاليا من كَدَرِ الوهم.

كنان مالك Kenan Malik: كاتب بريطاني من أصلي هندي، متخصص في فلسفة البيولوجيا وتاريخ العلوم.

قال (**كنان مالك**): «**إذا كانت قُدراتنا المعرفية لا تعدو أن تكون سِوى نزعات مُتطوِّرة؛ فَلَن تكون هُناك طريقة لمعرفة أيَّ من هذه القدرات تُؤدِّي إلى مُعتقدات حقيقية وأيُّها يؤدِّي إلى أخرى غير صحيحة**»

Kenan Malik, ***In Defense of Human Agency***, in ***Consciousness, Genetics, and Society*** (Stockholm: Ax: son Johnson Foundation, 2002) Cited in: Nancy Pearcey, ***Finding Truth***, p196.

(داروين) قد أَدْرَكَ تلك الحقيقة؛ فقال: «**عِنْدِي شَكٌّ دائِمٌ في أن تكون لِقَنَاعاتِ عَقْلِ الإنسانِ -التي تَطَوَّرَتْ من حيواناتٍ أدنى-أَيُّ قيمة أو أن تَسْتَحِقَّ التَّصديقَ أصْلًا. هل بإمكانِ أيَّ مِنَّا أن يُصدِّقَ قناعاتِ عَقْلِ قردٍ، إن كانت هُناك أصلًا قناعاتٌ في مثل ذلك العَقْلِ**»

To William Graham, 3 July 1881.

https://www.darwinproject.ac.uk/letter/DCP-LETT-13230.xml

شَكَّهُ في حُجيّة العَقْلِ بقوله: «**.. لكن بعد ذلك يَنْشَأُ الشَّكُّ: هل مِن المُمكن الوُثُوق بعقل الإنسان -الذي كما أعتقِدُ تمامًا قد تَطَوَّرَ عن عقل أَدْنى كالذي يَمْتَلِكُهُ أدنى حيوان- عندما يُقَدِّمُ مثل هذه الاستنتاجات الكُبرى؟**»

Charles Darwin, ***On the Origin of Species*** (Ontario: Broadview Press, 2003) Appendix A, p433.

ج. ب. أس. هالدين J.B.S. Haldane (١٨٩٢-١٩٦٤): عالم بيولوجيا بريطاني. من أهم أنصار التطور الداروينى ومنظريه المتأخرين. كانت له عناية بنشر الثقافة العلمية الشعبية.

يقول البيولوجي التَّطوُّرِيُّ الملحد المعروف (**ج. ب. أس. هالدين**): «**إذا كان عَمَلُ عَقْلِي يتِمُّ تحديده بصورة كُلِّيَّة مِن حركات الذَّرَّاتِ في دماغ؛ فلا حُجَّةَ لي عندها لافتراض أنَّ مُعتقداتي صحيحة. قد تكون عمليَّاتُ دماغي سليمةً كيميائيًّا، ولكن ذلك لا يجعلها سليمة منطقيًّا؛ ولذا**

ليس لديَّ أيُّ سببٍ لافتراض أنَّ دماغي يَتَكَوَّنُ من ذَرَّاتٍ»

Cited in: Karl Popper, ***The Open Universe: An Argument for Indeterminism*** (Psychology Press, 1988), p82.

إن كل معرفة عقلية تَنْطَلِقُ -ضرورةً- من مُقدَّماتٍ لا بُدَّ من افتراضها بَدْءًا، مثل:

١. الإنسان بإمكانه أن يَفْهَمَ تقريراتَ الكلام.
٢. الإنسانُ يَمْلِكُ القُدْرَةَ على اختيار تصديق التَّقريرات أو تكذيبها أو تعليق الحُكْم حولها.
٣. توجدُ قوانينُ منطقيَّةٌ.
٤. البَشَرُ قادرون على فَهْمِ القوانين المنطقيةِّ.
٥. قَبُولُ تقريرٍ ما من الممكن أن يكون سَبَبًا في إنتاج معتقدات أخرى.
٦. لِفَهْمِ القوانين المنطقيّةِ دَوْرٌ سَبَبِيٌّ في قَبُولِ نتيجةِ الحجَّةِ على أنها صحيحة.

كل المقدمات البَدَهِيَّةِ السَّابقة لإقامةِ أيّ بُرهانٍ عقلي، تنطلِقُ من معقولية الكون، ومعقولية الكلام، ووجود العقل.

Victor Reppert, ***C. S. Lewis's Dangerous Idea: In Defense of the Argument from Reason***, p73.

كورنليوس فان تل Cornelius Van Til (١٨٩٥-١٩٨٧) فيلسوف ولاهوتي هولندي. رأس مدرسة «الدفاعيات الافتراضية» «Presuppositional apologetics» التي تنطلق من الإيمان بالله خاصة، والإيمان النصراني عامة، مقدمة تسليمية أولى في مناظرة المخالفين. ولهذا المذهب أنصار كثر في التيار الكالفيني.

وقد انْتَبَهَ لِقُوَّةِ برهانِ العَقْلِ عَدَدٌ من الفلاسفةِ واللاَّهوتيّين في الغَرْبِ، ومنهم **(كورنليوس فان تِل)** في كُتُبِهِ ومناظراتِه، حتى إنه جَعَلَهُ عُمْدَةَ مَذْهَبِهِ في مواجهة الإلحاد، مكْتَفِيًا بالقول للملحد: تَكَلَّمْ! دافِعْ عن مَذْهَبِكَ! فإذا تكلَّم المُلحد، اكتفى **(فان تل)** بأن يقول له: إذا افْتَرَضْتَ أنَّ لك معرفة بالعالَم، ونحن نوافق أنَّ مِن النَّاس من يملكون معرفة بالعالَم، انْتَقَضَ إلحادك ضرورةً؛ إذ إنَّ المذهب المادِّي يقوم على امتناع العِلْم بحقيقة العالَم لأنَّه يَخْتَزِلُ كلّ شيء في المادَّة، وفي عالم المادَّة الصِّرْفَةِ لا يُوجَد عقل.

James Anderson, ‘***If Knowledge Then God: The Epistemological Theistic Arguments of Plantinga and Van Til***,’ CTJ 40 (2005): 49-75.

يقول **(فان تل)** في معرض بيانه أن الإيمان بالعقل ينقض الإلحاد وينصر الإيمان: «**لا بُدَّ أن نُشير إلى أنَّ تفكير [غير المُؤَلَّهَة] يقود نفسه إلى التَّناقُض الذَّاتِيّ، لا فقط مِن زاوية نظر تؤمن بالله،**

وإنَّما أيضاً من زاوية نَظَرٍ لا إلهيّةٍ... إنَّ هذا الأمر هو ما علينا أن نَعْنِيَهُ عندما نقول: إنَّنا نُفَكِّرُ من المحال إلى نَقِيْضِهِ. ليس النَّقِيضُ محُالاً إلَّا إذا كان مُتناقِضًا ذاتيًّا عندما يعمل على أساس افتراضاته الخاصة»

Cornelius Van Til, ***A Survey of Christian Epistemology*** (NJ: Presbyterian and Reformed, 1969) p204.

ستوارت س. هاكت Stuart c. Hackett (١٩٥٢-٢٠١٢م): فيلسوف أمريكي بارز. تتلمذ على يديه بعض أهم الفلاسفة الأمريكان المهتمين بالرد على الإلحاد اليوم ك (ويليام لين كريج) و (بول كوبان) و(تشاد مايستر).

«**وُجُود الله مِن المُمكن استنباطه تفسيرًا لإمكان وُجُود أيّ تجربة مفهومة على الإطلاق**». **(ستوارت س. هاكت).**

"**The existence of God is concluded as an explanation for the possibility of any intelligible experience at all**" (Stuart C. Hackett, ***The resurrection of Theism: Prolegomena to Christian apology***, Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1984 p192.)

المبحث الثاني: ظَاهِرَةُ الوِعْيِ

علاقة الجسد بالدِّماغ أو العلاقة بين عالَم المادَّة وعالَم الفِكْر مُشْكِلَتَيْنِ للملاحدة.

- **أوّلهما**: قُصورُ الآليّةِ الدّاروينيّة عن تفسير ظاهرة الوعي.
- **ثانيهما**: مُعْضلة انبثاق ما هو غير مادي من المادة.

المطلب الأول: الانتخاب الطَّبيعي والوَعْي

ويشرح **(ريتشارد جريجوري)** -أستاذ علم النَّفس العصبي ومُدير مُختبر الدِّماغ والإدراك في جامعة **(بريستول)** في إنجلترا- المُعْضِلَة هُنا بقوله: «**إذا لَمْ يكُن لِلوَعْي أيَّ أثر -لأنَّه ليس لِلْوعي إرادة- فإنَّه يبدو بلا قيمة؛ ولذلك يجب ألَّا يَظْهَرَ تحت سُلطانِ الضَّغط التَّطوُّريَّ. وفي المُقابل، إذا كان الوَعْي مُفيدًا، فلا بُدَّ أن يكون شيئًا ذا إرادةٍ، ولكنَّ التَّفسير المَادِّي لنشاط الدِّماغ لا يجعل العقل شي مُرِيدًا**»

R. L. Gregory, ***Consciousness***, in ***The Encyclopedia of Ignorance***, Ronald Duncan; Miranda Weston-Smith, eds (Oxford; New York: Pergamon Press, 1977) pp. 276 -277.

ورقةٌ علميَّةٌ هذا الشَّهر في المجلّة العلميّة Cell تَزْعُمُ أنَّ الوَعْيَ ظَهَرَ نتيجة اقتحام فيروسٍ لِجِيْنُومِ الكائنات رُباعيَّةِ الأطرافِ!

Elissa D. Pastuzyn, et. al., ***The Neuronal Gene Arc Encodes a Repurposed Retrotransposon Gag Protein that Mediates Intercellular RNA Transfer***, Cell, Volume 172.

http://www.cell.com/cell/fulltext/S0092-8674(17)31504-0

المطلب الثاني: انبِثاقُ الوَعيِ من المادَّةِ الصَّمَّاءِ

نايجل وربرتن Nigel Warburton (١٩٦٢_): فيلسوف مهتم بتبسيط المعارف الفلسفية للقارئ. له عناية خاصة بالدراسات الجمالية والأخلاقية.

وقد اعترفَ بتحدِّي التَّمايُزِ الأَصيل بين الوَعْي والدِّماغ الفيلسوف البريطاني المُلحد **(نايجل وربرتن)**، ولذلك قال: «**حافِزٌ مهمٌ للإيمانِ بصحة ثُنائيّةِ [العقل والدِّماغ] الصُّعُوبة التي يُواجهها جُلُّنَا في رؤية كيف أنَّ شيئًا مادِّيًّا بصورةٍ صِرفةٍ، مثل الدِّماغ، بإمكانه أن يؤدِّي إلى أنماطٍ مُعقَّدةٍ من الشُّعُور والفِكْر الذي نُسَمِّيهِ وعيًا. كيف يُمكن لشيءٍ مادِّيٍّ بَحْتٍ أن يَشْعُرَ بالكآبةِ، أو يُقدِّر قِيْمةَ لَوْحةٍ؟ مثلُ هذه الأسئلة تُعْطِي النَّظْرةَ الثَّنَويّةَ معقوليّةً أَوَّليّةً**»

Nigel Warburton, ***Philosophy: The Basics*** (London: Routledge, 2004), pp. 129 -30.

ويليام ليكن William Lycan (١٩٤٥_): فيلسوف أمريكي يدرس في جامعة **(كونتكت)**. اختير عضوا في الأكاديمية الأسترالية للعلوم الإنسانية.

الفيلسوف الملحد -المُهتَمّ خاصَّةً بفلسفة العقل- **(ويليام ليكن)** اعترف أنَّ «**الاعتراضاتِ النَّموذَجِيَّة ضِدِّ المذهب الثَّنَويَّ غيرُ مُقْنِعة بصورةٍ كبيرةٍ**»

William Lycan, ***Giving Dualism Its Due***.

https://philpapers.org/rec/LYCGDI

ستفن بنكر Steven Pinker (١٩٥٤) أمريكي. أستاذ في جامعة «**هارفارد**». من أنصار علم النفس التطوري. له عناية خاصة بتبسيط العلوم.

عالِم النفس والإدراك الملحد **(ستفن بنكر)** أن يعترف أنه «**لا أحد يعلم كيف يكون الحَلّ أو حتَّى إن كان الأمر مُشكلة عِلْمِيَّة حقيقية أساسًا.. لا يُوجَد أحد يعلم كيف نَتَصَرَّفُ مع هذه المُشكلة العويصة**»

Pinker Steven, ***The Mystery of Consciousness***, Time, 19 January 2007.

https://time.com/archive/6596786/the-brain-the-mystery-of-consciousness/

وعلَّق زعيم الملاحدة (**ريتشارد داوكينز**) على ذلك بقوله: «**حَدَّدَ ستفن [بنكر] بأناقةٍ مُشكلةَ الوعي الذَّاتِيّ، وسأَلَ عن مَصْدَرِه وتفسيرِه. وقد كان صادقًا بصورةٍ كافية للقول: (إنَّها (مُشكلةٌ) تَهْزِمُنِي شرَّ هزيمةٍ). وقد كان مِن الأمانة أن قال ذلك، وأنا أُؤَيِّدُهُ. نحن لا نعلمُ. نحن لا تَفْهَمُ ذلك**»

Cited in: Varghese, ***Wonder of the World*** (Fountain Hills, Ariz.: Tyr Publ., 2004), p56.

جيري فودور Jerry Fodor (١٩٣٥-٢٠١٣م): فيلسوف أمريكي، له عناية خاصة بفلسفة العقل وقد أثرت دراساته بصورة بالغة في هذا الباب.

ويشاركُهُ الشَّهادة فيلسوف الوعي (**جيري فودور**) بقوله: «**لا يُوجَدُ امرئٌ اليوم يملِكُ أَدْنى فِكرة لتفسير كيف من المُمكن لأيّ شيء مادِّي أن يُكوِّن واعيًا**»

Jerry Fodor, ***The Big Idea: Can There Be a Science of Mind?*** Times Literary Supplement, 3 July 1992, p5.

الفيلسوف المادِّي (**ناد بلوك**) المُتخصِّص في فلسفة العقل نفسها: «**ليس لَنَا في مسألة الوعي شيءٌ البَتَّةَ يَسْتَحِقُّ أن يُسَمَّى برنامجًا بحثيًّا، كما لا تُوجَد أيّ مُقترحات موضوعية حول كيفية البدء في واحد منها... الباحثون في حَيْرةٍ**»

Ned Block, ***Consciousness*** in ***Companion to Philosophy of Mind***, ed. Samuel Guttenplan, (Oxford: Blackwell, 1994), p211.

هُنا يقفُ التَّفسير المادِّي بلا قُدرةٍ على التَّفسير سوى القول: إنَّ العلم قد كَشَفَ أنَّ هناك مراكز تخصُّصِيَّة في الدِّماغ للذّاكرةِ، واتِّخاذ القرار، والسَّمع، والكلام، وأنَّه إذا تَعَطَّلَ مركز ما تَعَطَّلتْ معه وظيفَتُهُ... وليس هذا الرَّبْطُ حُجَّة لِتَفْسِيْرِ ظاهرة العقل لأنَّ معرفتَنَا أنَّ آلة البيانو تصدر أصواتًا مُختلفة باختلاف أَزْرَارِها، وإذا تَعَطَّلَ منها زر امْتَنَعَ أن يَصْدُرَ هذا الصَّوْتُ من الآلةِ، لا يدعونا للقول: إنَّ مصدر صناعة اللَّحْنِ آلة البيانو لا صاحبها الذي يستعملها للعزف. إنَّ ظاهر الأمر أنَّ العقل يستعمِل الدِّماغ لا أنَّه ثَمَرَتهُ، كما هو الأمر مع البيانو وعازفه.

ماذا لو قال مؤمن بالله: إنَّ الوعي ظاهرة مادِّيَّة؛ فإنَّ الله لا يعجزه أن يجعل الوعي أثراً للمادَّة!

وجوابه: أنَّ ذلك غير مُمتنع عقلاً لكنَّه ينبني على أنَّ المادة تحمل خصائص أعلى مِمَّا تفترضه جميع المدارس المادِّيَّة اليوم؛ فالصِّفة الزَّائدة في المادة لإنتاج الوعي غائبة عن المادَّة في توصيف المادِّيِّين الملاحدة. ولذلك فنحن نقول:

(١) ظواهر الأمر على أنَّ الوعي ظاهرة غير مادِّيَّة للأسباب المذكورة في المتن، حتى يثبت خلاف ذلك.

(٢) ظُهُور خِلاف ذلك لا يُمكن أن يكون حُجَّة للإلحاد، وإنَّما سيقترن يقيناً بأدلَّتنا على وُجُود الله؛ لأنَّ المادَّة المُنتجة للوعي لا بُدَّ أن تكون -عندها- مخلوقة على صُورةٍ حكيمةٍ تُعجِز العشوائية (المُتترِّسة بالانتخاب الطَّبيعي) عن تفسيرها.

المبحث الثالث: الدَّماغُ البشريُّ ومُشْكِلَةُ فائِضِ الحاجةِ إلى البقاء

ملاحظة (التاعب): هذه نقطة في غاية الأهمية جديدة لم أقرأ عنها من قبل.

التَّطوُّر الدّاروينيّ يَتَحَرَّكُ على خَطٍّ جَبرِيٍّ ضِمْن الحَدِّ الأَدْنى المطلوب لتحقيق البقاء. فالطَّفرات تُزوِّد عمليَّة التَّطوُّر بالمادَّة الخام لينتقي منها الانتخاب الطَّبيعي ما يُحقِّق البَقَاءَ. وليس في المفهوم الدَّاروِيني شيء اسمه استشراف مُستقبل أو بذل زيادةٍ على الحاجة.

ألفرد راسل والس Alfred Russel Wallace: أنثروبولوجي وعالم بيولوجيا بريطاني. كانت له عناية خاصة بدراسة التوزيع الجغرافي للحيوانات.

وقد انْتَبَهَ **(ألفرد راسل والس)** -أبو التَّطوُّر الذي عاصَرَ **(داروين)**، العقل البشري يفوق كفاية الإنسان لتحقيق البقاء، وهو ما يُسمَّى بـ «**مُفارَقَة والس Wallace paradox**».

فَلِمَ امْتَلَكَ عقل **(الشافعي)** و **(أينشتاين)** القُدرة على التَّفكير العميق في قضايا مُرَكَّبَةٍ عَسِيْرَةِ الفَهْم؟!

كيف يملك الإنسان -المُترقِّي بضرورة الحاجة إلى البقاء- قدرات حسَّاسة وعالية للتَّعامل مع أُصُول الفِقهِ، والفلسفة، والشِّعر، والرِّياضيات؟ تِلْك هي المعضلة!

وقد أغضب **(والس)** **(داروين)** بِنَشْرِهِ ورقةً علميةً يقول فيها: إنَّ الانتخاب الطبيعي عاجزٌ عن تفسير امتلاك البشر المُتوحِّشين مَلَكَاتٍ ذهنية تَفُوقُ حاجتهم في بيئتهم، ليسوا بحاجة إليها.

وأضاف في الورقة نفسها: «**علينا إذن أن نقبلَ إمكانيّة أنّه أثناء تطوّر الجنس البشريَّ قادَ ذكاءٌ أَعْظَمُ (Higher Intelligence) قوانين [التغيير، والتكاثر، والبقاء] نفسها لأهداف نبيلةٍ**»

A. Wallace, Essay S146: 1869, titled "***Sir Charles Lyell on Geological Climates and the Origin of Species***".

https://wallace-online.org/content/frameset?pageseq=1&itemID=S146&viewtype=text

ويبدو أن **(داروين)** قد عَلِمَ بأمر المقال قبل نَشْرِهِ؛ ولذلك أرسل رسالة إلى **(والس)** قال له فيها: «**أرجو ألا تكون قد قَتَلْتَ بصورةٍ كاملة ابْنَكَ وابْنِي**»

Letter from Darwin to Wallace, March 1869.

https://www.darwinproject.ac.uk/letter/DCP-LETT-6684.xml

جون كرو إكلس John Carew Eccles (١٩٠٣-١٩٩٧م): عالم أعصاب وفيلسوف أسترالي، حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٦٣م.

وقد انتصَرَ لرأي **(والس)** نفسه عالِمُ الأَعْصابِ **(جون كرو إكلس)** الحائز على جائزة نوبل لأبحاثه في التَّشابك العَصَبيّ في كتبِه التي تدور أغلبها حول تفسير الدِّماغ وظاهرة العقل، فقد كان يرى العقل هِبةً ربانية يتميَّز بها الإنسان عن بقيّة الثَّدييَّاتِ.

اضطر **(والس)** إلى إخراج العقل البشري من آثار الانتخاب الطبيعي، ونسبته إلى سلطان القدرة الإلهية.

«**يتوقَّع المرءُ أن يكون الانتخابُ التَّطوُّريُّ قادرًا أن يؤدِّيَ إلى ظُهُورِ عُقُولِ جِنْس الأَناسيّ التي تتعاملُ مع التَّجرِبة اليوميةِ، ولكنْ أن تكونَ هذه العُقُولُ قادرةً أيضًا على فَهْمِ العالَم تحت الذَّرِّيِّ لنظريّة الكَمَّ واللَّوازم الكونيّة للنِّسْبيَّةِ العامّةِ؛ فذاكَ أمرٌ يتجاوَزُ بكثير أيَّ شيءٍ يُمكن أن يكون ذا صِلةٍ بشُرُوط قُدرة البقاء على قَيد الحياةِ**». **الفيلسوف والفيزيائيّ (جون بولكنجورن).**

John Polkinghome, ***Science and Theology*** (London: SPCK; Minneapolis: Fortress Press, 1998.) p72.

(سام هاريس) إذ اعترف أنه لا يُمكن تفسير ظُهُورِ الدِّماغ والقُدرة على القِيَام بالعمليات الذِّهنية المُعقَّدةِ التي تتجاوز حاجات البقاء، من خلال نموذج مادِّيّ تطوُّريَّ. وأَعْقَبَ ذلك بقوله: إنَّ قُدرة الإنسان على القِيَام بهذه الكُشُوفِ العِلْمِيَّة الكبيرة ومعرفة الكون تتجاوز بصُورةٍ قُصوى الإمكانات المحدودة المفَتَرَضَة للتَّطوُّرِ المادِّيِّ البَحْتِ. لِيَصِفَ ذلك بقوله: إنَّ هذا الأمر «**نوع من المعجزات a kind of miracle**»

Sam Harris Debate 2017-Sam Harris VS Jordan Peterson What is True 2017

https://www.youtube.com/watch?v=6Alvbz13mKw

«**المُعْجزة**» هذا الوُجُودُ لا يُفَسِّرُ نفسَه بنفسِه، وإنَّما هو يَتَطَلَّبُ تفسيرًا من خارج السُّنَن الكونيّة الرَّتيبةِ لِيُفَسَّرَ وُجودَهُ.

(كارل ساجان) في كتابه **(الكون)**: إنَّ حَجْمَ المعلومات المحفوظة في الدِّماغ -إذا عُبّر عنها بـ «البايتات bites» - تكفي لملءِ عشرين مليون مجلدٍ، وهو ما يُعادِل مجموع الكُتُب في أكبر مكتبات العالم.. إنَّه «**مكان كبيرٌ جدًّا في مساحةٍ صغيرة جدًّا**»

Carl Sagan, ***Cosmos*** (Ballantine, 2013), p293.

المبحث الرابع: ملاحدةٌ ينتصرون لبرهان العقلِ

من الشّخصيات العلميّةِ الكبيرة التي غَيَّرَتْ وِجْهَتَها من المذهب الماديِّ الأُحاديِّ إلى المذهب الثّنويِّ أسماء كبيرة مثل **(ستفن وايت)** و **(تيري هورجان)**.

ستفن ل. وايت Stephen L. White: أستاذ الفلسفة في جامعة (Tufts). له عنايةٌ خاصّةٌ بمشكلة العقل وعِلْمِ الجَمَال.

تري هورجان Terry Horgan: فيلسوفٌ من جامعة أريزونا. له عنايةٌ خاصّة بالدّراسات الميتافيزيقيّة، ونظريّة المعرفة، وفلسفة العقل.

قدَّم **(جايغون كيم)** اعتراضاتٍ مهمّةً ضد المذهب الثنويَّ في كتابَيْهِ:

Mind in a Physical World.

Physicalism, or Something Near.

رغم نُفُورِهِ من التّفسير الدّينيّ لظاهرة الوَعْيِ وإيمانه أنه علينا أن نجد تفسيرًا ماديًّا لظاهرة الوَعْيِ.

جايغون كيم Jaegwon Kim (١٩٣٤-٢٠١٩م): فيلسوف من أَصْلٍ كُوريٍّ. درّس في عدد من الجامعات الأمريكيّة. له عنايةٌ خاصّةٌ بمشكلة العقل والدّماغ.

ومن أعلام الفلسفة الإلحادية الذين كشفوا أزمة التفسير المادي التطوري لظاهرة الوعي، الفيلسوف **(توماس ناجل)** وله مساهمات مهمة في طرح إشكال تفسير ظاهرة الوعي في بحثه القديم «**ما معنى أن تكون خُفَّاشًا**» وكتابه الأخير «**العقل والكون**»

What is it like to be a bat?

Mind and Cosmos.

(ناجل) فيلسوفٌ ملحد، صريحٌ في تأكيد إلحاده، وهو القائل دون خفاء: «**أريدُ أن يكون الإلحادُ صحيحًا، وأنا مُنزعِجٌ من حقيقة أنّ بعض أكثر النَّاس ذكاءً واطِّلاعًا ممن أعْرِفُ مُتَدَيِّنُونَ. ليس**

الأمر قاصرًا على أنِّي لا أؤمن بالله، وبطبيعة الحال، آمل أن أكون على حقّ في اعتقادي، وإنَّما الأمر أنِّي آمل ألَّا يكون هُناك إله! أنا لا أريد أن يكون هُناك إله. أنا لا أريد أن يكون الكون على ذلك الحال»

Thomas Nagel, ***The Last Word***, pp.130-131.

وقد صَرَّحَ **(ناجل)** في شرح بعض أَوْجُهِ إشكال التَّفسير الدَّاروينيّ، أنَّ اعتقادنا أنَّنا كائناتٌ بيولوجيّةٌ جاءت العالم «**صُدْفَةً**» بسبب عملية التَّطوُّر العشوائية، لا يلتقي مع امتلاكنا القُدرة على الفَهْم الموضوعي الصَّحيح للعالم.

Thomas Nagel, ***The Last Word***, pp.4.

ولذلك قال: إن «**الوَعْيَ هو العَقَبَةُ الأَبْرَزُ في سبيلِ تَأْسِيسِ مذهبٍ طبيعاني شامِلٍ يعتمد فقط على مصادرِ العُلومِ الفيزيائيَّةِ**»

Thomas Nagel, ***Mind and Cosmos: Why the Materialist Neo-Darwinian Conception of Nature is Almost Certainly False***, p35.

المبحث الخامس: رُدُودٌ ونُقُودٌ

المطلب الأول: نحن نُصدِّقُ العقلَ لأنه ناجِعٌ

التفكير الدّائريّ: الحُكْم على العقل بالنَّجَاعَةَ والجَدْوى يقتضي حُكْمًا عقليًّا على العقل.

لزوم ما لا يلزم: لا تلازُمَ بين النَّجاعة والصَّواب، فإن النَّجاعةَ قد تقترنُ بالخطأ للخفاءِ الظَّرْفيَّ لِوَجْهِ الخَطَأ.

نجاعةُ الوعي في عالم الحيوان لا تقوم ضرورة على إدراك العالم على حقيقته؛ قال **(بلانتنجا)**- في رَدِّهِ على ردود خُصُومِ «برهان العقل»: إن العثور على الغذاء والقرناء والفرار من الضَّواري لا يَتَطَّلبُ قدرةً معرفيةً حاسمةً لمعرفة الطّبيعِة على حقيقتها، وإنما يكفي أن يكون الحيوان قادرًا على توفير ما يُبْقِيهِ حيًّا؛ لتكون معرفته بالطبيعة ناجعة، في بيئةٍ تقوم على الكرّ والفَرَّ طَلَبًا للغذاء والأَمْنِ والتّكاثرِ.

Alvin Plantinga, ***Where the Conflict Really Lies: Science, religion, and naturalism*** (New York: Oxford UP, 2011) p329.

إنه لا يوجد ما يمنع الطبيعة من أن تمنح الحيوان قدرة على التعاطي مع البيئة بطريقة ناجعة دون مطابقة للحقيقة؛ كأن يرى الحيوان في كل شيء مُتَحَرَّكٍ تهديدًا له لافتراسه، دون تمييز بين حيوان يرغب فيه لِمَعِدَتِهِ وآخر لا يدخل هو في مَطْعُوماتِه.

ولذلك قال (**ستفن بنكر**): «**تَمَّ تشكيلُ أَدْمِغَتِنَا من أجل اللّياقةِ البَدَنِيَّةِ، وليس من أجل الحقيقةِ. في بعض الأحيان تكونُ الحقيقةُ مُتكيّفةً، لكن في بعض الأحيان لا تكون كذلك**»

Steven Pinker, ***How the Mind Works*** (New York: W. W. Norton, 1997), p305.

إريك بوم Eric Baum: عالم أمريكي متخصص في الذكاء الاصطناعي.

ذهب (**إريك بوم**) إلى ما هو أبعدَ من ذلك بقوله: «**في بعض الأحيان تكون أنت مُؤَهَّلًا بصورةٍ أكبر للبقاء على قيد الحياة والتَّكاثر، إذا آمنْتَ بشيءٍ باطل أكثر مِمَّا لو كنت تُصدِّقُ الحقيقةَ**»

Baum, ***What is Thought?*** (Cambridge, Mass.; London: MIT, 2006), p226.

اعترف (**روزنبرج**) أنَّ «**الانتخاب الطَّبيعي ليس على صُورةٍ جيِّدة جدًّا في أمر انتقاء المُعتقدات الصَّائبة**» و «**هُناك دليل قوي على أنَّ الانتخاب الطَّبيعي يُنتج كثيرًا من المُعتقدات الزَّائفة والتي هي أيضًا مُفيدة**»

Alexander Rosenberg, ***The Atheist's Guide to Reality: Enjoying life without illusions***, pp 11-111.

المطلب الثاني: العَقْلُ وبصيرة الكمبيوتر

مثال الكمبيوتر -في حقيقتِه- بعيدٌ كلَّ البعد عن نُصْرةِ النَّموذج المادِّيّ؛ بل هو حُجَّةٌ للمذهب الثّنويّ؛ لأنَّ إصابة الكمبيوتر الحق سَبَبُها أن وراءَهُ عَقْلًا يَتَحَكَّمُ فيه، يُدرِكُ الواقع ويُصِيبُ الحق، بَرْمَجَهُ بعلم وحكمة لذلك؛ فالكمبيوتر واسطة مادية لإدراك الحقيقة، ولا يُدْرِكُها بذاتِه، وكذلك يقول الثَّنويُّون في الدماغ والعقل؛ إذ العقل يستعمِلُ الدماغ في إدراك الواقع.

ويليام هسكر William Hasker (١٩٣٥_): فيلسوف من أعلام الفلسفة في أمريكا. له عِناية خاصَّة بمُشكلة الشَّرّ، ومُشكلة العَقْل والدِّماغ.

الفيلسوف (**ويليام هسكر**) «**تعمل الكمبيوترات على صُورتها تلك لأنَّها صُنِعَتْ من بشر يَتَمَتَّعُون بِمَلَكَةِ العَقْل. الكمبيوتر -بعبارة أخرى- مُجرَّد امتداد لِعَقْلانيّةِ مُصمِّمِيْهِ ومُسْتَعْمِلِيْهِ، إنَّه بعيد عن أن يكون مصدرًا مُسْتَقِلًّا للتَّفكير العقلي بُعْدَ التّلفزيونات أن تكون مَصْدَرًا مُسْتَقِلًّا للأخبار والتَّرْفِيهِ**»

William Hasker, ***Metaphysics*** (Downers Grove, M.: InterVarsity Press, 1983), p49.

المطلب الثالث: الطّبيعة انتَخَبَتِ العَقلَ

لسنا هنا نجادل في إمكان انتقاء آلية «**الانتخاب الطبيعي**» الظواهر البيولوجية الناجعة؛ فذاك أمر تشهد له الطبيعة، ولا يجادل فيه أحد، وإنما ننكر أن تكون يدُ الفيزياء ثم البيولوجيا قادرةً على تصميم عقل واعٍ، دون وَعْيٍ منهما بمعنى الوعي.

المطلب الرابع: العِلْم سَيُفَسَّرُ ظاهرةَ العَقل

لأن هذا البرهان بعيد عن الجَدَلِ العلمي في أصل الدماغ؛ فهو برهان فلسفي يقول: إن تصديق ماديّةِ العقل يرفع الثقة في مخرجاتهِ؛ لأن الشك في العقلي نَقْضٌ لإمكان العلم بأيّ شيءٍ.

يقول الفيلسوف (**ج. ب. مورلاند**) المهتم بالجدل المادي في مسألة تفسير ظاهرة الوعي: «**لن يُفيدَ الطّبيعانيَّ الزَّعْمُ أننا عندما نزداد عِلْمًا بالدماغ، سنكون قادرين على تفسير كيفية ظهور الحالات العقلية في الدماغ المتطور. في أفضل الأحوال، سَيُقرَّرَ ذلك التفسير المزعوم حال الترابط (بين العقل والدماغ).. والثّنويُّون مطمئِنُّون إلى ذلك الترابط. ولكن الترابط الذي يجيب عن سؤال، لا يقولُ كيف يَظْهَرُ الوعي**»

J. P. Moreland, '***Should a naturalist be a supervenient physicalist?***' Metaphilosophy 1988.

كَشَفَتْ دراسات الأعصاب أن الذكاء البشري على درجة من التّعقيدِ يَقِفُ أمامها كل عالم بخشوع؛ فإن الدماغ يتكون من ١٠٠ بليون خلية عصبية (neurons)، وكل خلية ترتبط بقريبٍ من ألف خلية على صورة بالغة التعقيد، وكل ارتباط بين خليَّتَيْنِ على درجةٍ مُبْهِرةٍ من التعقيد، حتى قال فيه أحد علماء الدماغ (**بيتر لاين PeterLine**): «**هو عالَمٌ بِذاتِهِ**».

Mind by design, Carl Wieland and Don Batten chat with neuroscientist and part-time 'ape-man' researcher Peter Line.

https://creation.com/mind-by-design-peter-line-interview

الإيمان بالعقل يلزم منه الإيمان بالله لأنه لا ضمانةَ لِصِدْقِ الدماغ غير المِنْحةِ الإلهيّةِ.

مذهب التطور العشوائي يُثْبِتُ أن الدماغ لم يَتَطَوَّرْ لإصابة الحقيقة وإنما تطور لتحقيق البقاء.

مَلَكاتُ الدماغ الإنساني تَتَجَاوَزُ في تصميمها وعود المذهب الداروينيِ العشوائي.

الوعي ظاهرة غير ماديّةٍ تستعصي-بطبيعتها-على التفسير المادي الاختزاليِّ.

مراجع للتَّوَسُّعِ

Victor Reppert, ***C.S. Lewis's Dangerous Idea: A philosophical defense of Lewis's argument from reason***, Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2003.

Alvin Plantinga, ***Where the Conflict Really Lies: Science, Religion, and Naturalism***, New York: Oxford University Press, 2011.

Tom Carson and Carson Weitnauer, ***True Reason: Confronting the Irrationality of the New Atheism***, Kregel Pubs, 2014.

William Hasker, ***The Emergent Self***, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999.

الفصل الرابع: بُرهان الغَرِيزَة

ملاحظة(التاعب): نقطة مهمة جديدة أول مرة أقراها عند الدكتور سامي.

جوردون تايلور Gordon Taylor (١٩١١-١٩٨١م): كاتب بريطاني متخصص في تبسيط العلوم. انتقد في كتابه The Great Evolution Mystery التفسير الداروينى كما رفض التصميم الإلهي.

«**لو تساءَلْنا عن كيفيةِ ظُهُورِ أَوَّلِ سُلُوكٍ غريزيٍّ، وعن كيفيّةِ تَوَارُثِهِ؛ لَمَا وَجَدْنا أَيَّ إجابةٍ**» الباحث التَّطوُّري **(جوردون تايلر)**

Gordon Taylor, ***The Great Evolutionary Mystery*** (New York: Harper & Row, 1983), p222.

تشهدُ الطَّبيعةُ -بصورةٍ واسعةٍ يَصْعُبُ حَصْرُهَا- أنَّ الكائنات الحَيَّة تمتلك قُدُرات على التَّعاطي الحكيم والمُعقَّد مع الواقع دون أن تكون قد اكتَسَبَتْهُ عن تجربةٍ أو وراثةِ ظاهرةٍ.

الغريزةُ: هي النُّزوع الطّبيعيُّ في الكائن الحي، قبل التجربة، واستقلالا عن التعليم الخارجي.

William Paley, ***Natural Theology or Evidences of the Existence and Attributes of the Deity*** (Philadelphia: John Morgan, 1809), p299.

ولإثبات صحة البرهان يكفي إثبات بطلان التَّفسِيَرَيْنِ الوراثيِّ والكسبيَّ.

المبحث الأول: غرائِزُ الكائناتِ الحَيَّةِ وأَزْمَةُ التَّفسيرِ المَادِّيِّ

بدأ **(داروين)** الفصل الثامن الخاصَّ بالغريزةِ من كتابه «**فِي أَصْلِ الأنواعِ**» بقوله: «**العديدُ من**

الغرائزِ رائعة لدرجة أنَّ تطوُّرَها سيظْهرُ للقارئ على الأرجح أنَّه مُشكلةٌ كافية للإطاحة بنظريَّتي بالكامل»

وكان قد ذَكَرَ قبل ذلك في مُقدِّمة الكتاب أنَّ مُشكلة الغرائز مِن أَوْضَحِ المُشكلات وأَخْطَرِها على نظريَّتِهِ.

Charles Darwin, ***The Origin of Species*** (New York: p. F. Collier & Son, 1909), p262, 16.

اعترف **(داروين)** أنَّه لم يُفَسِّرْ مُعارضاتٍ خطيرةً لنظريّته؛ فقال: «**لا شَكَّ أنّ كثيرًا من الغرائزِ التي من الصَّعْبِ تفسيرُهَا قد تكونُ مُعارِضةً لنظريّة الانتخابِ الطّبيعيِّ. وهي حالاتٌ ليس بإمكاننا أن نرى كيف بالإمكانِ أن تنشأَ فيها الغريزةُ، وحالاتٌ لا تُعْلَمُ فيها درجاتٌ تطوّريةٌ وسيطةٌ، وحالاتُ غرائز بالغةِ التَّفَاهةِ يَبْعُدُ أن تكون أَثَرًا للانتخابِ الطّبيعيِّ، وحالات غرائز تكاد تكون متطابقةً في حيواناتٍ متباعِدةٍ جِدًّا بعضها عن بعض في الميزانِ الطّبيعيِّ إلى درجة أَنَّنا لا نستطيعُ أن نجد تفسيرًا لِتَطَابُقِها عن طريقِ الوراثةِ من سَلَفٍ مُشْتَرَكٍ؛ بما يُلْزِمُنَا أن نؤمِنَ أنّه تَمَّ اكتسابُهَا بصورةٍ مُستقِلَّةٍ من خلال الانتخابِ الطّبيعيِّ؛ ولن أتناولَ هنا بالبحث هذه الحالات الكثيرة**»

Charles Darwin, ***The Origin of Species*** (New York: p. F. Collier & Son, 1909), p290.

المبحث الثاني: وسائلُ مُحافظةِ الكائناتِ الحَيَّةِ على أسبابِ البقاءِ

الهجومُ المُظَلَّلُ: جاء في تقرير مختصرٍ في المجلة العلمية الشهيرة «**New Scientist**»: «**يُغطّي اليعسوبُ أعداءَهُ في المناورات المعقّدة التي لا يمكن للطَّيَّارين العسكريين إلا أن يَتَمَنَّوا مثلها في الأحلام... إن فِعْلَهُ يتطلَّبُ تَحَسُّسًا للمواقِع وتَحَكُّمًا في ذلك رائِعَين**»

ويُضِيفُ أحدُ الباحثين من «**Centre for Visual Science**» في الجامعة الوطنية الأسترالية: «**من الصّعب للغاية تحقيقُ هذا النَّوعِ من الأداء دون أنظمةِ قياسٍ باهظةِ الثَّمَنِ ومُكلّفةٍ للغاية**»

Anon, '***How stealthy insects outsmart their foe***,' New Scientist 178 (2398): 26, 2003.

النَّمْلُ الفَلَّاحُ: اكتشف باحثان ألمانيان نوعًا من النَّمْلِ في جُزُرِ **(فيجي)** يقوم ببذر ستّة أنواع من نبات القَهْوةِ في أعالي أشجار عملاقة لِتَصِلَها الشمس، ثم يقوم بِتَسْمِيدِها، ورعايَتِها، ثم حصاد رَحِيْقِها، كما يفعل البشر عند زراعة ما يريدون جَنَاهُ. والأَعْجَبُ-كما تقول **(سوزان رينر)** المختصة

في علم النبات من جامعة (**Ludwig Maximilian**) بميونيخ-أن هذا النَّمْلَ يرعى هذه البذور أسابيع دون أن يَظْهَر له من ذلك شيء.

Ant species cultivates coffee for accommodation.

http://www.dw.com/en/ant-species-culdvates-coffee-for-accommodadon/a-36477533

خدماتُ التَّنْظِيفِ البَحْرِيِّ والزَّبائنُ: لكن الطبيعة في حقيقتها تحمل مع معاني الصراع التَّراحُمَ والتَّخادُمَ. ومن ذلك ظاهرة مراكز التنظيف البحري حيث تقوم أسماك صغيرة بتنظيف الأسماك والكائنات البحرية الأخرى المُصْطَفَّةِ المُنْتَظِرَةِ دورها لنزع ما علق بها من زوائد أو جروح، مع اتفاق ضمني ألا يأكل الزَّبُونُ من نَظَّفَهُ؛ بل يُيَسَّرُ له سبيل العمل، بأن يَنْتَظِرَ دَوْرَهُ دون استعجال، وإذا بدأ العمل لا يتحرك من مكانه، وإنما يحرك خَيَاشِيْمهُ ليدخل العامل لأداء وظيفته. وأماكن محلات التنظيف معروفة للأسماك المحلية، فهي تأتيها تطلب الخدمة، وقد ينتقل العمال إلى الزبون إذا كان كسولاً

Gordon Taylor, ***The Great Evolutionary Mystery***, pp.225-226.

التَّضْحِيةُ في خَلِيَّةِ النَّحْلِ: عندما تخرج العاملة من الشَّرْنَقَةِ كاملة النمو تظل تعمل داخل الخلية فترة ثلاثة أسابيع تقريبا أو أقل قليلا. وأول عمل تقوم به الاهتمام بتنشئة اليرقات ورعايتها.

وهنا سؤال يطرح نفسه: كيف يمكن لكائن حي خرج توًّا من الشَّرْنَقَةِ أن يعرف ما عليه أن يفعله دون اعتراض، وهذا يشمل كل النحل؟ والمفروض في هذه العاملات أن تفكر في إدامة حياتها وكيفية الحفاظ عليها لحظة خروجها من الشَّرْنَقَةِ دون تفكير في التضحية من أجل الغير.

Freedman, ***How Animals Defend Their Young***, pp. 21-22.

المبحث الثالث: آلاتُ الحيواناتِ لِكَشْفِ الواقعِ المحيط بها والاستفادةِ منه

العَدَّادُ النَّمْلِيُّ: تسافر النملة الصحراوية (**Cataglyphis fortis**) كثيرًا مئات الأمتار في طُرُقٍ مُتَعَرَّجةٍ للوصول إلى الأكل، ثم تعود إلى مكانها من طريق آخر رغم غياب العلامات التي تَدُلُّها على مملكتها.

وقد حَيَّرَ الأمر العلماء، فأجرى فريق منهم من ألمانيا وسويسرا تجربة أَخْفَوْا فيها أي معالم متميزة للمكان، ومع ذلك استطاعت النملة العودة إلى محلها الأول.

S. Wohlgemuth, et al., ***Ant odometry in the third dimension***. Nature 411(6839):795-798, 2001.

وانتهى البحث إلى أن هذه النملة تملك عداد مسافات (**built-in odometer**) يقوم بعملياتٍ حسابيةٍ معقدةٍ تسمى (**path integration**)؛ أي: إن النملة تقسم الرحلة حسابيا إلى مراحل قصيرة، وتحسب لكل واحدة طولاً واتجاهًا مُعَيَّنًا، ثم يتم جمع المراحل لتحديد الاتجاه والمسافة.

Jonathan Sarfati, ***By Design: Evidence for Nature's Intelligent Designer*** (Powder Springs, GA: Creation Book Publishers, 2008), p93.

العَدَّادُ النَّحْلِيُّ: كشفَ علماء من جامعة لندن مُؤَخَّرًا أن النحل يقوم بحسابات رياضيةٍ مُعقَّدةٍ لحساب المسافات المطلوب قَطْعُها بين الأزهار، لاختصار الطرق والاقتصاد في الطاقة المطلوب بذلها، حتى لو اكتشف هذه الأزهار على غير ترتيب رحلاته المبرمجة إليها.

M. L. Lihoreau, et al. 2010. ***Travel Optimization by Foraging Bumblebees through Readjustments of Traplines after Discovery of New Feeding Locations***. The American Naturalist 17.

الإنترنت النَّمْلِيُّ: أَثْبَتَتْ دراسةٌ لباحِثِين من جامعة «**ستانفورد**» أن النمل مجهز بنظام إنترنت أو «**anternet**» كما سماه هذا الفريق؛ إذ يطلق النمل ترددات في نطاق مكاني يحيط به لإرسال رسائل إلى النمل المجاور، والذي يقوم بالتقاطها وقراءتها، في طريقة عمل معقدةٍ كتلك التي تستعمل في نقل الملفات على الإنترنت.

Stanford researchers discover the "anternet."

https://engineering.stanford.edu/magazine/article/stanford-biologist-and-computer-scientist-discover-anternet

روائِعُ مُدُنِ النَّحْلِ والنَّمْلِ الأَبْيَضَيْنِ: يقول (**بيتر كروبتكين**): «**لو كانت المستعمرات التي يُنْشِئُها النحل أو النمل الأبيض بمقياس المنازل التي يُنْشِئُهَا الإنسان؛ لكانت هذه المستعمرات أكثر تطورا في أسلوب بنائها وإدارتها؛ لأنها تتألف من طُرُقٍ مُعَبَّدةٍ، ومخازن مُهَيَّأَةٍ للاستهلاك عند الحاجة، وصالات فسيحة، إضافة إلى مخازن للحبوب، ومساحات لزرع الحبوب، وتستخدم في هذه المستعمرات مختلف الوسائل والطرق الحكيمة لرعاية البَيض واليَرَقاتِ...**»

بيتر كروبتكين Peter Kropotkin (١٨٤٢-١٩٢١م): عالم تطوري وناشط ساسي روسي.

Kropotkin, ***Mutual Aid: A Factor of Evolution*** (London: William Heinemann, 1919), Chapter 1.

المبحث الرابع: عجائِبُ الغرائِزِ مع داوكينز

ثم يخبرنا (**داوكينز**) الملحد عن خيار اقتصادي ذكي للنبات، وهو استئجارُ الحَشَرَاتِ لتحقيق التلقيح. يقول: «**القصة في بعض الحالات مُعقّدةٌ إلى حد بالغ، وهي في كل الحالات فاتِنةٌ. تستخدم زهور كثيرة الطعام رَشْوةً، ويكون هذا عادة من الرحيق. ربما تكون كلمة رَشْوة مَشْحُونةً بأكثر مما يجب. هل تُفَضِّلُ استخدام «دَفْع أِجرٍ عما يُقدِّم من خِدْماتٍ»؟ أنا أجِدُ متعة في الإجابتَيْنِ معًا، ما دُمْنا لا نُسيءُ فَهْمَهما بالطريقة البشرية. الرَّحِيقُ شراب سُكَّريٌّ، تُنْتِجُهُ النّباتاتُ بوجه خاص، وذلك فَحَسْبُ لِتَدْفَعَ الأَجْرَ، ولِتُزَوَّدَ بالوقود النحل والفراشات، وطُيورَ الطّنَّان، والخفافيش وغير ذلك من وسائل النقل المستأْجَرَة. صُنْعُ الرّحيقِ له ثَمَنٌ مُكلّفٌ، فهو يُوَجَّهُ جانبيًّا جُزءًا من طاقة الشمس الساطعة التي تَحْتَبِسُها الأوراق، أو الألواح الشمسية للنبات. من وجهة نظر النحل وطيور الطَّنَّانِ، يكون هذا وَقُودًا للطَّيران له طاقة عالية. الطاقة المحتَبَسَةُ في سُكّريّات الرحيق كان يمكن استخدامها في مواضع أخرى من اقتصاديات النبات، ربما لِصُنْع الجُذُورِ، أو لملءِ مستودعات التَّخْزينِ تحت الأرض التي نُسمِّيها بالدَّرَناتِ والأَبصال والجذور البَصَلِيَّةِ، أو حتى لصنع كَمّيَّاتٍ ضخمةٍ من حُبوب اللقاح لِنَشْرِها على مَتْنِ الرياح الأربعة. من الواضح أنه بالنسبة لعدد كبير من أنواع النبات تَنجحُ عملية البيع إذ تُحَبَّذُ دَفْعَ أجْرٍ للحَشَراتِ والطُّيورِ بالسُّكَّرِ من أجل استخدام أَجْنِحَتِها، وتزويد عَضَلاتها بوقودٍ للطِّيرانِ**»

ريتشارد دوكنز، ***أعظم استعراض فوق الأرض***، ترجمة وتقديم: مصطفى إبراهيم فهمي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣ م)، ١/٩٠-٩١.

عدد من الزهور، مثل زهرة «**بنيامين النتن**» و «**زهرة الجيفة**»، تستخدمُ ذُبابَ اللحْم أو خنافس الجيف الملقّحات، هذه الزهور كثيرا ما تجعلنا نشعر بالغَثَيانَ؛ لأنها تُحاكي رائحة اللحم العَفِنِ لجذب الحشرات المُحِبَّةِ لِلْجِيَفِ.

ريتشارد دوكنز، ***أعظم استعراض فوق الأرض***، ترجمة وتقديم: مصطفى إبراهيم فهمي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣ م)، ١/٩٦-٩٧.

وأَغْربُ مما سبق حديثُ (**داوكينز**) عن الزُّهورِ التي لا تَسْحَبُ الحَشَرَات برائحتها الزكية فقط؛ بل تجعل رائِحَتَها مثل رائحة أُنْثى الحشرات، وتُشَكِّلُ نفسها على صورة إناث هذه الحشرات.

قد تسألني مُنْدَهِشًا: لِمَ لمْ يرَ (**داوكينز**) في هذه النماذج الواضحة على الإبداع الإلهي برهانًا على وجود الله؛ فإن القول بالعشوائية والانتخاب الطبيعي في هذا المقام عجيب؟ وجَوَابي: هو أن (**داوكينز**) كان أثناء عَرْضِهِ لهذه النماذج مشغولاً ببيان أسباب مقاومة هذه الكائنات لعوامل الاندثارِ لا أسباب ظهورها. ونحن دون رَيْبٍ نوافِقُهُ أن هذه الأساليب الِخداعِيَّةَ الباهرة من أسباب

بقاء هذه الكائنات، لكننا نَعْجَبُ كل العَجَبِ كيف لم يُفَكِّرْ **(داوكينز)** في أسباب هذا التعقيد الحكيم!

عامة الغرائز تبدأُ مُعقّدةً، مرتبطةً بالعلم بالهندسة والرياضيات أو قوانين الفيزياء.. وهي تَظْهَرُ غالبا مع الكائن الحي منذ ولادته.

مراجع للتَّوَسُّعِ

شوقي أبو خليل، ***غريزة... أم تقدير إلهي***، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م.

كريسي موريسون، تعريب: محمود صالح الفلكي، ***العلم يدعو للإيمان***، بيروت: دار القلم، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

روبرت لمون، تعريب: كامل عطا، ***الغريب في عالم الحيوان***، القاهرة: دارالمعارف،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

Jonathan Sarfati, ***By Design: Evidence for Nature's Intelligent Designer***, Powder Springs, GA: Creation Book Publishers, 2008.

Geoffrey s Simmons, ***Billions of missing links***, Eugene: Harvest House,2008.

الباب الثالث: آيات الله في وُجُود الوُجُود

تشارلز سبرجيون Charles Spurgeon (١٨٣٤-١٨٩٢م): واعظ إنجليزي شهير لقب بـ «أمير الوعاظ». له مؤلفات كثيرة في الوعظ والتفسير والشعر...

«**جَعَلَ اللهُ كُلَّ شَيءٍ في العالَمِ مُعَلِّمًا لَنَا**» الكاتب والخطيب المفوه **(سبرجيون)**

Charles H. Spurgeon, ***Lectures to My Students***, lecture seven.

تمهيد

قال الفيزيائي **(ستفن هاوكنج)**، إحدى أيقونات الإلحادَ: «**تَذَكَّرْ أن تَنْظُرَ إلى أعلى، إلى النُّجُوم، لَا إلى أسفل، إلى رِجْلَيْكَ. حاول أن تَعْقِلَ ما ترى، وأن تتساءَلَ: ما الذي جعل الكون موجودًا. كُنْ مُحَبًّا لِلْكَشْفِ!**»

Cited in: Sunil Singh, ***Pi of Life: The Hidden Happiness of Mathematics*** (Rowman & Littlefield, 2017), p51.

١. لا يجد العقل حَرَجًا في تَصَوُّر امتناع ألا يوجد الكوْن.. فلماذا إذن وجد الكون رغم أنه ممكن

من الممكنات؟
٢. الكون ليس من نَحْتِ أيدينا؛ فلماذا يبدو مفهوما بصورة غير مفهومة؟
٣. إذا كان الكون مخلوقاً؛ فلماذا لم يكن أَزَليًّا؟ وإذا كان أزليا؛ فلماذا يجد العقل نكارة في التسليم بأَزَلِيَّتِهِ؟

الفصل الأول: لماذا كان الوُجُود وُجُودًا؟

ج. ج. س. سمارت J. J. C. Smart (١٩٢٠-٢٠١٢م): فيلسوف أسترالي معروف. له عناية خاصة بفلسفة الدين وفلسفة العقل ومشكلة الوعي.

«**أَشْعُرُ أنَّ عَقْلِي في كثير من الأحيان يَئِنُّ تحت ثِقَلِ الدّلالةِ العظيمةِ التي يُمَثِّلُهَا هذا السُّؤالُ لي. وجودُ أَيَّ شَيْءٍ بالكليّةِ يبدو لي مَصْدَرًا لِرَهْبَةٍ عَمِيْقَةٍ**». الفيلسوف الأسترالي الملحد **(ج. ج. س. سمارت)**

J. J. C. Smart, "***The Existence of God***," in ***Church Quarterly Review*** 156 (1955): 194.

سؤال: لماذا يُوجَد الوُجُود؟ أو بالصِّياغة الأَثِيرةِ لَدَى الفلاسفةِ مُنذ القَدِيمِ: لماذا يُوجَد شيء بدلاً مِن لا شيء؟

Why there is something rather than nothing?

«**فالمُتَيَقَّنُ أنَّ الوضعَ الأكثرَ طبيعيّةً هو ببساطةٍ العَدَمُ**»؟!

Richard Swinburne, ***Is There a God***, p48.

يقول الفيلسوف البريطاني **(كيث وارد)**: «**لقد بدا لِغالبيّةِ أولئك الذين فَكَّرُوا بعمقٍ وكَتَبُوا عن أصلِ الكون وطبيعتهِ أنَّه يُشير إلى مَصْدَرٍ وراءَه، وهو مصدرٌ غيرُ فيزيائيٍّ وصاحب ذكاءٍ وقُوّةٍ عظيمين. تقريباً كلّ كبار الفلاسفة الكلاسيكيين -بالتأكيد أفلاطون، وأرسطو، وديكارت، ولايبنتس، وسبينوزا، وكانط، وهيغل، ولوك، وبيركلي- رَأَوْا أنَّ أصل الكون كامن في القول: إنَّ الكون لا يُفَسَّرُ نفسَهُ، وإنَّه يحتاج إلى تفسيرٍ من خارِجِهِ**»

Keith Ward, ***God, Chance and Necessity*** (Oxford: One World Publications, 1996), p1.

الظَّريفُ هُنا هو أنَّه رغم أنَّ هذا البُرهان -المُسمَّى «**بُرهان الإمكان**»- كان أبرز البراهين على وُجُود الله في الجَدَلِ الفلسفي مُنذ **(أرسطو)** إلى حُدُود القرن التَّاسع عشر، إلَّا أنَّه -كما يقول الفيلسوف التّوماويُّ السَّاخرُ **(إدوارد فزر)**- قد استعصى فَهْمُهُ على جميع أعلامِ الإلحاد الجديد.

Edward Feser, ***So you think you understand the cosmological argument***?

http://edwardfeser.blogspot.com/2011/07/so-you-think-you-understand.html

برتلمي سنت هيلار Barthelemy-Saint-Hilaire (١٨٠٥-١٨٩٥): فيلسوف فرنسي، ترجم عددا من كتب أرسطو إلى الفرنسية، وله دراسات في الأديان الشرقية، كما ألف كتابه: «محمد والقرآن».

«هذا اللُّغْزُ العظيم الذي يستَحِثُّ عُقُولَنا: مَا العَالَمُ؟ مَا الإنسان؟ مِن أين جَاءَا؟ مَنْ صَنَعَهُمَا؟ مَن يُدَبِّرُهُما؟ ما هَدَفُهما؟ كيف بَدَءَا؟ كيف ينتهِيان؟ ما الحياةُ؟ ما الموتُ؟ ما القانون الذي يجب أن يقودَ عُقُولَنا في أثناء عُبُورنا في هذه الدُّنيا؟ أيُّ مُستقبلٍ ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يُوجَدُ شيءٌ بعد هذه الحياة العابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخُلُود؟ هذه الأسئلة لا تُوجَد أُمّةٌ ولا شَعْبٌ ولا مُجتمعٌ إلَّا وَضَعَ لها حُلولاً جيّدةً أو رديئةً، مقبولةً أو سخيفةً، ثابتةً أو متحوّلةً».
(برتلمي سنت هيلار)

نقله: محمد مصطفى الزحيلي، ***وظيفة الدين في الحياة*** (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٤١٩ هـ. ١٩٩٩م)، ص٣٥.

يقول القرآن «**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ**»: [فاطر: ١٥، ١٦]

فالفَقْرُ صِفَة جوهريّةٌ في الإنسانَ وجميع أجزاءِ العالمِ، والفقير لا يملِكُ صِفَةً تُلزم العقل أن يقول بضرورة وجوده، فهو فقير محتاج في وجوده إلى من يُخْرِجُهُ من وَهْمِ العَدَمِ إلى حقيقةِ الوجودِ. وتلك هي حقيقة برهانِ الإمكانِ.

عامَّة صِياغاتِ بُرهانِ الإمكانِ تقوم على أنَّ وُجُود أيّ شيءٍ مادِّيّ يقتضي وُجُود سَبَب لِوُجُوده ولِوُجودِ كلّ موجود مادِّيّ، مِن خارج الوُجُود المَادِّيّ؛ إذ الوُجُود المَادِّيّ لا يحمل -ضرورةً- تفسيره من داخِلِهِ.

المبحث الأول: سؤال من أعماقِ البَدَاهَةِ

جِئْتُ لا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ ... وَلَكِنِّي أَتَيْتُ
وَلَقَدْ أَبصَرْتُ قُدّامِي طَرِيْقاً ... فَمَشَيْتُ
وَسَأَبْقَى مَاشِياً إِنْ شِئْتُ هَذا ... أَمْ أَبَيْتُ
كَيفَ جِئْتُ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيْقِي ... لَسْتُ أَدْرِي

فإنَّ إمكان وُجُود الشيءِ وعَدَمِهِ، وإمكان قيامِهِ على حالات كثيرة لا مَزِيَّةَ ضروريةً لإحداها على

الحالات الأخرى تجعل السؤال عن الـ «لِمَ» ضرورةً عقليةً. فبإمكاننا تَصَوُّرُ كونٍ آخرَ دون بَشَرٍ، ودون حَيَوانٍ، ودون أرضٍ، ودون مجموعةٍ شمسيّةٍ، وبإمكاننا تصوُّرُ كونٍ آخرَ دون جزيئاتٍ صُغرى كَذَرَّاتِنا والكواركات، ودون تجمُّعاتٍ كبرى كالمجرَّات...

بعبارة الفيلسوف الألماني الشهير **(لايبنتس)**: «**لماذا هنالك شيءٌ بَدَلًا من لا شيء؟**».

المبحث الثاني: لماذا وُجِد ما أَمْكَنَهُ أَلَّا يُوجَدَ؟

يُعتبر دفاعُ **(ابن سينا)** في «**الشّفاء**» و «**النّجاة**» و «**الإشارات والتّنبيهات**» عن بُرهان الإمكانِ أساسِ ذُيُوعِه في القُرُون الوسطى، وإن كان قد أَخَذَهُ من «**الفارابي**» الذي سَبَقَهُ إلى جوهر نَظْرَتِهِ الوُجُودِيَّة؛ إذ هُما ينطلقان من مفهوم الوُجُود لرؤية واجب.

عادل محمود بدر، ***برهان الإمكان والوُجُوب بين ابن سينا وصدر الدين الشيرازي*** (اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٦)، ص٣٣.

قال **(ابن سينا)**: «**إنّ واجبَ الوجودِ هو الموجودُ الذي متى فُرِض غير موجود عَرَض منه مُحال، وإنّ الممكن الوجود هو الذي متى فُرِض غير موجود أو موجودًا لم يَعرض مِنه محالٌ. فالواجب الوجودِ هو الضروريُّ، والممكِنُ الوجودِ هو الذي لا ضرورةَ فيه بوجهٍ؛ أي: لا في وجودِهِ ولا في عَدَمِهِ. وهذا هو الذي نَعْنِيهِ في هذا الموضع بممكنِ الوجود**»

ابن سينا، ***المبدأ والمعاد***، تحقيق: عبد الله نوراني (طهران، مؤسسة مطالعات الإسلام، ١٩٨٤)، ص٢.

تقوم الصيغة السّيناويّةُ لبرهان الإمكان على أن الموجودات لا تخرج عن **ثلاثة**:

١. **وُجُودٌ ممكِنٌ**، وهو ما إذا عُدَّ ذاته؛ لم يجب وجوده؛ فلا يجد العقل حَرَجًا في أن يخلوَ منه الوجود؛ إذ يحملُ في ذاتهِ صبغة العِدَميّةِ بما يجعله محتاجًا إلى ما يُرجِّحُ فيه جانب الوجود. وهذا هو الممكن.
٢. **وُجُود واجب**؛ وهو ما إذا عد ذاته؛ وَجَبَ وُجودُه؛ فالعقل يمنع ألا يوجد لِتَرَتُّبِ المُحَالات على عَدَمِ وجوده، وهذا واجب الوجود.
٣. **وُجُود مُمْتَنِعٌ**؛ وهو ما إذا عُدَّ ذاته، وَجَبَ عَدَمُ وجوده؛ لترتب المحالات على وجوده؛ وهذا هو المستحيل.

لا يُمكنُ لِسِلسلةِ المُمكنات أن تكون لا نهائيّةً؛ إذ المُمكن يحتاج ضرورةً إلى تفسير مستغْنٍ عن التَّفسير من خارِجِه... وتكمن قُوّةُ هذا البرهان في أنّه مُستغن عن النَّظر في تفاصيل الكون وثقافة العصر وتطوُّر المعارف العلمية.

المبحثُ الثّالثُ: الوُجُودُ والحاجةُ إلى تفسيرٍ: لِمَ يُوجَد شيءٌ بدلًا من لا شيءٍ؟

وما قولهم بنشأةِ الكونِ بلا سَبَبٍ إلَّا هُرُوب مُؤَقَّتٌ من التَّفسير السَّبَبِيَّ حتى يتَمَّ الكشفُ عن سبب طبيعي لظُهُور الكون.

وأصل طلب تفسيرٍ لكل شيءٍ، ما سمّاه **(لايبنتس)** «**مبدأ العِلَّة الكافيةِ principle of sufficient reason**».

ويجد مبدأ «**العِلَّة الكافية**» أصله في العبارة اللاتينية «**لا يكون شيء بلا سَبَبٍ nihil est sine ratione**».

سمَّاه **(لايبنتس)** في كتاباته الأولى: «**السَّبب المُحدِّد determining reason**»؛ لأنَّه يُحدِّد الأمر المُحتمل الذي سيدخل حيِّز الوُجُود.

ولمبدأ العِلَّةِ الكافيةِ أكثرُ من صيغةٍ، وهو في الصّيغة التي نَرْتَضِيها:

كُلُّ موجود له تفسير لوُجُوده، سواء بسبب طبيعته الخاصَّة أو بأَثَرِ سَبَبٍ خارجِيَّ.

William Lane Craig, ***On Guard: Defending your Faith with Reason and Precision*** (CO: David c Cook, 2010) ,p56.

ولا يطرحُ أحد ما يُستشكل به على صدقه إلَّا ما يكون من الملاحدة في أمر وُجُود الله... حالُهُ حال البَدَهِيَّاتِ الأخرى التي تُمّثُل قواعد التفكير الأولى.

وقد لخَّصَ **(إدوارد فزر)** وَرْطةَ الملاحدةِ بدفْع المشكلةِ إلى أقصاها في قوله: «**الشَّكُّ في مبدأ العِلّة الكافيةِ أو إنكارُهُ يُلْغِي كُلَّ أَرْضِيّةٍ بإمكاننا أن نُقِيمَ عليها شَكَّنَا في مبدأ العِلّة الكافية أو رَفْضَهُ، ولذلك فَرَدُّ مبدأ العِلّة الكافيةِ يعود على نفسِه بالنَّقْضِ. وحتّى النَّقْدُ المُوجَّهُ إلى مبدأ العِلّة الكافيةِ لاعتناقِ الشُّكوكيّةِ الحِسِّيَّةِ perceptual skepticism وإعادة التَّشكيكِ في المعرفة الأوّليةِ، لَنْ يَجِدَ مَفَرًّا هُناك. إنَّ رَفْضَ مبدأ العِلّة الكافية يُقَوِّضُ كلَّ إمكانيّةٍ لأيِّ بَحْثٍ عَقْلِيٍّ.**»

Edward Feser, ***Five Proofs of the Existence of God*** (San Francisco Ignatius Press, 2017), p150.

تَكْمُنُ قوّةُ هذه الصِّيغة البرهانية في أن نَفْيَ الحاجة إلى علةٍ كافيةٍ لوُجُود كلّ موجودٍ يَلْزَمُ منه أن يكون وُجُود الأشياء بلا تفسير، وإذا كان وُجُود شيءٍ واحد قد يستغني عن التَّفسير؛ لَزَمَ أن يستغنيَ وُجُود كلّ شيءٍ عن التَّفسير لِغِيابِ الوُجُوب الميتافيزيقيّ لذلك؛ وعندها يصبح العقل بلا معنى؛ لأنَّ عَمَلَ العقل قائم على فهم العالم بتفسير عِلَّة وُجُود الذَّواتِ وأَعْراضِها.

آرثر ليونارد شاولو Arthur Leonard Schawlow (١٩٢١-١٩٩٩م): فيزيائي أمريكي.

«يبدو لي أنَّه عندما يُواجِهُ المرءُ أعاجيبَ الحياةِ والكونِ، يجب أن يسأل: «لماذا؟» لا فقط «كيف؟». الإجابات المُمكنة الوحيدة هي الدّينيّةُ... إنّي أجِدُ الحاجةُ إلى اللهِ في الكون وفي حياتي». (**آرثر ليونارد شاولو**) الحائز على نوبل في الفيزياء١٩٨١م.

Cited in: Henry Margenau and Roy Abraham Vargesse, eds. ***Cosmos, Bios, Theos*** (IL: Open Court Publishing, 1992), p106.

المبحث الرابع: ملاحدة ينتصرون لبُرهان الإمكان

من أهم العائدين إلى الإيمان بخالق بعد إلحاد الفيلسوف (**إدوارد فَزِر**) الذي يمثّل اليوم أحد الكُتّاب البارزين في الردّ على الملاحدة عامَّة، وتيار الإلحاد الجديد خاصة.

ولما عاد لاحقًا إلى تدريس أدلّة وجود الله الخمس لل (**أكويني**)، ونظر فيما درّسه سابقًا لطلبته؛ اكتشف حجم سوء فهمه لمادة المقرر، بما أحرجه أمام نفسه.

ويضيف في أمر تحوّله عن الإلحاد إلى الإيمان: «**كُلَّما درّست أدِلَّة وُجُود الله وفكّرتُ فيها، وعلى وجه الخُصُوص البرهان الكوسمولوجي [برهان الإمكان]، أتحوّل من القول: "هذه الحُجَج ليست جيِّدة"، إلى التَّفكير في أنَّ: "هذه الحُجَج هي أفضل قليلًا مما يُظنّ فيها"، إلى أنَّه: "في الواقع، كانت هذه الحُجَج مُثيرة للاهتمام". في نهاية المطاف انتهيت إلى القول: "يا إلهي، هذه الحُجَج صحيحة رغم ما يقال فيها!"**»

Edward Feser, ***The road from Atheism***.

http://edwardfeser.blogspot.ca/2012/07/road-from-atheism.html

دافع (**فزر**) بعد ذلك عن برهان الإمكان بتفصيل أمام تشكيكات فلاسفة الإلحاد في القديم والحديث في كتابيه المعروفين:

The Last Superstition: A Refutation of The New Atheism.

Five Proofs of the Existence of God.

وفي كتابه عن (**الأكويني**)، وكتابه الآخر عن الميتافيزيقا المدرسية

Scholastic Metaphysics: A Contemporary Introduction.

المبحث الخامس: نقودٌ وردودٌ

المطلب الأول: فماذا لو كان سبب الممكنِ ممكنًا آخر؟

سَبْقُ الكون المُمكن بأكوان مُمكنةٍ أخرى كانت سببًا على التَّوالي في وُجُوده لا يُمكن أن يمتدّ إلى

ما لا نهاية.

المطلب الثاني: إمكان البعض لا يلزم منه إمكان الكُلَّ

مغالطة التَّركيب تقول: إنه لا يلزم أن يكون الكل مُتَّصِفًا بصفات آحاد الأجزاء.

بالنظر في أمر الكون نرى أن اجتماعه ممكن من الممكنات، مهما كَثُرَتْ أَجْزأؤُه، ولا يمكن أن يتغير حاله إلى واجب الوجود لأن واجِبِيَّةَ الوجود صفة ذاتية في الشيء لا تُكْتَسَبُ بِتَضَخُّمِ حَجْمِهِ.

العالم ليس أكبر من مجموع أشيائه، ولا يمكن أن يكون تفسيره من داخله بأن يكون أحد أجزائه أو بعض أجزائه مُفَسَّرًا لِكُلِّهِ.

لا نوافق على ما ذهبت إليه طائفة من الفلاسفة من إمكان اجتماع الإمكان والأزلية؛ فذاك من نقائض الكلام؛ فإن الإمكان يلزم منه الحدوث.

المطلب الثالث: ما هو سَبَب وُجُود الله؟

مبدأ العِلَّة الكافية لا يقول: إنَّ كلّ شيءٍ له عِلَّةٌ تَسْبِقُهُ، وإنَّما يقول: إنَّ كلّ موجود له تفسير لوُجُوده، إمَّا مِن ذاته أو من خارجه. ووُجُود الله -سبحانه- تفسيره من داخله؛ إذ إنَّ هذا الوُجُود ضرورة عقلية في ذاتها لتفسير وُجُود بقِيَّة الموجودات؛ فكلّ شيء مُمكن الوُجُود يحتاج -في نهاية السلسلة- إلى وُجُود مُسْتَغْنٍ عن عِلَّةٍ تَسْبِقُه.

المطلب الرابع: واجب الوُجُود ليس هو إلهُ المُؤَلَّهةِ

الجواب الذي لا يجيب عن كل شيءٍ لا يُرَدُّ بدعوى أنه لم يُجِبْ عن شيء؛ فقصور البرهان عن الدلالة على كل شيءٍ، لا يلزم منه ألا يدل على أي شيءٍ؛ فقد يَدُلُّ على بعض شيءً!

برهان الإمكان دالٌّ على عَدَدٍ من صفات الذَّاتِ العَلِيَّةِ، بالإضافة إلى وُجُود هذه الذَّات، وهي كُلُّها ثابتةٌ لله -سبحانه -، ومنها:

- هي ذاتٌ واحدةٌ وليست ذواتٍ مُتعدّدةً.
- هي ذات غيرُ مادِّيَّةٍ.
- هي ذاتٌ بالغةُ القُدْرةِ والحِكْمة.

الإلحادُ فقيرٌ تفسيريًّا، وأحيانًا كثيرةً يختارُ رَفْضَ التّفسيرِ لأنّه يَؤُوْلُ ضرورةً إلى إثباتِ وُجُودِ اللهِ.

مراجع للتَّوَسُّعِ

Edward Feser, ***Five Proofs of the Existence of God***, San Francisco Ignatius Press, 2017.

الفصل الثاني: بُرهان المعنى

ملاحظة (التاعب): موضوع جديد يجب الاهتمام به.

فكتور فرنكل Viktor Frankl (١٩٠٥-١٩٩٧م): عالم نفس نمساوي شهير. أسس مدرسة «Logotherapy» التي تقوم على معالجة كثير من الأمراض النفسية بإحياء حس المعنى في الإنسان.

«**ليستِ الحياةُ بالأساس بَحْثًا عن الُمْتَعِة -كما هو ظَنُّ فرويد-، ولا هي بحثٌ عن القُوّةِ -كما هو تعليمُ ألفرد أدلر-، وإنّما هي بحثٌ عن معنًى**». عالم النَّفْسِ (**فكتور فرنكل**)

البحثُ في وُجُود الله في جوهَره بحثٌ عن معنًى لهذا الوُجُود.

١. إذا كان الله موجودًا؛ فإنه من المعقول أن يُظْهِرِ الكون دلالةٍ على معانٍ تعكِسُ حكمة الخالق، وغائيَّةَ الوجود...
٢. إذا لم يكن الله موجودًا؛ فلا معنى لشيءٍ في الوجود؛ ماديًّا كان أم غير ذلك؛ لأن الكون ليس إلا مادّةً وطاقة في حركةٍ أزلية عشوائيةٍ عابثةٍ.. ولا يُجْتَنَى من العَبَثِ معنى.

الفلسفة في تعريفها الأوسع «**مُحاولةَ التّفكير العقليِّ والنّقديَّ حول أهم أسئلة الحياة لتحصيل المعرفة والحكمة منها**»

J. P. Moreland and William Lane Craig, ***Philosophical foundations***, p13.

بُرهان المعنى مُتعلّق بانتظام الوُجُود في أنساقٍ تَراتُبِيَّةٍ مفهومة على صُورة لا تُوافق نُبُوءَاتِنا عن الكون العشوائي.

قول الفيزيائي الشهير (**جون بولكنجهورن**): «**إنّنا في أُلْفةٍ شديدةٍ مع حقيقةِ أنّه بإمكاننا فَهْمُ العَالَمِ، حتّى إنَّنا غالبًا ما نعتبر هذه الحال من بَدَهيّاتِ الأُمور. إنّ [فَهْمَنَا للعالَمِ] في الحقيقةِ هو الذي يجعل قِيْامَ العِلْمِ الطّبيعيِّ أمرًا مُمكِنًا؛ إذ كان بالإمكانِ أن يكون الأمرُ على خِلافِ ذلك؛ فإنّه من المُمكن أن يكون الكونُ فوضى عشوائيّةً بَدَلَ أن يكون كونًا مُنَظَّمًا، كما أنّه بالإمكان أن تكون عقلانِيَّتُه غير مُدْرَكَةٍ بالنِّسبة لَنَا... [في الحقيقة] هُناك توافقٌ بين عُقُولنا والكونِ، وبين معقوليّاتنا الدَّاخليّة، ومعقوليّةِ الوُجُودِ المُدْرَكِ خارجَنا.**»

John {. Polkinghome, ***Science and Creation: The search for understanding*** (Templeton Foundation Press, 2006.), p29.

من الممكن أن يصاغ برهانُنا على الصّورة التالية:

١. الانتظامُ على صورةٍ مفهومةٍ ومُعْجِبة لا يُمكن أن يُعزى إلى العشوائيّةِ.

٢. الوُجُودُ الماديُّ مُنتظَمٌ على صُورةٍ مفهومةٍ ومُعجِبةٍ.
٣. نظامُ الوُجُود المَادِّيّ لا يعود إلى العشوائيّةِ.
٤. أصل النّظامِ في الوُجُود المَادِّيَّ يعود إلى الحكمةِ القصديّةِ القديرةِ.
٥. الله هو الذي أَبْدَعَ نِظامَ الكَوْنِ.

المبحث الأول: عَدَمِيَّةُ الإلحاد

(ريتشارد داوكينز) بقوله: «**الكونُ الذي نُبْصِرُهُ، له بكُلِّ دِقَّة الخصائص التي ينبغي لَنَا أن نَتَوَقَّعَها إذا كان في جوهَرِه بلا تصميمٍ، ولا غايةٍ، ولا شَرّ، لا شيء غير عَدَمِ اكتراثٍ قاسٍ**»

Dawkins., ***River out of Eden***, p133.

سوزن بلاكمور Susan Blackmore (١٩٥١): عالمةُ بارا سيكولوجيا بريطانية، غزيرة التأليف. شُكوكية.

عالمة النَّفْس المُلحدة **(سوزن بلاكمور)**: «**في نهاية الأمر، لا قيمة لشيءٍ... إذا كنت تؤمنُ حقًّا بمذهب التَّطوّرِ وتفسيره لسبب وُجُودِنا هُنا؛ فعليك أن تَخْلُصَ إلى نتيجةِ أَنَّنا هُنا دون أدنى سببٍ على الإطلاق**»

S. Blackmore, ***The world according to... Dr Susan Blackmore***, The Independent (UK), 21 January 2004.

https://www.susanblackmore.uk/journalism/the-world-according-to-dr-susan-blackmore/

مارتن هايدغر Martin Heidegger (١٨٨٩-١٩٧٦م): فيلسوف وجودي ملحد ألماني. من أعلام فلاسفة القرن العشرين. أثرت أفكاره في كثير من الفلاسفة البارزين في القرن الماضي مثل (دريدا) و(فوكو).

يقول **(هايدغر)**: «**إذا كان الإله -كأساسٍ مُتعالٍ وهدفٍ لكلّ الحقائق- قد مات، إذا كان العالم المُتعالي للأفكار يُعاني فقدانَ وُجُوبهِ وفوق ذلك قوّته الحيويّة والخلقيّة؛ فلم يَبْقَ شيء -إذن- للإنسان لِيَتَعَلَّقَ به ولِيتَّخذه مُوَجَّهًا**»

Martin Heidegger, ***Nietzsche, in Nietzsche: The world as will to power***, eds Daniel w. Conway, Peter s. Groff (London, Routledge 1998), p96.

انتهى الفيلسوف **(ر. س. سبرول)** بعد عرضه اعتراضاتِه على عَدَمِيَّةِ **(نيتشه)** وتناقضاتها الذاتيّة الظاهرةِ في رَفْضِها لمفهومِ العقلِ والدّليل إليه، إلى القول: «**من غير الإيمان بإلهٍ، تبدو**

العَدَمِيَّةُ -رغم عَدَمِ معقوليَّتِها- أكثر منطقية من الأَنْسَنَةِ المُهَجَّنَةِ (hybrid humanism) أو أي موقف بَيْنِيٍّ آخر».

R. C. Sproul, ***The Consequences of Ideas: Understanding the Concepts that Shaped Our World***, p172.

ويليام بروفين William Provine (١٩٤٢-٢٠١٥م): مؤرخ عُلُوم أمريكي.

«**يبدأ الأمر بالتَّخلّي عن الإيمان بالإلهِ الفاعلِ في الوُجُود، ثمَّ يتمُّ التَّخَلّي عن الأملِ في حياةٍ بعد الموت. عندما تَتَخَلَّى عن الأمرين السَّابقين، تأتي الأُمُور التَّالية في التّتابع بصورةٍ سَلِسَةٍ. تتخلّى عن الإيمان بالأخلاق الكامنة في الوُجُود. وأخيرًا تصل إلى أنْ ليس للإنسانِ إرادةٌ حُرّةٌ. إذا كنت تؤمن بمذهب التَّطوُّر، فليس لك أملٌ أن تُوجَد أيّ إرادةٍ حُرّة. لا أَمَلَ البَتَّةَ أن يُوجَدَ أيُّ معنى عميق في الحياةِ. نحن نحيا، ونموتُ، وسننتهي بصورةٍ كليّةٍ عندما نموتُ**» البيولوجيُّ الملحد (**ويليام بروفين**).

Cited in: Wayne D. Rossiter, ***Shadow of Oz: Theistic Evolution and the Absent God*** (Eugene, Oregon: Pick- wick Publicatios,2015), p3.

المبحث الثاني: الكون الناطق بالمعنى

يقول (**سي. إس. لويس**): «**لا يُمكن لأيِّ أمرٍ في الكون أن يكون صحيحًا إلاَّ إذا سَمَحَ ذلك الأمر لتفكيرنا أن يكون صوابًا. النَّظريّةُ التي تُفَسِّرُ كلّ شيء في كلِّ الكونِ إلَّا أنّها تمنع تصديقَ صواب تفكيرِنا، لا بُدَّ أن تُرفضَ بوُضُوح؛ إذ إنّه قد تمَّ الوُصُولُ إلى تلك النَّظريّة بالتَّفكير، وإذا كان التَّفكيرُ في ذاته غير مجد؛ فستدمّر النَّظريّةُ نفسَها بداهةً.**»

C. S. Lewis, ***Miracles***, p21.

المطلب الأول: دليلُ المفهوميّةِ

يبدأ العِلْم بالإيمان أنَّ الكون مفهوم، وأنَّ العَقْل مُتناغم في عَمَلِه مع عَمَل الكون؛ ولذلك هو قادر على استيعابِ شَكْلِه وحَرَكَتِه.

(**أينشتاين**) قوله: «**أَعظمُ شيء غير مفهوم فيما يتعلق بالكون؛ هو أنه مفهومٌ**»

وهي -عندي- كلمة من أَعْمَقِ ما قيل في التاريخ البشري.

وقد استثارت العبارة بعض معارف (**أينشتاين**) لإنكارها عليه؛ ولذلك اضطر أن يكتب إلى أَحدِهم قائلا: «**لقد تَعَجَّبْتَ أَنَّني أَعُدُّ مفهوميّةَ الكونِ (إلى الحدّ الذي يسمح لنا أن نتحدَّثَ عن هذه المفهوميّةِ) مُعْجِزةً أو لُغْزًا أَبَدِيًّا. حَسَنًا على الإنسان أن يَتَوَقَّع مبدئيًّا عالَمًا من الفوضى لا**

سبيل له لِفَهْمِهِ بعقلِه بأيّ حال... إنّها «المُعجزة» التي تترسَّخُ باستمرارٍ كلّما توسَّعَتْ معرفتُنا. وهنا يكمن ضعفُ فلاسفةِ الوضعيّة والمُدافِعين عن الإلحادِ.»

Albert Einstein, ***Letters to Solovme***, (New York: Philosophical library, 1987) p131.

وقد رَجَّتْ حقيقةُ أن الكون بتركيبه موافق للعقل وتفكيره، والفهم ونظامه، عقل (**أرسطو**) حتى قال: «**إنَّ البحث في الطَّبيعة كاشف أنَّ العالم محتوم أن يكون معلومًا، وأنَّ الإنسان محتوم أن يعلم؛ فقد صنعا بعضهما لبعض.**»

J. Lear, ***Aristotle: The Desire to Understand*** (Cambridge: Cambridge University Press, 1988), p230.

الأمرَ كما يقول (**جون بولكنجورن**): «**وُجُودُ الخالِقِ مُفَسِّرٌ لِمَ العالَم مفهوم بصورة بالغةٍ، ولا أستطيع رؤية أيّ تفسير آخر فاعلٍ ولو بصورةٍ أدنى**»

Polkinghome, ***Quarks, Chaos & Christianity*** (New York: Crossroad Pub., 2005), p23.

فالعِلْم مَدِينٌ لمفهوميّة الكون؛ ولولا قبول الكون لِلفَهْمِ لامْتَنَعَ على العقل أن يفهم وعلى العلم أن ينشأ.

«**تبدو لي الرُّؤيةُ الإلحادية القائلةُ: إنَّ الكونَ وُجِدَ صُدْفةً دون غايةٍ لكنْ مع بِنْيةٍ منطقيّةٍ رائعةٍ، رؤيةً غَبِيَّةً**». الفلكي الكبير (**فريد هويل**).

Fred Hoyle, ***Home is Where the Wind Blows: Chapters from a Cosmologist's Life*** (Oxford: Oxford University Press, 1997), p421.

المطلب الثاني: دليلُ النِّظامِ

بإجماع المؤمنين والملاحدة مُنَظَّمٌ، يسير في سِكَكِ القوانين؛ بما يجعل مادة الكون تبدو على شكل خطوط متآلِفةِ الأفراد وحركات يَغْلُبُ عليها التّناسقُ.

والقانون الطبيعي -كما يعرفه كثير من العلماء اليوم- هو: «**القاعدةُ التي تستنِدُ على انتظامٍ مرصودٍ، وتُوفِّر نُبُوءاتٍ تتجاوز الوضعيّاتِ الحالية التي قامت عليها**».

والملاحظ في عالَمِ الطّبيعِة أربعةُ أمورٍ:

١. الكونُ مُكوّنٌ من جُسيماتٍ كثيرةٍ عَدَدًا بصورةً مَهُولةٍ.

٢. الكونُ خاضعٌ لقوانينَ تَحْكُمُ حركَتَهُ وتفاعُلَ أجزائِه مع محيطها.
٣. خُضُوعُ المجرّات المُتباعدةِ للقوانين نفسِها.
٤. خُضُوعُ الكونِ للقوانين ذاتها قديمًا وحديثًا (= خضوعُ كلّ مجموعةٍ إلى قوانينَ متجانَسةٍ).

وهي حقائق تُشَكِّلُ معضلةً كُبرى في التصور الإلحادي العشوائي.

قال تعالى: «**ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ**» [الرحمن: ٥].

قال (**ابن كثير**): «**أيْ: يَجْرِيَانِ بحسابٍ مُقَنَّنٍ مُقَدَّرٍ لا يتغيّر ولا يضطرب**»

ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، جـ ٨، صـ ٤٨٩.

وقد صاغ اللاهوتي الأسكتلندي (**جون تلّك**) برهان النظام في استدلاله على وجود الله بقوله:

١. النّظامُ الكوني يُثْبِتُ وُجُود عقلٍ.
٢. مظاهرُ الطَّبيعة تُثْبِتُ وُجُود نظام.
٣. مظاهرُ الطَّبيعة تُثْبِتُ وُجُودَ عَقْلٍ.

William Leslie Davidson, ***Theism as Grounded in Human Nature*** (London: Longmans, Green, 1893), p416.

والمقصود بـ «**العقل**» هُنا، الحكمة الصَّادرة عن غير المادَّة، والمُتَعالِية على الكون.. وذاك منه تعبير عن الحاجة إلى الوُجُود الإلهي.

إنَّ وُجُود هذا الانضباط في كون عَبَثِيَّ الحركة يَبْعُدُ تَصْديقُه لأنَّه يزعم أنَّ النِّظام يُولَدُ من رحم العَبَثِ دون سلطان حكيم يَتَسَلَّطُ على العَبَثِ لِيُخْضِعَهُ إلى حاقَّ النظام.

قال الفيزيائي (**بول ديفيس**): «**نظامُ الكونِ يبدو أمرًا بديهيًّا. حيثما نَظَرْنا، من المجرّات البعيدةِ إلى أعمقِ فراغاتِ الذَّرَّةِ، نواجِهُ الانتظام والتَّنظيمَ المعقّد. نحن لا نرى المادّة أو الطّاقة موزَّعةً بطريقة عشوائيّةٍ، إنّها على خلافِ ذلك مرتّبةٌ بصورة هَرَميَّةٍ: ذرّاتٍ وجزيئات، وبلُّورات، وكائناتٍ حيّة، وأنظمةٍ كوكبيّةٍ، ومجموعات نَجْميّةٍ، وهكذا. أَضِفْ إلى ذلك أنّ سُلوكَ الأنظمةِ الماديّةِ ليس عشوائيًّا، وإنّما هو قانونيٌّ ومنهجيٌّ.**»

Paul Davies, ***God and the New Physics*** (Penguin Books Ltd., 1990), p145.

آلن ساندیغ Allan Sandage (١٩٢٦-٢٠١٠م): فلكي أمريكي. نشر مئات المقالات العلمية، وأثر بصورة بالغة في تطور علم الفلك في عصره. أول من حدد بدقة عمر الكون.

(**آلن ساندیغ**) أحد أكبر عُلماء الفَلَك في القرن العشرين، وقد تحوَّلَ في آخرِ حياتهِ إلى الإيمان بالله؛

إذ قال: «**إنّي أَجِدُ أنَّه من غير المُحتمل بصورةٍ عظيمة أن يكون هذا النِّظام قد جاء من فوضى. لا بُدَّ أن يكون هُناك مبدأٌ تنظيميٌّ. الإله بالنِّسبة لي شيءٌ مُلْغِزٌ لكنّه تفسير لمُعجزة الوُجُود**»

Allan Sandage, ***New York Times***, 12 March 1991, pB9.

ولا يُمكن الاقتراب من تفسير أصل النِّظام إلَّا بفهم أنَّ «**النّظامَ**» مُظْهِرٌ لِلحِكْمةِ، والحكمة صِفَة حكيم، والمادَّة صمَّاءُ لا تُفَكِّرُ؛ فوجب أن تكون الحكمة التي أوجَدَتْ نظام الكون غير نابعةٍ من المادَّةِ وإنَّما وافدةٌ من ورائها؛ أي: مُتَعَالية عليها.

جون هوتن John Houghton (١٩٣١_): أحد أعلام العلم في المملكة المتحدة. أستاذ علم فيزياء الغلاف الجوي في جامعة «أوكسفورد». له عناية خاصة بالجدل العلمي والأخلاقي لقضايا المناخ.

العالم الكبير (**جون هوتن**) «**النِّظام اللَّافت للنَّظَر، والاتِّساق، والموثوقيّة، والتَّعقيدِ المُذْهِلِ للوصفِ العِلْمِيّ للكون، انعكاس للنِّظام والاتّساق والموثوقيّة والتّعقيد في الفِعْلِ الإلهيَّ**»

John T. Houghton, ***The Search for God: Can Science Help*** (Vancouver: Regent College Pub., 2007), p59.

النِّظام هو سبب قُدرتنا على فَهْم العالَم، واكتشافِ قوانينِه، وتسخيرِها لخدمة الإنسان، ... غياب القوانين يمنع الثِّقة في مآل الفعل؛ فقد تشرب ويستمر الظَّمأ، وتمتنع عن الأكل فتسمن، وتنزل فترتفع، وتَسْكُتُ فتصرخ ...!

«**بُرهان النِّظام**» حُجَّةٌ مركزيّةٌ في أدِلَّة (**ريتشارد سوينبرن**) على وُجُود الله.

ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne (١٩٣٤_): أحد أبرز الفلاسفة البريطانيين، وأشهر الفلاسفة المؤلهة في بريطانيا. درس في جامعة أوكسفورد. له عناية خاصة بفلسفة الدين وفلسفة العلوم.

قال (**ماكس بلانك**) الذي أَحْدثَ ثورةً في فَهْمِنا لعالم الذَّرَّةِ وما دونه، والحائز على جائزة نوبل في الفيزياء، عن النِّظام الكوني: «**بالإمكان صِياغة هذا النِّظام في شكل عَمَل غائيٍّ. هُناك أدِلَّة على وُجُود ترتيب ذكيّ للكون يَخْضَعُ له كلّ مِن الإنسان والطَّبيعة**»

A. Barth, ***The Creation in the Light of Modern Science*** (Jerusalem Post Press, Jerusalem 1966), p144.

قال تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣]

من المُمكن التَّعبير عن هذه القوانين بصياغاتٍ رياضيةٍ بسيطة من اليسير فَهْمُها، والتَّنَبُّؤ بمُستقبل عَمَل الكون. فانتظام الكون هُنا يظهر بوُضُوح في موافَقَته للمُعادلات الرِّياضية والصِّياغات العِلْمِيَّة المُختصرة.

تشارلز تاونز Charles Townes (١٩١٥-٢٠١٥م): فيزيائي أمريكي. له اهتمام بالإلكترونيات الكمومية. أشرف على مجموعة من المشاريع العلمية الكبرى للحكومة الأمريكية.

ويوضح **(تشارلز تاونز)** حاجة العِلْم إلى الكُفْرِ بالعَبَثِيَّةِ -المُلازِمة ضرورةً للإلحاد- والإيمان القاطع بالنِّظام لإنشاء رؤيةٍ مادِّيَّةٍ معقولة عن الكون تُسمَّى عِلْمًا طبيعيًّا، بقوله: «**الإيمانُ ضروريٌّ للعالِم، حتى في مرحلةِ البدء، والإيمانُ العميقُ ضروريٌّ حتى يُؤَدّي أَشَقَّ ما يعترِضُه من مَهَامَّ. لماذا؟ لأنَّه يجب أن يكون على ثِقةٍ بأنَّ هُناك نظامًا في الكون، وأنَّ العقل البشريَّ -في الواقع، عقله هو- لديه فُرصةٌ جيِّدةٌ لِفَهْمِ هذا النِّظام. ودون هذه الثِّقة، لن تكون هُناك جدوى في بذل جُهدٍ مُكثّفٍ لمُحاولة فَهْمِ عالَمٍ من المُحتمل أن يكون فوضويًّا أو غير مفهومٍ. ومِن شأن هذا العالَمِ أن يعود بنا إلى أَيّامِ الخرافةِ عندما اعتقدَ الإنسانُ وُجُودَ قوى ذاتِ نَزَوَاتٍ تَتَلاَعَبُ بالكَوْنِ. في الواقع، إنّ محض هذا الإيمان بكونٍ مُنظّم ومفهومٍ للإنسان، هو الذي سَمَحَ بالانتقالِ الأساسيّ من عَصْرِ الخُرافةِ إلى عصرِ العِلمِ، وأَتاحَ لِتَقَدُّمِنا العلميِّ أن يكون.**»

Charles Townes, ***The Convergence of Science and Religion***, IBM's Think Magazine, Volume 32, p5 (March-April 1966).

https://inters.org/files/townes-convergence-science-and-religion.pdf

وقد وَضَّح عالم الفيزياء النظرية -اللَّا أَدْرِيِّ- **(بول ديفيس)** ضرورة الإيمان بالنِّظام للصّيرورةِ العِلْمِيَّة واللَّوازم الفلسفية لذلك في مقال له بعنوان «***أخذ العِلْم على مَحْمَل الإيمان***» حتى إنَّه قال: «**إنَّه لا يُمكن أن يكون المرء في عِداد العُلماء حتى يُقِرَّ بَدْءًا بإيمانه أنَّ هذا الكون مُنَظَّمٌ بصورة عقلانية.**»

Paul Davies, ***Taking Science on Faith***

https://www.nytimes.com/2007/11/24/opinion/24davies.html

روبرت مليكان Robert Milan (١٨٦٨-١٩٥٣م): فيزيائي أمريكي. حصل على نوبل عن أبحاثه في قياس شحنة الإلكترون. كان له اهتمام فلسفي ببيان حال التوافق بين العلم والإيمان، والتكامل بينهما.

قال **(روبرت مليكان)** الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء سنة ١٩٢٣م، يقول: «**بدأ العِلْم يُظْهِرُ لَنَا كونًا مُنَظَّمًا وجَمَالًا مُتآلِفًا مع النِّظام، كونًا لا يعرف النَّزَواتِ، كونًا يَتَصَرَّفُ بطريق معروفٍ**

وقابل لِلتَّنَبُّؤ به، كونًا من المُمكن التَّعويل عليه؛ في كلمة، إله يعمل مِن خِلال السُّنن الطَّبيعية»

Robert Millikan, ***Science and Religion*** (New Haven: Yale University Press, 1930), p79.

المطلب الثالث: دليل الرِّياضِيَّات

يوهانس كيبلر Johannes Kepler (١٥٧١-١٦٣٠م): عالم ألماني من أعلام الثورة العلمية في القرن السابع عشر.

الكون قد كَشَفَ نفسَهُ للعالم في صُوَرَ معادلات رياضية؛ ... «**لا بُدَّ أن يكون الهدف الرَّئيس لكُلِّ الأبحاث في العالَم الخارجي اكتشاف النِّظام والتَّناسق العقلانيين اللذين فرضا على العالَم مِن الله، واللذين أُوحِيا إلينا بلُغة الرِّياضيَّات**»

Johannes Kepler, ***De Fundamentis Astrologiae Certioribus***, Thesis XX (1601).

مارك ستاينر Mark Steiner (١٩٤٢_): أستاذ الفلسفة في الجامعة العبرية في فلسطين. متخصص في فلسفة الرياضيات والفيزياء.

فيلسوف الرِّياضيَّات (**مارك ستاينر**) في كتابه: ***الرِّياضياتُ مُشْكِلَةً فلسفيّةً***

Mathematics as a Philosophical Problem (1998).

بيَّن أنَّ الفيزيائيين نجحوا في الكشف عن قوانين عِلْمِيَّة على أساس واحد، وهو أنَّ للكون بِنْيَةٌ رياضية قابلة للفَهْم والكَشْف.

يوجين ويغنر Eugene Wigner (١٩٠٢-١٩٩٥م): عالم رياضيات وفيزياء مجري. له مساهمات بارزة في دراسة الذرة.

يُعتبر حديث الفيزيائي (**يوجين ويغنر**)، الحائز على جائزة نوبل، عمَّا سمَّاه بُعنوان مقاله: «***الفعاليّةُ غيرُ المعقولةِ للرِّياضيَّات***»

The Unreasonable Effectiveness of Mathematics.

صرخةً كُبرى في الأوساط العلميّة الفلسفيّةِ، خاصّةً في دراسات عالم الذَّرَّةِ وتَعَالُقِ الجُسَيماتِ الدَّقيقةِ والتَّنَاظُرِ المدهِشِ بينها، والنُّبوءات الرِّياضيّة الكثيرة التي صَدَّقَها البحثُ العلميُّ. وقد خَتَمَ حديثَهُ في هذا الأمر بقولِه: «**الفَعَالِيّةُ غيرُ المعقولةِ للرّياضيات في العُلُومِ الطَّبيعيّةِ شيءٌ يُتاخِمُ عالَمَ الغُمُوضِ... ولا يُوجَدُ تفسيرٌ عَقْلِيٌّ لذلك... مُعجزةُ مُلاءَمَةِ لُغةِ الرّياضيات لصيغةِ**

قوانين الفيزياء هَدِيَّةٌ عظيمةٌ لا نَفْهَمُهَا ولا نَسْتَحِقُّهَا.»

E. Wigner, ***The Unreasonable Effectiveness of Mathematics in the Natural Sciences***, Communications in Pure and Applied Mathematics, vol. 13, No. I (February 1960).

ليس أمام المُلحد خيار للقول: إنَّ الرِّياضيَّات ذوات قائمة في «**عالَم المُثُل**» الأفلاطوني.

عالَم المُثُل: نظرية أفلاطونية تُقرِّر أنَّ عالمنا الحِسِّيّ ظِلّ لعالَم رُوحي أنقى وأصدق، هو عالَم المُثُل، وفيه تُوجَد الأُصُول الكاملة للأعيان النَّاقصة التي في كوننا.

الرِّياضيَّات بناء نظري مرجعه ذات حكيمة، وأنَّ صياغة الكون على نسق رياضي متين حُجَّة على وُجُود هذه الذَّات.

ريتشارد فاينمان Richard Feynman (١٩١٨-١٩٨٨م): عالم فيزياء نظرية أمريكي بارز. اشتهر بمساهماته العلمية في ميكانيكا الكم.

صرَّح (**ريتشارد فاينمان**) الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء: «**سَبَبُ أنَّ الطَّبيعة ذاتُ صِبْغِة رياضِيَّة أمر مُلْغِزٌ... حقيقة وُجُود قواعد -من الأساس- مُعجزة**»

Richard Feynman, ***The Meaning of It All: Thoughts of a Citizen-Scientist*** (New York: Basic Books, 1998) p43.

وقد قال (**بنروز**) المُلحد: «**إنَّهُ يَشُقُّ عَلَيَّ أن أُصَدِّقَ... أنّ مثل هذه النَّظريات يُمكن أن تنشأ عن بعضِ انتخابٍ طبيعيٍّ عشوائيٍّ من الأفكار، مُبْقِيةً -فقط- الجيّدةَ منها لِتَحْيَا. الجيّدُ من هذه الأفكارِ هو -ببساطة- أَجْوَدُ بكثيرٍ من أن يكونَ من الأفكارِ التي نَجَتْ، والنَّاشِئُ عن طريقٍ عشوائيّةٍ... يجب أن يكون هُناك سببٌ خَفِيٌّ عميقٌ للتَّوافقِ بين الرياضيات والفيزياءِ.**»

Roger Penrose, ***The Emperor's New Mind*** (New York: Oxford University Press), p430.

المطلب الرابع: عِناد قانون الإنتروبيا

ملاحظة (التاعب): نقطة في غاية الأهمية تكلمتُ عنها لكنَّها تحتاج إلى المزيد من تسليط الضوء.

ينُصُّ قانون الإنتروبيا على أنَّ الوُجُود ينتقل ذاتِيًّا من النِّظام إلى الفوضى، ومِن المعنى إلى اللَّا معنى، ولا ينتقل بذاته من اللَّا معنى إلى المعنى. ويُعارض قانون الإنتروبيا بذلك مفهوم وُجُود المعنى أو بقاءه في كون يزعم الملاحدة أنَّه أزليّ.

المبحث الثالث: ملاحدةٌ ينتصرون لبُرهانِ المعنى

واين روستر Wayne Rossiter: حاصل على الدكتوراه في البيئة والتطور البيولوجي. أستاذ مساعد للبيولوجيا في جامعة Waynesburg.

ومن هؤلاء العائدين إلى الإيمان بعد خُصُومة إلحادية حادَّة، البيولوجي **(واين روستر)** صاحب الكتاب القَيِّم الذي صدر مُنذ سنوات قليلة:

Shadow of Oz: Theistic Evolution and the Absent God.

وفجأة شَعَرَ بوَعْكةٍ مُباغتةٍ وقُشَعريرةٍ.. ولأوَّل مرة ينتَبِهُ لمعنى الموت.

«لَمْ أستطع أن أثبت وُجُود أيّ أخلاق موضوعية موجودة بعيداً عن تجاربنا الذَّاتية. ... إذا أدَّت الجُزيئاتُ إلى تَكَوُّنِ الخلايا، والخلايا إلى تكوّن الأعضاءِ، والأعضاء إلى تَكَوُّنِ الأجسادِ، فعندها تكون فرضيَّةُ «جزيئاتٍ إلى رَجُلٍ» صحيحةً. إنّنا حقًّا - بذلك - مَحْضُ أجهزةٍ رطبةٍ تستجيبُ للمؤثّرات الخارجيّةِ بطرائقَ ميكانيكيّةٍ وغير واعيةٍ. لا روحَ، ولا وَعْيَ، فقط آلات. لقد دمَّرني هذا الخاطِرُ بصورة كليّةٍ وتامّةٍ.»

Wayne D. Rossiter, ***Shadow of Oz: Theistic Evolution and the Absent God***, pp 4, 5.

كريج بويد Greg Boyd (١٩٥٧_): لاهوتي أمريكي، ومن أهم الشخصيات الدينية المؤثرة في الساحة الأمريكية.

وعاد أيضاً إلى الإيمان بالرَّبّ من بوَّابة «المعنى»، اللاهوتي **(كريج بويد)**؛ فقد كان أيّام دراسته في الجامعة مُلحداً شديداً في عدمِيَّته، وكان كثير القراءة لـ **(نيتشه)** و **(سارتر)**.

قرأ **(بويد)** ما كتبه (كامو)؛ واكتشف أنَّه يؤمن أنَّ الحياة لا عقلانية، وعبثية، ولا معنى لها، ولا هدف، ومؤلمة؛ وهو ما أدهش **(بويد)** الذي تعجَّب من تفاؤل أستاذه بعد قراءة عبثية الحياة في عيني **(كامو)**.

«إذا كان الكون بلا قيمة ولا معنى؛ فما قيمة أن تكون شُجاعًا، وباسلًا، وبطلًا؟ مِن أين أتت هذه القِيمة؟ ... لماذا علينا أن نُحاول ونفعل أيّ شيء إذا كان كلّ شيء ينتهي إلى العَدَم؟»

لقد هيَّجت عبثية **(كامو)** في **(بويد)** حنينه إلى المعنى.

- كيف أنتج العالم غير العاقل كائنات عاقلة؟
- كيف أنتج العالم الذي لا معنى له كائنات لها معنى؟
- كيف أنتج الكون اللاأخلاقي كائنات أخلاقية؟

- كيف خلق الكون كائنات تحن إلى شيء لا وجود له؟

ويتساءل: «**كيف تُفسِّر ظاهرة البشر الذين ينتحرون لأنَّ الحياة لا معنى لها ولا هَدَف أمامها؟ إذا كان الكون بلا معنى ولا هدف؛ فيجب أن يكون ذلك أكثر الاستنتاجات الطَّبيعية والواضحة في العالم؟ إذا لم يكن الله موجوداً... فلماذا يُعتبر الالتزام بالإلحاد أكثر الأشياء صُعُوبة في العالم؟**»

Dr. Greg Boyd: ***Atheism To Belief.***

https://www.youtube.com/watch?v=BnCn-rxcSN4

https://jamesbishopblog.com/2017/03/15/from-nihilist-to-pastor-how-dr-greg-boyd-lost-faith-in-atheism/

كما نشرت (**جنفر فلولر**) Jennifer Fulwiler -مُنذ سنتين- قِصَّتها مع الإلحاد في كتابها «***شيء آخَرُ غيرُ اللهِ***»

Something Other than God: How I Passionately Sought Happiness and Accidentally Found It.

وفجأة انقلب حالها لما أنجبت وليدها الأول تقول: «**نظرت أسفل مِنِّي، وقلتُ: "ما هذا الرَّضيع؟ طيِّب، من زاوية مادِّيَّة إلحادية بحتة، هو مجموعة من التَّفاعُلات الكيميائية المُتطوِّرة بصُورة عشوائية". وانتبهت إثر ذلك الجواب إلى أنَّه إذا كان الأمر كذلك؛ فكُلّ الحُبّ الذي أشعر به تجاهه ليس إلَّا تفاعلات كيميائية في أدمغتنا. ونظرت أسفل، إليه، وقلت: "ليس الأمر كذلك! ليس الأمر كذلك"**»

Justin Brierley ,***Unbelievable*** (London: SPCK, Society for Promoting Christian Knowledge, 2017), pp 71-72.

- العدمية قرينة الإلحاد، والمعنى نقيضها.
- الكون مفهوم بصورة غير مفهومة عِنْد المادِّيِّين.
- الكون الإلحادي العشوائي لا يأتلف مع مظاهر النِّظام الغامرة في الكون.
- الرِّياضيَّات تشهد لجمال مفهومية الكون.
- وُجُود النِّظام في الكون مُعارض لقانون تزايد الفوضى في عالم المادَّة.

مراجع للتَّوسُّعِ

Richard Swinburne, ***Is There a God***, Oxford: Oxford University Press,

1996.

John Foster, ***The Divine Lawmaker: Lectures on Induction, Laws of Nature, and the Existence of God***, Oxford: Clarendon Press, 2004.

Danny Frederick, "***A Puzzle About Natural Laws and the Existence of God***," International Journalfor Philosophy of Religion (2012).

الفصل الثالث: الخَلْق

«**كثيرٌ مِن النَّاس لا يُحبُّون فِكرة أنَّ للزَّمن بِداية، ولَعَلَّ سبب ذلك اقتضاء الأمر التَّدخُّل الإلهي**» الفيزيائي المُلحد الشهير (**ستفن هاوكنج**)

Stephen Hawking, ***A Brief History of Time*** (New York: Bantam Books, 1996), p49.

الكون: خَلْقٌ مِن العَدَم أم وُجُود مِن الأزل؟

القول: إن الله-سبحانه-لم يَزَلْ وَحَدَهُ، ثم خلق الأشياء كلها من مسائل الإجماع في القرون الإسلامية الأولى بين الفرق الإسلامية الكبرى. وقد صح عن الرسول ﷺ قوله: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**»، رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ**﴾ [الروم: ٢٧]

لكن رواية الباب أصرح في العدم، وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى ويكون قبله «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**»، معناه: أنه خلق الماء سابقا، ثم خلق العرش على الماء» (فتح الباري، ٧/٤٨٧).

كتب (**ابن حزم**) في مؤلفه عن الإجماع تحت عنوان: «**باب من الإجماع في الاعتقادات**»: «**اتَّفَقُوا أن الله عز وجل وحدَهُ لا شريكَ له، خالِقُ كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يَزَلْ وَحْدَهُ ولا شيء غيره معه، ثم خَلَقَ الأشياء كلها كما شاء**» (ابن حزم، ***مراتب الإجماع***، تحقيق: حسن أحمد إسبر، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٦٧).

كما احتج الإمام (**أحمد**)-في خصومته مع القائلين: إن القرآن مخلوق -بِأَثَرِ (**ابن عباس**) رضي الله عنهما: «**إنّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ مِن شيء: القَلَمُ**» وفي ذلك دلالة على وُجُود مخلوق أوَّل ليس قبله خلق.

قال الإمام (**الآجري**) معلقا: «**كأنَّه [الإمام أحمد] يقول: قد كان الكلام قبل خَلْق القَلَم، وإذا كان أوَّل مَا خلق الله مِن شيء القلم؛ دَلَّ على أنَّ كلامه ليس بمخلوق، ولأنَّه قبل خَلْق الأشياء**».

(الآجري، ***الشريعة***، تحقيق: عبد الله الدميجي، الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١/ ٥١٠.)

قال العلامة (**عبد العزيز الكناني**) المُتوفَّى ٢٤٠هـ في مُناظرته لـ «**بِشْر المِرِّيسِيّ**» أحد أئمة المعتزلة «**أقَرَّ بِشْرٌ أنَّ الله كان ولا شيء معه، وأنَّه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن الأشياء بقدرته، وقلت أنا: إنَّه أحدثها بأمره وقوله عن قدرته، فلم يخل... أن يكون أوَّل خلق خلقه الله بقول قاله أو بإرادة أرادها أو بقدرة قدرها؛ فأيّ ذلك فقد ثبت إنَّ هاهنا إرادة ومُريد، وقول وقائل، ومقال وقدرة، وقادر ومقدور عليه. وذلك كلّه مُتقدِّم قبل الخلق، وما كان قبل الخلق؛ فليس هو مِن الخلق في شيء**» (الكناني، ***الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن***، تحقيق: عليّ الفقيهي، المدينة المنورة: مكتبة العلم والحكم، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص٨٤).

وقال الإمام (**عمرو بن عثمان**) المُتوفَّى ٢٩٧هـ: «**لم يستحدث تعالى صِفَة كان منها خَلِيًّا، واسماً كان منه بَرِيًّا، تبارك وتعالى، فكان هاديًّا سيهدي، وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافراً سيغفر، وفاعلاً سيفعل**» (ذكره: ابن تيمية، ***الفتوى الحموية الكبرى***، تحقيق: حمد التويجري، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٩هـ_١٩٩٨م، ص٣٨٤-٣٨٥).

وقال الإمام (**الطحاوي**)-المُتوفَّى سنة٣١٢هـ في متنه العقدي المشهور بـ«***العقيدة الطحاوية***» «**ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيء لم يكن قبلهم مِن صفته، وكما كان بصفاته أزلِيًّا، كذلك لا يزال عليها أبدِيًّا. ليس بعد خَلْق الخَلْق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرِيَّة استفاد اسم الباري. له معنى الرُّبُوبِيَّة ولا مربوب، ومعنى الخالِقِيَّة ولا مخلوق. وكما أنَّه مُحيِي المَوتى بعدما أحياهم استحَقَّ هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحَقَّ اسم الخالق قبل إنشائهم**».

وقال الإمام(**الآجري**) المُتوفَّى ٣٦٠هـ: «**لَم يَزَل اللهُ عالِماً مُتكلِّماً سمِيعاً بصِيراً بصفاته قبل خَلْق الأشياء، مَن قال غير هذا كَفَر**». (الآجري، ***الشريعة***، ١/ ٤٩٠).

وقال الإمام الحافظ (**ابن منده**) المُتوفَّى سنة ٣٩٥هـ: «**ولَمْ يَزَل موصُوفاً بالخَالِق، البارِي، المُصوِّر، قبل الخَلْق**» (ابن منده، ***كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد***، تحقيق: عليّ الفقيهي، المدينة المنورة: ١٤٠٩هـ,١٩٨٩م، ٢/٧٦).

وقال الإمام (**ابن بطة**) المُتوفَّى ٣٨٧هـ: «**اللهُ لَم يَزَل علِيماً سمِيعاً بصِيراً مُتكلِّماً، تامًّا بصِفاته العُلْيا وأسمائه الحُسنى، قبل كون الكون، وقبل خَلْق الأشياء**». (ابن بطة، **الإبانة الكبرى**، تحقيق: يوسف الوابل، الرياض: دار الراية، ١٤١٨هـ، ٥/٣٢٥).

وقال الإمام (**اللالكائي**) المُتوفَّى ٤١٨هـ في أنَّ القُرآن كلام الله غير مخلوق: «**إنَّما جَرَى القَلَم [الذي كُتِبَت به أقدار الخَلْق] بكلام الله الذي قَبْل الخَلْق إذا كان القَلَم أوَّل الخلق**» (اللالكائي، ***شرح***

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ٢/٢٤٣).

وقال الإمام المُفسِّر **(أبو القاسم الثعلبي)** المُتوفَّى سنة ٤٢٧هـ: «**اللهُ تعالَى كان قبل خلقه الأشياء قائماً بذاته، ثُمَّ خَلَقَ الأشياءَ مِن غير حاجة له إليها**». (الثعلبي، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تحقيق: ابن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٦/١٢٦).

وقد اتفق المؤلهة والملاحدة منذ عرف للإلحاد وجود -إلَّا مَن شَذَّ مِن ملاحدة العصر المُنكرين للسَّببية- أنَّ وُجُود الكون بعد عَدَم دليل على احتياجه لخالق غير مادِّيّ يُخرجه مِن الوُجُود إلى العَدَم.

صِياغة بُرهان الخَلْق

أشهر صياغة لدليل الخَلْق هي:

١. كُلُّ حَادِثْ (أي: موجود بعد عَدَم) لا بُدَّ له مِن سبب.
٢. الكَوْنُ حَادِثٌ.
٣. لِلْكَوْنِ سَبَبٌ مِن خَارِجِهِ.
٤. اللهُ هُوَ خَالِقُ الكَوْنِ.

دوغلاس غروثيوس Douglas Groothuis (١٩٥٧): فيلسوف أمريكي. له عناية بالجدل الإيماني الإلحادي، وفلسفة الدين، وتحديات ما بعد الحداثة.

الفيلسوف النصراني **(دوغلاس غروثيوس)**: «**تطوَّر البُرهانُ الكلاميُّ الكوسمولوجي بصُورة أوَّلِيَّة على يد اللاهوتيِّين المُسلمين في العُصُور الوسطى رُغْم أنَّ القدِّيس بونافنتورا قد أيَّده أيضاً [لاحقاً]**»

Douglas R. Groothuis, ***Christian Apologetics: A Comprehensive Case for biblical faith***) Downers Grove, Ill :.IVP Academic; Nottingham, England: Apollos, 2011) ,p.214.

المبحث الأول: البُرهان العَقْلِيّ عَلَى نَفْيِ أَزَلِيّةِ الكون

كتب الفلاسفة منذ زمن **(يوحنا فلوبونوس)** في بيان أنَّ الزَّمان لا يُمكن أن يكون أزلِيًّا لِعَدَم إمكان تسلسل الأحداث إلى ما لا نهاية؛ وإذا انتفى إمكان أزلِيَّة الزَّمان؛ لَزِمَ القولُ: إنَّ المكان مخلوق بعد عدم، لتلازم الزَّمان، والمكان، وُجُودًا، وَعَدمًا.

يوحنا فلوبونوس (-٥٧٠): عرف في التراث الإسلامي بـ «**يوحنا النحوي**». فيلسوف أرسطي

ولاهوتي نصراني. أدين بعد وفاته بالهرطقة لآرائه حول التثليث.

تنبيهان: نفي المكان الذي يحيط بالرب لا ينفي حقيقة العلو الذي جاء به الشرع.. والأمر نفسه في القول بإحداث الزمان (الزمان مفهوم انتزاعي لا جوهر له، ظهر بظهور المكان-الزمان التقديري التوهمي قبل الخلق ليست فيه آنات)؛ فإحداث الزمان لا ينفي فعل الله في الزمان عند بدئه بخلق الكون؛ أي: ما يسمى «بأفعال الله الاختيارية» التي دلت عليها النصوص الشرعية بإحكام وإفاضة؛ ولذلك صرح الإمام **(الطبري)**-مثلا-بالامتناع العقلي للا تناهي الفعلي، وبامتناع قدم جنس المخلوقات، مع إثباته «لأفعال الله الاختيارية» في تفسيره.

الزمان-كما يقول **(أرسطو)** و**(الغزالي)** و**(ابن تيمية)** ... «مقدار الحركة موسوم من جهة التقدم والتأخر»؛ أي: هو أثر تعاقب الحوادث في العالم؛ لأنه ينتزع ذهنيا من الحركة، فهو عرض لهذا التحول.

الزمن من زاوية نظرية النسبية العامة بعد رابع للكون يتمدد ويتحدب، ولا يمس ذلك برهاننا في شيء؛ لأننا سنناقش الزمن بعده أثرا عن تتابع الأحداث (التغيرات)؛ وهي زاوية للنظر مختلفة وغير معاكسة.

الزمان هو مجموع ما يستغرقه تتالي الأحداث.

المطلب الأول: امتناعُ وجودِ ما لا يَتَنَاهى في الواقِعِ

يقول الفيزيائي **(بول ديفيس)**: «**تُوجَد قاعدة في العِلْم غير مكتوبة، وهي أنَّ أيّ شيء من المُمكن مُلاحظته، ويتوقع أن يكون لانهائيا؛ فذاك علامة مؤكدة أن النظرية [التي تضمه] تنهار بصورة أو بأخرى**»

Paul Davies, ***About Time: Einstein's Unfinished Revolution*** (New York: Simon & Schuster, 1995), p112.

وقد عبر **(ابن حزم)** قبله عن هذا المعنى بصورة أوسع تشمل كل شيء طبيعي دخل حيز الوجود: «**كُلُّ موجودٍ بالفِعْل فَقَدْ حَصَرَهُ العَدَدُ**» (ابن حزم، ***الفصل في الملل والأهواء والنحل***، ٥٩/١)

هو بُرهان متين، لم يجد **(هيوم)** الشكوكي أمامه من قول غير أن يُصرِّح قائلاً: «**يبدو العدد اللانهائي للأجزاء الحقيقية للزَّمن التي تمُرُّ في تتابع، فيعقب الجزء منها الآخر، يعد تناقضاً بصورة بدهية، حتى إنَّه -كما نتصوَّر- لا يُمكن لأيِّ إنسان لم يفسد رأيه... أن يقبله**»

David Hume, ***An Enquiry Concerning Human Understanding, in The English Philosophers from Bacon to Mill***, ed. Edwin A. Bunt (New York:

Random House, 1939), 12.2, p684.

William Lane Craig, ***The Existence of God and the Beginning of the Universe*** (San Bernardino, CA: Here's Life, 1979) pp 42-45.

ونحب التَّنبيه والتَّذكير أنَّ حديثنا هُنا ليس عن اللَّا نهاية في عالم الرِّياضيَّات المُجرَّدة، وإنَّما عن اللَّا نهاية في عالم الواقع.

المطلب الثاني: عَدَم إمكانِ تحصيلِ مَا لا يَتَنَاهى بمجموعِ الزِّيادات المُتَتَالية

إنَّه -حتى لو صَحَّ إمكان وُجُود ما لا نهاية له فعليًّا- يبقى أنَّه ليس بالإمكان تحصيله من خِلال تركيم الأفراد المُتتابعين.

صياغة هذا البُرهان في الشكل التالي:

١. مجموع الأحداث في الزَّمان = مجموعة تتكوَّن مِن إضافة حَدَث بعد آخر.
٢. كُلُّ مجموعة تتكوَّن بإضافة عُضو بعد آخر لا يُمكن أن تبلغ اللَّا نهاية الفعلِيَّة.
٣. الزَّمن -كل حين- سلسلة مُتناهية من الأحداث.
٤. الزَّمن مُتَنَاهٍ.

يقول **(ابن حزم)**: «**مَا لَم يُوجَد إلَّا بعد ما لا نهاية له؛ فلا سبيل إلى وُجُوده أبداً؛ لأنَّ وُقُوع البعدية فيه هو وُجُود نهاية له، وما لا نهاية له فلا بعد له؛ فعلى هذا لا يُوجَد شيء بعد شيء أبد الأبد، والأشياء كلّها موجودة بعضها بعد بعض، فالأشياء كلها ذات نهاية**»

يقول **(ابن حزم)**: «**ما لا نهاية له فلا سبيل إلى الزِّيادة فيه؛ إذ معنى الزِّيادة إنَّما هو أن تضيف إلى ذي النِّهاية شيئا من جنسه يزيد ذلك في عدده أو في مساحته؛ فإن كان الزَّمان لا أوَّل له يكون به مُتناهيًا في عدده الآن، فإذن كلّ ما زاد فيه ويزيد ممَّا يأتي من الأزمنة منه، فإنَّه لا يزيد ذلك في عدد الزَّمان شيئاً**» (ابن حزم، ***الفصل في الملل والأهواء والنحل***، ١/٥٩.)

المطلب الثالث: عَدَم إمكان عُبُور اللَّا مُتنَاهِي

يكرر الفيلسوف الأمريكي **(ج. ب. مورلاند)** اليوم في كتبه ومناظراته قوله: عدم إمكان عبور ما لا ينتهي حجة أن الزمان له نهاية (في البدء والآن)..

قال **(ابن الأنباري)**: «**لو قُلنا شرط كلّ حادث أن ينقضي قبله آحاد لا نهاية لها؛ لأدَّى ذلك إلى أنَّه لا يحدث حادث إلَّا بعد أن ينتهي ما لا ينتهي، وذلك مُحال، لأنَّ في إثبات حوادث لا أوَّل لها نفياً لجُملة الحوادث، فإنَّها لو ثبتت لكان كلّ واحد منها مشروطاً بانتهاء ما لا ينتهي قبله، وكلّ ما علق ثبوته على مُحال كان مُحالاً**» (ابن الأنباري، ***الداعي إلى الإسلام***، تحقيق: سيد

باغجوان، بيروت دار البشائر، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص١٣١.)

جون هوسبرز John Hospers (١٩١٨-٢٠١١م): فيلسوف أمريكي. رئيس قسم الفلسفة في كلية «**بروكلين**» في جامعة كاليفورنيا.

وقد وقف الفيلسوف الأمريكي المُلحد (**جون هوسبرز**) مُتسائلاً: «**كيف وصلنا إلى اللَّحظة الحالية إذا كانت سلسلة لا نهائية من الأحداث قد سبقت اللَّحظة الحالية؟ كيف أمكننا الوُصُول إلى اللحظة الحالية -التي نحن فيها الآن، بداهة-إذا كانت اللحظة الحالية قد سبقت بسلسلة لا نهائية من الأحداث؟**»

John Hospers, ***An Introduction to Philosophical Analysis***, (Routledge & Kegan Paul: London, 1967), p434.

المبحث الثاني: البُرهان العِلْميّ عَلَى نَفْيّ أزليَّة الكَوْن

يصوّرُ الفيلسوف (أليستر ماكجراث) الموقف العلمي من أصل الكون في آخر النصف الأول من القرن العشرين بقوله عن أزليّةِ الكونِ: «**لَعِبَ هذا الاعتقاد [أزليّة الكون] دورًا مُهمًّا في المُناظرة الكبرى التي جَرَتْ في لندن سنة ١٩٤٨م بين اثنين من كبار الفلاسفة، وهُما الملحد برتراند راسل والمسيحيُّ فردريك سي. كوبلستون. آمَنَ راسل أنَّ هذا الإجماع العِلْمِيَّ أكثرُ مِن كافٍ لينهيَ قضيّةَ الله بِرُمَّتِهَا إلى الأبدِ؛ فالكونُ موجودٌ وحَسْب، وليس هُناك أيُّ سَبَبٍ وجيهٍ يدعونا للتَّفكير فيما أتى به للوُجُود. وقد فاز راسل بالمُناظرة في هذه النُّقطة.**

إلاَّ أنّه منذ سنة ١٩٤٨م تغيّر كلُّ شيء؛ ففي السِّتِّينِيَّات أصبح واضحًا أنّ الكون له بداية، وهو ما عُرف باسم الانفجار العظيم.

المُناظرة أعيدت بالفعل سنة ١٩٩٨م احتفالاً بذكراها الخمسين بين اثنين من كبار الفلاسفة، هُما ويليام لين كريج ونظيره أنتوني فلو الذي كان مُلحدا آنذاك. كريج الذي يعتبره الكثيرون الوريث الشّرعيّ للفيلسوف كوبلستون قَدَّمَ الحُجَّةَ التالية:

- **المُقدِّمة الكُبرى: كُلُّ مَا يَظْهَر إلى الوُجُود لَهُ سَبَب.**
- **المُقدِّمة الصُّغرى: العَالَم ظَهَرَ إلى الوُجُود.**
- **النَّتِيجَة: إذَن العَالَم لَهُ سَبَب.**

وهذه المُقدِّمة الصُّغرى التي استخدمها كريج، والمقبولة اليوم مِن كُلِّ العُلماء تقريبًا، كانت ستُرفض منهم جميعاً سنة ١٩٤٨م وقد واجه فلو صُعُوبة كبيرة أمام هذه النُّقطة، ولم يتمكَّن مِن استخدام الاستراتيجيات التي استخدمها أسلافه مِن المُدافعين المُلحدين استخداماً مُناسبًا. ومُنذ هذه المُناظرة تخلَّى فلو عن الإلحاد»

أليستر مكجراث، ***الدِّفاعِيَّات المُجرَّدة***، ترجمة: ٢٠١٣م،) ص ٩٦-٩٧.

مُنذ عُقُود -لا قُرُون- مضت كان العُلماء على اتِّفاق أنَّ الكون أزليّ؛ ولذلك فانتقاض هذا الإجماع بإجماع مُقابل على أنَّ كوننا له بداية، مِن الأُمُور التي تستحق التَّدبُّر، والنَّظر في لوازمها الفلسفية برؤية جديدة عند الملاحدة.

(هاوكنج) في بداية مُحاضرة له بعنوان: «**بداية الزَّمان**»: «**يبدو أنَّ كُلَّ الأدِلَّة تُشير إلى أنَّ الكون لَمْ يَكُن موجوداً مِن الأزَل، وإنَّما كانت له بداية مُنذ قُرابة ١٥ بليون سَنَة مَضَت**»

"**All the evidence seems to indicate, that the universe has not existed forever, but that it had a beginning, about 15 billion years ago.**"

Academic Lectures, ***The Beginning of Time***. 1996.

https://www.hawking.org.uk/in-words/lectures/the-beginning-of-time

روبرت جاسترو Robert Jastrow (١٩٢٥ -٢٠٠٨م): فلكي أمريكي وأحد أعلام علماء وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» في القرن العشرين.

عالم الفلك الكبير-اللا أدري-(**جاسترو**) يقول: «**بإمكاننا الآن أن نَرَى كيف تقود الحُجَّة الفلكية إلى النَّظرة الكِتابِيَّة حول أصل العَالَم. تختلف التَّفاصيل لكن العناصر الأساسية لقصص عِلْم الفَلَك والكتاب المُقدَّس في سفر التَّكوين هي نفسها: سلسلة الأحداث التي قادت إلى ظُهُور الإنسان بدأت بصورة مُفاجئة وحادَّة في لحظة مُحدَّدة في الزَّمان**»

Robert Jastrow, ***God and the Astronomers*** (New York: Norton, 1992), p14.

«**تنتمي القِصَّة مثل كابوس للعَالِم الذي عاش بإيمانه بسُلطان العقل. لقد تسلَّق [هذا العَالِم] جِبال الجَهْل، ويكاد يرتقي أعلى قمّته؛ لكنَّه - وهو يرفع نفسه إلى أعلى آخر صخرة، إذا به يلقى تهنئة من مجموعة من اللَّاهوتيِّين الذين كانوا جالسين هُناك على مَدَى قُرُون**» (**روبرت جاسرو**).

Robert Jastrow, ***God and the Astronomers***, p116.

المطلب الأول: القانون الثاني للدّيناميكا الحراريّة

آرثر إدنجتون Arthur Eddington (١٨٨٢-١٩٤٤م): فلكي وفيزيائي إنجليزي، وله عناية بفلسفة العلم. له مساهمات علمية بارزة في القرن الماضي في الفيزياء الفلكية.

يُقِرّ العُلماء أنَّ القانون الثَّاني للدِّيناميكا الحرارية واحد من أعظم قوانين الكون؛ بل هو أعظم

قوانينه؛ حتى قال عالم الكوزمولوجيا (**إدنجتون**): «**إنَّه القانون الأوَّل لكُلِّ العُلُوم، وإن أيّ نظرِيَّة عِلْمِيَّة تتعارض مع هذا القانون لا تملك أملاً في البقاء، وإنَّها ستنهار ضرورة.**»

Arthur Eddington, ***The Nature of the Physical World*** (New York: Macmillan, 1928), p74.

التَّعبيرُ عن حقيقةِ القانون الثّاني للدّيناميكا الحراريّة مُرتبطٌ بالطَّاقةِ، والفوضى، والمعلومات؛ ولذلك من المُمكن التَّعبيرُ عنه بِصِيَغٍ مُختلفةٍ تَدُلُّ بمجموعها على حقيقة هذا القانون ومَظْهَرِ عَمَلِهِ في الكونِ، ومن هذه الصِّيغ التّعريفيّة:

- الطَّاقة المُستهلكة تنحو إلى النَّفاد.
- الحرارة تنحو إلى التَّبرُّد.
- المعلومات تنحو إلى التَّشوُّش.
- النِّظام ينحو إلى الفوضى.
- الخليط العشوائي لا يُنظِّم نفسه.

«**القانون الثَّاني للدِّيناميكا الحرارية ليس قاصرًا في عَمَلِهِ على الأُمُور الهندسية. إنَّه قانون أساسيّ للطَّبيعة. لا يُوجَد سبيل للفرار منه**». **(بول ديفيس)**

Paul Davies, ***The Fifth Miracle: The Search for the Origin and Meaning of Life*** (Orion productions,1999) p51.

يقول عالم الفيزياء النظرية اللا أدري (**بول ديفيس**): «**إذا كان للكونِ مَخْزُونٌ مَحْدُودٌ من النِّظام، وهو يتغيَّر دُون رجعة نحو الاضطراب -ليبلغ في نهاية المطاف التَّوازن الثرموديناميكي-؛ فيلزم من ذلك مُباشرة أمران؛ الأول: أنَّ الكون سوف يموت في نهاية المطاف... هذا هو المعروف بين عُلماء الفيزياء باسم «الموت الحراري» للكون. والثاني: أنَّ الكون لا يُمكن أن يكون موجوداً مِن الأزل؛ إذ لو لم يكن كذلك لبلغ توازنه الثرموديناميكي النِّهائي مُنذ زمن لامتناه في الماضي. الخلاصة: الكون لم يُوجَد مُنذ الأبد**»

Paul Davies, ***God and the New Physics***, p11.

بارى باركر Barry Parker: أستاذ متقاعد للفيزياء والفلك في جامعة « Idaho State University» له اهتمام بتبسيط العلوم لغير المختصين.

وعبر الفيزيائي (**باري باركر**) عن الفكرة ذاتها بقوله: «**يُشير القانون الثاني للدِّيناميكا الحرارية إلى أنَّ للكون وللزَّمان بداية. ولو كان الكون أو الزَّمان أزليًا لكان التَّبادُل الحراري قد تمَّ وتوقَّف في تِلْك الأحقاب الطَّويلة المُمتدة، وإذن لا تصبح في الكون أجسام حارَّة كالشَّمس وبقية النُّجُوم،**

وأخرى باردة كالكواكب والأقمار وغيرها؛ أي: لبردت النُّجُوم وصارت بدرجة حرارة الصَّقيع وانتهى كلّ شيء في الكون»

باري باركر، ***السفر في الزمان الكوني***، تعريب: مصطفى محمود سليمان (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م)، ص١٦٣-١٦٤.

١. **الكون يتَّجِه من الحرارة والنِّظام إلى التَّموُّت الحراري والفوضى التَّامَّة.**
٢. **الكون لم يبلغ التَّموُّت الحراري والفوضى التَّامَّة بعد.**
٣. **للكون عُمر محدود لأنَّه لم ينته إلى التَّموُّت والفوضى النِّهائيين مُنذ الأزل.**

المطلب الثاني: تَمَدُّد الكَوْن

كان الاعتقاد السَّائد قبل القرن العشرين أنَّ الكون ثابت، وأنَّ الأجرام السَّماوية كانت كما هي عليه الآن، وستبقى كذلك.

المُلحد **(كراوس)** في كتابه: «***كون من لا شيء***» بقوله: «**يعرف الجميع الآن (باستثناء المُشرفين على بعض المدارس في الولايات المُتَّحدَة) أنَّ الكون ليس مُستقِرًّا وإنَّما هو يتمدَّد، وأنَّ هذا التَّمدُّد قد بدأ في انفجارٍ كبيرٍ حارٍّ جدًّا وكثيفٍ مُنذ قُرابة ١٣,٧٢ بليون سنة**»

Lawrence M. Krauss, ***A Universe from Nothing: Why There Is Something Rather than Nothing*** (New York: Free Press,2012), p3.

يُشير بكلامه هذا إلى الأُصُوليِّين النَّصارى الذين يؤمنون أنَّ عُمر الكون بضعة آلاف من السِّنين، مُتابعةً لظواهر الكتاب المُقدَّس النَّصراني!

الكون الثَّابت أبرز مواريث الحضارات القديمة ... وقد بدأ الكشف عن توسُّع الكون بأبحاث **(ألكسندر فريدمان)** الذي أثبت أنَّ الكون في ضوء نظريَّة النِّسبيَّة العامَّة لا يُمكن أن يكون ثابتاً مُستقِرًّا، وإنَّما هو مُتحرِّك ضرورة، إمَّا بالتَّوسُّع أو بالتَّقلُّص... وأثبت بعده عالم الفلك **(جورج لوميتر)** اعتماداً على كشف **(فيستو سيلفر)** لظاهرة الانزياح نحو الأحمر سنة١٩١٢م، أنَّ الكون يتوسَّع. وكانت أبحاث **(إدوين هابل)** ... بعد عَمَله الرَّصدِيّ بتلسكوب جبل ويلسون وحساباته الرِّياضِيَّة أنَّ الكون يتمدَّد بقيمة ثابتة.

ألكسندر فريدمان Alexander Friedmann (١٨٨٨-١٩٢٥م): فيزيائي وعالم رياضيات روسي مشهور.

جورج لوميتر Georges Lematre (١٨٩٤-١٩٦٦م) قسيس عالم فلك بلجيكي درس في الجامعة الكاثوليكية لـ (لوفين)، كان مذهبه في «الذرة البدائية» أصل نظرية الانفجار الكبير.

فيستو سيلفرة Veseto Slipher (١٨٧٥-١٩٦٩م): فلكي أمريكي. صاحب اكتشافات علمية مهمة في تاريخ علم الفلك الحديث.

إدوين هابل Edwin Hubble (١٨٨٩-١٩٥٣م): فلكي أمريكي من أعلام العصر. ينسب إليه «قانون هابل».

والأمرُ ليس مُجرَّد اجتهادٍ نَظَرِيٍّ؛ بل تَشْهَدُ له الرُّؤيةُ البَصَرِيّةُ نفسُها؛ فقد أثبته الرَّصد الفلكي؛ إذ مكَّننا «**مرصد هابل الفضائي**» مِن رؤية الكون بعد ميلاده؛ برصد صورة أقدم مجرَّات من المُمكن رؤيتها، مَضَى عليها ١٣,٢ بليون سنة.

Hubble Reveals Universe's Oldest Galaxies

https://www.nationalgeographic.com/science/article/140107-hubble-oldest-frontier-science-space-astronomy

وقد اتَّفق عُلماء الكوزمولوجيا أنَّ رفض الكون للثَّبات وتمدُّده علامة على أنَّه كان أكثر انكماشاً في تاريخه القديم، وكُلَّما عُدنا إلى الوراء، كانت أجزاؤه أكثر تقارباً حتى لحظة البداية؛ حيث كان الكون مُنكمشاً في نُقطة صِفْرِيَّة قبل أن ينفجر.

ألكسندر فلنكن Alexander Vilenkin (١٩٤٩_) كوسمولوجي شهير مدير مؤسسة الكوزمولوجيا في جامعة (تافتس). غزير التأليف في الدراسات العلمية في أصل الكون.

وهو ما أكَّده الفيزيائي الكبير -اللَّا أدري- **(ألكسندر فلكن)** أحد أكبر عُلماء كوزمولوجيا اليوم، إذ كتب سنة ٢٠٠٧م، مُؤكِّداً أنَّ كلَّ نظرية تُقرِّر توسُّع الكون بقيمة لا تنزل تحت الصِّفر، مهما كانت ضآلة هذا التَّوسُّع، يجب أن تؤول إلى الإقرار ببداية هذا الكون أو هذه الأكوان المُتعاقبة، دون حاجة للدُّخُول في أيّ تفاصيل أخرى للأكوان التي تفترضها هذه النَّظرِيَّات، بما في ذلك أمر الجاذبية وغيرها.

Alexander Vilenkin, ***Many Worlds in One: The Search for Other Universes*** (New York: Hill and Wang, A division of Farrar, Straus and Giroux, 2006), p175.

المطلب الثالث: اللَّيلُ المُظلِمُ

مايكل أنثوني كوري Michael Anthony Corey (١٩٥٧-٢٠١١م): باحث أمريكي مهتم بالجدل العلمي بين المؤلهة والملاحدة. حاصل على دكتوراه في فلسفة العلم والدين، ودكتوراه أخرى في علم النَّفس الديني.

يقول فيلسوف العلوم (**مايكل أنثوني كوري**): «**مِن حُسن حَظّ المؤمن بالله أنَّ عِدَّة مُلاحظات عِلْمِيَّة مُثيرة للاهتمام قد استطاعت -بالفعل- استبعاد أن يكون الكون لا نهائي العُمْر والتَّمدُّد المكاني. مِن جِهَة، سماء اللَّيل هي أساساً مُظلمة، ولكنَّ هذا ليس الذي علينا أن نتوقَّعه إذا كان هُناك عدد لا نهائي من النُّجُوم في السَّماء**»

Michael Anthony Corey, ***God and the New Cosmology: The Anthropic Design Argument*** (Lanham, Md.: Rowman & Littlefield, 1993) p35.

المطلب الرابع: نَظَرِيَّةُ النِّسْبِيَّة العَامَّة

لعلَّه لا تُوجَد نظرية -اليوم- تعرَّضت للاختبار أكثر من نظرِيَّة النِّسبِيَّة العَامَّة.

عالم الفيزياء والرِّياضيَّات (**روجر بنروز**): «**وهذا ما يجعل نظرية النِّسبِيَّة العامَّة لأينشتاين -بهذا المعنى المخصوص- أكثر النَّظرِيَّات المعروفة للعُلماء المُختبرة بأبلغ دِقَّة**»

Roger Penrose, ***Shadows of the Mind*** (New York: Oxford University Press, 1994), p230.

وقد تأكَّد مرَّة أخرى صِدق ما تنبَّأت به نظرية النِّسبِيَّة العامَّة في أمر ظُهُور الكون بالكَشْف عن الموجات الثَّقالِيَّة سنة ٢٠١٦م.

Gravitational Waves Detected 100 Years After Einstein's Prediction

https://www.ligo.caltech.edu/news/ligo20160211

وهي انحناءات في الزَّمكان تظهر على شكلٍ مَوجِيّ. وكان (**أينشتاين**) قد تنبَّأ بها سنة ١٩١٦م.

يقول (**نيل تروك**) مدير المركز البحثي للفيزياء النَّظرِيَّة

Perimeter Institute for Theoretical Physics.

«**مِن خِلال جمع موجات الجاذبية سوف نكون قادرين على رؤية ما حدث بالضَّبط عند المُفردة الأوَّلِيَّة. كان التَّوقُّع الأكثر سِحْرًا وروعة لنظرية أينشتاين أنَّ كلَّ شيء خرج مِن حَدَثٍ واحدٍ: الانفجار العظيم للمُفردة. ونحن سوف نكون قادرين على رؤية ما حَدَث**»

Cited in: "***Gravitational waves: breakthrough discovery after two centuries of expectation***," by Tim Rad- ford, The Guardian, February 11, 2016.

https://www.theguardian.com/science/2016/feb/11/gravitational-waves-

discovery-hailed-as-breakthrough-of-the-century

المطلب الخامس: نظرية الانفجار العظيم

الفيزيائي المُلحد **(لورنس كراوس)** بقوله عن صدق نموذج الانفجار العظيم: «**جميع الأدِلَّة الآن تدعمه، بقُوَّة**»

Lawrence M. Krauss, ***A Universe from Nothing: Why There Is Something Rather than Nothing***, p5.

جم سويتزر Jim Sweitzer: عالم فيزياء نظرية أمريكي. عمل مديرا لمركز DePaul University's Space Science Center

عالم الفيزياء الفلكية **(جم سويتزر)** بقوله: «**كلّ طُرُق الأدِلَّة تقود إلى الانفجار العظيم.. لا تُوجَد نظرِيَّة تَمْلِك أن تُضاهيها في وجاهتها**»

Jim Sweitzer, ***Do You Believe in the Big Bang?*** Astronomy 30 (December 2002) p36.

الفيلسوف المُلحد **(أنتوني فلو)** بدا أمام هذا الكشف من الإقرار -أيَّام كان أحد رؤوس الإلحاد في العالم الغربي- أن يقول: «**الاعتراف جَيِّد للنَّفس. لذلك سأبدأ بالاعتراف بأنَّ المُلحد الذي يرى عِبْء الإثبات على المُؤلِّه، عليه أن يشعر بالحَرَج من الإجماع الكوسمولوجي المُعاصر؛ إذ يبدو أنَّ عُلماء الكوزمولوجيا يُقدِّمون حُجَّة عِلْمِيَّة لِمَا ادَّعى القدِّيس توما [الأكويني] أنَّه لا يُمكن إثباته فلسفيا؛ أيّ: إنَّ للكون بداية**»

Henry Margenau and Roy Abraham Vargesse, eds. ***Cosmos, Bios, Theos***, p241.

تُوجَد اليوم سيناريوهات مُختلفة للانفجار العظيم غير أنَّها تَتَّفِق على أنَّ لهذا الكون بداية، وأنَّه بدأ في توسُّع مُنذ ذلك الحِين، وأنَّه في حال تبرُّد تدريجي مُنذ بدايته الأولى الحارَّة.

Hugh Ross, ***A Matter of Days: Resolving a Creation Controversy*** (Covina, CA: RTB Press, 2015), p144.

الكشف سنة١٩٦٤م عن «إشعاع الخلفية الكونية الميكروي» cosmic microwave background radiation الذي يُمثِّل الآثار الأولى للانفجار الأوَّل، والذي توقَّع العُلماء وُجُوده قبل كشفه، قد «**أدَّى إلى إقناع -تقريبا- آخر الشَّكَّاكِين**»

Robert Jastrow, ***God and the Astronomers***, p15.

جورج سموت George Smoot (١٩٤٥_): عالم فيزياء نظرية وكوزمولوجيا أمريكي. حصل على جائزة نوبل بسبب أبحاثه المرتبطة ب «مستكشف الخلفية الكونية» «COBE»

وكانت القياسات الدقيقة لـ «**إشعاع الخلفية الكونية الميكروي**» كما قدَّمها «**مسبار كوبي الفضائي**» (COBE) لوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) في بداية التِّسعينيات من القرن العشرين أكبر داعم لكشف السِّتِّينيات؛ حتى قال الفيزيائي الحائز على جائزة نوبل، ورئيس فريق (COBE) (**جورج سموت**) إثر هذا الكشف: «**ما وجدناه هو برهان ميلاد الكون.. وكأنَّنا ننظر [إلى فعل] الله**»

Michael Anthony Corey, ***God and the New Cosmology***, p53.

آرثر إدنجتون Arthur Eddington (١٨٨٢-١٩٤٤م): فلكي إنجليزي شهير. كانت له عناية بفلسفة العلوم.

يقول (**آرثر إدنجتون**): «**ليس لَدَيَّ أيّ فأس للطَّعن في هذه المُناقشة [لكن] مفهوم البداية بغيض إليَّ ... أنا -ببساطة- لا أؤمن أنَّ النِّظام الحالي للأشياء قد بدأ بانفجار... توسُّع الكون غير معقول.. لا يُصدَّق... يتركني أشعر بالبرد**»

Robert Jastrow, ***God and the Astronomers***, p104.

وقد استمر الملاحدة في مُحاربة نظرية الانفجار العظيم طوال مُدَّة تاريخ الكشف عن هذا الانفجار، في كلِّ مراحل التَّأصِيل العِلْمِيّ وتفصيله.

Hubert P. Yockey, ***Information Theory and Molecular biology***, p212.

ويليام رو William Rowe (١٩٣١-٢٠١٥م): فيلسوف أمريكي. درس في جامع «يردو». له عنايه خاصة بفلسفة الدين، ومشكلة الشر خاصة.

«**لا بُدَّ مِن الاعتراف أنَّ ظُهُور نظرية الانفجار العظيم المُتعلّقة بنشأة الكون قد أضافت ثِقْلاً جديداً إلى حُجَّة وُجُود ما يُمكن أن يكون خالقًا**». الفيلسوف الملحد (**ويليام رو**)

William Rowe, ***Cosmological Arguments***, ***The Blackwell Guide to the Philosophy of Religion***, ed. William Mann (Oxford: Blackwell, 2005) p115.

المبحث الثالث: مَلَاحِدَة وَلَا أدْرِيُّون يَنْتَصِرُون لِبُرهَانِ الخَلْق

كان كتاب الفلكي اللا أدري (**روبرت جاسترو**) «**الله والفلكيون**» شهادة عظيمة لتاريخ أثر الانفجار العظيم على المعتقد المادي للإلحاد.

ورغم أثر الانفجار العظيم على الرؤية الكونية لـ (**جاسترو**) إلَّا أنَّه لم يتغلَّب على لا أدريته. ويشرح ذلك بقوله: «**مِن جِهَة، يبدو لي أنَّ عِلْم الفَلَك قد أثبت أنَّ هُناك قُوَى تعمل في العَالَم تتجاوز المقدرة الحَالِيَة للوَصْف العِلْمِيّ، وهي حرفيًّا قُوَى فوق طبيعية؛ لأنها تَقَع خارج مجال القانون الطَّبيعي. ومِن جِهَة أخرى، قراءاتي في أدبيَّات العِلْم قادتني إلى اعتناق الفلسفة الاختزالية ومذهب المادِّيَّة العِلْمِيَّة، وهي رؤية تُقرِّر أنَّ الكُلّ ليس أكبر من مجموع أفراده، ولا تُوجَد «قُوَّة للخَلْق»، ولا حقيقة للحياة بعيداً عن جُزيئات الجَسَد، ولا عَقْل بعيداً عن الخلايا العصبية للدِّماغ ومجالاته**»

Roy Abraham Varghese, eds. ***Intellectuals Speak out about God*** (Chicago, M.: Regnery Gateway, 1984), pp19-20.

فإن (**آلن ساندیغ**) الذي أجمع العُلماء أنَّه واحد من أكبر عُلماء الفَلَك في القرن العشرين لكثرة أبحاثه وكُشُوفه، وهو الحاصل على جوائز كبرى مثل «Prize» و « Eddington Medal of the Royal Astronomical Society»، قد اختار أقصر الطُّرُق إلى الحَقّ، وهو ترك الإلحاد الذي نشأ عليه صبيًّا، والعودة إلى الإيمان بالله، رغم أنَّه قد صرَّح سابقاً، بعد علمه بدلائل بدء الكون: «**إنَّه استنتاج غريب... لا يُمكن أن يكون صحيحاً**»

Cited in: Robert Jastrow, ***God and the Astronomers***, pp104-105.

كَتَبَ (**ساندیغ**) عن علاقة الانفجار العظيم ببحثنا عن الله: «**يضع توسُّع الكون -مع عواقبه فيما يتعلَّق باحتمالية قِيام عُلماء الفَلَك بتحديد حَدَث الخَلْق- عِلْم الكون الفلكي قريباً مِن اللَّاهوت الطَّبيعي للعُصُور الوسطى الذي حاول أن يجد الله عن طريق تحديد السَّبَب الأوَّل... معرفة الخَلْق ليست هي معرفة الخالِق، ولا تُخبرنا أيّ مِن النَّتائج الفلكية عن سبب وُقُوع الحَدَث. إنَّ الأمر على الحقيقة من خوارق الطَّبيعة (أي: خارج فهمنا للنِّظام الطَّبيعي للأشياء)، وبهذا التَّعريف هو مُعجزة. ولا تعرف طبيعة الله ضمن أيّ جُزء من هذه النَّتائج العِلْمِيَّة. لذلك يجب على المرء أن يتحوَّل إلى الكُتُب المُقدَّسة**»

Dr. Allan Sandage, ***A Scientist Reflects on Religious Belief***.

http://www.leaderu.com/truth/1truth15.html

وقال لاحقاً لمُراسل صحفي: «**إنَّ العِلْم الذي أمارسه هو الذي قادني إلى نتيجة أنَّ العَالَم أشدّ تعقيداً من أن يُفسِّره العِلْم. فقط من خلال ما هو فوق طبيعي بإمكاني أن أفهم لُغز الوُجُود**»

Cited in: Lee Strobel and Mark Mittelberg, ***Today's Moment of Truth***, kindle edition.

عالمة الفَلَك والفيزياء الكونية (**سارة سلفياندر**) التي نشأت مُلحدة في أسرة مُلحدة وبيئة اجتماعية تحتقر التَّديُّن... كانت بداية عودة (**سارة سلفياندر**) إلى الإيمان بعد التحاقها بمجموعة من الباحثين في «**مركز عُلُوم الفيزياء الكونية والفضاء**» للبحث عن قرائن مُستقِلَّة للانفجار العظيم الأوَّل، غير «**إشعاع الخلفية الكونية الميكروي**» ... وقد انتهت نتائج الأبحاث إلى تأكيد نُبُوءات الانفجار العظيم. وقد أدهشها ذلك؛ فالكون يُشير بكُلِّيَّته إلى أنَّه أثر عن إرادة وحكمة مُنذ البدء.

Sarah Salviander-Scientist Converted from Atheism

https://www.youtube.com/watch?v=YfzJHQCYIMo

Former Atheist Astrophysicist, Sarah Salviander, Coverts to Christianity

https://jamesbishopblog.com/2015/05/23/former-atheist-astrophysicist-sarah-salviander-explains-her-journey-to-christianity/

المبحث الرابع: نُقُودٌ وَرُدُودٌ

الملاحدة كانوا يُقرُّون أنَّ في خلق الكون من عَدَم حُجَّة لوُجُود الله، اطمئنانا منهم إلى أنَّ العلم يدُلّ على أزلِيَّة الكون.

المطلب الأول: الاعتراض عَلَى خَلْقِ العَالَم مِن عَدَم

المُتكلِّمون لا الفلاسفة هُم الذين اهتمُّوا في تاريخ الإسلام بالاستدلال بدليل الحُدُوث (هذا إن قبلنا التَّمييز الكلاسيكي بين المُتكلِّمين والفلاسفة).

جواب الاعتراض هينٌ، وهو أنَّ المُعترض قد خَلَطَ بين (اللا نهاية الفِعْلِيَّة Actual infinity)، وهي لا تناه مُحقَّق، قائمٌ في الكون، دخل حيِّز الوُجُود، و(اللا نهاية الافتراضية Potential infinity)، وهي مُجرَّد تقدير.

دافيد هلبرت David Hilbert (١٨٦٢-١٩٤٣م): عالَم رياضيَّات ألماني شهير. أثر في علوم الرياضيات بصورة بالغة في عصره وطوَّر عدة نظريات.

عالم الرِّياضيَّات الفَذّ (**دافيد هلبرت**) يُوضِّح أنَّ اللَّا نهاية الافتراضية تتضخَّم دائماً في اتِّجاه اللَّانهاية، لكنَّها دائماً مجموعة لها نهاية في كلِّ حين، في حين أنَّ اللَّا نهاية الفِعْلِيَّة هي مجموعة مُكتملة تضُمُّ أشياء لا نهاية لعددها.

David Hilbert, ***On the Infinite, in Paul Benacerraf & Hilary Putnam, Philosophy of Mathematics*** (N.J.: Prentice-Hall, 1964) pp.139, 141.

يقوم الإلحاد المادِّيّ اليوم على تصديق البُرهان المادِّيّ وترك التَّخمين، والبُرهان المادِّيّ يقف بحسم مع حقيقة أنَّنا لا نعرف كوناً غير كوننا، وأنَّنا لا نملك أن نَعْبُر برصدنا إلى شيء قبل بداية هذا الكون.

لا يُوجَد بُرهان مادِّيّ واحد مُستقِلّ على وُجُود كون قبل كوننا. وكلّ ما يُقال هو مُجرَّد احتمال رياضي.

نموذج **(هاوكنج)** مُجرَّد صِياغة رياضِيَّة، لا يُمكن أن يكون لَهَا وُجُود واقعي؛ إذ إنَّ الزَّمَن الذي كان قبل الانفجار في نموذج **(هاوكنج)** **(زمن تخيُّلِيّ)** (imaginary time)، وقد افترضه **(هاوكنج)** لتصِحّ مُعادلاته دون أن يرى له حقيقة، وكانت غايته تلافي المُفردة التي نشأ منها كوننا.

«عندما يعود المرء إلى الزَّمن الحقيقي الذين نعيش فيه، ستظَلّ هُناك مُفردات singularities»

Stephen Hawking, ***A Brief History of Time***, p139.

(شون كارول) لم يدع علمه بأزلية الكون؛ فهو القائل: **«ما زلنا إلى الآن نجهل جواب سؤال: هل للكون بداية؟»**

في الدقيقة الأولى من الفيديو التالي، من برنامج: Closer to Truth

"We still don't know the answer to the question: Did the universe begin."

Sean Carroll-Did the Universe Begin?

https://www.youtube.com/watch?v=FgpvCxDL7q4

ولذلك بعد أن درس **(فلنكن)** نموذج **(شون كارول)** وغيره، صرَّح قائلاً: **«لا تُوجَد نماذج اليوم تُقدِّم نموذجاً مُرضِيًا لكون بلا بداية»**

في مُحاضرة لـ **(فلنكن)** بعنوان: Did the Universe have a Beginning

Did the Universe have a Beginning? Alexander Vilenkin

https://www.youtube.com/watch?v=NXCQelhKJ7A

وبسبب غرابة هذا النَّموذج، وافتقاده كلّ بُرهان مادِّيّ، وضعفه، لم يجرؤ **(كارول)** على استظهاره في مُناظرته للفيلسوف **(وليم لين كريج)** (٢٠١٤) في علاقة الكشف الكوسمولوجي بوُجُود الله!

Sean Carroll, William Lane Craig, Robert B. Stewart, eds. ***God and Cosmology: William Lane Craig and Sean Carroll in Dialogue*** (Fortress

Press, 2016).

وإنَّما رجَّح أن الكون أزلي لأنَّ ذلك برأيه سيفسر الطريقة العجيبة المتقنة فيزيائيا لبداية كوننا، وأن القول: إن الكون بدأ منذ ١٣,٧ بليون سنة من العدم على الصورة التي كشفها العلم سيتركنا في حيرة في تفسير هذا الأمر.

Sean Carroll-Arguments for Atheism?

https://www.youtube.com/watch?v=O7ybg0IMPto

الفرار من بُرهان الضَّبط الدَّقيق للكون، وهو من أعظم أدِلَّة وُجُود الله!

ألان غوث Alan Guth (١٩٤٧_): عالِمُ فيزياء نظرية وكوسمولوجيا أمريكيٌّ بارِزٌ. اشتُهِرَ بنظريّته في «التَّضَخُّمِ الكونيّ» بعد ولادةِ الكون بفترةٍ قصيرةٍ.

من أبرزِ الدّلالات الطّريفة على غيابِ أيّ دليل عِلميٍّ لصالح أزليَّةِ الوجود المادّيِّ أنَّ الكوسمولوجيَّ الشّهير **(ألان غوث)** يُصرِّحُ في مقالاته العلميّة التي ينشرها في المجلاّت المحكّمة وفي لقاءاته الجادّة مع المهتمّين بالشَّأنِ العِلميِّ أن الدّلائل العلميّةَ تشير إلى أنّ الوجودَ الماديَّ كلَّهُ حادثٌ غيرُ أَزَليٍّ - قبل كوننا.

انظر حواره في برنامج: **Closer to Truth** في الفيديو التالي حيث صرَّح أنَّ كوننا قد بدأ يقيناً منذ ١٣,٧ بليون سنة، ثمَّ أضاف جواباً على قول محاوره: إنَّه -**(غوث)**- وآخرين أثبتوا أنَّ للبدايات كلَّها بداية أولى نهائية: «**نعم، ذلك صحيح، هذه الأُمُور لا يزال فيها شيء قليل من الغُمُوض. لن أزعم أنَّ هذه الأُمُور قد تمَّ إثباتها بصورة لا شَكَّ فيها، ولكن باعتماد افتراضات معقولة بإمكان المرء أن يظهر أنَّه حتى في سِياق مذهب التَّضخُّم [الذي يُعتبر غوث أعظم مُنظِّريه] مع تكوُّن فقاعات كثيرة، ستبقى هُناك بداية نهائية في مكانٍ ما**».

"**Yes, that's right those issues are still a little unclear. I wouldn't say that those things are shown beyond doubt but with reasonable assumptions one could show that even in the context of inflation with many bubbles forming it would still be somewhere an ultimate beginning**".

Alan Guth - How Did Our Universe Begin?

https://www.youtube.com/watch?v=j-gPyhjlSZ0

الشَّواهد العلمية المُتاحة اليوم تُشير إلى أنَّ للكون أو الأكوان السَّابقة بداية، ومِمَّن شهدوا بذلك **(ألكسندر فلنكن)** بقوله: «**كُلُّ الدَّلائل التي نملكها تقول: إنَّ للكون بداية**»

Cited in: Lisa Grossman, "***Why physicists can't avoid a creation event***," New Scientist (January 11,2012).

ومن ذلك قول (**فلنكن**) في كتابه الذي نشره مُنذ بضع سنوات «***عوالم في عالم واحد: البحث عن أكوان أخرى***»: «**مع قيام الدَّليل الآن، ما عاد للكوسمولوجيين أن يتخفُّوا وراء إمكانية وُجُود كون لا نهائي في الماضي. لا مهرب: عليهم أن يُواجهوا مُشكلة البداية الكونية**»

Alexander Vilenkin, ***Many Worlds in One: The Search for Other Universes***, p176.

القانون الأوَّل للديناميكا الحرارية، وهو قانون حِفْظ الطَّاقة، وينُصُّ على أنَّ الطَّاقة -في منظومةٍ مغُلقةٍ- لا تفنى ولا تُستحدَث مِن عَدَم، وإنَّما تتحوَّل مِن حالٍ إلى أخرى، وهو قانون مُتعلِّق بعمل الكون لا بأصل الكون.

بُرهان الحُدُوث يقول: إنَّ لكُلِّ «أثر» سبباً، لا أنَّ كلّ «شيء» له سبب، والأثر يقتضي ضرورة سبباً، لتنتهي السِّلسلة بذات أولى ليس لها سبب.

صموئيل لكلارك Samuel Clarke (١٦٧٥-١٧٢٩م): أحد أعلام الفلسفة في بداية القرن الثامن عشر في إنجلترا. كان له اهتمام خاص بالجدل الفلسفي في الرد على المنكرين للاهوت الطبيعي.

الفيلسوف (**صموئيل كلارك**)، أحد أشهر من كتبوا في البرهان الكوني، قال في مؤلَّف له سنة ١٧٠٥: «**إنَّه مِن المُؤكَّد بصُورةٍ قاطعةٍ لا شَكَّ فيها أنَّ هُناك شيء قد وُجِدَ مُنذ الأزل. هذا أمرٌ واضحٌ جِدًّا ولا يُمكن إنكاره، حتى إنَّه لم يجرؤ مُلحد في أيِّ عصرٍ مضى أن يفترض عكسه، ولذا لا تكاد تُوجَد حاجة للاستدلال عليه أو عدّه دعوى خاصَّة بالمؤمنين؛ إذ إنَّه بسبب وُجُود شيء الآن، مِن الواضح أنَّ هُناك شيء وُجِدَ دائماً؛ وإلَّا فالأشياء الموجودة الآن يجب أن تكون قد نشأت من لا شيء، بلا سبب البتَّة، وذاك من نقائض الكلام**»

Samuel Clarke, ***A Demonstration of the being and Attributes of God*** (London: w. Botham, 1725), p8.

الإنسان أمام خيارين جادَّين: إمَّا أن يكون الله بلا أوَّل، أو أن يكون الكون بلا أوَّل؛ إذ إنَّ العَدَم لا يُوجِد شيئًا.

القول: إن السبب يجب أن يكون أقل تعقيدا من الأثر لا برهان عليه عقلا؛ فقد ينشأ الأثر عن أمر أشد تعقيدا منه...الذات الإلهية عظيمة إلى مبلغ الكمال، وليست معقدة، والتعقيد غير العظمة والكمال.

وجَّه الفيلسوف المُلحد (**توماس ناجل**) اعتراضاً على (**داوكينز**) خُلاصته أنَّ (**داوكينز**) واقع في الإشكال نفسه الذي أراد أن يلزم المؤمن بجوابه؛ إذ إنَّ (**داوكينز**) يرُدّ كلّ أوجه الحياة على الأرض إلى آلية «**الانتخاب الطبيعي**»، لكنَّ الكائنات الحَيَّة لا يُمكن أن تتطوَّر دون وُجُود الحياة الأولى في شكلها البدائي؛ فالتَّطوُّر لا يُمكن أن يقع إلَّا بوُجُود رصيد جيني تحدث فيه الطَّفرات، لكنَّ المادَّة الجينية الأولى شديدة التَّعقيد بصورة أعظم مِن التَّطوُّر اللَّاحق لظُهُورها، بما يقتضي أنَّ تفسير أصل التَّطوُّر أعقد من التَّطوُّر نفسه.

Thomas Nagel, ***Secular Philosophy and the Religious Temperament***: Essays 2002-2008 (Oxford: New York: Oxford University Press, 2010). pp 24-25.

المطلب الثاني: الاعتراضُ على قانون السَّبَبِيَّة

الاعتراض على مبدأ السَّبَبِيَّة علامة على يأس العقل الإلحادي؛ إذ اختار إلغاء مبدأ السببية الذي لا يُوجَد العَقْل بغيره، ويمتنع العِلْم بأي شيء دونه، طلباً لنفي الإله.

إن لكل أثر سببا، مسلمة عقلية بنى عليها البشر منذ القديم كل أفعالهم وأفكارهم. وهو المبدأ الذي تنبجس منه كل كشوفنا العلمية واختراعاتنا.

ورغم شهرة نسبة مذهب إنكار السببية إلى (**هيوم**) إلا أن (**هيوم**) قد رده عن نفسه؛ إذ قال في رسالة أرسلها إلى (جون ستيوارت) سنة ١٧٥٤م؛ أي: بعد تأليفه كتابه « ***An Enquiry Concerning Human Understanding***» (١٧٤٨م) الذي أصل في فضله الرابع لظاهرية العلاقة الاقترانية بين الأشياء: «**ولكن اسمح لي أن أقول لك إنَّني لم أُقرِّر البتَّة ذاك الادِّعاء السَّخيف أنَّ شيئا ما مِن المُمكن أن ينشأ دون سبب. أنا لم أقرِّر إلَّا أن يقيننا في خطأ تِلْك الدَّعوى لم ينجم عن حدس ولا عن برهان، وإنَّما من مصدر آخر**»

J. Grieg, ed., ***The Letters of David Hume*** (Oxford: Clarendon Press, 1932), 1/187.

كيف من الممكن للعاقل أن يعترض على قانون السببية؟ هذا هو السؤال!

من ينكر السببية ينكر كل شيء ضرورة، لا السببية فقط، ولا بد أن يسقط في الشكوكية الشاملة والقاتلة؛ إذ عليه أن يمتنع عن الأكل طلبا للشبع، وعن الشراب طلبا للري، وعن الدواء طلبا للعافية

و. ت. ستاس W. T. Stace (١٨٨٦-١٩٦٧م): فيلسوف وعالم إبستيمولوجيا بريطاني. درس في جامعة «برينستون».

الفيلسوف **(و. ت. ستاس)** عن قانون السببية: «**كل دارس للمنطق يعلم أن هذا هو أعظم قوانين العُلُوم، وأساسها كلّها. إذا لم نكن نؤمن بحقيقة السَّببِيَّة، وأنَّ كلّ ما له بداية فله سبب... فستنهار جميع العُلُوم في وقتٍ واحدٍ لتصير غباراً**»

W. T. Stace, ***A Critical History of Greek Philosophy*** (London: Macmillan and Co., 1934), p6.

من أشهر الاعتراضات التي نسمعها عن سُقُوط السببية القول: إنَّ الكون صفري الطَّاقة، وهي الفرضية المعروفة وقد طرحها **(إدوارد ترايون)** سنة ١٩٧٣م.

إدوارد ترايون Edward Tryon (١٩٤٠_): فيزيائي أمريكي. درس في جامعة « City University of New York». اشتهر بدعواه أن الكون قد نشأ بفعل تموج كمومي في الفراغ.

Edward p. Tryon, ***Is the Universe a Vacuum Fluctuation?*** Nature, vol. 246, p.396-397, 1973.

ومن الذين أنكروا تعادل الطاقة **(عبد السلام محمد)**، عالم الفيزياء الباكستاني الحاصل على نوبل (١٩٧٩م)، والمُتخصِّص في النَّظرية الكمومية: «**لا يبدو أن القياسات تدعم في الوقت الحاضر [دعوى] أن كتلة الكون تساوي صفرا... ودون ذلك علينا أن نتخلص من كامل مفهوم أن الكون قد نشأ من (تذبذب كمومي) fluctuation quantum**»

Abdus Salam, ***Science and Religion: Reflections on Transcendence and Secularization*** in ***Cosmos, Bios, Theos***, eds. Henry Margenau and Roy Abraham Varghese, p99.

وُجُود الكون اليوم ينفي تعادل الطَّاقة الإيجابية والسَّالبية في بداية ظهور الكون؛ إذ إنَّ عَدَم تنافي الطَّاقتين بإبادة بعضهما بعضاً وبقاء طاقة الكون الأولى اليوم حُجَّة لذلك.

حتى صرَّحت إحدى الباحثات المُشاركات في المقال في ندوة صحفية بقولها: «**كلُّ مُلاحظاتنا تدُلُّ على وُجُود تناظر (symmetry) تامّ بين المادَّة والمادَّة المُضادَّة، ولذلك فعلى الكون ألا يوجد.. يجب أن يُوجَد لا تناظر في موضعٍ ما، لكنَّنا ببساطة لا نفهم أين يُوجَد الاختلاف**»

Johannes Gutenberg University Mainz, ***Riddle of matter remains unsolved: Proton and antiproton share fundamental properties***, 19 October 2017.

https://press.uni-mainz.de/riddle-of-matter-remains-unsolved-proton-and-antiproton-share-fundamental-properties/

العَدَم قد انفجر في بداية الكون إلى طاقة إيجابية وأخرى سالبية. وذاك لغو محض؛ **إذ العَدَم غياب كلّ شيء، فكيف انفجر اللّا شيء ليصبح شيئين!** هذه مُغالطة مُتكرِّرة من الملاحدة تعرف بمغالطة التشييء «Reification»، وهي إسباغ صفات وجودية مادية على تصوُّر ذهني مجرد.

دعوى إسقاط فيزياء الكم للسببية:

(ألكسندر فلنكن): إنَّ ميكانيكا الكَمّ قد حقَّقت نجاحات عَمَلِيَّة هائلة، واستطاعت أن تُفسِّر بُنَى الذَّرَّة والتَّفاعُلات النَّوَوِيَّة «**لكنَّ أُصُول هذه النَّظرِيَّة من المعروف أنَّها غامضة، والسِّجال حول تأويلها ما يزال جاريًا**»

وأعقب ذلك بتأكيده أنه «**بما أنَّ اختيار التَّفسير لا يُؤثِّر على أيّ من نتائج النَّظرِيَّة أو توقُّعاتها؛ فإنَّ جُلّ الفيزيائيين المُمارسين للعمل العِلْمِيّ يتَّخذُون موقفاً لا أدرِيًّا مِن أُصُول ميكانيكا الكم، ويصرفون القليل من وقتهم في التَّساؤل عن مثل هذه المواضيع. وبعبارة عالم الجسيمات إزيدور رابي: «ميكانيكا الكم ليست إلَّا خوارزمية. استعملها. هي تعمل، لا تجزع. موقف «اخرس، وُعُدّ» يعمل بصورة جيدة**»

Alexander Vilenkin, ***Many Worlds in One: The search for other universes***, p115.

إنَّ اليقين في لا حتمية الكون لم يكن راسخاً حتى عند كبار المُنكرين للحتمية مثل **(بول ديراك)** الذي قال في آخر حياته: «**إنَّه يبدو من الواضح أنَّ ميكانيكا الكم اليوم ليست على صُورتها النِّهائية، ومن المُتوقَّع بجد أن تعود ميكانيكا الكم إلى الصُّورة التي أرادها (أينشتاين) المُخاصم للَّا حتمية.**»

P. A. M. Dirac, ***The Early Years of Relativity***, in ***Special Relativity and Quantum Theory: A Collection of Papers on the*** eds. M. Noz and Young Suh Kim (Springer Science Business Media, 2012), p23.

وأمَّا الذي فضح الخِطاب العِلْمِيّ الإلحادي المُزدوج، فهو الفيزيائي **(لي سمولن)**؛ إذ كشف أنَّه «**في حين يعترف العديد مِن الفيزيائيين البارزين بصُورة غير مُعلنة بريبتهم حول ميكانيكا الكم، تُظهر مواقفهم العامَّة أنَّ مُشكلات ميكانيكا الكم قد تمَّ حلّها في عشرينيات القرن العشرين**»

Lee Smolin, ***The Trouble with Physics*** (London: Penguin, 2008), p323.

دافيد بوم David Bohm (١٩١٧-١٩٩٢م): أمريكي. من أعلام الفيزياء في القرن العشرين. له مساهمات متميزة في فيزياء الكم.

الزَّعم أنَّ فيزياء الكم قد حسمت أمر الحتمية أو السَّببية ليس إلَّا شعاراً أُمْنَوِيًّا لم يقطع به العِلْم... ومن المُهم أن يعرف القارئ أنَّ من أهم نظريات الحتمية في فيزياء الكم اليوم نظرية **(دافيد بوم)**.

كانت تُعَدّ «**هرطقة عِلْمِيَّة**»، غير أنَّها تكتسب مع الأيام أنصاراً جُدُداً بين المُتخصِّصين.

Anil Ananthaswamy, ***Quantum weirdness may hide an orderly reality after all***.

https://www.newscientist.com/article/2078251-quantum-weirdness-may-hide-an-orderly-reality-after-all/

هل نملك اليوم أهليّةَ معرفةِ حقيقةِ علائِقِ عالَمِ الذرَّةِ وما تحتها؟ سأترك هنا الجواب لأكبرِ علماء الفيزياء في القرن العشرين لِيُجِيبُونا:

مراي جل-مان Murray Gell-Mann (١٩٢٩_): فيزيائي أمريكي. له مساهمات علمية كبيرة في نظرية الجسيمات الأولية.

- **(مراي جل-مان)**، الحائز على نوبل في الفيزياء: «**ميكانيكا الكم مُلغزة، فرع معرفي مُربك، لا يفهمه -في الحقيقة- أيّ مِنَّا، لكنَّنا نعرف كيف نستعمله**».
- **(ريتشارد فاينمان)**، الحائز على نوبل في الفيزياء أيضاً: «**أستطيع القول بثقة إنَّه لا يُوجَد أحدٌ يفهم ميكانيكا الكم**».
- **(دافيد بوم)**: «**ميكانيكا الكمّ لا تُفسِّر شيئًا؛ هي فقط تُعطي مُعادلات لبعض النَّتائج.. ميكانيكا الكم عِلْم للحساب يُمكِّنك من التَّنبؤ بنتائج إحصائية، ولكنَّها لا تملك تفسيرات**».
- **(جون بل)**: «**لا أحد يعرف ما تقوله فيزياء الكم في أيّ وضعية مخصوصة**».

جون بل John Bell (١٩٢٨-١٩٩٠م): فيزيائي أيرلندي. له مساهمات متميزة في التنظير لقراءة نسقية لميكانيكا الكم.

Victor Vaguine, ***Prologue to Super Quantum Mechanics*** (Dallas, TX: ConsReality Press, 2012), p.19.

إنَّ الجُسيم الذي يُقال: إنَّه يظهر ثُمَّ يتلاشى مِن العَدَم، لا يظهر إلَّا في سِياق زماني، وفي سِياق مكاني، وضِمْن شُرُوط فيزيائية مُعيَّنة لا يُمكن أن يحدث في غيابها.

ماكس بورن Max Bom (١٨٨٢-١٩٧٠م): عالم رياضيات وفيزيائي ألماني. درس في جامعة كمبردج وغيرها.

وقد انتبه **(ماكس بورن)**، أحد أكبر عُلماء الكم، وأحد أهم أنصار اللَّا حتمية، وأحد الحاصلين على جائزة نوبل في فيزياء الكم، إلى ما يُروِّجه الناس من إلغاء فيزياء الكم للسَّببية؛ فكتب كلاماً قوياً في نقض هذه الدَّعوى مُبيِّناً أنَّ سُقُوط السَّببية؛ يعني: نهاية العِلْم: «**التَّقرير الذي يتردَّد كثيراً في أنَّ الفيزياء الحديثة قد تخلَّت عن السَّببية فاقد بصُورة تامَّة لأيِّ أساس. صحيح أنَّ الفيزياء الحديثة قد تخلَّت عن الكثير من الأفكار التَّقليدية أو عدَّلتها، لكنَّها ستتوقَّف عن أن تكون عِلْماً إذا تخلَّت عن البحث عن أسباب للظَّواهر [الطَّبيعية]**».

"The statement, frequently made, that modern physics has given up causality is entirely unfounded. Modem physics, it is true, has given up or modified many traditional ideas; but it would cease to be a science if it had given up the search for the causes of phenomena." Max Bom, ***The Natural Philosophy of Cause and Chance*** (Oxford: 1949), p4.

يُجيبنا بحث عِلْمِيّ تخصُّصي صدر حديثاً بجواب صادم، وهو أنَّ (كثيراً من) الفيزيائيين يعلمون أنَّ هذه الجسيمات مُجرَّد افتراض رياضي بحت، وليس لها وُجُود ابتداءً، وأنَّ زعم ظُهُور الجُسيمات الافتراضية محْض وهم.

يقول البحث: «**الأداة الحِسابيَّة المُمثَّلة في مُخطَّطات فاينمان تقترح صُورة غالباً ما يُساء فهمها على أنَّها «جُسيمات حقيقية تتفاعل من خِلال تبادل جُسيمات افتراضية». العديد من الفيزيائيين، وخاصَّة غير الخُبراء منهم، يأخذون هذه الصُّورة حرفيًّا، كأنَّها شيء حقيقي يحصل في الطَّبيعة بالفعل. في الحقيقة أنا لم أرَ كتاباً من الكُتُب الخاصَّة بتقديم عِلْم فيزياء الجُسيمات للجماهير من غير المُتخصِّصين، إلَّا وقدَّم هذه الصُّورة على أنَّها شيء حقيقي يحصل في الواقع. لذلك فإنَّ صُورة التَّفاعلات الكُمُومِيَّة التي تبدو فيها على أنَّها عملية يحصل فيها تبادل للجُسيمات الافتراضية هي واحدة من أسوأ الخُرافات ليس فقط في فيزياء الكم، وإنَّما في الفيزياء كلّها. في الواقع هُناك إجماع بين الخُبراء في أُسُس نظرية المجال الكُمُومية على أنَّ هذه الصُّورة ينبغي ألَّا تُؤخَذ حرفيًّا. المبادئ الأساسية للفيزياء الكُمُومِيَّة لا تحتوي على مفهوم الحال «الافتراضية». مفهوم «الجُسيمات الافتراضية» ينشأ فقط من اتِّباع أسلوب رياضي مُعيَّن في الحساب**»

H. Nikolie, ***Quantum mechanics: Myths and facts***. Foundations of Physics, 2007, 37 (11), 1563-1611.

(نقله وعربه: أحمد إبراهيم، ***اختراق عقَل***، الرياض: مركز دلائل، ١٤٣٧هـ، ص١١٧-١١٨).

إنَّ الجُسيمات الافتراضية تظهر حقيقة ثمَّ تختفي، ولكنَّهم لا يرون أنَّ ذلك خلقاً مِن عَدَم، وإنَّما

هُم يُفسِّرون ذلك بأنَّ هذا الجسيم مُتحوِّل عن الطَّاقة الموجودة في مجاله؛ فهو يتحوَّل من طاقة إلى مادَّة، ثمَّ يعود فيتحوَّل من مادَّة إلى طاقة.

دالس ويلارد Dallas Willard (١٩٣٥-٢٠١٣م): أستاذ الفلسفة في جامعة جنوب كاليفورنيا. له اهتمام خاص بالإبستيمولوجيا وفلسفة العقل.

الفيلسوف الأمريكي (**دالس ويلارد**): «**إذا كنت تسمح أن ينشأ الكون المادِّيّ كلّه «من لا شيء»؛ فلا يُوجَد أي سبب لئلَّا تستمِرّ الأشياء المادِّيَّة والأحداث في النُّشُوء «من لا شيء». وإذا كان الكون كلّه يُمكن أن ينشأ من العَدَم؛ فمن المُؤكَّد عندها أنَّ كوباً من الشَّايّ مِن المُمكن أن ينشأ مِن لا شيء**»

Dallas Willard, ***Knowing Christ Today: Why We Can Trust Spiritual Knowledge*** (New York: HarperOne, 2009), p103.

دافيد دارلنج David Darling (١٩٥٣_): كوسمولوجي إنجليزي له عدد من المُؤلَّفات العِلْمِيَّة، خاصَّة في تبسيط العُلُوم. من مؤلفاته: «The Universal Book of Astronomy».

كتب الكوسمولوجي (**دافيد دارلنج**) في بيان تدليس الخطاب العلمي عندما يتحول إلى خطاب شعبي وثوقي، في مقاله: «***حول خلق شيء من لا شيء***»: «**لا يُمكنك أن تُخادع غيرك هُنا باستدعاء ميكانيكا الكم. إمَّا أنَّه لم يَكُن هُناك شيء للبدء به، وهكذا لم يَكُن هُناك فراغ كمِّيّ، ولا ما قبل الغبار الهندسي، ولا زمان من المُمكن أن يحدث فيه أيّ شيء، ولا قوانين فيزيائية بإمكانها أن تُغيِّر اللَّا شيء إلى شيء، أو كان هُناك شيء**»

David Darling, "***On Creating Something from Nothing***," New Scientist (volume 151, September 14,1996) p49.

المطلب الثالث: الاعتراض على دَلَالَةِ البُرهان عَلَى إلهِ المُسْلِمِينَ

دانيال دينيت Daniel Dennett (١٩٤٢_): فيلسوف أمريكي. من أعلام ما يعرف بـ «الإلحاد الجديد». له اهتمام خاص بفلسفة العقل وفلسفة الدين.

يقول (**دانيال دينيت**) في سَبَب وُجُود الكون: «**رُبَّما هو فكرة تُفَّاحة. رُبَّما هو الجِذْر التَّربيعي للسَّبعة... هو ليس شيئاً لأنَّ الأشياء المُجرَّدة لا يُمكن أن تتسبب في حُصُول شيء. مَن قال ذلك؟**»

Daniel Denett on William Lane Craig

https://humblesmith.wordpress.com/2012/10/18/daniel-denett-on-

william-lane-craig/

لا يقصد بكل برهان على وجود الله أنه دال على جميع صفات الخالق-إلا برهان إعجاز القرآن، فإن القرآن آية على النبوة والألوهية.

وبرهان الحُدُوث دال على وُجُود ذاتٍ / إلهٍ فوق الزَّمان، بائن عن خلقه، قدير وعليم وحكيم، قد تفرَّد بفعل الخلق.

ما ذكره **(دينيت)** دليل مبلغ استخفاف أنصار الإلحاد الجديد بالعقل البشري؛ إذ إنَّهم يتحرّون الجِدِّيَّة والمنطق واستقامة التَّفكير في عامَّة أمرهم، لكنَّهم يُشكِّكون في البدهيات وأوضح الواضحات إذا تعلَّق الأمر بإثبات وُجُود الله!

وقد طَرَحَ هذه الشُّبْهةَ **(لويس ولبفرت)** في مُناظرتِه مع **(وليام لين كريج)**، وكانت نهايةُ الشُّبْهةِ ظريفةً، ومُعبّرةً عن الجواب بوضوحٍ:

كريج: جيد، تذكر أنني قدمت حجة أن أي سبب لوجود الكون يجب أن يكون غير متحيز، وغير متزمن، وغير مادي، وقويا بصورة عظيمة، وذاتا.

ولبفرت: طيب، أنا أعتقد أن سبب وجود الكون: كمبيوتر. (الحضور يضحكون).

كريج: لكن الكمبيوترات مصممة على أيدي بشر.

ولبفرت: لكن هذا الكمبيوتر لا سبب لظهوره، كمبيوتر مصمم تصميما ذاتيا!

كريج: حقا؟!

ولبفرت: نعم! ومتعال على الزمان. (الحضور يضحكون).

كريج: ذاك كلام متناقض.

ولبفرت: لماذا؟ أين التناقض في ذلك؟

كريج: الكمبيوتر يحتاج أن يعمل، ويحتاج وقتا.

ولبفرت: لكن لاحظ أن هذا كمبيوتر متميز جدا! (الحضور يضحكون).

كريج: طيب، لا بد أن تكون متناسقا منطقيا.

ولبفرت: الأمر متناسق منطقيا.

كريج: حقا!

ولبفرت: نعم، هذا كمبيوتر مذهل!

كريـج: وهو أيضا كامل في قدرته؟

ولبفرت: نعم!

كريـج: متعال على المكان، وغير مادي؟

ولبفرت: نعم، نعم! (الحضور يضحكون).

كريـج: الآن فهمت ما فعلته. ما تسميه «كمبيوتر» هو في الحقيقة: الله! شيء غير فيزيائي، متعال على المكان، غير متزمن، كامل القدرة. (الجمهور يتوقف عن الضحك ويظهر إعجابه بالرد).

كريـج: انظر.. كلمة «كمبيوتر» تفقد كل معناها إذا سلبتها كل خصائصها التي تجعل الشيء جهاز كمبيوتر وأسبغت عليها كل الصفات التي لله.

Lewis Wolpert vs William Lane Craig, ***Is God a Delusion?*** February 28th, 2007, Central Hall, Westminster.

https://www.youtube.com/watch?v=n2wh179kos0

قال (**بيتر أتكنز**): «**لا تُوجَد قوانين في كون لَمْ يُوجَد بعد؛ لأنَّ القوانين تَظْهَر للوُجُود على أنَّها السُّلُوك الذي يَظْهَر مع نُشُوء الوُجُود**»

Peter Atkins, ***On Being: A Scientist's exploration of the great questions of existence*** (OUP Oxford, 2011), p12.

القوانين الكونية هي -إذن- مُجرَّد وصف لِعَمَل مادَّة الكون، وفي غِياب مادَّة الكون لا وُجُود للقوانين لأنَّ القوانين لا تُوجَد في العَدَم... ثُمَّ أنَّ وُجُود الجاذبية نفسها لا بُدَّ أن يكون مَحَلّ سُؤال؛ لأنَّ الجاذبية مُمكن مِن المُمكنات، فما الذي رجَّح وُجُودها على عدمها؟!

(**ألكسندر فلنكن**): «**ما أبدأ به في الحقيقة هو قوانين الفيزياء؛ أي: النِّسْبِيَّة العامَّة وميكانيكا الكم. وبالطَّبع يُفترض أنَّ هذه القوانين موجودة بمعنى أفلاطوني ما حتى قبل الكون، على الرَّغم مِن أنَّ عبارة «قبل» يجب أن تُوضع بين علامتي تنصيص؛ لأنَّه لا يُوجَد زمان. والسُّؤال بالطَّبع هو سؤال مُحيِّر للغاية: لماذا هذه القوانين؟ مَن الذي أعطى الوُجُود هذه القوانين؟ إنَّه لُغْزٌ عَمِيقٌ وليس لَدَيَّ الكثير لأقوله عن ذلك، وإن كنت أود لو أملك أن أفعل**»

Alexander Vilenkin-Why is There 'Something' Rather Than 'Nothing'?

https://www.youtube.com/watch?v=PSESZR3wC8s

يجيبنا **(فلنكن)** أنَّ هذه القوانين كانت في عالَم مُشابه لمَّا سمَّاه **(أفلاطون)** بـ «**عالَم المُثُل**». وعالَم المُثُل عند **(أفلاطون)** هو عالَم المُجرَّدات، وهو غير عالَم المادَّة وعالم الحِسّ، هو عالم الكُلِّيَّات لا العينيات. فقوانين الكون عند **(فلنكن)** كانت في وُجُود غيبي غير حِسِّيّ! ولا يشهد العِلْم المادِّيّ ولا الحِسّ لعالَم المُثُل المزعوم!

صدق فيهم **(أينشتاين)** قوله: «**عَالِم الطَّبيعة، فيلسوف بائس The man of science is a poor philosopher**»

Albert Einstein, "***Physics and Reality***," tr. Jean Piccard, in Journal of the Franklin Institute, vol. 221, p349.

(مايكل روس) لصاحبه **(داوكينز)**؛ إذ قال: «**أعتقد أنَّ داوكينز جاهل بكُلّ ما يتعلَّق بالفلسفة واللَّاهوت**»

Michael Ruse in Tristan Abbey, "***The Impact of Darwinism***," The Stanford Review, Volume XL, Issue.7.

https://stanfordreview.org/impact-darwinism/

- كلّ معارفنا العِلْمِيَّة المُتاحة تدُلُّ أنَّ كوننا ناشئ بَعْد عَدَم.
- الإجماع حاصِل بين عُلماء الكوزمولوجيا المُلحدين أنَّ لكوننا بداية.
- الأدِلَّة على أنَّ لكوننا بداية مُتعدِّدة ومُتنوِّعة؛ ولذلك لا رجاء للمُخالفين أن يكشف العلم عكسها؛ لأنَّها لا تتعلَّق ببرهان واحد يحتمل التَّشكيك والزَّعزعة.

مراجع للتَّوسُّع

مصطفى صبري، ***موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين***، دار إحياء الكتاب العربي، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.

الباب الرابع: آيات الله في نظم الكون

فريمان دايسون Freeman Dyson (١٩٢٣_): عالِم فيزياء ورياضيات أمريكي شهير.

«**كُلَّما قُمْتُ بفَحْصِ الكَوْن ودِرَاسَة تَفَاصِيل بِنْيَتِهِ، وَجَدْتُ أدِلَّة أعْظَم أنَّ الكَوْن كَانَ -بمعنى ما- يَعْلَم أنَّنا قادمون**». الفيزيائي **(فريمان دايسون)**.

Freeman Dyson, ***Disturbing the Universe*** (New York: Basic Books, 1979) p250.

تمهيد

يَنْظُرُ اللاَّهوتيُّون وعلماءُ الطّبيعةِ إلى دلالة تركيبِ الكونِ على أصلِهِ من زاويتَيْنِ تنتهيان إلى إثباتِ وجود الذّات الحكيمةِ القديرة التي صَوَّرَت الوجودَ الماديَّ على ما هو عليه..

الزاوية الأولى: هي طبيعة تركيب الكون وتعقيده = بُرهان النَّظم، أو «**برهان التَّصميم**» «**Argument From Design**».

والزاوية الثانية: هي النَّظر إلى مآلات الطَّبائع المادِّيَّة للموجودات = **البُرهان الغائي** «**Teleological Argument**» كما عند (**توما الأكويني**)، أو (**برهان العناية**) كما عند (**ابن رشد**) قبله، وهو يقوم -عند (**ابن رشد**)- على أصلين: مُوافقة جميع أجزاء العالم لوُجُود الإنسان، وأنَّ ما كان مُسدَّدا نحو غاية واحدة، فهو مصنوع لحكمة ضرورة.

ابن رشد، ***الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة***، تحقيق: محمد عابد الجابري (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م)، ص١٦٣.

الوجه الأول: دلائل النظم الحكيم في الفيزياء.

الوجه الثاني: دلائل النظم الحكيم في البيولوجيا.

الوجه الثالث: دلالة الجمال.

الفصل الأول: بُرهان الضَّبط الدَّقيق

«**هل وقعنا فجأة، ودون قصد، على الحُجَّة العِلْمِيَّة لوُجُود الكائن الأسمى؟**» عالم الفلك (**جورج غرينشتاين**)

Greenstein, ***The Symbiotic Universe*** (New York: William Morrow, 1988), p27.

الوُجُود الحيّ والنِّظام المُتكامل يقتضيان توفُّر منظومة قوانين وثوابت كونية دقيقة جداً ومُتناغمة في تشابكها المُعقَّد لتقود إلى أمرين عجيبين: نشأة الحياة، واستمرارها.

بدأ برهان الضَّبط الدَّقيق في الظُّهور بوُضُوح في المكتبة الغربية مُنذ ستِّينيات القرن الماضي. وقد تشكَّل مع تطوُّر عِلْم الكوزمولوجيا والفيزياء في كشفهما الشُّرُوط الضَّرورِيَّة لنشأة الحياة وبقائها في الكون. وهو بُرهان بيِّن في كتاب الله مُنذ قرون. قال تعالى: «**ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا**» [الفرقان:٢]

والبُرهان قديم في التراث الإسلامي، ولعل أشهر من دافع عنه (**ابن رشد**) الحفيد في الدَّليل الذي

سماه بـ «**دليل العناية**». ومُختصره: أنَّ العالم بجميع أجزائه موافق في خلقه وتركيبته لوُجُود الإنسان، وكلّ ما يُوجَد مُوافقاً في جميع أجزائه لفعل واحد، ويكون مُسدَّدا نحو غاية واحدة؛ فهو أثر عن إرادة وحكمة.

ابن رشد، ***الكشف عن مناهج الأدلة***، ص١٦٣.

بُرهان الضَّبط الدَّقيق المُعاصِر يضُمُّ صيغة (**ابن رشد**)، غير أنَّه أدَقّ مِن جِهة دِقَّة الضَّبط في ضوء عِلْم الاحتمالات، وأوسع من جهة أنه معني بوُجُود كلّ صُورة للحياة مُمكنة، لا فقط حياة الإنسان.

بُرهان الضَّبط الدَّقيق لعالم الفيزياء والكيمياء لا يخضع لآليات التَّطوُّر البيولوجي المزعومة.

حقيقة عن هذا العالم من ناحية ترتيب عمله (القوانين) وترتيب موازينه (النِّسب الفيزيائية في آحادها واجتماعها المُتناغم) بما يؤول إلى ظُهُور الحياة.

أشهر صيغة في عرض بُرهان الضَّبط الدَّقيق تنتظم في الشكل التالي:

١. قوانين الكون وأشياؤه مضبوطة ضبطاً دقيقاً لوُجُود الحياة.
٢. تفسير الضَّبط الدَّقيق لا يخرج عن الضَّرورة المادِّيَّة أو الصُّدفة أو الحِكمة.
٣. الضَّرُورة المادِّيَّة والصُّدفة لا تُفسِّران الضَّبط الدَّقيق للكون.
٤. الكون مُنظَّم من بديعٍ مُتعالٍ على المادَّة، هو الله سُبحانه.

المبحث الأول: حُجِّيَّة بُرْهَان الضَّبْط الدَّقِيق

«الكِليشِيه القائل: إنَّ «الحياة مُتوازنة على حَدّ السِّكِّين» يبدو مُغرقاً في السَّطحِيَّة؛ إذ لا يُوجَد سِكِّين في الكون يبلغ هذا الحَدّ من الدِّقَّة»

Paul Davies, ***Goldilocks Engima: Why Is the Universe Just Right for Life*** (New York: Houghton Mifflin Harcourt, 2008), p170.

يظهر جوهر الضَّبط الدَّقيق للكون في وُجُود أُمُور لا تحتملها العشوائية ولا الضَّرورة المادِّيَّة لظُهُور الحياة، وهي:

١. الضَّبط الدَّقيق للقوانين الفيزيائية.
٢. الضَّبط الدَّقيق للثَّوابت الكونية.
٣. الضَّبط الدَّقيق للظُّرُوف الأولى لظُهُور الكون.
٤. الضَّبط الدَّقيق للمُركَّبات الكيميائية والبيولوجية الضَّرورية للحياة على الأرض.

المطلب الأول: رَهَافَة بُرهَان الضَّبْط الدَّقِيق

إدراك المعنى الرِّياضي (العِلْمِيّ) للأحداث المُستبعدة جدًّا، والأخرى المُستحيلة:

١. الاحتمالات البعيدة

إذا قرأت أنَّ النسبة الاحتمالية لحصول أمر ما تبلغ ١ من ($١٠^{٨٠}$) أو ١ من ($١٠^{٩٠}$) أو ١ من ($١٠^{١٠٠}$)؛ فهل تراها أُموراً قريبة المنال أم مُستبعدة بجد؟

الاحتمالَ الرياضيّ لِعُثورِكَ على حَبَّةِ رَمْلٍ واحدةٍ - أَخَذَها منكَ شخصٌ ما وسافر بها إلى حيث لا تَعْرِفُ لِيُلْقِيَهَا في مكانٍ ما، في بلدٍ ما على هذه الأَرضِ - مِن بين جميع حَبَّاتِ الرَّمْلِ يبلغ ١ من ($١٠^{١٩}$) فقط؛ فرقم ($١٠^{١٩}$) هو إذن ضخمٌ جدًّا جدًّا!

أو غَطِّ قارة أمريكا الشَّمالية كلّها بحبَّات نقدية صغيرة حتى القمر (عُلُوّ ٢٣٩ ألف ميل)، ثمَّ كوِّم القطع النَّقدية نفسها في بليون قارة أخرى مثل أمريكا الشَّمالية من الأرض حتى القمر، ثم لون قطعة نقدية واحدة منها باللون الأحمر، وغَطِّ عيني صاحب لك، وقُل له أن يستخرج تلك القطعة من الأكوام الهائلة للقطع التي تحجب الأنظار في هذه القارات الكثيرة.. واعلم أنَّ احتمال أن يُصيب صاحبك القطعة الحمراء من أول مرة هو ١ من ($١٠^{٣٧}$) فقط.

Hugh Ross, ***The Creator and the Cosmos***, p115.

٢. الاحتمالات المُستحيلة

متى يكون الأمر مُحالاً (عادةً) مِن النَّاحية الاحتمالية؟

وضع العُلماء ما سمُّوه: universal probability bound

وهو الحَدّ الذي إذا تجاوزه الاحتمال الرِّياضي صار تفسيره بالعوامل الطَّبيعية وحده مُحالاً في حُدُود العادة.

حدَّد عالم الرِّياضيَّات **(ويليام دمسكي)** الحَدّ الرِّياضي الاحتمالي ب: ١ من ($١٠^{١٥٠}$).

William A. Dembski, ***The Design Inference*** (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), p213.

ويليام دمسكي William A. Dembski (١٩٦٠_): عالم رياضيات وفيلسوف أمريكي. من أعلام مدرسة «التصميم الذكي». له عناية خاصة بنقض إمكان تحقق ظواهر التصميم بصورة عشوائية.

وقد توصَّل إلى هذه النِّسبة بحسابه العَدَد الأقصى المُمكن للأحداث في الكون بالنِّسبة لجميع مُكوِّناته الدُّنيا:

$١٠^{٨٠}$ = عدد الجُسيمات الأوَّلِيَّة في الكون المنظور.

$١٠^{٤٥}$ = العدد الأقصى بالثَّانية لإمكان تحوُّل فيزيائي = معكوس «**زمن بلانك Planck time**» وهو أقصر مَدَى زمني مُمكن لحُدُوث تغيُّر مادِّي؛ أي: $١٠^{٤٥}$ جزء من الثَّانية الواحدة.

$١٠^{٢٥}$ = هذا الرَّقم أكبر بليون مرَّة من عمر الكون إذا حسبناه بالثَّواني.

عدد الأحداث طوال تاريخ الكون لا يُمكن أن يتعدَّى = $١٠^{٨٠} \times ١٠^{٤٥} \times ١٠^{٢٥} = ١٠^{١٥٠}$

وقد أعاد (**دمسكي**) حِساب النِّسبة الاحتمالية لاحقاً وانتهى إلى النسبة نفسها، في بحثه:

Specification: The Pattern That Signifies

https://billdembski.com/documents/2005.06.Specification.pdf

المطلب الثاني: الضَّبْط الدَّقِيق للقوانين

بدأ كوننا بالعَمَل مُنذ ميلاده على سُنَّة مجموعة مِن القوانين التي تحكُم مساره حتى ظُهُور الحياة على الأرض.

النَّظر في القوانين التي تحكم الوُجُود، يدفع العقل إلى أن يعجب من:

١. وُجُود القوانين.
٢. تنوُّع القوانين.
٣. تكامل القوانين.
٤. دِقَّة القوانين.
٥. جمال القوانين.

عبر (**ديفيس**) عن دهشته بقوله: «**القوانين... تبدو نفسها نتيجة تصميم مُبتكر للغاية**»

Paul Davies, ***Superforce*** (New York: Simon & Schuster, 1984), p243.

أندريه لاند Andrei Linde (١٩٤٨_): عالم فيزياء نظرية من أصلي روسي. أستاذ الفيزياء في جامعة «ستانفورد».

ويُنبِّهنا (**أندريه لاند**) أحد أئمَّة الفيزياء النَّظرية اليوم، إلى التَّساؤل عمَّا هو أبسط وأوضح مِمَّا سبق؛ إذ يقول: «**لماذا هُناك ثلاثة أبعاد للفضاء وبُعد واحد للوقت؟ لو كان لدينا أربعة أبعاد للفضاء وبُعد واحد للزَّمان، فلن تستقِرّ الأنظمة الكوكبية، وسوف تكون نُسختنا من الحياة مُستحيلة. لو كان لدينا بُعدان للفضاء وبُعد واحد للزَّمان، فلن يكون بإمكاننا أن نكون**»

Science's Alternative to an Intelligent Creator: the Multiverse Theory.

https://www.discovermagazine.com/the-sciences/sciences-alternative-to-an-intelligent-creator-the-multiverse-theory

(بول ديفيس) يقول: «**لولا الكربون، لكانت الحياة كما نعرفها مُمتنعة الحُدُوث؛ بل رُبَّما كانت كلّ أشكال الحياة مُستحيلة**»

Paul Davies, ***The Fifth Miracle***, p145.

صرَّح **(جورج والد)** الحائز على نوبل في الطِّبّ والمُهتمّ بالبحث الكيميائي، أنَّ أدِلَّة وُجُود الله واضحة جدًّا؛ ذاك أنَّ للكربون مع الهيدروجين والأوكسجين والنيتروجين «**خصائص فريدة من نوعها تناسب وظيفتها، ولا يُشاركها في ذلك أيّ من العناصر الأخرى في الجدول الدَّوري للعناصر الكيميائية**»

Interview: David Levy, '***Four Simple Facts Behind the Miracle of Life***,' Parade Magazine, June 12, 1998, p12.

المطلب الثالث: الضَّبْط الدَّقِيق لِلثَّوابِت الكَوْنِيَّة

الثَّوابت الكونية هي الأرقام الأساسية التي عندما تُضَخّ في قوانين الفيزياء، تُحدِّد الهيكل الأساسي للكون.

Robin Collins, '***The teleological argument: an exploration of the fine-tuning of the universe***,' in ***The Black- well Companion to Natural Theology***, William Lane Craig and J. P. Moreland, eds., (Oxford Wiley-Black-well, 2012) p213.

هيو روس Hugh Ross (١٩٤٥_): عالم فيزياء فلكية كندي. من أهم العلماء الغربيين المهتمين بمواجهة الظاهرة الإلحادية بالكشوف العلمية. له نشاط واسع في الجدل الإيماني الإلحادي في أمريكا من خلال مؤسسته الدعوية العلمية (Reasons to Believe).

جمع الفيزيائي **(هيو روس)** عشرات الثَّوابت الكونية من هذا النّوع.

Hugh Ross, ***The Creator and the Cosmos***, pp. 145-157, 245-248.

كما أفاض في الأمثلة الفيزيائيان **(جون برو)** و**(فرنك تبلر)** في كتابهما «***المبدأ الكوسمولوجي الإنساني***»

John D. Barrow and Frank J. Tipler, ***The Anthropic Cosmological Principle***)Oxford; New York: Oxford University Press, 1996).

قول (**هاوكنج**) في الثَّوابت الفيزيائية: «**الحقيقة الملحوظة هي أنَّ قِيَم هذه الأرقام تبدو كأنَّه قد تمَّ ضبطها بصورة دقيقة ليكون تطوُّر الحياة مُمكنا، فعلى سبيل المثال، لو كانت الشُّحنة الكهربائية للإلكترون مُختلفة عمَّا هي عليه الآن قليلاً، فإنَّ النُّجُوم لن تكون قادرة على حرق الهيدروجين والهيليوم، أو لن تكون قادرة على الانفجار**».

Stephen Hawking, ***A Brief History of Time***, p125.

يُعَدّ «**الثَّابت الكوني The Cosmological Constant**»، وهو مُتعلِّق بمُعدَّل توسُّع الكون، أعظم أوجه الضَّبط في ثوابت الكون حتى قال (**روبن كولنز**): «**إنَّ دِقَّته تُعَدّ بصُورة واسعة أكبر مُشكلة فردِيَّة تُواجه الفيزيائيين والكوسمولوجيين.**»

Robin Collins, ***'Evidence of fine-tuning'***, ***God and Design: The Teleological Argument and Modern Science***, Neil A. Manson, ed. (London; New York: Routledge, 2003.), p180.

إذ يكفي تغيير دِقَّة الثَّابت الكوني درجة واحدة من ($١٠^{١٢٠}$) حتى يتوسَّع الكون بسُرعة زائدة أو ببطء. وفي الحالين كلتيهما تمتنع الحياة. ويكفي أن تعلم أنَّ رقم ($١٠^{١٢٠}$) أكبر من مجموع عدد البروتونات والنيوترونات في الكون كلّه مئة بليون كدريليون، كدريليون مرة!

مِن الثَّوابت الأخرى، العلاقة بين الثَّوابت نفسها؛ فإنَّه لو تمَّ تغيير العلاقة بين القُوَّة الكهرومغناطيسية والجاذبية ١ من ($١٠^{٣٦}$) فلن يُوجَد الكون كما نعرفه اليوم.

Martin Rees, ***Just Six Numbers: The Deep Forces That Shape the Universe*** (London: Weidenfeld g Nicolson, 2015), p30.

المطلب الرابع: الضَّبْط الدَّقِيق للظُّرُوف الأولى لظُهُور الكَوْن

إنَّ الظُّرُوف الأولى كان يجب أن تكون على حال دقيقة من الانتظام، والاحتمال الرِّياضي لِظُهُور ذاك الظَّرْف الفيزيائي الدَّقيق يبلغ ١ من ١٠ أس ١٠ أس ١٢٣، وهو رقم ضخم جدًّا لو جُمِعَت الكُتُب الموجودة على الأرض كلها، وعَمَدْت إلى صفحاتها مُجَمَّعةً وأَرَدت كتابةَ هذا الرّقمِ فلن تملكَ أنْ تكتُبَهُ لكَثْرَةِ أَصْفارِهِ.. بل دَعْ عنك ذاك.. إنّك لو أردت أن تكتُبَ أصفارَ هذا الرقمِ على جميعِ ذَرَّاتِ الكونِ فلن تبلغ كتابَتَهُ! إنَّهُ رقمٌ مَهُولٌ!

Roger Penrose, ***The Emperor's New Mind***, p344.

جوردن فن وايلن Gordon Van Wylen: عمل رئيسا لقسم الفيزياء في جامعة (ميتشجان).

لقد ظهر الكون في مراحله الأولى في حال عالية من الانتظام بما يُخالف أهمّ قانون مادِّيّ، وهو

القانون الثَّاني للدِّيناميكا الحرارية، وهو أمر مُدهش جعل الفيزيائي الأمريكي **(جوردن فن وايلن)**، يقول في كتابه المدرسي الذي كان يُدرَّس في الجامعات الأمريكية عن القانون الثاني للدِّيناميكا الحرارية -على خلاف عرف الصِّياغات العِلْمِيَّة المُحايدة: «**السُّؤال الذي يطرح نفسه هو كيف دخل الكون حالاً من الإنتروبيا مُنخفضًا [نظام عال غير عشوائي] في المقام الأوَّل؛ إذ إنَّ جميع العمليَّات الطَّبيعية المعروفة لنا تميل إلى زيادة الإنتروبيا [الاضطراب]... وقد وَجَدَ المؤلِّف أنَّ القانون الثَّاني يميل إلى زيادة قناعته أنَّ هُناك خالقاً لديه الجواب عن مصير الإنسان والكون في المُستقبل**»

Gordon Van Wylen, ***Thermodynamics*** (New York: John Wiley & Sons, 1959), p169.

ومن عجب أن يقول الفيزيائي المُلحد **(هاوكنج)** أمام المشهد الكوني في بداياته لأولى: «**سيكون مِن الصَّعب جدًّا أن نُفسِّر لِمَ كان ينبغي أن يبدأ الكون بهذه الطَّريقة فقط، إلَّا إن قُلنا إنَّه عَمَلُ اللهِ الذي أراد خَلْق كائنات مثلنا**»

Stephen Hawking and Leonard Mlodinow, ***A Briefer History of Time*** (New York: Bantam Books, 2005) p73.

وقد أَلَّف عالِم الكوزمولوجيا والفيزياء الفلكية البارز، رئيس «الجمعية الملكية» البريطانية، المُلحد **(مارتن ريس)** مُنذ سنوات قليلة كتابه المثير: «***فقط سِتَّة أرقام***»، وهي أرقام سِتَّة مُتعلِّقة بظُرُوف نشأة الكون، كانت كامنة في الكون مُنذ بدايته. وقد علَّق **(ريس)** بقوله: «**إنَّه لو كانت هذه الأرقام مُختلفة عمَّا كانت عليه، ولو بصورة طفيفة، فَلَن تكون هُناك نُجُوم، ولا عناصر مُعقدَّة، ولا حياة.**»

هذه الأرقام السّتّةُ هي:

١- مبلغُ قوّةِ القُوّةِ التي تربِطُ عناصرَ الذَّرَّةِ، وتُحَدِّدُ شَكْلَهَا.

٢- مبلغُ قُوّةِ القُوَى التي تجمعُ الذَّرَّاتِ فيما بينها.

٣- كثافةُ المادّةِ في الكونِ.

٤- مبلغُ قُوّةِ القُوّةِ المعارِضَةِ للجاذبيّةِ والتي تَحْكُمُ تَوَسُّعَ الكونِ.

٥- سَعَةُ الشُّذوذاتِ أو التَّمَوُّجاتِ المعقّدةِ في الكونِ المتوسِّعِ، والتي تُغَذّي نُمُوَّ الأفلاكِ والمجرّات...

٦- الأبعادُ الفضائيّةُ الثُّلاثيّةُ لكونِنا؛ إذ لا يمكن للحياةِ أن توجدَ في كونٍ ثُنائيِّ الأَبْعادِ الفَضَائيّةِ أو

رُباعِيِّها.

وقد ختم (**ريس**) كتابه بقوله: «**هُناك عَدَد قليل من القوانين المادِّيَّة الأساسية التي تُحدِّد «القواعد». كان ظُهُورنا مِن انفجار عظيم بسيط مُرتبطاً بصورة مُرهفة بسِتَّة «أرقام كونية». ولو لم يتِمّ ضَبْط هذه الأرقام بدِقَّة، لامتنع على طبقات التَّعقيد المُتراكمة أن ترى النُّ ُور**»

Martin Rees, ***Just Six Numbers: The Deep Forces That Shape the Universe*** (New York: A Member of the Perseus Books Group, 2000), p161.

المطلب الخامس: الضَّبْط الدَّقِيق في تَفَاصِيل المُركَّبات الكِيميائيَّة والبَيُولُوجيَّة عَلَى الأرْض

Martin Rees, ***Just Six Numbers: The Deep Forces That Shape the Universe*** (New York: A Member of the Perseus Books Group, 2000), p161.

المبحث الثاني: مَلَاحِدَة انْتَصَرُوا لبُرْهَان الضَّبْط الدَّقِيق

ستفن واينبرغ Steven Weinberg (١٩٣٣): عالم فيزياء نظرية أمريكي. عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم الأمريكية.

بُرهان الضَّبط الدَّقيق هو -من بين البراهين العِلْمِيَّة على وُجُود الله، «بُرهان العَصْر» للإيمان.. هو البُرهان الذي قال في دلالته (**ستفن واينبرغ**) الفيزيائي المُلحد الحائز على جائزة نوبل في لقائه مع (**داوكينز**): «**نحن -بسببه- في ورطة**».

في لقائه مع (**داوكينز**)، حيث حاول (**داوكينز**) أن يستنجد به للتَّخلُّص من دلالة الضَّبط الدَّقيق على وُجُود الله.

اعترف (**هتشنز**) المُلحد أنَّه أقوى أدِلَّة المؤمنين بالله، وأنَّه بُرهان يضَّطر المُلحد إلى التَّفكير بجدّ فيه.

Christopher Hitchens Fine Tuning

https://www.youtube.com/watch?v=GDJ9BL38PrI

فرنك تبلر Frank Tipler (١٩٤٧_): عالم رياضيات وفيزياء وكوسمولوجيا أمريكي. أستاذ في جامعة «تولان».

الفيزيائي (**فرنك تبلر**) القائل: «**لمَّا بدأتُ حياتي المِهَنِيَّة مُنذ قُرابة عشرين سنة مَضَت ككوسمولوجي، كُنتُ مُلحداً مُقتنعاً بإلحادي. لم أتصوَّر -حتى في أحلامي السَّادرة- أنَّني سأكتب كتاباً يزعم أنَّه يُظهِر أنَّ الدَّعاوَى المركزية للَّاهوت المسيحي اليهودي [خَلْق العالم ونظم**

القوانين] هي في الواقع حقيقية، وأنَّ هذه الدَّعاوَى هي استدلالات مُباشرة من القوانين الفيزيائية كما نفهمها نحن الآن. لقد دُفِعْتُ إلى الإيمان بهذه النَّتائج، بسبب المنطق الصَّلب لفرع الفيزياء الخاصّ الذي أدرسه»

Frank Tipler, ***The Physics of Immortality*** (London: Pan, 1996), p ix.

عالم الفلك الكبير (**فريد هويل**)، حتى قال: **«يُخبرنا التَّفسير البدهي للحقائق أنَّ كائناً بالغ الذَّكاء قد تحكَّم في ضَبْط الفيزياء، وكذلك الكيمياء والبيولوجيا، وأنَّه لا تُوجَد قوى عمياء تستحق الذِّكر في الطَّبيعة»**

هذا التصريح جعل عددا من المؤرخين لحياة (**هويل**) يقولون: إنَّه قد تحوَّل من الإلحاد الذي صرَّح بالانتصار له سابقاً إلى اللَّا أدرية.

Fred Hoyle, '***The Universe: Past and Present Reflections***,' Annual Review of Astronomy and Astrophysics: 1982, 20:16.

المبحث الثالث: نُقُودٌ وَرُدُودٌ

المطلب الأول: الإنسان أتْفَه مِن أن يُصمَّم الكَوْن لأجله

نحن لا نقطع أن الكون قد خلق فقط من أجل الإنسان، فلعل الله سُبحانه قد خلق كائنات أخرى عاقلة في كواكب أخرى، وربما دل قوله تعالى: «**وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ**» [الشورى:٢٩]، وقوله-سبحانه: «**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**» [النحل: ٤٩] على وجود كائنات تدب في السماء (وبذلك ليست هي من الملائكة ولا الجان)، وتحاسب على أعمالها كما نحاسب نحن؟! نحن لا ندري؛ ولذلك لا نجزم في مقام الاحتمال.

جون أوكيف John O'Keefe (١٩١٦-٢٠٠٠م): فلكي أمريكي بارز. أول من اكتشف الشكل الدقيق للأرض. ساهم بصورة كبيرة في عدد من المشاريع الحكومية الفلكية.

لماذا لا نقول مع عالم الفلك من وكالة ناسا (**ألوسيوس أوكيف**): «**نحن طِبْق المعايير الفلكِيَّة القِيَاسِيَّة مجموعة من المخلوقات مُدلَّلة ومَرعِيَّة... لو لم يكن الكون مخلوقاً على صُورة مضبوطة قُصوَى لَمَا أمكن لَنَا أن نُوجَد. مذهبي هو أنَّ هذه الظُّرُوف تُشير إلى أنَّ الكون قد خُلِقَ لِيَعِيش فيه الإنسان**»

Fred Heeren, ***Show me God*** (Illinois: Searchlight Publications, 1995), p226.

الاعتراض قائم على نظرة تأنيسية للإله، بإحلال مشاعر الشُّحّ في أفعاله خشية نفاد الموارد؛

فالمُلحد يرى أنَّ على الإله أن يُنفق مِن ملكوته أقلّ ما يُمكن لتحقيق أوسع محبوباته؛ خشية أن تنفد خزائنه.

ينطلق الاعتراض الإلحادي من افتراض أنَّ قيمة الأشياء مُتعلِّقة بحجمها، فكُلَّما كان حجمها أكبر، كانت أليق باهتمام الإله! وهذه دعوى سخيفة في الدَّرس اللاهوتي؛ إذ ليس عليها بُرهان؛ بل هي سخيفة حتى في عالَم الإنسان؛ فإنَّ جوهرة في حجم الكفّ أعظم قيمة من أكوام ضخمة من التُّراب والصُّخُور.

المطلب الثاني: نُدْرَة الحَيَاة في الكَوْن

ما هو وجه النَّكارة في أن يخلق الله كلّ ما نراه في السَّماء زينة لها لإمتاع الإنسان ولاستثارة حاسَّة التَّفكير في جَلَال الكون وجماله؟

يُقرِّر عُلماء الكوزمولوجيا أنَّ الحياة في كوكبنا تحتاج السَّعة الهائلة لهذا الكون لإنتاج العناصر الأساسية للوُجُود.

جون برو John Barrow (١٩٥٢_): عالم كوزمولوجيا وفيزياء نظرية ورياضيات إنجليزي. حاصل على جائزة «Templeton Prize» المهمة في الجدل الإيماني-العلمي.

يقول الفيزيائي **(جون برو)**: «**نحن نعلم أنَّ الكون آخذ في الاتِّساع، ولذا فإنَّ حجمه الضَّخم نتيجة لعمره العظيم. وكلّ كون يحتوي على لبنات التَّعقيد يجب أن يكون كبيراً في السِّنّ بما فيه الكفاية لتتشكَّل النُّجُوم وتتولَّد العناصر التي يستند عليها هذا التَّعقيد... آثار أخرى تتبع ذلك. الحجم الكبير لكون صالح للحياة يحتاج مُعدَّل كثافة مُنخفضًا جدًّا، وكذلك أن تكون المجرَّات والنُّجُوم مُتباعدة بصورة كبيرة... ويضمن مبلغ التَّوسُّع العظيم أيضاً أن يكون الكون بالغ البُرُودة. هذا، بدوره؛ يعني: أنَّ السَّماء ليلاً تبدو مُظلمة. هُناك كثافة طاقة قليلة جدًّا في الكون لتجعله مُشرقاً. وهكذا فالأكوان التي تفي بالظُّرُوف اللَّازمة للحياة كبيرة سعةً وسِنًّا**»

John Barrow, '***Outer Space***,' in Fran5ois Penz, Gregory Radick, and Robert Howell, eds. ***Space: In Science Art and Society*** (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), p181.

انتفاء الحياة في غير كوكبنا لا ينفي البتَّة الضَّبط الدَّقيق في الكون لظُهُور الحياة على الكوكب الأزرق؛ ولذلك فالاعتراض لا تعلُّق له بنفي حقيقة الضَّبط الدَّقيق.

يقول **(بول ديفيس)**: «**تُلْزِمُنا الاكتشافات الأخيرة حَوْل الكَوْن في بدايته أن نقبل أنَّ الكون المُتوسِّع قد تمَّ ضَبْط حركته بمُراعاة دِقَّة مُدهشة**»

Paul Davies, ***The Accidental Universe*** (New York: Cambridge University Press, 1982), p vii.

المطلب الثالث: الضَّبْط الدَّقِيق، وَهْمٌ مِن أَوْهَام المُؤمِنِين بِإلَه!

هذا البُرهان قائم على الحِساب الرِّياضيّ الاحتمالي، وليس هو مُجرَّد نظريَّة تأمُّلِيَّة شاعرِيَّة.

كثير من مشاهير الملاحدة واللَّا أدريِّين في العالم يعترفون بوُضُوح أنَّ هُناك قوانين دقيقة ونِسَبًا فيزيائية مضبوطة تنتهي بأقل اضطراب لها الحياة، ومن هؤلاء الكوسمولوجي المُلحد **(هاوكنج)**، وعالم الفيزياء النَّظرية المُلحد **(مارتن ريس)**، والفيزيائي المُلحد **(واينبرغ)**، وعالم الفيزياء النَّظرِيَّة المُلحد **(ليونارد سسكيند)**، وعالم الكوزمولوجيا اللَّا أدري **(فلنكن)**، وعالم الكوزمولوجيا المُلحد **(غوث)**، وعالم الفيزياء النظرية اللَّا أدري **(بول ديفيس)**، وعالم الرِّياضِيَّات المُلحد **(روجر بنروز)**، وعالم الفيزياء النظرية المُلحد **(أندريه لند)**... وهؤلاء أعلى طبقات العُلماء في الغرب كما هو معلوم.

نقل **(بول ديفيس)** أن: «**هُناك اتِّفاقاً عامًّا بين الفيزيائيين والكوسمولوجيين أنَّ الكون قد ضُبط مِن عِدَّة نَوَاح بصُورة دقيقة لظُهُور الحياة**»

Paul Davies, "***How Bio-Friendly Is the Universe?***" International Journal of Astrobiology, vol. 2, no. 2 (2003): 115, 120.

ميتشيو كاكو Michio Kaku: عالم الفيزياء النظرية الشهير، والوجه العلمي الإعلامي ذائع الصيت. وهو غير مؤمن بالله (=لا أدري أو مؤمن بوحدة الوجود).

قال الفيزيائي المعروف **(ميتشيو كاكو)**: إنَّ العُلماء قد «**صُدِمُوا لَمَّا عَلِمُوا أنَّ الكثير مِن الثَّوابت الكونية المألوفة لهم تقع في نِطاق ضَيِّق جدًّا بصُورة دقيقة جدًّا بما يسمح للحياة أن تكون مُمكنة**»

Michio Kaku, ***Parallel Worlds*** (London: Penguin, 2006), p247.

دافيد دوتش David Deutsch (١٩٥٣_): بريطاني. أستاذ الفيزياء في جامعة أوكسفورد. له عناية خاصة بدراسات ميكانيكا الكم.

قال الفيزيائي المُلحد المعروف **(دافيد دوتش)** مُوبِّخاً إخوانه المُلحدين: «**إذا زَعَمَ أيّ أحد أنَّه لَمْ يتفاجأ بوُجُود المُميِّزات الخاصَّة للكون، فهو يَدُسّ رأسه في الرَّمل. هذه المُميِّزات الخاصَّة مُفاجئة وغير مُتوقَّعة**»

The Theists strike back Opinion The Guardian.

https://www.theguardian.com/commentisfree/andrewbrowrn/2009/jan/08/religion-atheism-longley-advertising

تشارلز تاوتز Charles Townes (١٩١٥-٢٠١٥م) فيزيائي أمريكي. له مساهمات متميزة في دراسات الإلكترونيات الكمومية.

يُشاركهم هذا الكشف الفيزيائيون المؤلِّهون، ومنهم **(تشارلز تاونز)** الحائز على جائزة نوبل، في تصريح له سنة ٢٠٠٥م: «**هذا كون مُميِّز بصُورة كبيرة: إنَّه لَمِن اللَّافت للنَّظر أنَّه قد وُجِدَ على هذه الصُّورة**»

'***Explore as much as we can***': Nobel Prize winner Charles Townes on evolution, intelligent design, and the meaning of life, by Bonnie Azab Powell, uc Berkeley News Center (June 17, 2005).

https://newsarchive.berkeley.edu/news/media/releases/2005/06/17_townes.shtml

جون غرين John Gribbin (١٩٤٦_): عالم فيزياء فلكية بريطاني شهير.

ما يخرج به بعض الفيزيائيين من نظريات «عجيبة» لتجاوز مأزق التفسير المادِّي؛ ومن ذلك قول عالم الفيزياء الفلكية الموسوعي المعروفي **(جون غريبن)**: إن كوننا قد خلق على يد فرد أو أفراد من حضارة متطورة تكنولوجيا تقع في جهة ما من الأكوان المتعددة، وإن هذه الحضارة ربما قد تسببت في حدوث «**الانفجار العظيم**»

ملاحظة (التاعب): لم يذكر الدكتور سامي عامري مرجع هذا الاقتباس.

المطلب الرابع: أهِيَ الضَّرُورَة المَادِّيَّة؟

جورج غرينشتاين George Greenstein (١٩٤٠_): أستاذ علم الفلك في كلية «Amherst». ألف ثلاثة كتب مدرسية في تخصصه. له عناية بتبسيط العلوم للعامة.

ولذلك يقول عالِم الفَلَك **(جورج غرينشتاين)**: «**لا شيء في الفيزياء يُفسِّر لِمَ على المبادئ الأساسية أن تُوافق بدِقَّة شُرُوط الحياة**».

Nancy Pearcey, ***Finding Truth: 5 Principles for Unmasking Atheism, Secularism, and Other God Substitutes*** (Colorado Springs, co: David c. Cook, 2015). p26.

لا يوجد أحد من أعلام الإلحاد اليوم يزعم أن قوانين الكون وثوابته يجب ضرورة أن تكون كذلك.

المطلب الخامس: هَلْ هِيَ الصُّدْفَة؟

بول جانيه Paul Janet (١٨٢٣-١٨٩٩م): فيلسوف غزير التأليف. أستاذ الفلسفة الأخلاقية والمنطق. رأس قسم الفلسفة في السوربون.

لا يُوجَد شيء اسمه «**صُدفة**» أنطولوجيا؛ فالصُّدفة هي جهلنا بالأسباب... الفيلسوف الفرنسي **(بول جانيه)**: «**الصُّدفة كلمة خالية من المعنى اخترعها جهلنا**»

Paul Janet, ***Final Causes***, trans. William Affleck (Edinburgh: T. & T. Clark, 1878), p19.

وقد اهتمَّ عددٌ مِن العُلماءِ بقُدرةِ العشوائيّةِ على إنتاجِ صياغاتٍ مادِّيَّةٍ في الكونِ مخصوصةٍ. ويُعدُّ عالِمُ الرياضيات والفيلسوف **(ويليام دمسكي)** أَشْهَرَهُمْ. وله في هذا البابِ كلامٌ مُحْكَمٌ مَتِينٌ.

See William A. Dembski, ***No Free Lunch: Why specified complexity cannot be purchased without intelligence***)Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2002).

يقول الفيزيائي المُلحد **(أندريه لاند)**: «**لدينا العديد مِن المُصادفات العجيبة جدًّا جدًّا. وكلّ هذه المُصادفات تتميَّز بأنَّها تنتهي إلى جعل الحياة مُمكنة**»

Science's Alternative to an Intelligent Creator: the Multiverse Theory.

جورج إليس George Ellis (١٩٣٩_): عالَم رياضيَّات وفَلَك من جنوب إفريقيا.

وأمَّا الفيزيائي **(جورج إليس)** فلم يجد غضاضة في أن يصف ظُهُور الحياة ضِمْن هذه الشُّرُوط المادِّيَّة الدَّقيقة بأنَّه «**معجزة**»

G. Ellis, ***The Anthropic Principle: laws and environments***, in ***The Anthropic Principle***, F. Bertoia and u .Curi, eds. (Cambridge, England: Cambridge University Press, 1993), p30.

ومن ظريف ما يُعبَّر به عن مبلغ غرابة دِقَّة الثَّوابت الكونية قول الفيلسوف والفيزيائي **(روبن كولنز)**: إنَّ الحُصُول على الدِّقَّة المطلوبة للحياة بصُورة عشوائية هو أشبه برمي سهم عبر كامل الكون ليصيب نُقطة في حافَّته مِن طرفه الآخر يبلغ حجمها قدما واحدة.. فتأمَّل!

Robin Collins, '***A scientific Argument for the existence of God***' in ***Philosophy of Religion: An Anthology***, Michael C Rea; Louis p Pojman, eds. (Stamford, CT: Cengage Learning, 2015), p75.

المطلب السادس: لأَنَّنَا هُنا؟

(لورنس كراوس): «**ليس أمراً مُفاجئاً لَنَا أنَّنا نعيش في كون بإمكاننا أن نعيش فيه**»

Lawrence M. Krauss, ***A Universe from Nothing***, p.125

فهو يخلط بين ملاحظة طبيعة الوجود (التي تسمح بظهور الحياة)، وتفسير خصائص هذه الطبيعة ضمن نظرة إلحادية عشوائية...يدعوك إلى أن تستغرب أنك موجود في هذا الكون الذي يزعم الماديون أنه عشوائي.

المطلب السابع: فَمَاذَا عَنْ حَيَاةٍ عَلَى غَيْرِ صِفَةِ حَيَاتِنَا؟

ويشهد **(بول ديفيس)** على ذلك بقوله: «**الشيء المُدهش بِحَقّ ليس أنَّ الحياة على الأرض قائمة على توازن دقيق جدًّا كَحَدّ السِّكِّين، وإنَّما أن الكون كلّه قائم على توازن دقيق كَحَدّ السِّكِّين... وحتى لو قُمت بإهمال الحياة البشرية وعدَّها مُجرَّد حدث غير مُتوقَّع في المجموع العامّ للوُجُود، فستبقى هُناك حقيقة أنَّ الكون كلّه يبدو مُناسباً بوجه غير معقول لوُجُود الحياة**»

Paul Davies, BBC Horizon documentary, "***The Anthropic Principle***," 1987.

https://www.youtube.com/watch?v=r5aaBDbHl8I

إنَّه لو كانت القوة النووية الكبرى أضعف قليلاً مِمَّا عليه الآن؛ فلن يُمكن لأيّ ذرَّة أن تتكوَّن في الكون باستثناء الهيدروجين. ولا يُمكن للحياة -بداهة- أن تقوم فقط على الهيدروجين.

Robin Collins, "***A Scientific Argument for the Existence of God***," in ***Philosophy of Religion: An Anthology***, eds. Louis p. Pojman and Michael Rea (Australia; Stamford, CT, United States: Cengage Learning, 2015) p215.

المطلب الثامن: لَكِن الاحْتِمَالَات كُلّهَا مُمْكِنَة عَلَى السَّوَاء

يسعى إلى بيان الضعف الاحتمالي لوجود الحياة في كوننا ضمن شروط الضبط الدقيق للثوابت الكونية وطبائع القوانين الطبيعية.

المطلب التاسع: الأكوان المُتعدِّدة؟

وبعبارة **(واينبرغ)** في حديثه إلى **(داوكينز)**: «**إذا اكتشفت ضَبْطاً دقيقاً مُذهلاً بالفعل.. أعتقد أنَّه لن يبقى لك سِوى تفسيرين: مُصمِّم خَيِّر أو الأكوان المُتعدِّدة**»

Cited in: Amanda Gefter, '***Why it's not as simple as God vs the multiverse***,'

New Scientist, 2685, p.48, 6 December 2008.

الأكوان المُتعدِّدة دعوى بلا بُرهان عِلْميّ:

يقول عالم الفيزياء الفلكية (**جورج إليس**): «**نحن لا نملك معلومات عن هذه المناطق، ولن نعرف عنها شيئًا في المُستقبل**»

George F.R. Ellis, '***Does the Multiverse Really Exist?***' Scientific American, 2011, 305 [2]: p41.

رودني هولدر Rodney Holder: عالم فيزياء فلكية ورياضيات. مدير مؤسسة « Faraday Institute for Science and Religion» في كلية «St. Edmund» له عناية خاصة بالرد على الفيزيائيين الملاحدة.

يقول (**هولدر**): «**يُقدِّم استدعاء الأكوان المُتعدِّدة تفسيراً ميتافيزيقيًّا للحياة لا تفسيراً عِلْمِيًّا لها؛ بسبب عَدَم وُجُود آثار قابلة للمُلاحظة. كما أنَّ هذه النَّظرِيَّة هي أيضاً غير عِلْمِيَّة بمعنى آخر، وذلك أنَّها تُقدِّم نوعاً «جامعاً» لكُلّ تفسير**»

Rodney Holder, '***Fine-Tuning, Many Universes, and Design***,' Science & Christian Belief, Vol 13, No. 1. 20

القول بالأكوان المُتعدِّدة يُخالف أصل قاعدة «**نصل أوكام**» التي يقوم عليها البحث العلمي الحديث؛ وهو أنَّه لا يجوز افتراض عناصر أكثر في عملية التَّفسير دون ضرورة.

الأكوان تنتج عن نظام فيزيائي يُسمِّيه (**كولنز**): «**مُوَلِّد الأكوان**». وله أنصار كثر من كبار الكوسمولوجيين مثل (**أندريه لاند**) و(**مارتن ريس**).

آلية قائمة على دِقَّة وتناسق وانضباط عالٍ لإنتاج أكوان جديدة. وهو ما يعني: أنَّنا في حاجة إلى ضَبْط دقيق لظُهُور هذه الآلية الذَّكِيَّة، وتأكيد الحاجة إلى تفسير المُشكلة الأولى مع كوننا الحالي.

Robin Collins, Design and the Many Worlds Hypothesis.

https://mosaic.messiah.edu/phil_ed/43/

كريستيان دو دوف Christian de Duve (١٩١٧-٢٠١٣م): عالم كيمياء حيوية بلجيكي. حصل على جائزة نوبل عن اكتشافاته المهمة لتركيب الخلية وعملها.

عالم الكيمياء الحيوية الحائز على جائزة نوبل (**كريستيان دو دوف**): «**حتى لو تبيَّن أنَّ النَّظرِيَّة صحيحة، يبقى أنَّ النَّتيجة التي أستخلصها مِن ريس ووينبرغ تُذكِّرني بما يُسمَّى بالفرنسية**

«إغراق الأسماك». حتى لو استخدمت كلّ المياه في المُحيطات لإغراق الحيوان، سيبقى وُجُود هذا الحيوان هُناك رغم ذلك مؤكَّداً. مهما كان عدد الأكوان التي من المُمكن افتراض وُجُودها، لا يُمكن أن يُصبح كوننا بلا تميُّز بسبب ضخامة هذا العدد»

Christian de Duve, ***Life Evolving*** (Oxford: Oxford University Press, 2002) p299.

وجود حياة، أي نوع من الحياة، في هذا الكوكب رهين وجود قوانين دقيقة وضبط حاد جدا للثوابت الكونية، باعتراف عامة الفيزيائيين الملاحدة.

مراجع للتَّوسُّع

Paul Davies, ***Goldilocks Engima: Why Is the Universe Just Right for Life?*** New York: Houghton Mifflin Harcourt, 2008.

Guillermo Gonzalez and Jay W. Richards, ***The Privileged Planet, How Our Place in The Cosmos is Designed for Discovery***, Regnery Publishing, 2004.

Rodney D. Holder, ***God, the Multiverse, and Everything: Modern Cosmology and the Argument from Design***, Routledge, 2016.

Hugh Ross, ***Improbable Planet: How Earth Became Humanity's Home***, Grand Rapids, Michigan: Baker Books, 2017.

Robert J. Spitzer, ***New Proofs for the Existence of God: Contributions of Contemporary Physics and Philosophy***, Grand Rapids, Mich.: William B. Eerdmans Pub., 2010.

الفصل الثاني: بُرْهَانُ النَّظْمِ في عَالَم الأَحْيَاء، الحَقِيقَة والمُعَارَضَات

«مِن وقْتٍ لآخر يُعيد التَّطوُّرِيُّون بحث دراسة تجريبية تقليدية، ويجدون -بصُورة صادمة لهم- أنَّها دراسة معيبة وخاطئة تمامًا» البيولوجي الملحد **(جيري كوين)**

صاحب أشهر كتاب في الغرب في الدِّفاع عن التَّطوُّر. (***Why Evolution is True***, 2009)

J. A. Coyne, ***Not black and white***, review of "***Melanism, Evolution in Action***," by Michael E. N. Majerus. Nature 396, 35 (1998).

نَظْمُ عالَم الأحياء على صُورة تجمع بين التَّعقيد والوظِيفِيَّة يُحاصر العين أنَّى نظرت، ويُبهر العَقْل

أنَّى تأمَّل، وهو ما جعل النَّظم في عالم الأحياء الحُجَّة العقلية الأبرز للإيمان بالله على مَدَى التَّاريخ البشري المعلوم.

قد كتب (**كانط**): «**تستحِقّ هذه الحُجَّة أن تُذكر باحترام. إنَّها أقدم الأدِلَّة وأوضحها وأكثرها مُوافقة لبداهة العقل البشري**»

Immanuel Kant, ***Critique of Pure Reason***, p520.

(**كانط**) عند جميع مؤرِّخي الفلسفة واللَّاهوت الطَّبيعي أهمّ فيلسوف في تاريخ المعرفة قدَّم اعتراضات على براهين وُجُود الله، وهو أبرز مؤسِّسي اللَّا أدرية المعرفية عامَّة، والدِّينية خاصَّة. ونظريته في المعرفة تقوم على أنَّه لا سبيل لإدراك الأشياء على حقيقتها، وغاية أمرنا إدراك علاقاتنا بالأشياء، وهذه العلاقات هي مُجرَّد صياغات في الذِّهن غير مُتحقِّقة ضرورة في الخارج.

«**ليس في هذا البُرهان عَيْب منطقي صُوري؛ إذ إنَّ مُقدِّماته تجريبية وتعترف نتيجته أنَّه يتوصَّل إليها بالتَّوافق مع القواعد المعهودة للاستنباط التَّجريبي. ولذا فالسُّؤال حول قبول هذا البُرهان أو ردّه ليس مُتعلِّقا بالأسئلة الميتافيزيقية، وإنَّما باعتبارات التَّفاصيل المُقارنة**»

Bertrand Russell, ***A History of Western Philosophy***, p589.

يجد الإنسان مشقَّة في تقليد هذا النَّظم؛ وفي هذه المشقَّة بُرهان أنَّ هذا الكون ونظمه ليس من آثار العشوائية.

يقف الحساب الاحتمالي بصُورة واضحة ضِدّ إمكان نُشُوء هذا النَّظم عن عشوائية أو سلاسل أحداث عشوائية.

ونحن في هذا المسلك النَّقدي نجنح إلى خَيَار ما يُعرف في الغرب بـ «**التَّصميم الذكي Intelligent Design**».

فعل الله أكبر من أن يكون مُجرَّد تصميم، والإبداع هو الإنشاء على غير مثال سابق، وهو فعل حكيم لا ذَكِيٌّ؛ إذ الذكاء أثر عن عمل دماغ، فلا يليق وصف الله سبحانه.

المبحث الأول: مدخل إلى بُرهان النَّظم

المطلب الأول: تاريخ البُرهان

يُسمَّى بـ (**البرهان الغائي**)؛ وقد كتب فيه قديماً (**أفلاطون**)، ونُسِبَ إلى أستاذه (**سُقراط**) -أيضاً- الحديث في الباب. ونقل (**إكسونوفان**) عن أستاذه (**سُقراط**) في مؤلَّفه الذي جمع فيه مُحاورات (**سُقراط**) أنَّ «**كل ما يوجد للاستعمال؛ فهو أثر عن ذكاء**»

وليام بالي William Paley (١٧٤٣-١٨٠٥م): لاهوتي بريطاني له عناية باللاهوت الطبيعي والرد على الملاحدة.

وكان كتاب (**وليام بالي**): «**اللاهوت الطبيعي Natural Theology**» أهم ما كتبه اللَّاهوتيُّون النَّصارى قبل القرن العشرين.

لم تبدأ المُشاكسات الحقيقية لبُرهان النَّظم إلَّا مع (**هيوم**) في القرن الثامن عشر، ثمَّ (**كانط**) في القرن نفسه، غير أنَّها بقيت ضَيِّقة الأثر حتى جاء (**داروين**) في القرن التالي ليُحدث بلبلة ظهرت آثارها الواضحة في النِّصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولم يستعد بُرهان النَّظم حيوِيَّته إلَّا مع نهاية السَّبعينيات وبداية ثمانينيات القرن العشرين على يد عدد من العُلماء مثل (**تشارلس ثاكستن**) و (**والتر برادلي**) و (**روجر أولسن**) المؤسِّسين الأوائل للتَّيَّار المعروف باسم «**التَّصميم الذكي**». وقد أقاموا أطروحتهم أساساً على أنَّ المعلومات الرَّقمِيَّة المُشفَّرة في «**الحمض النَّووي الصِّبغي**» لا يُمكن تفسيرها بغير نظم حكيم بعيد عن الدَّاروينية وعشوائيتها.

تشارلس ثاكستن Charles Thaxton (١٩٣٩_): كيميائي أمريكي، وعضو «مؤسسة ديسكفري».

والتر برادلي Walter Bradley (١٩٤٣_): أستاذ الهندسة في جامعة «بايلور».

روجر أولسن Roger Olsen (١٩٥٠_): عالم كيمياء الأرض. عضو الجمعية الأمريكية للكيمياء.

ويُعدُّ بُرهان النَّظم مركزيًّا في الخِطاب القُرآني الحِجَاجِيّ.

Stephen C. Meyer, ***A Scientific History-and Philosophical Defense-of the Theory of Intelligent Design***.

المطلب الثاني: حَقِيقَةُ النَّظْمِ.. وَعِبْء الإِثبَات

يتَّفِق المُؤلِّهة والمَلَاحدة أنَّ عالم الأحياء كاشفٌ عن «**ظاهر النَّظم The appearance of design**»، والقصد بظاهر النَّظم هو أنَّ تركيب هذا العالَم وعمله على المُستويين الكبير والصَّغير (الخَلَوِيّ) يُوحِي بوُجُود نظم... قول داوكينز: «**البيولوجيا هي دراسة الأشياء المُعقَّدة التي تحمل مظهر ما تمَّ تصميمه لغاية**».

"**Biology is the study of complicated things that have the appearance of having been designed for a purpose.**"

Richard Dawkins, ***The Blind Watchmaker*** (London: WW Norton &

Company, 1986), p1.

الخِلاف بين المُؤلِّهة والملاحدة ليس إذن في ظاهر النَّظم، وإنَّما هو في حقيقة النَّظم؛ فالمؤله يقول: إنَّ ظاهر النَّظم سببه أنَّ النَّظم حقيقة.

ملاحظة (التاعب): لماذا نُسلِّم للملاحدة بفكرة ظاهر النَّظم؟ هل هُناك فعلاً شيء اسمه ظاهر النَّظم، لكنَّه ليس في الحقيقة نظم؟ هل هُناك مثال في الواقع يدُلُّ على وُجود ذلك فعلاً.

تعليق الدكتور سامي: نحن لا نُسلِّم بوُجُود نَظْم وهمي، وإنَّما نقول بأنَّ ظاهر النَّظم معناه فعلاً وُجُود نظم، ولا يحتاج المؤمن بوُجُود الله إثبات وُجُود النَّظم في الأحياء لأنَّه ظاهرٌ بإقرار المؤمن والمُلحد. أمَّا المُلحد الذي يُقِرّ أيضاً بظاهر النَّظم عليه عِبْء إثبات أنَّ هذا النَّظم الظَّاهر مُجرَّد وهم، وهو لا يستطيع ذلك.

«**يجب على البيولوجيين أن يتذكَّروا دائماً أنَّ ما يرونه هو شيء لم يُصمَّم، وإنَّما هو مُتطوِّر**»

Francis Crick, ***What Mad Pursuit: A Personal View of Scientific Discovery***,)London: Sloan Foundation Science, 1988) p138.

روى (**دُوقُ أرجيل Duke of Argyll**) سنة ١٨٨٥م حوارًا جَمَعَهُ بـ (**داروين**) قبل سنةٍ من وفاة (**داروين**)، وأشار فيه الدُّوقُ إلى ظواهرَ تكشِفُ الغائيّةَ في الطّبيعة لاحَظَهَا (**داروين**) مثل تلقيحِ زَهْرةِ الأُوركيد، ودُودةِ الأرضِ، وغير ذلك..

وقال الدُّوق: «**إنَّه مِن المُحال أن يُلاحظ الإنسان وُجُود هذه الظَّواهر العجيبة دون ردّها إلى حكمة أو عقل وراءها**». وأضاف: «**لن أنسى أبداً إجابة السيد داروين. لقد نظر لي بجِدّ، وقال: «حسناً، هذا الخاطر كثيراً ما يطرَّق رأسي، بشِدَّة، ولكن في أحيان أخرى -وهزَّ رأسه بصورة غامضة، وزاد -، يبدو أنَّه يتلاشى**»

Charles Darwin, Francis Darwin, ed. ***The Life and Letters of Charles Darwin***, (New York: D. Appleton, 1898), 1/285.

المطلب الثالث: المذاهب في تفسير النَّظم

يُقرِّر المذهب الأول: أنَّ أنواع الكائنات الحَيَّة قد نشأت دون سَلَف، مرَّة واحدة، على صُورة كاملة ومُعقَّدة، في أزمنة مُتوالية؛ فجنس كلّ مجموعة يظهر في زمانٍ ما كاملاً. وهذا هو مذهب الخَلْق الخاصّ... ويُوافق التَّيَّار الإلحادي تيَّار الخَلْق الخاصّ قوله إنَّ ظُهُور النَّشأة المُعقَّدة دون تدرُّج حُجَّة لوُجُود إله.

يرى المذهب الثاني: أنَّ الوُجُود الحَيّ كلّه قد بدأ بسيطاً بصُورة تسمح العشوائية بإنشائه -ولو

على زمن طويل-، ثمَّ ظهر بعد ذلك عالَم الأحياء كلّه بسبب التَّطوُّر العشوائي غير المُوجَّه على مَدَى بلايين السِّنين.

وأمَّا المذهب الثالث: فيُقرِّر أنَّ التَّفسير العشوائي لأصل الحياة ولتطوُّرها مُتهافت بمقاييس العِلْم نفسه، وأنَّ كلَّ مُحاولة لتأكيد هذا النَّهج لا بُدَّ أن تنتهي إلى مُخالفة بدهيات المعرفة العِلْمِيَّة والرِّياضِيَّة. غير أنَّ هذا الفريق يميل إلى الأخذ بمذهب التَّطوُّر في تفسير ترابط مظاهر الحياة في الكائنات الحَيَّة. وهذا هو مذهب التَّطوُّر المُوجَّه، أو التَّطوِير.

المبحث الثاني: هل يتحدَّى التَّطوُّر وُجُود الله؟

المطلب الأول: معنى «التَّطوُّر»

كلمة «**تطوُّر**» عند الحديث عن عالم الأحياء من المُمكن أن تعني: التَّغيُّر مع مُرُور الزَّمن: وهذا نوع من التَّطوُّر يتَّفِق الجميع على صِحَّته.

الأصل العالمي المُشترك: وهو القول: إنَّ جميع الكائنات الحَيَّة تنتظم في علاقة شجرِيَّة كثيرة الفُرُوع، وجذعها الأول أدْناه بكتيريا أولى بدأت بها الحياة... وإن سلَّم عامَّتهم أنَّه لا يمس مسألة وُجُود الله بنقض.

التَّطوُّر العشوائي: وهو قول يجمع الإيمان بالأصل العالمي الواحد للكائنات ضِمْن الشجرة التَّطوُّرية مع تفصيل القول في آليته، بالقول: إنَّها عشوائية غير مُوجَّهة، وإنَّ الزَّمن مع العشوائية كفيلان بإنتاج كلّ مظاهر النَّظم في عالَم الأحياء.

نقاشنا مع الملاحدة مُنصَبّ على التَّعريف الثالث للتَّطوُّر؛ لأنَّه الوحيد القادر على نفي الدَّلالة على النَّظم في عالَم الكائنات الحَيَّة؛ ولذلك فكلّ بُرهان يُدَّعى للتَّطوُّر الدَّارويني لا بُدَّ أن يستوفي شرط إضافة معلومات جديدة إلى الحوض الجيني للكائن الحَيّ حتى تكون حصيلته البعيدة تغيير الكائن الحيّ من نوع إلى آخر.

المطلب الثاني: حَاجَة الإلْحَاد إلَى التَّطوُّر البَيُولُوجيّ

حتى قال (**داوكينز**): إنه لو عاش قبل زمن (**داروين**) لكان -على الأرجح- مؤمناً بالله؛ فالتَّطوُّر بذلك رُكنٌ في كلّ تصوُّر إلحادي واع بدلائل المُؤلِّهة على وُجُود الله، وإن كان لا يلزم من التَّطوُّر -بكل صُوره- نفي وُجُود الله كما سيأتي.

صرح بذلك- مثلا-في هذا اللقاء:

أهمية (داروين) وأفكاره بالنسبة للملحد-ريتشارد دوكنز

https://www.youtube.com/watch?v=nstfJ1BABdI

وقد عبَّر **(داوكينز)** عن جوهر التَّفسير السَّابق بقوله: إنَّه يجب على التَّطوُّر أن يكون تدريجياً؛ لأنَّه دون هذا التَّدرُّج «**سنعود مُجدَّداً إلى المُعجزات**»

Richard Dawkins, ***River Out of Eden***.

وفي غياب البساطة الأولى أو الآلية المادِّيَّة العشوائية لا بُدَّ أن يضطر الإنسان إلى استدعاء المُعجزة الخارقة أو الحكمة المُتعالية على المادَّة؛ أي: الإقرار بوُجُود الله.

المطلب الثالث: التَّطوُّر البيولوجي لا يَلْغي وُجُود الله

يبقى موضوع التَّطوُّر -بذلك- محصورًا في أمر الجمع بين الرِّوايات الدِّينية للخلق والرِّواية التَّطوُّرِيَّة.

كتب **(داروين)** في رسالة له سنة ١٨٦٠م إلى صديقه عالِم النَّبات **(أسا جراي)** بعد تأليف كتابه «**في أصل الأنواع**» أنَّه لم يكن يحمل رؤية إلحادية وهو يؤلِّف كتابه، وأنَّه مُتردِّد في مسألة الإيمان؛ فرغم أنَّه يجذبه إلى الإلحاد ما يراه من شرور في الطَّبيعة، إلَّا أنَّه أضاف قائلا: «**لا يُمكنني بأيِّ حالٍ أن أكون راضياً أن أرى هذا الكون الرَّائع، وخاصَّة طبيعة الإنسان، وأن أستنتج أنَّ كلَّ شيء نتيجة قُوَّة عمياء. إنَّني أميل إلى النَّظر إلى كلِّ شيء على أنَّه نتيجة قوانين مُصمَّمة، وأمَّا التَّفاصيل، سواء كانت جيِّدة أو سيِّئة، فهي متروكة لعمل ما يُمكن أن نُسمِّيه بالصُّدفة**»

Charles Darwin, Francis Darwin, ed., ***The Life and Letters of Charles Darwin***, 2/105.

توماس هكسلي Thomas Huxley (١٨٢٥ -١٨٩٥م): بيولوجي وعالم أحافير إنجليزي.

البيولوجي **(توماس هكسلي)** أعظم أنصار **(داروين)** في القرن التاسع عشر؛ حتى سُمِّي لذلك بـ «**كلب داروين**»، قال: إنَّ التَّطوُّر «**ليس بأيّ صورة على تماس بالإيمان بالله**»

The Academy 1, 1869, 13-14.

كنث ملر Kenneth Miller (١٩٤٨_): عالم بيولوجيا دقيقة أمريكي. أستاذ البيولوجيا في جامعة «**براون**».

لم يجد البيولوجي **(كنث ملر)** إشكالاً في الدِّفاع عن وُجُود الله، والانتماء للكنيسة الكاثوليكية، وتأليف كتابه «***وُجُود إله داروين: بحث عالم عن أرضية مُشتركة بين الإله والتَّطوُّر***».

Finding Darwin's God: A Scientist's Search for Common Ground Between God and Evolution. (2000).

الفيلسوف المُلحد **(مايكل روس)** الذي يجمع الدَّارسون أنَّه أهمّ فلاسفة العُلُوم -اليوم- دفاعاً عن

الدَّاروينية... فينكر بشِدَّة على مَن يرى التَّطوُّر البيولوجي حُجَّة ضِدّ وُجُود الله، كما في كتابه: «***هل من المُمكن للدَّاروني أن يكون مسيحيًا؟***»، حيث نفى تعذُّر الجمع بين اللَّاهوت النَّصراني والتَّطوُّر، حتى في صورته العشوائية.

Can a Darwinian Be a Christian? The Relationship Between Science and Religion, (Cambridge University Press, 2001).

كما أصدرت «**الأكاديمية الوطنية للعُلُوم الأمريكية The National Academy of Sciences**» التي تُعَدُّ أهمّ مؤسَّسة عِلْمِيَّة تتولَّى الدِّفاع عن «قداسة» المذهب التَّطوُّري وفرضه بالإرهاب القانوني في أمريكا -سنة ١٩٩٩م كُتيِّباً بعنوان «**العِلْم والمذهب الخَلْقِيّ**» قرَّرت فيه الآتي: «**يرى عديد من المُتديِّنين، ومنهم كثير من العُلماء، أنَّ الله خلق الكون ومُختلف العمليات التي تقود التَّطوُّر الفيزيائي والبيولوجي، وأنَّ هذه العمليَّات أدَّت إلى خلق المجرَّات، ومنظومتنا الشمسية، والحياة على الأرض. هذا الاعتقاد الذي يُسمَّى أحياناً «التَّطوُّر الإلهي» ليس في شِقاق مع التَّفسيرات العِلْمِيَّة للتَّطوُّر. هو في الحقيقة يعكس الطَّابع الرَّائع والمُلهِم للكون الفيزيائي كما يكشفه عِلْم نشأة الكون وعِلْم المُتحجِّرات وعِلْم البيولوجيا الدَّقيقة، والعديد من التَّخصُّصات العِلْمِيَّة الأخرى**»

National Academy of Sciences, ***Science and Creationism: A view from the National Academy of Sciences*** (Washington, D. C.: National Academy Press, 1999), p7.

مذهب التَّطوُّر العشوائي حُجَّة ضِدّ بُرهان النَّظم في عالَم الأحياء فقط،

وصِحّته لا تستلزم بُطلان بقِيَّة دلائل وُجُود الله.

المطلب الرابع: التَّطوُّر المزعوم حُجَّة لوُجُود الله

ليس على القائلين بالخَلْق الخاصّ -مثلنا- إقامة بُرهان لصدق دعواهم؛ إذ إنَّ الأصل هو الخلق الخاصّ لأنَّنا نرى الكائنات لا تنجب إلَّا نسلاً من جنسها، وذاك هو الظَّاهر، وعلى المُخالف البُرهان؛ وليس لنا أن نترك الأصل، وهو الخلق الخاصّ إلى التَّطوُّر إلا بدلالة تاريخية أو علمية حاسمة.

يزعم الدَّراونة أن نشأة الحياة لا تعلُّق لها بالتَّطوُّر، وحقيقة الحال هي أنَّ فصْل التَّطوُّر عن أصل الحياة تعسُّف في تفسير ظاهرة الحياة.

درس الفيزيائيان **(بارو)** و **(تبلر)** عشر مراحل لتطوُّر الإنسان، وكانت كل مرحلة من هذه المراحل مُستبعدة من ناحية عِلْم الاحتمالات الرِّياضي حتى إنَّ إتمام مرحلة واحدة فقط منها يحتاج بلايين

السِّنين.

John Barrow and Frank Tipler, ***The Anthropic Cosmological Principle***, pp. 561-565.

فاستعراض أدِلَّة التَّطوُّر البيولوجي، والاستكثار منها لا ينفي حقيقة حاجة هذا التَّطوُّر إلى تفسير غير عشوائي في مُقدِّماته المادِّيَّة.

المبحث الثالث: التَّطوُّر وتكذيب التَّاريخ

والناظر في الجَدَل العِلْمِيّ بين الفريقين يُدرك أن القول بصِحَّة المذهب التَّطوُّري لا ينفكّ عن صِحَّة تاريخية شجرة الحياة التي تتكوَّن من أصل أوَّل أسفل جذرها، وهو الأصل العالمي المُشترك (universal common ancestry) لكل الكائنات الحية؛ وأغصان مُتفرِّعة عن الجِذْر وعن غيرها من الأغصان الكبرى؛ فكلّ كائن حيّ له سَلَف يسبقه سَلَف حتى الأصل العالمي المُشترك في علاقة شجرِيَّة سَلِسَة.

ويكفي -في المقابل- أن يُبطل مُنكر التَّطوُّر هذا الأصل المُشترك ليتهاوى المذهب التَّطوُّري التَّقليدي برُمَّته.

المذهب التَّطوُّري التَّقليدي يقوم مع قِيام شجرة الحياة ويسقطُ مَع سُقُوطها.

المطلب الأول: شجرة الحياة في مُواجهة عِلْم الأحياء الجزيئي والشَّفرة الجينية

تعد شجرة الحياة التي صنعها الدَّراونة انطلاقاً من التَّشابه المورفولوجي (الشكلي) بين الكائنات واحدة من أهم براهين التَّطوُّر عند البيولوجيين؛ كما زعم **(داوكينز)** وعامَّة التَّطوُّريِّين أنَّ الكائنات الحيَّة كلّها تستعمل آلية عمل «الحمض النووي الصبغي DNA» نفسه؛ بما يدُلّ أنَّها كلّها تعود إلى أصلٍ أقل كان يستعمل الآلِيَّة نفسها.

لمَّا سُئل **(داوكينز)** عن أهم بُرهان يدعم التَّطوُّر، أجاب: إنَّه التَّشابُه الجيني بين الكائنات الحَيَّة؛ بما يُفيدنا في رسم شجرة تطوُّرِيَّة لها جذع تفرَّعت عنه كلّ هذه الكائنات. وعقَّب بعد ذلك قائلاً: «**هذه الحُجَّة قوِيَّة بصُورة هائلة. والطَّريق الوحيد للاعتراض على دلالتها وأنَّ التَّطوُّر حقّ هو بالقول: إنَّ المُصمِّم الذكي، الإله، قد تعمَّد الكذب علينا، وتعمَّد خداعنا**»

Richard Dawkins answers reddit question about evolution.

https://www.youtube.com/watch?v=5P1qNoCAIgA

مايكل سيفنون Michael Syvanen: أستاذ البيولوجيا الدقيقة وعلم الجينات في Harvard Medical School.

قال البيولوجي (**مايكل سيفنون**): «**لقد أَبَدْنَا شجرة الحياة. إنَّها لم تَعُد البتَّة شجرة، إنَّها شيء آخر مُختلف تمامًا**»

وهو الذي قارن بين ٢٠٠٠ جين مُشترك بين الإنسان والضَّفادع والكأسيات (Sea squirts) وقنفذ البحر (Sea urchins) وذباب الفاكهة (Fruit flies) والدِّيدان الأسطوانية (Nematodes). وكانت المُفاجأة أن انتهى إلى أنَّ الجينات تُقدِّم قصصاً تطوُّرِيَّة مُختلفة.

Graham Lawton, ***Why Darwin was wrong about the tree of life***, New Scientist (January 21, 2009).

https://www.newscientist.com/article/mg20126921-600-why-darwin-was-wrong-about-the-tree-of-life/

كارل ووز Carl Woese (١٩٢٨-٢٠١٢م): عالم بيولوجيا دقيقة وفيزياء حيوية أمريكي. أستاذ البيولوجيا الدقيقة في جامعة «إلينوي». مكتشف مملكة الأصليات Archaea.

الخلاف في شجرة الحياة المزعومة ثابت فيها جميعا «**مِن الجذر إلى التَّفريعات الكُبرى ضمن - ومن بين- الأصناف (taxa) المُختلفة إلى التَّجمُّعات الصُّغرى**» على حَدِّ تعبير عالِم البيولوجيا الدَّقيقة التَّطوُّري البارز (**كارل ووز**).

Carl Woese, "***The Universal Ancestor***," ***Proceedings of the National Academy of Sciences USA***, Vol. 95: 6854-9859 (June 1998).

إريك بابتست Eric Bapteste: بيولوجي فرنسي حاصل على دكتوراه في البيولوجيا وأخرى في فلسفة العلم من «السوربون» حول عالمية شجرة الحياة.

إذ يقول عالم البيولوجيا الفرنسي (**إريك بابتست**): «**نحن لا نملك البَتَّة أيّ بُرهان على أنَّ شجرة الحياة شيء حقيقي**»

Graham Lawton, ***Why Darwin was wrong about the tree of Life***, New Scientist (January 21, 2009).

ومن الأمثلة التَّفصيليّة في هذا الباب ما كشفه البحث الجينيُّ في أمر الدِّراسة المُقارنة لحمض (microRNA) في الثَّدييَّات المشيميّة؛ إذ أظهر أنّ شجرة الحياة التي يرسمها هذا الحَمْضُ تختلف عن الشَّجَرَةِ المورفولوجيّة بصورة واضحة. فالمورفولوجيُّون يرون أنّ الجِذْعَ الذي يَضُمُّ الفِيَلَةَ قد بدأ بالفِيْلَةِ أَوَّلاً، وأنّ الإنسان أَقْرَبُ إلى الأرانب والقوارِضِ من بقيّة أفراد السِّلسلةِ، في حين أنّ شجرة (microRNA) تَدُلُّ أنّ الإنسان أقربُ إلى الفِيَلَةِ والكلابِ والبَقَرِ.

Elie Dolgin, '***Phylogeny: Rewriting evolution***', Nature 486, 460-462 (28 June 2012).

https://www.nature.com/news/phylogeny-rewriting-evolution-1.10885

زعم (**داوكينز**) أنَّ شفرة «**الحمض النَّووي الصِّبغي**» واحدة في كلّ الكائنات الحَيَّة؛ وتطابقها حُجَّة للقول: إنَّها تعود إلى أصلٍ واحدٍ.

Richard Dawkins, ***The Greatest Show on Earth: The Evidence for Evolution***,)London: Transworld Publishers, 2009), p315.

المُفاجأة غير السَّارة حدثت أمام عيني (**داوكينز**) في اللِّقاء الشَّهير الذي جمعه سنة ٢٠١١م في جامعة أريزونا مع عالم الجينات الشهير (**كريـج فنتور**)، و (**بول ديفيس**)، وعالم الكيمياء الحيوية الحاصل على جائزة نوبل (**سيدني ألتمان**) وغيرهم.

كريـج فنتور Craig Venter (١٩٤٦_): عالم كيمياء حيوية وجينات أمريكن شهير أسس: « for Genomic Research The Institute»

سيدني ألتمان Sidney Altman (١٩٣٩_): عالم بيولوجيا جزيئية كندي. درس في جامعة «يال».

إذ قال (**كريـج فنتور**): إنَّ البحث العِلْمِيّ الذي أشرف عليه في دراسة جينوم البكتيريا قد أثبت بوُضُوح أنَّه «**يبدو أن هناك أجَمَة الحياة.. وعليه لا تُوجَد شجرة الحياة**»

"**There may be a bush of life ... So, there is not a tree of life**."

Dr. Craig Venter Denies Common Descent in front of Richard Dawkins!

https://www.youtube.com/watch?v=MXrYhINutuI

وقد نشرت مُؤخَّراً مجلَّة «**New Scientist**» العلمية مقالاً تحت عُنوان «***رُبَّما لم تبدأ الحياة مرَّة واحدة، وإنَّما نشأت مرَّات عديدة على الأرض***»، وتحت ذلك عنوان فرعي: «***بعيدًا عن كونها مُعجزة وقعت مرَّة واحدة مُنذ ٤ بلايين سنة، من المُمكن أن تكون بدايات الحياة شائعة جدًّا حتى إنَّها تكرَّرت مرَّات كثيرة***»

Penny Sarchet, ***Life may have emerged not once, but many times on Earth***.

https://www.newscientist.com/article/mg23130870-200-life-evolves-so-easily-that-it-started-not-once-but-many-times/

وقد عَبَّرَ أحدُ علماء البيولوجيا الجزيئيّة ونَشْأَةِ الحياة - منذ سنواتٍ قليلةٍ - عن الفِكْرةِ نفسِها بعباراتٍ أَوْضحَ، قائلاً: «**تَزْعُمُ فرضيّةُ داروين أَنَّ جميعَ أشكالِ الحياة الموجودةِ سَلِيلةُ آخرِ سَلَفٍ مُشتركٍ خَلويٍّ، وأَنَّ تَنَوُّعَ أشكالِ الحياةِ نتيجة التَّدَرُّج في الطَّفرات مع الانتخابِ الطّبيعيِّ، وهي وِجْهَةُ النَّظَرِ السَّائدةِ التي أَثَّرَتْ على البيولوجيا وحتى المجتمع لأكثرَ مِنْ قَرْنٍ من الزَّمانِ. ومع ذلك، فإنَّ هذا الرأيَ الدّاروينيَّ عن الحياةِ يتعارَضُ مَعَ العديدِ من المُلاحظات، ويفتقِرُ إلى تفسيرٍ فيزيائيٍّ - كيميائيٍّ معقولٍ. وتشيرُ الدَّلائلُ القويَّةُ إلى أَنَّ فرضيَّةَ السَّلَفِ المشتَرَكِ هي الخَلَلُ الأَساسِيُّ في الدَّاروينيَّةِ.**»

Shi V. Liu, ***A Fundamentally New Perspective on the Origin and Evolution of Life***, Pioneer 3: 7-17, 2008. https://arxiv.org/abs/0811.3653

يُلخِّص البيولوجي (**واين روستر**) الأزمة المُفاجئة بقوله: «**كان مِن المُفترض أن تحلّ مُشكلات تحديد العلاقات ضِمن شجرة الحياة بالثَّورة الحاصلة في عِلْم الجينات، ولكن على العكس مِن ذلك، كلَّما نظرنا في الشَّفرة الجينية، زاد الأمر سُوءا**»

Wayne D. Rossiter, ***Shadow of Oz: Theistic Evolution and the Absent God***, p120.

المطلب الثاني: شجرة الحياة في مُواجهة كُشُوف الأحافير

كان (**داروين**) مُدركا أنَّ نظريته لا يُمكن أن تصِحّ حتى يشهد لها الواقع الأحفوري، ولذلك حرص على استنطاق طبقات الأرض، غير أنَّه فوجئ أنَّها تشهد ضِدّه؛ فقال بصراحة محمودة «**عَدَد الوسائط المُختلفة التي عاشت سابقاً على الأرض يجب أن تكون ضخمة؛ فلماذا -إذن- لا نجد كلّ تشكُّل جيولوجي وكلّ طبقة مُمتلئة بهذه الرَّوابط الوسيطة؟ من المُؤكَّد أنَّ الجيولوجيا لا تكشف عن أيٍّ من هذه السِّلسلة العضوية المُتدرِّجة بدِقَّة. إنَّه -رُبَّما-الاعتراض الأوضح والأقوى الذي من المُمكن أن يُوجَّه إلى نظريتي**»

Charles Darwin, ***On the Origin of Species*** (Cassell, 1909) p.245.

نيلس ألدردج Niles Eldredge (١٩٤٣_): عالم بيولوجيا وأحافير أمريكي. المشرف على أحافير اللَّا فقاريات في أحد متاحف التاريخ الطبيعي. أسَّس مع (**جاي جولد**) نظرية «**التوازن المتقطع**» في تفسير الظهور المفاجئ للأحافير في طبقات الأرض.

قال عالِم الأحافير التَّطوُّري (**نيلس ألدردج**): إنَّ العِلْم قد نَقَض نُبُوءة (**دارون**) عن التَّطوُّر التَّدريجي، وأنَّه بعد مئة وعشرين سنة من نبوءة (**داروين**) «**أصبح مِن الواضح جدًّا أنَّ السِّجِل الأحفوري لن يُطابق هذا الجُزء من توقُّعات داروين، وليست المُشكلة الفقر الشَّديد للسِّجِل**

الأحفوري. السِّجِل الأحفوري ببساطة يُظهِر أنَّ هذه التَّوقُّعات مُخطئة»

Niles Eldredge, ***The Myths of Human Evolution*** (New York: Columbia University Press, 1982), pp 45, 46.

توماس نفيل جورج Thomas Neville George (١٩٠٤-١٩٨٠م): جيولوجي بريطاني. ترأس الجمعية الجيولوجية في لندن.

قال الجيولوجي البريطاني **(توماس نفيل جورج)** مُنذ أكثر من سِتِّين سنة: «**ليست هُناك حاجة للاستمرار في الدِّفاع عن فقر السِّجِل الأحفوري... إنَّه لا يزال مُكوِّناً أساساً مِن الثَّغرات**»

Thomas Neville George, '***Fossils in Evolutionary Perspective***,' Science Progress, vol. 48 January 1960 pp. 1-3.

س. م. ستانلي S. M. Stanley (١٩٤١_): عالم أحافير وبيولوجيا أمريكي. درس جيولوجيا في «Johns Hopkins University» له مساهمات بارزة في علم الأحافير في القرن العشرين.

كما يقول عالم الأحافير **(س. م. ستانلي)**: «**في غِياب الأحافير، يبقى مِن المشكوك فيه أن تُمثِّل نظرية التَّطوُّر أيّ شيء غير فرضية مُستحيلة... السِّجِل الأحفوري، وفقط السِّجِل الأحفوري هو الذي يُقدِّم حُجَّة مُباشرة على التَّغييرات المُتتابعة الكُبرى في الكائنات الحَيَّة على الأرض**»

Steven M. Stanley, ***The New Evolutionary Timetable*** (New York: Basic Books, 1981), p.72, 1981.

ستيفن جاي جولد Stephen Jay Gould (١٩٤١-٢٠٠٢م): أمريكي. أحد أكبر علماء الأحافير في القرن العشرين، ومؤسس نظرية «التوازن المتقطع».

عالِم الأحافير التَّطوُّري الشَّهير **(جاي جولد)**: «**الأشجار التَّطوُّرِيَّة التي تُزَيِّن كُتُبنا المدرسِيَّة ليس فيها بيانات إلَّا على أطراف الأغصان وعقدها، والباقي هو استنباط -مهما كان معقولاً- لا تشهد له الأحافير**»

Stephen Jay Gould, '***Evolution's Erratic Pace***,' Natural History 86 [5]: 13. May.

وزاد في فضح الواقع العِلْمِيّ بقوله: «**إن علماء الأحافير يعلمون أن السجل الأحفوري يحتوي أقل القليل فيما يتعلق بالأشكال الوسيطة**»

Stephen J. Gould, ***The Panda's Thumb*** (New York: Norton, 1980), p189.

(إلدردج): «**لقد قُلنا نحن عُلماء الأحافير: إنَّ تاريخ الحياة يدعم هذا التَّفسير [قِصَّة التَّغيُّر التَّدرُّجي]، في حين أنَّنا نعلم طوال الوقت أنَّه لا يدعمها**»

Niles Eldredge, ***Time Frames: The Rethinking of Darwinian Evolution and the Theory of Punctuated***,) New York NY: Simon & Schuster, 1985 ,(p144.

الانفجار الكامبري:

الظُّهُور المُفاجئ لعامَّة الكائنات الحَيَّة مُتعدِّدة الخلايا في طبقة الكامبري -أو العصر الكامبري- (بدءًا مُنذ قرابة ٥٣٠ مليون سنة). «**ستبقى هذه القضية غير قابلة للتَّفسير في الوقت الحاضر**»

"**The case must at present remain inexplicable; and may be truly urged as a valid argument against the views here entertained.**"

Darwin, ***On the Origin Species***, p269.

ماثيو ويلز Matthew Wills: أستاذ تاريخ التطور البيولوجي في جامعة «باث». له عناية خاصة بما يعرف «بالتطور الصغروي».

البيولوجي التطوري (**ماثيو ويلز**)، هو «**صداع حقيقي للبيولوجيين التطوريين**»

Marine worms reveal the deepest evolutionary patterns.

https://www.sciencedaily.com/releases/2012/10/121009092533.htm

ستيفن س. ماير Stephen C. Meyer (١٩٥٩_): أمريكي. أحد أئمة تيار التصميم الذكي. ناقش في كتبه أصول المنهج العشوائي للداروينية، عارضا البديل التصميمي وأدلته.

فيلسوف العلوم (**ستيفن ماير**) كتابه: «***شَكّ داروين: الأصل الانفجاري لأصل الحياة الحيوانية والدِّفاع عن التَّصميم الذكي***»

تشارلز مارشل Charles Marshal: عالم أحافير أمريكي. المشرف على متحف التاريخ الطبيعي: «Berkeley Natural History Museums»

عالم الإحاثة المُتخصِّص في العصر الكامبري (**تشارلز مارشل**) يقول: «**رُبَّما كانت الكائنات التي عاشت قبل الكامبري تحمل في داخلها برمجة جينية أنتجت الانفجار الأحيائي.**»

تتمثَّل خطورة الانفجار الكامبري في أنه يمثل البداية الحقيقية لأغلب الكائنات متعددة الخلايا؛ إذ إنه من سبع وعشرين (شعبة) (phyla) حيوانية محفوظة في الأحافير، ثلاث وعشرون منها ظهرت في هذا الانفجار، منها عشرون دون سلف.

Stephen Meyer, ***Darwin's Doubt: The Explosive Origin of Animal Life and the Case for Intelligent Design*** (WA: Harper Collins, 2014) pp. 417– 418.

<u>الانفجارات الخلقية غير الكامبرية</u>

- الانفجار الأفالوني The Avalon Explosion، وقد تم في آخر العصر السابق للعصر الكامبري، وفيه ظهرت لأول مرة في تاريخ الحياة كائنات متعددة الخلايا.

Bing Shen et al., ***The Avalon Explosion: Evolution of Ediacara Morphospace***, Science 319 (2008): 81-84

- الانفجار الأردوفيسي بعد أربعين مليون سنة من الانفجار الكامبري، وفيه ظهرت أنواع كثيرة جدا من الكائنات البحرية (تحت مستوى الشعب) حتى إن أحد العلماء سمى ذلك «**الانفجار الثاني العظيم للحياة**» «**Big Bang**».

The Ordovician explosion, or the Ordovician radiation, or the great Ordovician biodiversification event.

James O' Donoghue, '***The Ordovician: Life's Second Big Bang***,' New Scientist 2660 (2008): 34-37.

- الانفجار الأدونتدي (The odontode explosion)، وفيه ظهرت الأسماك ذات الأسنان.

Gareth J. Fraser et al., ***The Odontode Explosion: The Origin of Tooth-Like Structures in Vertebrates***, Bioessays 32 (2010): 808-817.

- ظهور النباتات الأرضية الوعائية (Vascular land plants) فجأة، حتى قيل في هذا الحدث: إنه الانفجار الأحيائي على اليابسة المقابل للانفجار الكامبري في البحر.

Richard M. Bateman et al., ***Early Evolution of Land Plants: Phylogeny, Physiology, and Ecology of the Primary Terrestrial Radiation***, Annual Review of Ecology and Systematics 29 (1998): 263-292.

- انفجار الحشرات في العصر الفحمي (Carboniferous Insect Explosion)، وفيه ظهرت جماعات من الحشرات المجنحة دون سلف معروف.

Conrad C. Labandeira, ***The Fossil Record of Insect Extinction: New Approaches and Future Direction***, American Entomologist 51 (2005): 14-

29.

- الظهور المفاجئ للنباتات المزهرة، وهو ما يسمى أحيانا بـ «الإزهار الكبير» «big bloom» وقد اضطرب **(داروين)** لهذا الحدث؛ إذ إنه يتعارض مع نظريته في التطور التدرجي.

See: Stefanie De Bodt, Steven Maere, and Yves Van de Peer, ***Genome duplication and the origin of angiosperms***,' Trends in Ecology and Evolution, 20 (2005): 591-597.

William E. Friedman, ***The Meaning of Darwin's Abominable Mystery***, American Journal of Botany 96 (2009): 5-21.

- انفجار الحياة الديناصورية؛ وهو الحَدَث الذي وصفه أحد العُلماء من جامعة «**بريستول**» بقوله: «**في البدء لَمْ تكن هُناك آثار للديناصورات، وبعد ذلك ظهرت آثار كثيرة. هذا يدُل على لحظة انفجارها**»

Dinosaurs ended-and originated-with a bang! Press release issued: 16 April 2018.

https://www.bristol.ac.uk/news/2018/april/dinosaurs-ended-and-originated-with-a-bang-.html

- ظهور الطيور فجأة، وكان ظهور جل مجموعات الطيور (٩٥%) منها في فترة جيولوجية قصيرة (بين ٦٥ مليونا و٥٥ مليون سنة ق. م).

See: Alan Cooper and Richard Fortey, ***Evolutionary Explosions and the Phylogenetic Fuse***, Trends in Ecology and Evolution, 13 (April 1998): 151-156; Frank B. Gill, Ornithology, 3rd ed. (New York: W.H. Free- man, 2007), 42.

- ظهور الثدييات المشيمية (Placentalia) بصورة مفاجئة في الفترة بين ٦٢ و٤٩ مليون سنة ق.م دون سلف؛ حتى إنها سميت «**بالتشعب الثدييات**». (mammalian radiation)

J. David Archibald, ***Eutheria (Placental Mammals)***, Encyclopedia of Life Sciences LS (Chichester, UK: Wiley, 2012)

وقد عبَّر **(داوكينز)** عن المنطق التَّطوُّري بقوله: «**ما كان اختلافاً بين الأنواع داخل الجِنْس الواحد يتحوَّل مع الوقت إلى أنواع مُختلفة داخل الفصيلة نفسها. ولاحقاً تتمايز الفصائل إلى**

درجة تجعل العُلماء المُختصّين يُفضّلون تسميتها بالرُّتَب، ثمَّ الصُّفُوف، فالشُّعَب».

Richard Dawkins, ***Unweaving the Rainbow*** (Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 1998), p201.

وقد اعترف عدد من التَّطوُّريين بهذا التَّرتيب المقلوب؛ فكتب فريق من عُلماء الإحاثَّة أنَّ «**السِّجِل الأحفوري يدُلّ على أنَّ التَّنوُّع الأكبر للشُّعَب حَدَث قبل تنوُّع الصُّفُوف، وتنوُّع الصُّفُوف قبل تنوُّع الرُّتَب، وتنوُّع الرُّتَب قبل تنوُّع الفصائل، لا يبدو أنَّ الأصناف الأعلى قد تمايزت عبر تراكم الأصناف الأدنى**».

Douglas H. Erwin et al, ***A Comparative Study of Diversification Events***, Evolution 41 (1987) :1177-1186, 1183.

السُّؤال الذي يكرهه الدَّراونة:

(داوكينز): «**تكتالك هو الحلقة المفقودة المثالية - مثالية لأنَّه يكاد يشطر الاختلافات بين الأسماك والبرمائيات، ومثالي لأنَّه لم يعد مفقودًا**»

Richard Dawkins, ***The Greatest Show on Earth***, p169.

(تكتالك) فَقَدَتْ قيمتَها الدّلاليّة المزعومة في تاريخ التَّطوُّر - على خِلاف ما تراه في الكتب المدرسيّة - بعد اكتشاف آثار رُباعِيَّات الأطراف (Tetrapods) أقدم ١٢ مليون سنة من (Eusthenopteron) - أقدم سمكة معروفة.

Jonathan Sarfati, ***The Greatest Hoax on Earth? Refuting Dawkins on evolution*** (Kindle edition).

ممَّا اضطرَّ أحد عُلماء الأحافير أن يُصرِّح قائلاً: «**هذه النَّتائج تُلزمنا أن نُعيد النَّظر في كامل صورة الانتقال من الأسماك إلى الحيوانات الأرضية**»

Fossil Footprints Give Land Vertebrates a Much Longer History, Science Daily, 8 January 2010.

https://www.sciencedaily.com/releases/2010/01/100107114420.htm

تخبرنا المجلة العلمية **(National Geographic)** أنَّ «**السِّجِل الأحفوري مثل فيلم للتَّطوُّر ضاعت منه ٩٩٩ لوحة من كلّ ١٠٠٠ لوحة**»

National Geographic, November 2004. p25.

دوان غش Duane Gish (١٩٢١-٢٠١٣م): عالم كيمياء حيوية أمريكي. أشهر المناظرين في صف تيار الخلق الخاص. كانت له عناية متميزة ببيان دلالة الشَّاهد الأحفوري على بطلان المذهب التطوري.

العالم الخلقي المشهور (**دوان غش**): «**إذا كان التَّطَوُّرُ حقيقةً؛ فيجب أن تحتوي هذه الصُّخُورُ التي تعود إلى العصرِ ما قبل الكامبري على عِدَّةِ بلايينَ من أحافيرِ الأَسْلافِ التَّطَوُّرِيِّينَ للفقاريّات المُعقَّدة. أين أَحافيرُ هذه الأشكالِ الانتقاليّةِ التي تربطُ بين هذه اللاَّفقاريّات المُعقَّدةِ والسَّلَفِ المُشترَكِ؟ الكثيرُ مِن صُخُورِ العَصْرِ ما قبل الكامبري سليمةٌ مُهيَّأةٌ بصورةٍ مثاليّةٍ لِحِفْظِ الأحافيرِ. إذا كانت الأحافيرُ موجودةً هُناك؛ فلا بُدَّ أن يكونَ من المُمكنِ العُثُورُ عليها. توجَد الآن عِدَّةُ تقاريرَ عن أدبيّاتٍ علميّةٍ لاكتشافِ أحافيرَ مايكروسكوبيّةٍ ورَخْوةٍ، وَحِيدةِ الخليّةِ، مثل البكتيريا والطَّحالبِ على صُخُورِ العَصْرِ قبل الكامبري. إذا كان بالإمكانِ العُثورُ على أحافيرِ تِلْك الكائنات، فمن البَدَهِيِّ أنّه لن تكون هُناك صعوبةٌ في العُثُورِ على أحافيرِ الأسلافِ التَّطَوُّريّةِ والأشكالِ الانتقاليّةِ التي تنتهي إلى اللاَّفقاريّات المُعقَّدَةِ التي تُوجَد أحافيرُها في الصُّخُور الكامبرية. لا أَحَدَ - مع ذلك - وجد الأسلافَ المتحَجِّرَةَ أو الأشكالَ الانتقاليّةَ التي تربط - لِنَقُل - الإسفنجيَّاتِ بقناديلِ البحرِ، وعضديّات الأَرْجُلِ بالمَحَارِ، والقواقِعَ مع المِفْصَلِيَّاتِ ثُلاثيَّةِ الفُصوصِ، أو أيّ روابطَ أخرى ممكنةٍ لنوعٍ واحدٍ من اللاَّفقاريّات الكامبرية.**»

Doug Sharp and Jerry Bergman, ***Persuaded by the Evidence*** (Kindle edition).

السؤال السابق الذي ظل (**دوان غش**) يكرره في مناظراته ومحاضراته وفى كتابيه العظيمين:

Evolution, The Fossils Say No.

Evolution, The Fossils Still Say No.

لم يلق غير الصَّمْت والذُّهُول.

أرنست ماير Ernst Mayr (١٩٠٤-٢٠٠٥م): عالم بيولوجيا ألماني، له عناية بعلم تصنيف الكائنات الحية، ومساهمة في فلسفة العلوم.

بعبارة (**أرنست ماير**) أحد أئمَّة «الدَّاروينية الحديثة»: «**إنَّ المرء لا يَجِد في الحقيقة غير الانقطاعات. كلّ الأنواع مُنفصلة عن بعضها بثغرات لا يُمكن عُبُورها (bridgeless gaps)، الحلقات الوسيطة بين الأنواع لم تُكتَشَف ... والمُشكلة أعظم من ذلك على مُستوى الأنواع العُليا**».

The Growth of Biological Thought: Diversity, Evolution, and Inheritance

(The Belknap Press of Harvard University Press, 1982) p524.

الظُّهُور المُفاجئ للتَّعقيد العالي

ومن الإشكالات الكبرى التي يفضحها الانفجار الكامبري ظُهُور أشدّ الأعضاء تعقيداً في بداية المرحلة الكامبرية؛ أي: العين والدِّماغ، دون سالف أصل مُتَرَقٍّ.

عِلْمًا أنَّ البحث العِلْمِيّ لم يهتدِ إلى اليوم لكائنات لَهَا عُيُون قبل العصر الكامبري.

F. Zhao, et al., ***Complexity and diversity of eyes in Early Cambrian ecosystems***. Sci. Rep. 3, 2751.

وشهد مُؤخَّراً أحد عُلماء الأحافير من جامعة «**New England**» بعد كشفه ومجموعته البحثية عن عينين مُعقَّدتين لكائن عاش مُنذ أكثر من ٥٠٠ مليون سنة، أنَّ العين المُعقَّدة «**قد ظهرت بصُورةٍ انفجارية، في لمحةِ بَصَرٍ بالتَّقويم الجيولوجي**».

J. R. Paterson, et al., ***Acute vision in the giant Cambrian predator Anomalocaris and the origin of compound eyes***. Nature 480, 237-240. (2011).

https://www.nature.com/articles/nature10689

John Paterson, ***The eyes have it: world's oldest predator found***, canberratimes.com.au, 7 December 2011.

https://www.livescience.com/17348-big-eyes-marine-predator.html

عُلماء صينيين اكتشفوا سنة ٢٠٠٨م دماغاً ثلاثي الأجزاء لأحافير شبيه الجمبري (shrimp-like) اسمه «Fuxianhuia protensa» يعود للعصر الكامبري، وهو على شكل قريب من أدمغة كثير من مفصليات الأرجل اليوم وشهد أحد الدَّارسين له أنَّه اكتشاف مُفاجئ جدًّا لم يكن أحد يتوقّعه في هذه الفترة المُبكِّرة، وأنَّ العُلماء فوجئوا بأمرين: التَّعقيد المُبكِّر في بداية ظُهُور الكائنات مُتعدِّدة الخلايا، واستمرار هذا الجهاز العصبي نفسه على الصُّورة نفسها تقريباً على مَدَى مئات ملايين السِّنين.

Cambrian fossil pushes back evolution of complex brains.

https://www.sciencedaily.com/releases/2012/10/121010131436.htm

كفن بترسون Kevin Peterson: بيولوجي أمريكي. أستاذ في «Dartmouth College». له

عناية خاصة بالانفجار الكامبري والتعقيد المبكر لمظاهر الحياة.

(كفن بترسون): «**أصبح توضيح الأساس المادِّي للانفجار الكامبري أكثر صُعُوبة من قبل - وليس العكس- كلَّما تعلَّمنا المزيد حول الحدث نفسه**».

Kevin Peterson, Michael R. Dietrich, and Mark A. McPeek, ***MicroRNAs and Metazoan Macroevolution: Insights into Canalization, Complexity, and the Cambrian Explosion***, Bioessays 31 (July 2009): 737.

تُخبرنا الدِّراسات الاستقرائية أنَّ الأحافير قد حفظت لنا من بين الثلاث والأربعين (رُتبة) (orders)، (٩٧,٧%) منها. ومن بين ١٧٨ فصيلة من فصائل (families) الحيوانات الأرضية الحَيَّة، حفظت لنا الأحافير ٨٧,٨% منها.

هذه النِّسَب تعود إلى سنة ١٩٨٥م، ولعلَّها اليوم أكبر.

Michael Denton, ***Evolution: A Theory in Crisis***, p90.

أفضل مثال أحفوري للتطور في الميزان:

سننزِلُ إلى أدنى مُستويات التَّحدِّي لنسألَ عن أوضحِ مثالٍ في جَعْبَتِهِم عن التَّطوُّر [الكبروي، كما يسمّونه]. ولعلَّ عامَّة التَّطوُّريين يذكرون تطوُّرَ الحِصان حُجّةً لمذهبهم.

الحقيقة: النموذج التطوري للأحصنة خديعة لا تدعمها الأحافير.

(جوردون تايلور): «**رُبَّما تكون أَخْطَرُ نِقاط الضَّعْفِ في الدّاروينيّة فَشَلَ عُلماءِ الحفريّات في العُثُور على سلالاتٍ مُقنِعةٍ أو تعاقُباتِ كائناتٍ تُظهِرُ التَّغيُّر التَّطوُّريَّ الكبيرَ... وغالبًا ما يتمُّ الاستشهاد بالحصان بصفته النَّموذجَ النَّاجحَ الوحيدَ ، لكنّ الحقيقةَ أنَّ الخَطَّ من حصانِ فجرِ التّاريخ إلى الحصان المُعاصرِ خَطٌّ مُنْحَرِفٌ جدًّا، وهو مزعومٌ لإظهارِ زيادةٍ مُستمِرّةٍ في الحجم، لكنّ الحقيقةَ أنّ هناك أنواعًا أَصْغَرَ من حصانِ فجر التَّاريخ لا أكبر، ويمكن الإتيانُ بنماذج من مصادرَ مُختلفةٍ في تعاقُبٍ يبدو مُقنِعًا لكن ليس هُناك دليل يؤيِّد تعاقبها بهذا التَّرتيب فعلاً.**»

G. R. Taylor, ***The Great Evolution Mystery***, p230.

مُعضلة القِرد العائم، ودوغمائية التَّطوُّريِّين:

من أمثلة ذلك: القردة الأمريكية الجنوبية المُسمَّاة (platyrrhines)؛ إذ إنَّ الشَّواهد الجزيئية والمورموفولوجية تقول: إنَّ (New World platyrrhine) مِن نسل (Old World platyrrhine) الإفريقي، وتظهر الأحافير أنَّ قردة (platyrrhines) قد عاشت في أمريكا الجنوبية

مُنذ قرابة ٣٠ مليون سنة فقط، ولكنَّ الصَّفائح التكتونية تُظهر أنَّ إفريقيا وأمريكا الجنوبية قد انفصلتا بعضهما عن بعض مُنذ قُرابة ١٠٠-١٢٠ مليون سنة مضت. وإذا كانت القردة الأمريكية الجنوبية قد انفصلت عن القردة الإفريقية مُنذ قرابة ٣٠ مليون سنة، فعلى التَّطوُّريِّين أن يشرحوا لنا كيف عبرت القردة على أقل تقدير ٢٦٠٠ كيلومتر في الماء من إفريقيا إلى أمريكا الجنوبية.

John G. Fleagle and Christopher C. Gilbert, ***The Biogeography of Primate Evolution: The Role of Plate Tectonics, Climate, and Chance***, in ***Primate Biogeography: Progress and Prospects***, eds. Shawn M. Lehman and John G. Fleagle (New York: Springer, 2006), 393-394.

فهناك نماذج أخرى لحيوانات لا سبيل لتصور عبورها البحر لمئات أو آلاف الكيلومترات، ومنها الفيل الذي ظهرت أحافيره في جزر مختلفة، ووصول النحل والليمور وغيره من الثدييات إلى جزيرة مدغشقر.

Richard John Huggett, ***Fundamentals of Biogeography*** (London: Routledge, 1998), p39.

Susan Fuller, Michael Schwarz, and Simon Tierney, "***Phylogenetics of the Allodapine Bee Genus Braunsapis: Historical Biogeography and Long-Range Dispersal Over Water***," Journal of Biogeography 32, (2005): 2135-2144.

J. P Moreland, et. al. eds. ***Theistic Evolution: A Scientific, Philosophical, and Theological Critique*** (Wheaton, Blinois: Crossway, 2017), pp.369-370.

المبحث الرابع: التَّطوُّر وعقم الآلية

يعود ظُهُور كلّ هذا الثَّراء في عالم الأحياء في التَّعريف الدَّارويني إلى آليَّتين أساسيَّتين، وهُما الطَّفرات العشوائية والانتخاب الطَّبيعي.

قال التَّطوُّري الشَّهير (**فرنسيسكو أيالا**): «**الآليات المسؤولة عن هذه التَّغييرات لا تزال مَحَلّ البحث... يا للأسف، يُوجَد الكثير، والكثير، والكثير مِمَّا يجب اكتشافه. علينا أن نعرف كيف تعمل الآليات بالتَّفصيل لإعادة بناء التَّاريخ التَّطوُّريّ، ولكنَّنا نحمل صُورة غاية في الضَّبابية حول الكيفية التي تعمل بها على المُستوى الجيني، وكيف يرتبط التَّغيير الجيني بالتَّطوُّر والعمل**»

Francisco J .Ayala, ***The Evolution of Life: An Overview***, in ***Evolutionary and***

Molecular Biology: Scientific Perspectives on Divine Action, eds. Russell, Stoeger, and Ayala (Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1999) pp 21-22.

سيمون كونواي موريس Simon Conway Morris (١٩٥١_): عالم أحافير إنجليزي شهير. رئيس بيولوجيا أحافير الأحياء في جامعة «كامبردج». له عناية خاصة بالأحافير المبكرة للحيوانات والنباتات.

عالم الأحافير التَّطوُّري (**سيمون كونواي موريس**): «**يبدو أنَّ نُقطة الاتِّفاق الوحيدة عند نِقاش التَّطوُّر العضوي هي: «لقد وقع [التَّطوُّر]». ولا يُوجَد بعد ذلك إجماع**».

Simon Conway Morris, ***Evolution: Bringing Molecules into the Fold***, Cell, Volume 100, Issue 1, pp 1-11, 7 January 2000.

https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0092867400816797

التَّفصيل العِلْمِيّ لدقائق عمل الجينات لإثبات التَّطوُّر، حُجَّة ضِدّ العشوائية، ولا يُمكن أن يقع التَّطوُّر -إن صَحَّ جدلاً-إلَّا عن حكمة وقدرة.

متي ليزولا Matti Leisola (١٩٤٧_) كيميائي فنلندي. عميد كلية الكيمياء حتى سنة ٢٠١١م. متخصص. في دراسة الإنزيمات.

عالم هندسة العمليات الحيوية (Bioprocess engineering) (**متي ليزولا**) الذي عاش تاريخه العلمي في دراسة آلية عمل الميكروبات والإنزيمات، في بحث له بعنوان: «**التطور: قصة بلا آلية**»: «**الأمر المُثير في البيولوجيا الحديثة حقيقة أنَّ كلَّ الأدِلَّة التي تُحاول إثبات آلية للتَّطوُّر هي في الحقيقة أمثلة للتَّصميم**»

J. P. Moreland, ***Theistic Evolution***, p160.

المطلب الأول: آلية الطَّفرات العشوائية

أيسر طريق لمعرفة قُدرة الطَّفرات العشوائية على تفسير التَّنوُّع الأحيائي اليوم ضِمْن سلسلة تطوُّرِيَّة، حساب الأمر رياضيًّا، وذلك بحساب عدد الطَّفرات العشوائية المُمكنة مُنْذ ظُهُور الحياة على الأرض، وبذلك نُحدِّد سقف الاحتمال العشوائي للتَّطوُّر.

وليكن تطوُّر إنزيم واحد إلى نوع آخر (كل إنزيم هو بروتين، وليس كل بروتين إنزيما)؛ فقد دلَّ البحث العِلْمي أنَّ هذا التَّغيير يحتاج على الأقلّ سبع طفرات. ما هو الزَّمن المطلوب في الاحتمال الرِّياضي لهذه الطَّفرات المُحايدة المُتناسقة؟ الجواب صادم بلا شك؛ إذ يقول البحث العلمي:

إنَّ الزَّمن المطلوب لظُهُور هذه الطَّفرات في تجمُّع بكتيري، يبلغ $١٠^{٢٧}$ سنة. وهو زمن أعظم بكثير من عُمر الكون!

A. K. Gauger and D. D. Axe, ***The evolutionary accessibility of new enzyme functions: A case study from the biotin pathway***, Bio-Complexity 2, no. 1 (2011): 1-17.

وخذ أيضاً مثال بروتين (RS7)؛ إذ إنَّ احتمال الظُّهُور العشوائي لهذا البروتين الذي يحتاجه كلّ كائن حي هو ١ من ($١٠^{١٠٠}$)، وهو احتمال أبعد بمسافات شاسعة من مجموع احتمالات الطَّفرات مُنذ ظُهُور الحياة على الأرض.

Kirk Durston, ***Calculating the Maximum Number of Trials Evolution Could Have Performed***.

https://evolutionnews.org/2016/04/calculating_the/

وماذا لو نزلنا إلى مُستوى أدنى من الطَّفراتِ المطلوبة، وقلنا: ما هو الوقت المطلوب من النَّاحية الاحتماليةِ لحُدُوث طفرَتَيْنِ مُتلازمَتَيْنِ (simultaneous mutations) لا لإنشاء جِينٍ جديد، وإنَّما لتغيير وظيفتِه بصورةٍ ما - ضمن الآلية الدّاروينيّة؟

يُجيبنا البيولوجيان (**رك دارت**) و (**دينا شمت**) بأنَّ حُدُوث هاتين الطَّفرتين معاً يحتاج وقتاً أكبر من ١٠٠ مليون سنة، ومن المعلوم أنَّ الدَّراونة يزعمون أنَّ الإنسان قد انفصل عن سلفه المُشترك مع الشمبانزي مُنذ ٦ ملايين سنة فقط. علماً أنَّ الحَدّ الأدنى المطلوب من الطَّفرات لظُهُور وظيفة أو شكل مُفيد هو أربع طفرات لا اثنتين!

Rick Durrett and Deena Schmidt, ***Waiting for Two Mutations; With Applications to Regulatory Sequence Evolution and the Limits of Darwinian Evolution***, Genetics, 180: 1501–1509 (2008).

Reeves, Gauger, Axe, ***Enzyme families-Shared evolutionary history or shared design? A study of the GABA-aminotransferase family***, BIO-Complexity 2014 (4): 1-16.

البيولوجيين في بحث لهم: «**قد يكون عِلْم الوراثة كافياً لتفسير التَّطوُّر الصُّغروي، إلَّا أنَّه لم يُلاحظ أنَّ التَّغييرات الصُّغروية في تردُّد الجينات قادرة على تحويل الزَّواحف إلى ثدييات أو تحويل الأسماك إلى برمائيات. التَّطوُّر الصُّغروي يبحث فقط في التَّأقلمات المُتعلّقة ببقاء الأصلح، لا ظُهُور الأصلح. وكما أشار إلى ذلك (غودون) (١٩٩٥م): أصل الأنواع -مُشكلة**

داروين- ما يزال إشكالاً لم يُحَل»

Scott Gilbert, John Opitz, and Rudolf Raff, ***Resynthesizing Evolutionary and Developmental Biology***, Developmental Biology 173, 1996, p361.

لين مارغوليس Lynn Margulis (١٩٣٨-٢٠١١م): بيولوجية تطورية تنتصر لنظرية (التكافل الداخلي) (endosymbiotic theory) التي تقرر أن أهم محرك للتطور تكافل الكائنات؛ وهو عكس مفهوم «صراع البقاء» الداروينى. الإشكال هنا هو أن التكافل (١) يفسر بقاء الكائنات الحية لا ظهورها ابتداء، كما أنه (٢) لا يفسر أهم إشكال للتطور المادي، وهو ظهور المعلومات في عالم الأحياء.

وتُؤكِّد عالمة الأحياء المعروفة **(لين مارغوليس)** على المعنى السَّابق نفسه، بعبارة غاضبة، ساخرة: «**تدَّعي الدَّاروينيَّة الحديثة أنَّ الأنواع الجديدة تظهر لمَّا تحدث طفرات ويظهر تغيُّر في الكائن الحيّ. لقد عُلِّمتُ مِراراً وتكراراً أنَّ تراكُم الطَّفرات العشوائية يقود إلى التَّغيير التَّطوُّري؛ بما يؤول إلى ظُهُور أنواع جديدة. لقد آمنتُ بذلك حتى بحثت عن الدَّليل**»

Cited in: ***Discover Interview: Lynn Margulis Says She's Not Controversial, She's Right, Discover Magazine*** (April 2011) p68.

نُدرة الطَّفرات النَّافعة: يُقِرُّ العُلماء أنَّ جُلَّ الطَّفرات مُحايدة، وتُقدَّر الطَّفرات الضَّارَّة بـ ٣٪ من مجموع الطَّفرات، وأمَّا الطَّفرات النَّافعة فقليلة جدًّا إلى حَدِّ النُّدرة.

Adam Eyre-Walker and Peter Keightley, ***The Distribution of Fitness Effects of New Mutations***, Nature Reviews Genetics 8 (August 2007): 610–18.

بيير-بول غراسي Pierre-Paul Grasse (١٨٩٥-١٩٨٥م): أحد أكبر علماء الحيوانات الفرنسيين في القرن العشرين. رأس «جمعية علم الحيوانات» ثم «أكاديمية العلوم».

يقول **(بيير-بول غراسي)**: «**.. رغم أنَّ كلَّ شيء ليس على الصُّورة التي يجب أن يكون عليها، إلَّا أنَّ العالَم الحيّ ليس عشوائيًّا كُلِّيَّة، والحياة أثر عن نِظام مُرتَّب بصورة عالية جدًّا. بمُجرَّد أن يحدث بعض الاضطراب -ولو كان ضئيلاً-في الكائن المُنظَّم، يعقبه المرض، والموت. ليس هُناك حلّ وَسَط بين ظاهرة الحياة والفوضى**»

Pierre-Paul Grasse, ***Evolution of Living Organisms*** (New York: Academic Press, 1977), p98.

وقد عبَّرت **(لين مارغوليس)** عن المعنى السَّابق بقولها: «**على الرّغم من أنَّ الطَّفرات العشوائية**

تُؤثِّر في عَمَل التَّطوُّر، إلَّا أنَّ تأثيرها أساساً بالحذف والتَّعديل والصَّقل... الطَّفرات باختصار تنحو إلى إنتاج المَرَض والمَوت والفَسَاد. لا يُوجَد بُرهان في الأدبيَّات الضَّخمة للتَّغيُّرات الوراثية يُظهِر دليلاً لا لبس فيه أنَّ الطَّفرة العشوائية نفسها -حتى مع الانعزال الجغرافي للمجموعات السَّكنية- تقود إلى ظُهُور أجناسٍ جديدة»

Lynn Margulis and Dorion Sagan, ***Acquiring Genomes: A Theory of the Origins of the Species*** (New York: Basic Books, 2003), p29.

وبالنَّظر في أدبيَّات الدَّراونة، لا نجد مثالاً واحداً لإضافة معلومة واحدة جديدة إلى عالَم الأحياء عن طريق الطَّفرات العشوائية... ظُهُور جين كامل وظيفي جديد مِمَّا يُسمَّى بالحمض النَّووي الصِّبغي الخُردة أمرٌ مُستبعدٌ جدًّا، وهو أشبه بحلم الخيميائيين -الخُرافيين- تحويل الرَّصاص إلى ذهب في العُصُور الوسطى.

Adam Siepel, '***Darwinian Alchemy: Human Genes from Noncoding RNA***,' Genome Research, 19 (10): 1693 ,5 October 2009.

«**الأحفورات الحَيَّة living fossils**» كائنات حيَّة مُتأبِّيةٌ على التَّطوُّر تُمثِّل مُشكلة جادَّة للنَّظريَّة الدَّاروينيَّة. والمقصود بالأحفورات الحيَّة -بصُورة مُجملة لغياب التَّعريف المُتَّفق عليه- الكائنات الحَيَّة الموجودة اليوم وفي الأحافير، والتي بقيت على مَدَى فترات زمنية طويلة جِدًّا -تقريباً- دون أن يصيبها تغيير، مع انقراض «أقاربها»... كما أنَّ من البكتيريا (Archaebacteria) ما لم تتغيَّر مُنذ بلايين السِّنين.

باعتراف عالمي الإحاثة التطوريين (**جولد**) و(**ألدردج**)؛ إذ قالا: «**يجب عَدّ المُحافظة على الاستقرار داخل الأنواع مُشكلة تطوُّرِيَّة كبرى**»

Gould and Eldredge, '***Punctuated equilibrium comes of age***,' Nature 366 (6452): 223-224, 1993.

مُفارقة الحماية مِن الطَّفرات: يُحدِّثنا العُلماء عن «مُفارقة الحماية من الطَّفرات mutation protection paradox» التي عجز التَّطوُّرِيُّون عن فكّ لُغزها؛ الخَلِيَّة مُزوَّدة بآلية لإصلاح أخطاء الطَّفرات؛ إذ تلغي جُلّها ولا تبقي منها إلَّا النَّادر... فمنع الطَّفرات يمنع التَّطوُّر، وإطلاقها يُهلِك الكائن الحي!

DeJong and Degens. 2011. ***The Evolutionary Dynamics of Digital and Nucleotide Codes: A Mutation Protection Perspective***, The Open Evolution Journal. 5: 1-4.

ما نُلاحظه من أليافي بصرية في الطَّبيعة وما اخترعه الإنسان من ألياف بصرية.

تعمل هذه الألياف على إرسال الضّوء على مَدَى طولها، ويستعملها الإنسان في تواصل الإنترنت، ورغم أن المصنوع منها نتاج عبقرية بشرية عالية وجهد معملي شاق إلا أن الإنسان قد اكتشف أن الألياف البصرية في الإسفنجة البحرية (Venus' flower basket) أعظم صنعا؛ فأليافها أدق من الألياف المصنعة، وليونتها أشد، وتفاعلها مع البيئة أعظم حتى قال أحد العلماء في جامعة **(أريجن)** بأمريكا: «**إنَّها مثال رائع لبيان كيف أنَّ الطَّبيعة الرَّائعة مُصمَّمة وبانية لأنظمة مُعقَّدة**» وقال عالم آخر في الشَّأن نفسه: «**إنَّنا في العصر الحجري مُقارنة بالطَّبيعة**»

Cited in: McCall, '***Sponge has natural glass fiber optics***,' San Francisco Chronicle, p. A2, 8 August 2003.

المطلب الثاني: آلية الانتخاب الطَّبيعي

الانتخاب الطبيعي أهم آلية تطوُّرية عند الدراونة، وهو ببساطة: ظاهرة بقاء الكائن الأمثل في بيئته على الحياة... ومن ذلك الاجتماع الذي انعقد سنة ٢٠٠٨م في (Altenberg) في النمسا، وضم ١٦ من كبار البيولوجيين، حيث أعربوا عن قُصُور الانتخاب الطبيعي عن تقديم وعوده الكبرى.

John Whitfield, '***Biological Theory: Postmodern Evolution?***' Nature, 455: 281-284 (September 17, 2008).

قول علماء فريق **(Altenberg 16)** في آلية الانتخاب الطبيعي: إنها «**جيدة بصورة ظاهرة في صياغة بقاء الأصلح، لكنها ليست كذلك في صياغة ظهور الأصلح**»

Cited in: John Whitfield, '***Biological theory: Postmodern evolution?***' Nature, 455: 284 (September 17, 2008).

الانتخاب الطَّبيعي يُفسِّر بقاء الأمثل لا ظُهُوره، فهو وسيلة حفظ لا تطوير.

ولذلك قال البيولوجي الداروينيِ **(جري كوين)**: «**الانتخاب الطبيعي لا يمكنه أن يبني أي خاصية [عضوية] لا تمنح الخطوات الوسيطة إليها فائدة خالصة للكائن الحي**»

Jerry Coyne, '***The Great Mutator***,' The New Republic (June 14, 2007).

جري فودور Jerry Fodor (١٩٣٥-٢٠١٧م): أستاذ الفلسفة في جامعة «روتجرز». متخصص في دراسات العقل والإدراك.

ماسيمو بياتلي-بالمريني Massimo Piattelli-Palmarini (١٩٤٢_): أستاذ في جامعة «أريزونا». متخصص في اللغويَّات وعلم النَّفس.

قول العالمين الملحدين (**جري فودور**) و(**ماسيمو بياتلي-بالمريني**) المتخصصين في «علم الإدراك» في كتابهما (**ما الذي أخطأ فيه داروين**) ٢٠١٠م: «**لقد قيل لنا من طرف أكثر من واحد من زملائنا: إنه حتى لو كان داروين مخطئاً إلى حد بعيد في زعمه أن الانتخاب الطبيعي آلية التطور، فإنه ينبغي مع ذلك ألا نصرح بذلك، ولا بأي صورة أمام الناس. إننا إن فعلنا ذلك، فَسَنَصطَفُّ -وإن بغير قصد- مع قوى الظلام التي تهدف إلى القضاء على العِلْم**»

Jerry Fodor and Massimo Piattelli-Palmarini, ***What Darwin Got Wrong***)New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2010), p xx.

المطلب الثالث: هل الدَّاروينية حقيقة عِلْمِيَّة أم مُجرَّد نَظَرِيَّة، أم...؟

قول عوام المؤلهة فاسد؛ إذ إن مصطلح (نظرية theory) لا يدل على أن مضمون النظرية ليس حقيقة علمية، فقد يكون الشيء نظرية وحقيقة علمية في الآن نفسه، كنظرية النسبية العامة لأينشتاين، وقد يكون نظرية وفاسدا علميا كـ «نظرية الحال الثابت Steady State theory» في الكوزمولوجيا.

(**النظرية**) في المفهوم العلمي طبقا لتعريف (**الأكاديمية القومية الأمريكية للعلوم**) هي: «**تفسير موثق بصورة جيدة لبعض جوانب العالم الطبيعي من الممكن أن يضم حقائق، وقوانين، واستدلالات، وفرضيات مختبرة**»

National Academy of Sciences, ***Teaching about Evolution and the Nature of Science*** (Washington, DC: National Academy Press, 1998) p7.

أرنست شاين Chain Ernst (١٩٠٦-١٩٧٩م): عالم كيمياء حيوية بريطاني. نال جائزة نوبل لأبحاثه في البنسلين.

وقول الدراونة: إن الداروينية حقيقة علمية باطل؛ فإنها فاقدة للسند العلمي، وفقيرة إلى السند التاريخي، وعامة نبوءاتها كذبها البحث التاريخي والتحليل العلمي.. بل الداروينية لا ترقى بأي حال إلى أن تكون نظرية، أو بعبارة (**إرنست شاين**) الحائز على جائزة نوبل في الطب «**من العسير وصفها أنها نظرية It can hardly be called a theory**»

R. W. Clark, ***The Life of Ernst Chain: Penicillin and Beyond*** (New York: St. Martin's Press, 1985), p147.

الفيلسوف الموسوعي، الذي رأس اللجنة المشرفة على تحرير «**الموسوعة البريطانية**» لعدة سنوات، (**مورتمر ج. أدلر**) إلى قريب ما قررناه بقوله: إن الداروينية «**ليست نظرية بمعنى حقائق وقوانين علمية منظمة نسقيا، مثل القول في أصول نيوتن كونها نظرية**»، وإنما هي «**نظرية**»

بمعنى «**أن هناك محاولة لتوضيح بعض الحقائق التي أُسِّسَت علميا في العلوم البيولوجية، بصناعة فرضيات ليست هي مقترحات من الواجب إثبات صحتها، وإنما هي مجرد تخمينات خيالية حول عمليات أو أحداث غير ملاحظة. هذا هو معنى الفرضية التي قال نيوتن: إن على العلماء ألا يصنعوها**»

M. J. Adler, ***What Man Has Made of Man*** (Ungar, New York, 1957), p115.

فرانكلن م. هارولد Franklin M. Harold (١٩٢٩_): عالم كيمياء حيوية. أستاذ في قسم البيولوجيا الدقيقة في جامعة واشنطن.

(فرانكلن م. هارولد) أستاذ الكيمياء الحيوية سابقا في جامعة كولورادو، كتب: «**لابد أن نعترف أنه لا توجد حاليا أي قصص داروينية مفصلة عن تطور أي نظام كيميائي حيوي أو خلوي، وإنما هي فقط تكهنات أمنوية**»

Franklin M. Harold, ***The Way Of The Cell: Molecules, Organisms And The Order Of Life*** (Oxford University Press, New York, (2011), p205.

فيليب سكل Philip Skell (١٩١٨-٢٠١٠م): كيميائي أمريكي. « Pennsylvania State University» درس عضو أكاديمية العلوم الأمريكية.

الكيميائي البارز **(فيليب سكل)** «**عندما يكون التفسير مرنا جدا حتى إنه بإمكانه أن يفسر أي سلوك، يغدو من الصعب اختباره تجريبيا، ناهيك عن استخدامه كمحفز للكشف العلمي**».

P. S. Skell, '***Why do we invoke Darwin? Evolutionary theory contributes little to experimental biology***,' The Scientist 19 (16): 10, 2005.

(جري كوين) البيولوجي المتطرف في معاداته للنظم الحكيم، يقول: «**سنستنتج -على غير المتوقع- أن هناك القليل من الأدلة لصالح نظرة الداروينية الحديثة: أسسها النظرية والأدلة التجريبية التي تدعمها ضعيفة**»

H. A. Orr and J. A. Coyne, '***The Genetics of Adaptation: A Reassessment***,' American Naturalist, 1992, 140, 726.

دنيس نوبل Denis Noble (١٩٣٦_): أستاذ علم وظائف الأعضاء في جامعة أوكسفورد. نشر أكثر من ٣٥٠ مقالا علميا في أهم المجلات العلمية في الغرب.

البيولوجي وفيلسوف العلوم التطوري **(دنيس نوبل)** في ورقة علمية صدرت حديثا عن الداروينية الحديثة: «**كل الافتراضات المركزية للنظرية التركيبية الحديثة (التي تسمى عادة الداروينية**

الحديثة) قد تم نقضها».

وهي كما يقول:

- التغيرات الجينية عشوائية.
- التغيرات الجينية تدرجية.
- وراثة الخصائص المكتسبة، أمر مستحيل.

D. Noble, '***Physiology Is Rocking the Foundations of Evolutionary Biology***,' Experimental Physiology 98 (8): 1235-1243, 2013.

د. م. س. واطسون D.M.S. Watson (١٨٨٦-١٩٧٣م): أستاذ علم الحيوان والتشريح المقارن.

«**التطور نظرية مقبولة عالميا لا لأنه بالإمكان إثباتها بحجة متناسقة منطقيا، وإنما لأن البديل الوحيد -وهو الخلق الخاص- غير مقبول بحسم**». البيولوجي **(د. م. س. واطسون)**

D.M.S. Watson, '***Adaptation***,' Nature 124: 233, 1929.

المبحث الخامس: تطوُّر الإنسان، حقائق مُخالفة واستدلالات قاصرة

الجدل الإسلامي - التطوري مجاله الحقيقي الوحيد -تقريبا- هو تطور **(آدم)** عليه السَّلام عن سلف سابق.

المجال الثاني هو عشوائية ظهور الكائنات الحية، لو سلمنا أن هذه الكائنات -باستثناء الإنسان- قد ظهرت عن تطور لا عن خلقي خاص، على خلاف التوراة في سفر التكوين حيث جاء التصريح -بلا لبس- أن الحيوانات والنباتات قد خلقت مرة واحدة على صورة ثابتة؛ فلم تتطور عن شكلها الأول.

ظواهر النصوص الشرعية على أن **(آدم)** عليه السَّلام قد خُلِقَ بلا سلف..

المطلب الأول: تطوُّر الإنسان وتحدِّي الزَّمان

الارتقاء من الكائن الأحدب إلى الإنسان المُنتصب يقتضي ظهور عدد هائل من التغييرات التشريحية الواسعة للمشي، والجري، والقبض على الأشياء، وحجم الدماغ وتركيبه... كما على الصورة الحالية الفريدة.

وإذا كان الإنسان -كما يقول التطوريون- قد تطور عن شبيه قرد منذ ٦ ملايين سنة، وكان هذا التطور عشوائيا، وكانت المجموعة التي بدأ منها هذا التطور تبلغ ١٠ آلاف فرد -كما هو ظنهم -؛

فإن السيناريو التطوري سيفشل ضرورة؛ لأن ٦ ملايين سنة لا تسمح إلا بطفرة واحدة في موقع ارتباط على الحمض النووي الصبغي، وتكون ثابتة في الرئيسيات.

R. Durrett and D. Schmidt, '***Waiting for regulatory sequences to appear***,' Annals of Applied Probability 17 (2007): 1-32.

في حين يستغرق تثبيت طفرتين ٢١٦ مليون سنة.

R. Durrett and D. Schmidt, '***Waiting for two mutations: With applications to regulatory sequence evolution and the Emits of Darwinian evolution***,' Genetics 180 (2008): 1501-1509.

الفارق التشريحي بين الإنسان وسلفه المزعوم منذ ٦ ملايين سنة يشمل ستة عشر وجها تشريحيا ضروريا، وكل وجه يحتاج عددا من الطفرات، وقد يبلغ مجموع هذه الطفرات الآلاف، بعضها يجب أن يكون متزامنا حتى يسمح الانتخاب الطبيعي لهذا الكائن بالبقاء.

Ann Gauger, Douglas Axe and Casey Luskin, ***Science and Human Origin,*** (Seattle, Wash.: Discovery Institute Press, 2012), pp 22, 26.

المطلب الثاني: ترتيب ظُهُور جنس (الهومو)

لا بد من بيان أن الأجناس المسماة (**هومو homo**)، ومنها جنسنا، هي -على الظاهر- من البشر؛ فالخلاف بينها أقرب إلى خلاف أفراد الجنس الواحد لا خلاف الأجناس المتعددة.

جنس (homo) كلهم بشر مثلنا، وإثبات سلف لـ (آدم) عليه السَّلام يقتضي إقامة برهان مباشر أو قرائن قاطعة على انتسال هذا الجنس من سلف سابق.

يحمل (**الإنسان النياندرتال**) كل صفات جنسنا، حتى إن بعض علماء المستحاثات البشرية يرونه جزءا من نوعنا، الإنسان العاقل.

E.g., Eric Delson, '***One Skull Does Not a Species Make***,' Nature 389 (October 2, 1997): 445-446.; Hawks et al, '***Population Bottlenecks and Pleistocene Human Evolution***'; Emilio Aguirre, '***Homo erectus and Homo sapiens: One or More Species?***' in ***100 Years of Pithecanthropus: The Homo erectus Problem*** 171 Courier Forschungsinstitut Senckenberg, ed. Jens Lorenz (Frankfurt: Courier Forschungsinstitut Senckenberg, 1994), 333-339.

أحد علماء الأركيولوجيا من جامعة (**بوردو**): «**كان النياندرتاليون يستعملون تكنولوجيا متطورة كالتي يستعملها الإنسان الحديث، وكانوا يستعملونها بالصورة نفسها**»

Joe Alper, '***Rethinking Neanderthals***,' Smithsonian magazine (June 2003).

المطلب الثالث: حُجَج التَّطوُّريين لتطوُّر الإنسان في الميزان

يقول عالم الأحافير (**جاي جولد**) أن «**جل أحافير القردة العليا (hominid) هي أجزاء من الفك وقطع من الجماجم، ومع ذلك تستعمل كأساس لافتراضات لانهائية ولصناعة قصص مفضلة**»

Stephen Jay Gould, ***The Panda's Thumb***, p126.

برنارد وود Bernard Wood (١٩٤٥_): أستاذ التشريح التطوري في عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية. له اهتمام خاص بدراسة الأحافير لترتيب أحافير التطور البشري المزعوم.

(**برنارد وود**) المختص في علم مستحاثات البشر، أن يقول: «**بإمكان أحفورة واحدة أن تغير بصورة جوهرية طريقة بنائنا شجرة الحياة**».

Bernard Wood, '***Hominid revelations from Chad***,' Nature, 418 (July 11, 2002): 133-35.

الذي يعتقده عامة أنصار الخلق الخاص في الغرب وعامة من خاضوا في تاريخ الأناسي في عالمنا الإسلامي هو أن كل جنس (**هومو**) أبناء (**آدم**) عليه السَّلام..

جون د. هاوكس John D. Hawks: أنثروبولوجي أمريكي متخصص في أحافير الإنسان ضمن رؤية تطورية بحته.

والذي يشهد عليه التحقيق العلمي هو ما قرره (**جون هاوكس**) -أحد علماء مستحاثات أسلاف البشر من جامعة وسكنسن، أنه لا يوجد في القردة العليا جنس انتقالي إلى «**الإنسان المنتصب**». والحل -بزعمه- هو الإيمان بالانتقال الفجائي من جنس القردة إلى جنس (**هومو**) من خلال «**ثورة جينية**» حصلت في القردة الجنوبية!

J. Hawks et al, '***Population bottlenecks and Pleistocene human evolution***,' Mol. Biol. Evol. 17 (2000): 2-22.

وقد شهد البيولوجي التطوري الشهير (**إرنست ماير**) سنة ٢٠٠٤م أن ظهور جنس (**هومو**) كان مفاجئاً؛ معترفا أن هناك فجوة كبيرة بين أقدم أحافير جنس (**هومو**) والقردة الجنوبية.

وأضاف: «**كيف بالإمكان تفسير ما يبدو كقفزة هنا؟ علينا أن نعود إلى المنهج العريق للعلم التاريخي، وهو صناعة روايات تاريخية؛ لأننا لا نملك أي أحفورة من الممكن أن تعتمد كحلقة مفقودة**»

Ernst Mayr, ***What Makes Biology Unique? Considerations on the Autonomy of a Scientific Discipline*** (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), p198.

وفي ورقة علمية نشرت في: «**Journal of Molecular Biology and Evolution**»، ذكر الباحثون أن الـ (**هومو**) يختلفون عن القردة الجنوبية بصورة كبيرة في حجم الجمجمة والطول والرؤية والتنفس... وأضافوا قائلين: «**نحن مثل كثير من غيرنا، نفسر الشاهد التشريحي لإظهار أن الإنسان العاقل الأول كان مختلفا بصورة كبيرة ودراماتيكية عن... القردة الجنوبية عمليا في كل عناصر الهيكل العظمي وفي كل ما تبقى من سلوكه**».

John Hawks, Keith Hunley, Sang-Hee Lee, and Milford Wolpoff, '***Population Bottlenecks and Pleistocene Human Evolution***,' Molecular Biology and Evolution 17 (2000): 2-22, at 3.

إثبات تطوُّر الإنسان عن حيوان أدنى يقتضي إثبات انتساله من القردة الجنوبية

وهو ما فشل التطوريون في إقامة البرهان الأثري عليه.

الاشتراكُ الجِينيُّ مع الشّمبانزي: يقول التطوّريُّون منذ سنة ١٩٧٥م: إنّ أعظمَ دليلٍ على تطوُّرِ الإنسان أنّه يشترك مع الشّمبانزي -ابن عمّه- في ٩٩ % من جِيناتِهِ، وذاك دليلُ وجودِ أَصْلٍ مشترَكٍ بينهما. والردُّ على ذلك من وَجْهَيْنِ -بعيدًا عن كشفِ الإشكالات المنهجيّة في تحديدِ هذه النسبة:

شكك كثير من العلماء التطوريين في تلك النسبة المزعومة، فعند عرض كامل الجينوم للمقارنة لا نجد غير ٧٦% من التطابق.

تقرير عالم الجينات (Richard Buggs)

Richard Buggs, ***"chimpanzee?" Reformatorisch Dagblad*** (October 10, 2008).

http://www.refdag.nl/chimpanzee_1_282611

فهي -ضرورة- أقل من ٩٩٪ بشهادة مجلة (Science) التطورية؛ إذ نشرت مقالا سنة ٢٠٠٧م تحت عنوان: «**أسطورة الـ ١٪**» تنفي فيه هذه النسبة العالية من التطابق.

John Cohen, '***Relative Differences: The Myth of 1%***', Science 29 Jun 2007: Vol. 316, Issue 5833.

كشف بحث علمي منذ سنوات أن الفئران تشترك مع الإنسان في ٩٧,٥% من جينومه رغم أن سلفنا المشترك -المزعوم- قد عاش منذ ١٠٠ مليون سنة.

Chris Gunter & Ritu Dhand, '***Human biology by proxy***,' Nature 420, 509 (05 December 2002).

https://www.nature.com/articles/420509a

التحامُ الكُروموسوم ٢: يقول التطوّريّون: إنّ للشّمبانزي ٢٤ زَوْجًا من الكروموسومات وللإنسانِ ٢٣ زَوْجًا منها، وقد اكتشفَ العُلماءُ أنّ سببَ اختلافِ عدد الكروموسومات بين الإنسان والشّمبانزي أنّ هناك التحامًا بين كروموسومَيْنِ يُشكّلان اليوم «**الكروموسوم ٢**» في جينوم الإنسان؛ وبذلك يكون عددُ كروموسومات الإنسان قبل الالتحام ٤٨.

جوناثان مارك Jonathan Marks (١٩٥٥_): عالم أمريكي درس في جامعة (Yale) و (University of North)

كتب عالم الجينات والأنثروبولوجيا التطوري (**جونثان مارك**): «**ليس هذا الالتحام ما أعطانا اللغة، أو المشي على رجلين، أو الدماغ الكبير، أو الفن .... إنه من جنس تلك التغييرات المحايدة التي تفتقد تعبيرات خارجية وما هي بجيدة ولا سيئة**».

Jonathan Marks, ***What it means to be 98% Chimpanzee: Apes, People, and their Genes*** (Los Angeles: University of California Press, 2003) p39.

حجة الأعضاء الأثرية قائمة بصورة جوهرية على مغالطتين، أولاهما: مغالطة الجهل، وهي أن ما نجهل وظيفته فلا وظيفة له، وثانيهما: وهي أثر عن الأولى زعم امتناع قيام العضو بغير وظيفة واحدة؛ فقد اكتشف التطوريون أن كثيرا من هذه الأعضاء الأثرية المزعومة لها وظائف دقيقة ومهمة بعد أن جهلوا ذلك سابقا.

قد دفعت الدراسات الجينية المتأخرة (**كولنز**) أن يقول بصراحة: «**... وفيما يتعلق بالحمض النووي الصبغي الخردة، نحن لا نستخدم هذا المصطلح بعد الآن لأنني أعتقد أنه كان في ذلك إلى حد كبير شيء من الغطرسة أن نتصور أنه يمكننا أن نستغني عن أي جزء من الجينوم، كما لو كنا نعرف ما يكفي لنقول: إنه بلا وظيفة.... معظم الجينوم... تبين أنه يفعل أشياء تقوم بأشياء**»

صرح بذلك سنة ٢٠١٥م في اجتماع في مؤتمر J. P. Morgan Healthcare Conference

https://evolutionnews.org/2016/07/on_junk_dna_fra

والحقيقة هي أنه على المذهبين الخلقي والتطوري، لا توجد ضرورة لافتراض مئات أو آلاف الأوادم لتفسير التنوع الجيني الحالي في البشر.

وقد قدم عدد من البيولوجيين الذين يَرَوْنَ الخلق الخاص لـ **(آدم)** عليه السَّلام قراءات علمية لتاريخ التَّنوُّع الجيني تسمح بأصل واحد لجميع البشرية، ومنهم البيولوجية **(آن جوجر)** وعالم الكيمياء الحيوية **(فضل رنا)**.

Ann Gauger, Douglas Axe and Casey Luskin, ***Science and Human Origins***, pp.105-122.

وانظر أيضا في دراسة أحدث:

Ola Hössjer, Ann K. Gauger, and Colin R. Reeves, ***'An Alternative Population Genetics Model***,' in ***Theistic Evolution***, pp.503 ff.

Fazale Rana and Hugh Ross, ***Who Was Adam? A Creation Model Approach To The Origin Of Man*** (Covina, CA: RTB Press, 2015).

المبحث السادس: ملاحدة شهدوا للخلق ضِدّ التَّطوُّر

(أرنست شاين) القائل: «**يبدو لي أن افتراض أن تطور الأصلح وبقاءه هو بصورة كلية أثر عن طفرات صدفوية، أو حتى إن الطبيعة تقوم باختبارات عن طريق التجربة والخطأ من خلال الطفرات بهدف خلق أنظمة حية أصلح للبقاء -كما هو زعم وضعيي آخر القرن ١٩ وأتباعهم- افتراض غير قائم على حجة، وليس بالإمكان التوفيق بينه وبين الحقائق**»

Chain, '***Social Responsibility and the Scientist in Modern Western Society***,' Perspectives in Biology and Medicine. Spring 1971, Vol. 14, No. 3, pp367.

عامة تصريحات **(شاين)** تدل على رفضه التطور العشوائي؛ بما فهم منه كثيرون أنه يرفض معه التطور البيولوجي نفسه.

ريموند دمدين Raymond Damadian (١٩٣٦_): طبيب أمريكي من أصل أرمني.

كما أنكر التطور **(ريموند دمدين)** مخترع **(التصوير بالرنين المغناطيسي)** (MRI)، والذي رشح لجائزة نوبل، ولكن لم يمنح الجائزة بسبب تدينه ورفضه للتطور.

رجح الفيلسوف الملحد (**مايكل روس**) ذلك سببا لرفض منحه الجائزة:

M. Ruse, ***The Nobel Prize in Medicine-Was there a religious factor in this year's (non) selection?*** Metanexus Online Journal, March 16, 2004.

وقد كان رفض التطوّر أيضًا السبب - أو أحد أسباب - عدم منح (**فريد هويل**) جائزة نوبل، بعد أن رشح لها؛ إذ أصدر أثناء ذلك دراسته التي أثبتت أن إمكان التطور في ظل حساب الرياضيات الاحتمالي لا يغادر مقام الصفر. وهو المشهد الإقصائي الذي شهد بحقيقته الكيميائي (**أ. إ. ولدر-سميث**).

أ. إ. ولدر-سميث A. E. Wilder-Smith (١٩١٥-١٩٩٥م): كيميائي بريطاني حاصل على ثلاث شهادات دكتوراه في العلوم. من أعلام المذهب الخلقي في أوروبا.

A.E. Wilder Smith, **The Scientific Alternative to Neo-Darwinian Evolutionary Theory: Information sources & structures** (Costa Mesa, CA: TWFT Pub., 1987), p iii.

ريتشارد سمالي Richard Smalley (١٩٤٣-٢٠٠٥م): أستاذ الكيمياء والفيزياء والفلك في جامعة «رايس». نال جائزة نوبل لاكتشافه شكلا جديدا للكربون.

ومنهم عالم الكيمياء الحاصل على جائزة نوبل (**ريتشارد سمالي**) بعد قراءته منذ بضع سنوات كتاب «**أصول الحياة**» لبيولوجي وفيزيائي من أنصار الخلق الخاص.

Fazale Rana and Hugh Ross, ***Origins of Life*** (Covina, CA: RTB Press, 2013).

الدكتور (**ريتشارد لمسدن Richard Lumsden**)، أستاذ الطفيليات وبيولوجيا الخلية في جامعة (Tulane). قد عاش ملحدا، متعصبا للداروينية، يختصر كل تفسير للكون في الأسباب المادية.

بداية التحول كانت لما جاءته طالبة مرة تطلب مناقشته فيما يدرسه، فاستمع لها وهي تسأل بأدب عن مشكلة نشأة الحياة، وإمكان تكون الحمض النووي الصبغي عشوائيا، ولماذا توجد فراغات واسعة في الأحافير بين الأصناف الحيوانية الكبرى.. كان (**ريتشارد لمسدن**) يستمع بعناية، ويظهر ثقة في فساد قول الطالبة، لكنه اهتز من الداخل؛ إذ اكتشف إيمانويته العمياء بدعاوى التطور والداروينية..

بدأ (**لمسدن**) بعد ذلك اللقاء في مراجعة مقولات التطور والداروينية من منطلق علمي بحت؛ فاكتشف مع الوقت أنها ضعيفة، ومعيبة؛ بما ألزمه أن يتحول إلى القول بالخلق الخاص. وقد أثار تحوله الجامعةَ التي درس فيها؛ مما جعلها تتخلى عنه؛ فالتجأ إلى العمل في المؤسسة العلمية

المُعتنية بالرد على التطوريين «**Institute for Creation Research**»، ثم التحق بتدريس تخصصه في جامعة أخرى أفادت من تبحره العلمي... ومنها رد على زعم (**داوكينز**) أن خلق الله معيب، نعى عليه فيها جهله الواضح بالبيولوجيا الخلوية.

Richard D. Lumsden, ***Not So Blind a Watchmaker***.

https://citeseerx.ist.psu.edu/document?repid=rep1&type=pdf&doi=74b850ab57b9730c8a5a7a740636e70e6513ac14

ثاني المهاجرين من المذهب التطوري إلى مذهب الخلق الخاص: البروفسور (**Frantinek Vyskocil**)، المختص بالطبائع الكيميائية والكهربية للتشابك العصبي، والخلايا العصبية، ومضخات الغشاء، وأبواب أخرى في البيولوجيا.

بدأت شكوك (**Vyskocil**) في صحة المذهب التطوري عندما بدأ في أبحاث ما بعد الدكتوراه في دراسة تعقيد التشابكات العصبية؛ بما جعله يسأل نفسه: «**كيف للتشابكات العصبية والبرامج الجينية التي تحكمها أن تكون أثرا للصدفة العمياء**».

وفي سنة ١٩٧٠م حضرَ محاضرةً لعالِمٍ رُوسِيٍّ مشهورٍ ذَكَرَ فيها أنّ الكائناتِ الحيّةَ لا يمكن أن تكون أَثَرًا عن طَفْراتٍ عشوائيّةٍ وانتخابٍ طبيعيٍّ.

إن البكتيريا البسيطة من الممكن أن تنقسم كل ٢٠ دقيقة، ولها مئات البروتينات المختلفة، وكل منها يضم ٢٠ نوعا من الحمض الأميني مرتبا في سلاسل طويلة. وتتطور البكتيريا بطفرة تحدث في نكليوتيد، واحدا بعد واحد، وذاك لا يستغرق ٣ × $١٠^{٩}$ (العمر الافتراضي للأرض)، وإنما يأخذ $١٠^{٥٠}$ سنة. وهو عمر أطول -بما لا يوصف- من عمر الأرض.

كلام العالم الروسي مع شكوك (**Vyskocil**) قادته إلى ترك المذهب التطوري كلية.

From Atheist to Bible-believing Scientist

https://answersingenesis.org/world-religions/atheism/from-atheist-to-bible-believing-scientist

عالم الهندسة الحيوية الفنلندي (**متي ليزولا Matti Leisola**). وكان منذ مدة عميدا لكلية العلوم الكيميائية في «Aalto University». وقد نشر قصته في كتاب صدر هذه السنة بعنوان «**مهرطق، رحلة عالم من داروين إلى التصميم**».

Heretic: ***One Scientist's Journey from Darwin to Design***.

نشأ (**ليزولا**) ملحدا، كارها للنصرانية، مقتنعا أن الداروينية خير سلاح لإبطال عقيدة وجود إله...

كتاب **(ليزولا)** مشحون بقصص مكر الدراونة بكل مخالف في الجامعة وخارجها، ومنعهم له ولغيره من الحديث عاليا.

المبحث السابع: نُقُودٌ وَرُدُودٌ

المطلب الأول: التَّطوُّر مَحَلّ إجماع عِلْميّ، وإنكاره مُكابرة

الإجماع العلمي ليس في ذاته حجة، وإنما له سلطان أدبي قوي لدلالته على وضوح المسألة في الوسط العلمي في زمن ما بما يجعل الخروج عن هذا الاتفاق مصدر حرج لفاعله. الحجة في جميع الدراسات العلمية وجود برهان حاسم قابل للاختبار والفحص والمراجعة لا آراء العلماء وإن كانت اتفاقا منهم على مذهب ما.

وهو ما أكدته رئيسة «**School of Earth and Atmospheric Sciences**» في مؤسسة جورجيا للتكنولوجيا بقولها في بحث لها عن الإجماع العلمي وقيمته: «**عند وجود نظريات علمية راسخة بحق، لا تتم مناقشة «الإجماع»، ويغدو مفهوم الإجماع من الأمور غير المهمة في هذا السياق... من الممكن أن يظهر الإجماع حول فرضية أو نظرية علمية، لكن وجود الإجماع ليس هو في نفسه الحجة**»

Judith Curry, ***Climate change: no consensus on consensus***.

https://judithcurry.com/2012/10/28/climate-change-no-consensus-on-consensus/

الإجماع العلمي ليس واحدا، وإنما هو أجناس؛ أقواها ما كان مستندا إلى أدلة مادية كثيرة ومباشرة، مع اتفاق المجتمع العلمي عليه قرونا دون منازعة.

الإحصائيات قد دلت على أن ١٨٪ من الأطباء في أمريكا يؤمنون أن الله قد خلق **(آدم)** عليه السَّلام مرة واحدة، و٦٠% قالوا بالنظم الحكيم.

Jonathan Witt, ***Poll: 60 Percent of Doctors Reject Darwinism***.

https://evolutionnews.org/2005/05/poll_60_percent_of_doctors_reject_darwin/

لوكان الإجماع المزعوم عن برهان يقيني لاهتدى إليه كل من يتعاطى مع الجانب البيولوجي في الإنسان بطريق علمي مادي؟!

التطور هو اللاعب الوحيد في الساحة العلمية -على حد تعبير الفيلسوف **(ألفن بلانتنجا)**، فلا يوجد خيار آخر في الساحة العلمية من الناحية المبدئية؛ ذلك أن البحث العلمي في جميع

جامعات الغرب ومراكز البحث يقوم على مبدأ «**الطبيعانية المنهجية**».

ومن ظن أن البحث العلمي في الغرب بريء من ضغط الأيديولوجيا وأصحاب المصالح؛ فقد فاته إدراك الصورة الحقيقية لواقع المجتمع العلمي؛ كشف ستره التطوري المتطرف **(جاي جولد)** بقوله: «**سبلنا [نحن العلماء] لتعلم حقيقة العالم متأثرة بصورة بالغة بالتصورات الاجتماعية المسبقة وطرق التفكير المتحيزة التي يجب على كل عالم تطبيقها على أي من المشاكل. إن الصورة النمطية «للمنهج العلمي» العقلاني والموضوعي بصورة كلية، حيث يصور العلماء على أنهم مناطقة وروبوتات تتبادل المعارف؛ أسطورة مسخرة لخدمة نفسها**»

Gould, ***The Mind of The Beholder***, Natural History. Feb 94, Vol. 103 Issue 2, 15

ولذلك تنتقض كثير من الإجماعات بدراسة باحث واحد يعيد تغيير مسار حركة البحث العلمي إلى وجهة جديدة؛ فقد نقض **(لافوازييه)** الإجماع على وجود «**الفلوجستون**»، ونقض **(باستور)** الإجماع على التولد العفوي للكائنات الحية، ونقض **(ألفرد فجنر)** دعوى أن القارات ثابتة لا تتحرك.

أنطوان لورون لافوازييه Antoine Laurent Lavoisier (١٧٤٣-١٧٩٤م): كيميائي فرنسي شهير. كانت له مساهمات في علم البيولوجيا.

لويس باستور Louis Pasteur (١٨٢٢-١٨٩٥م): بيولوجي وكيميائي فرنسي شهير. صاحب اكتشافات علمية مميزة.

ألفرد فجنر Alfred Wegener (١٨٨٠-١٩٣٠م): عالم جيوفيزياء ألماني، كانت له أيضا عناية بعلم الأرصاد الجوية.

كل برهان يستدل به التطوريون له مخالف من جنسه؛ فالاستدلال بالأحافير الانتقالية يعارضه الاستدلال بفجوات الأحافير، والاستدلال بـ «**البنى المتماثلة Homologous structures**» يعارضه «**التطور المتقارب convergent evolution**» وقد كان أعظم براهين التطور في العقود الأخيرة «**الحمض النووي الصبغي الخردة Junk DNA**»، واليوم يكشف البحث العلمي «**كنوزا**» في الخردة المزعوم، وهي العبارة التي ظهرت في عنوان مقال نشرته « **Scientific American**» التطورية «**كنوز مخفية في الحمض النووي الصبغي الخردة Hidden Treasures in Junk DNA**»، وقد أدى القول: إن هذا الحمض النووي الصبغي خردة إلى تعطيل كثير من الكشوف العلمية المهمة في معرفة الأمراض وعلاجها.

Hidden Treasures in Junk DNA, Scientific American, October 1, 2012.

https://www.scientificamerican.com/article/hidden-treasures-in-junk-dna/

الفيلسوف الملحد التطوري **(توماس ناجل)** في ختام كتابه

Mind and Cosmos: Why the Materialist Neo-Darwinian Conception of Nature is Almost Certainly False.

الخاص بإخفاقات الداروينية: إن الداروينية التي يؤمن جمهور البيولوجيين بصحتها اليوم، ستصبح مصدر سخرية بعد جيل أو جيلين لعقمها التفسيري؛ إذ إن انتصار الداروينية -كما يقول **(ناجل)**- انتصار للنظرية الأيديولوجية على البداهة!

Thomas Nagel, ***Mind and Cosmos***, p128.

المطلب الثاني: فماذا عن الأحافير الوسيطة التي تملأ المتاحف؟

اعترف **(داروين)** نفسه أن الشاهد الأحفوري يقف ضد نظريته.

الاستدلال بالشاهد الأحفوري للمذهب التطوري يقتضي إثبات وجود وفرة هائلة من الحلقات الانتقالية بين الكائنات ضمن محفوظاتنا من الأحافير، وهي ملايين الحلقات الانتقالية التي يجب أن تحفظها لنا طبقات الأرض، لا بعض الأحافير التي تحتفي بها المتاحف.

قد ذهب **(أرسطو)** وتابعه كثير من اللاحقين، ومنهم كثير من علماء الإسلام -، إلى أنه من الممكن ترتيب الموجودات من الأدنى الوضيع إلى الأعلى، دون القول بأنها تنتسل من سلف لها من جنس آخر، وهو ما يعرف بـ «great chain of being»

مارك ردلي Mark Ridley (١٩٥٦_): باحث في قسم علم الحيوان في جامعة «أوكسفورد».

كتب **(مارك ردلي)** المتخصص في علم الحيوان، وصاحب الكتاب المدرسي المعروف «التطور»، والذي أشرف على أطروحته للدكتوراه **(داوكينز)**: «**الحقيقة البسيطة المُتمَثِّلة في أن الأنواع يمكن تصنيفها هرميا إلى أجناس وفصائل، وما إلى ذلك، ليست حجة للتطور. من الممكن ترتيب أي مجموعة من الأفراد في تسلسل هرمي، سواء كان تباينها تطوريا أم لا**»

Mark Ridley, '***Who doubts evolution?***' New Scientist, 90, 1981, 832.

لا يلزم من وجود الكائنات على صورة ترتيبية أن تكون مُنتسلة بعضها من بعض كما أن واقع تاريخ الأحياء يشهد بحالات تخالف التَّدرُّج التَّعقيدي المزعوم، فإن العين-مثلا-بدأت معقدة، وظهرت بعدها كثير من الأعين البسيطة؛

- الاعتراض الوحيد الجاد على برهان النظم في عالم الأحياء هو المذهب التطوري العشوائي في صياغته الداروينية (الأحدث).
- النصوص الشرعية قاطعة أن خلق جميع الكائنات الحية أثر عن حكمة وتوجيه؛ والإجماع منعقد على أن القول بالتطور العشوائي (الداروينية وغيرها من نظريات التطور العشوائي) تكذيب لنصوص الوحي.
- التطور-بمعنى: السلف المشترك لكل الكائنات-لا يعارض وجود الله باعتراف كبار التطوريين، وعلى رأسهم (داروين). كما أنه لا يعارض برهان النظم لأن النظم يعارض العشوائية ولا يعارض محض التطور.
- سبب فساد القول بالمذهب التطوري من الناحية العلمية فشل أهم نبوءاته؛ إذ يلزم من القول بالتطور من الخلية الأولى البدائية إلى منظومة الأحياء الحالية أن تشهد الأحافير لهذا التدرج البطيء بوضوح وكثافة في طبقات الأرض، كما أنه يلزم من القول بالتطور وجود «شجرة حياة» واحدة؛ والشاهد العلمي يكذب النبوءتين السابقتين. ولا يمكن أن تصح نظرية التَّطوُّر إذا فشل أهم ما يشهد لها في تاريخ الأرض.
- الطفرات العشوائية عاجزة كما وكيفا عن منح الحياة المادة الخام القابلة للتهذيب. وهي على الحقيقة خصم للتطور، وقرين التدهور.
- الانتخاب الطبيعي أضعف من أن يوجه حركة الحياة من البكتيريا الأولى إلى المنظومة الأحيائية الحالية.
- لا يسلم دليل علمي واحد لتطور الجنس البشري عن سلف من النقود القوية؛ بل الشواهد على وجود فجوة بين جنسنا و«القردة الجنوبية»، وذاك حجة ضل هذا التطور المزعوم.

مراجع للتَّوسُّع

J. P. Moreland, et. al. eds. ***Theistic Evolution: A Scientific, Philosophical, and Theological Critique***, Wheaton, Illinois: Crossway, 2017.

Jonathan D. Sarfati, ***The Greatest Hoax On Earth? Refuting Dawkins On Evolution***, Atlanta, Georgia: Creation Book Publishers, 2014.

Duane T. Gish, ***Evolution: The fossils still say no!*** El Cajon, Calif.: Institute for Creation Research, 1995.

الفصل الثالث: بُرهان النَّظم الأحيائي، الأدِلَّة

«نحن لا نفترض وُجُود التَّصميم مِمَّا لا نعلمه، وإنَّما نفترضه مِمَّا نعلمه. نحن لا نفترض وُجُود التَّصميم لأجل تفسير وُجُود صندوق أسود، وإنَّما نفترضه لأجل تفسير صندوق مفتوح»

البيولوجي (**مايكل بيهي**)

Behe, '***Design in the Details***,' in ***Darwinism, Design, and Public Education***, ed. John Angus Campbell (East Lansing: Michigan State Univ. Press 2004), p301.

بريان جوزيفسن Brian Josephson (١٩٤٠_): عالم فيزياء نظرية وأستاذ الفيزياء في جامعة كمبردج. نال جائزة نوبل لأبحاثه في فيزياء الكم.

وقد نبه على حقيقة انفصال التطور عن الإلحاد عدد من أعلام العلم، ومنهم (**بريان جوزيفسن**) عالم الفيزياء الأيرلندي الحائز على جائزة نوبل، الذي صرح أنه يميل بشدة إلى مذهب «**التَّصميم الذكي**» في عالم الأحياء في قوله: «**واحد من الأخطاء الكبيرة التي يرتكبها الذين يهاجمون التصميم الذكي: عدّ التطور والإيمان بالله من الأمور التي ينفي أحدها الآخر؛ ولذلك يقولون: إن المرء الذي يؤمن بالتصميم الذكي لا يؤمن بالتطور، ولكن ليس الأمر كذلك**»

كلامه في لقاء في البرنامج التلفزيوني الشهير (Closer to Truth) مع الصحفي (Robert Lawrence Kuhn).

https://closertotruth.com/video/josbr-004/

بإمكاننا إثبات مصداقية برهان النظم (حتى لو صحت جدلاً دعوى التطور) بإثبات وجود شيء واحد في عالم الأحياء، أي شيء، تعجز العشوائية العمياء عن إيجاده، ولا يفسر وجوده غير وجود ذكاء أو حكمة.

ملاحظة (التاعب): هذه نقطة مهمة جدًّا وقوِيَّة يجب التَّأكيد عليها في المُناظرات مع المُلحدين والتي تُوضِّح أنَّ على المُلحد عبء كبير جداً في إثبات صِحَّة الإلحاد في مُقابل المؤمن المؤلِّه الذي يستطيع أن يبذل مجهود بسيط جداً في إثبات صِحَّة إيمانه.

لأن الله قد يسمح لعدد من الظواهر الكونية أن تسلك طريق العمل الذاتي لحكم يراها، كأن يسمح بظهور الفيروسات والأمراض والإعاقات (مفترضين هنا عشوائيتها) ليختبر صبر الناس على البلاء، وليعاقب الظالمين المعاندين، وليحفز أسباب التراحم بين البشر، فهي عشوائية في شكلها الظاهر لكنها تعمل ضمن حكمة أعلى لأن الله يعلم آثارها ومآلها.

يكفي إثبات وجود ظاهرة كونية واحدة تعجز العشوائية عن تفسيرها؛ لإثبات وجود الله وكشف فساد الإلحاد.

وحقيقة الظاهرة الطبيعية اللا عشوائية هي: ما لا يقبل بطبيعة وجوده أو تركيبه الخروج إلى

الوجود المادي بفعل حركات عفوية أو تفاعلات عمياء.

مثال مما لا يمكن أن يصدر عن عشوائية بسبب طبيعة وجوده: «**المعلومة information**»؛ إذ المعلومة أثر عن حكمة واعية. وهذا هو جوهر المشروع الفكري لفيلسوف العلم (**ستيفن ماير**).

مثال مما يأبى التفسير العشوائي بسبب طبيعة تركيبه: «**التعقيد غير القابل للتبسيط**»، وهو المشروع الفكري للبيولوجي (**مايكل بيهي**). تعجز العشوائية عن تفسير ظواهر التنظيم المعقد الذي يخدم أسباب البقاء أو المتعة إذا كان احتمال ظهوره دون الحد الأقصى للتفاعلات التي عرفها الكون طول تاريخه، أي: (١ من $١٠^{١٥٠}$). وذاك هو مشروع عالم الرياضيات الفيلسوف (**ويليام دمسكي**).

العشوائية لا يمكنها البتة أن تفسر ظهور مظاهر أحيائية كثيرة؛ من أهمها:

١. المعلومة.
٢. أصل الحياة.
٣. التشفير.
٤. وعي الكائنات الحية الدنيا.
٥. التعقيد غير القابل للتبسيط.
٦. النظم الفائض عن الحد الأدنى للحاجة المعيشية.
٧. الزوجية وظهور التكاثر الجنسي.
٨. التماثل عن غير أصل مشترك (مشكلة التطور المتقارب).
٩. اللغة.

ويكفي ثبوت فشل العشوائية في تفسير ظاهرة واحدة من الظواهر السابقة لإثبات بطلان الإلحاد ووجود الله.

ليس التَّطوُّر خِصْم بُرهان النَّظم، وإنَّما خِصمه العشوائية..

المبحث الأول: نشأة المعلومات

لم ينهزم الدراونة الملاحدة في جدل التفسير العشوائي مثل هزيمتهم في معركة تفسير أصل «المعلومة» «information»؛ فإن المعلومة قرينة العقل أو الحكمة ونقيض العشوائية التي لا تتحرك في مبدئها إلى غاية معقولة.

المطلب الأول: الكون.. معلومة

ملاحظة (التاعب): هذه نُقطة خطرة جداً: بيان أنَّ المعلومة في طبيعتها وجنسها شيء مُستقِلّ عن المادَّة التي تحملها.

نوربرت وينر Norbert Wiener (١٨٩٤-١٩٦٤م): عالم رياضيات وفيلسوف أمريكي. درس الرياضيات في «Massachusetts Institute of Technology»

يقول عالم الرياضيات الأمريكي (**نوربرت وينر**): «**المعلومة هي المعلومة، لا هي مادة ولا هي طاقة**»

Cited in: Burgin Mark, ***Theory of Information: Fundamentally, Diversity and Unification*** (Singapore: World Scientific, 2010), p3.

هي في عالم البيولوجيا ليست الجين، ولا الحمض النووي الصبغي، ولا الحمض النووي الريبوزي، ولا البروتين.. إنها وجود آخر، وماهية أخرى غير مادية. المعلومة شيء مفهومي (conceptual) غير مادي يؤدي إلى إنشاء شيء أو التواصل حوله بين أكثر من طرف.

جورج ويليامز George Williams (١٩٢٦ -٢٠١٠م): أستاذ البيولوجيا في State University of New York at Stony Brook

قال البيولوجي التطوري (**جورج ويليامز**): «**لقد فشل البيولوجيون التطوريون في اكتشاف أنهم يعملون في مجالين اثنين غير متجانسين: مجال المعلومة ومجال المادة. لقد تطرقت إلى هذه المشكلة في كتابي (١٩٩٢م): *الانتخاب الطبيعي: المجالات والمستويات والتحديات*، لا يمكن أبدا الجمع بين هذين المجالين بأي صورة بالمعنى المستعمل عادة بعبارة «الاختزالية». بإمكانك أن تتحدث عن المجرات وجسيمات الغبار بالعبارات نفسها لأن لكل منها كثافة وشحنة وطولا وعرضا. لا يمكنك أن تفعل ذلك مع المعلومات والمادة. ليس للمعلومات كثافة ولا شحنات ولا طول بالمليمتر... الجين رزمة من المعلومات وليس شيئا.. وجزيئات (DNA) هي الواسطة لا الرسالة. والمحافظة على هذا التمييز بين الواسطة والرسالة أمر ضروري جدا لمعرفة سليمة بالتطور**»

George Williams, '***a Package of Information***,' in ***Third Culture: Beyond the Scientific Revolution***, ed. John Brockman (New York: Simon Schuster, 1996) p43.

مانفرد أيغن Manfred Eigen (١٩٢٧_): كيميائي ألماني. حصل على نوبل في قياس التفاعلات الكيميائية السريعة.

وفي عالم الأحياء، لا يمكن تفسير حقيقة بناء الخلية، وجدارها ونواتها، وآلاتها بغير المعلومة؛ فقد وجدت بالتوازي مع بدء الحياة، ولم تنشأ عن الحياة، ولا عن المادة. ولذلك قال الكيميائي الحاصل على جائزة نوبل **(مانفرد أيغن)** في كتابه «**خطوات نحو الحياة**» لفهم نشأة الحياة -من منظور مادي صرف: «**مهمتنا هي العثور على خوارزمية؛ أي: قانون طبيعي يقود إلى أصل المعلومات**»

Manfred Eigen, ***Steps Towards Life: A Perspective on Evolution***, trans. Paul Woolley) Oxford: Oxford University Press, 1992), 12.

المطلب الثاني: المعلومة والذَّكاء والحكمة

قال **(بول ديفيس)**: «**لا يوجد قانون فيزيائي معروف قادر على إنشاء معلومات من لا شيء**».

Paul Davies, '***Life force***,' New Scientist 163 (2204): 29, 18 September 1999.

فرنر غيت Werner Gitt (١٩٣٧_): ألماني. رئيس قسم تكنولوجيا المعلومات.

بعبارة أوسع على لسان **(فرنر غيت)** المتخصص في علم المعلومات، وصاحب الكتاب المهم: «**في البدء كانت المعلومة**»: «**لا يوجد قانون طبيعي معروف تقوم المادة من خلاله بإنشاء معلومة، وليس ذلك موجودا في أي عملية فيزيائية أو ظاهرة مادية معروفة**».

Werner Gitt, ***In the Beginning Was Information*** (New Leaf Publishing Group, 2006), p80.

فيلسوفِ العلوم **(ستيفن ماير)** - الذي أَكَّدَ على علاقة المعلومة بالذكاء ضرورةً في كُتُبِه ومقالاته ومناظراته، دون أن يجد عند الملاحدة ردًّا عاقلاً على تقريراتِه - حول الأمرِ ذاته. وقد لخّص جوهرَ التحدّي الذي عَرَضَهُ على مدى العقود الثّلاثة الأخيرة في قوله: «**إن لدينا تجارب متكررة حول ذوات عاقلة وواعية -خاصة أنفسنا- تولد تعقيدا مخصوصا للمعلومات أو تتسبب فيه، سواء كان تسلسلا مخصوصا للشفرات أو على شكل أنظمة تضم أجزاء، مرتبة هرميا.... إن معرفتنا حول تدفق المعلومات، والقائمة على التجربة تؤكد أن الأنظمة التي تضم كميات كبيرة من التعقيد المخصوص (خاصة الشفرات واللغة) تنشأ دائما من مصدر ذكي؛ من عقل أو ذات شخصية personal agent**»

Stephen C. Meyer, '***The Origin of Biological Information and the Higher Taxonomic Categories***,' Proceedings of the Biological Society of Washington 117. 2 (2004): 213-39.

ولذلك كتب عالم البيولوجيا الجزيئية (**كومفيلد**) الحائز على جائزة نوبل: «**كثيرا ما يغمرني شعور الحكمة اللا متناهية لله عندما أعمل بجد في دراسة الجزيئات المعقدة والدقيقة جدا في المختبر... إن المرء ليندهش كيف أن آلية بذاك التعقيد من الممكن أن تعمل بصورة سليمة أصلا.. إن أصغر آلية صنعها الإنسان تحتاج إلى مخطط وصانع؛ ولذلك فإن تصور أن آلية أعقد من ذلك عشر مرات قد كونت وتطورت بنفسها، أمر يتجاوز فهمي بصورة تامة**»

E.C Komfield, ***The Evidence of God in an Expanding Universe***, Look, January 16, 1962, p16.

لزلي أورجل Leslie Orgel (١٩٢٧-٢٠٠٧م): كيميائي بريطاني. درس في عدد من الجامعات الأمريكية وتعاون مع وكالة ناسا في عدد من المشاريع العلمية. تحدث عن «**التعقيد المخصوص**» في كتابه «**أصول الحياة**» للتمييز بين الكائنات الحية والكائنات غير الحية.

وإنما نحن نتحدث عما يسمى بـ «**التعقيد المتفرد specified complexity**»، وهو مصطلح سكه عالم الكيمياء الشهير المتخصص في موضوع أصل الحياة (**لزلي أورجل**)، وقصد به التمييز بين الكائنات الحية والأخرى غير الحية. وقد طور هذا المفهوم عالم الرياضيات الفيلسوف (**ويليام دمسكي**) في كتابه «**The Design Inference**».

المطلب الثالث: التَّعقيد المُتفرِّد

ملاحظة (التاعب): الدكتور سامي يستخدم مُصطلح التَّعقيد المُتفرِّد أو المخصوص بنفس المعنى، ويُترجم أحياناً في بعض المراجع الأخرى باللغة العربية إلى: التَّعقيد الوظيفي.

التعقيد المتفرد قائم على وجود نظام وترتيب مخصوص للأعضاء أو الرموز.

Casey Luskin, ***A Response to Dr. Dawkins' "The Information Challenge".***

https://www.discovery.org/a/4278/

التمييز بين «**التعقيد المتفرد**» وكل نوع آخر من التعقيد هو حقيقة يعترف بها المجتمع العلمي؛ ولذلك قام مشروع (The Search for Extraterrestrial Intelligence) (SETI) على تتبع كل رسالة من الفضاء تدل على وجود كائنات عاقلة ذكية، وعلامة وجود هذه الكائنات التي ينتظرها العلماء إلى اليوم هي تلقي رسالة تتميز بالتعقيد المتفرد.

يقول البيولوجي الشهير، الملحد (**كريغ فنتر**): «**الحياة نظام برمجيات للحمض النووي الصبغي**»

"**Life Is a DNA Software System**".

J. Craig Venter, ***The Big Idea: Craig Venter on the Future of Life***, The Daily Beast (October 25, 2013).

https://www.thedailybeast.com/the-big-idea-craig-venter-on-the-future-of-life

ولا يمكن للطفرات العشوائية أن تصنع «**معلومة**»؛ إذ إن هناك فرقا بينا بين أن تكون الطفرة نافعة -بسبب فقد «المعلومة»- وبين أن تضيف إلى الحوض الجيني معلومات تتسم بالجدة لا التكرار.

محاولة استنقاذ العقم الداروينى بالزَّعم أنَّ تضاعف الجينات (Gene-duplication) يحل المشكلة؛ إذ تؤدي الطفرات في الجين الجديد إلى صناعة جين بوظيفة جديدة، محاولة فاسدة؛ إذ إن المعلومات بهذا المعنى لا ترفع الرصيد الكيفي للجين. والمشكلة الأساسية في دعوى تحول الجين إلى وظيفة جديدة هي أن الدراونة لم يقدموا لذلك تصورا عمليا له تفاصيل بعيدا عن العناوين، حتى اعترف-حديثا-مجموعة علماء في مجلة (Nature) بقولهم: «**المبادئ العامة التي تحكم هذه العملية لا تزال مجهولة إلى حد كبير**».

Ilan Wapinski, Avi Pfeffer, Nir Friedman & Aviv Regev, "***Natural history and evolutionary principles of gene duplication in fungi***," Nature, Vol. 449: 54-61 (September 6, 2007).

لي سبنر Lee Spetner (١٩٢٧_): عالم فيزياء وفيزياء حيوية أمريكي.

وقد فند عالم الفيزياء الحيوية (**لي سبتنر**) كل دعاوى إضافة معلومات إلى الحوض الجيني للكائنات الحية في كتابه «**ليس عن صدفة!**»

Lee Spetner, ***Not by Chance*** (New York: Judaica Press, 1999), pp.125-174.

ومن الظريف هنا التذكير بالمقطع الشهير في الفيلم الوثائقي «من ضفدع إلى أمير» (Frog to a Prince) حيث سأل المذيع (**داوكينز**) أن يقدم له مثالا واحدا على زيادة المعلومات في الحوض الجيني للكائن الحي بسبب طفرة جينية أو مسار تطوري. وكان ردة فعل (**داوكينز**) أن رفع رأسه إلى السماء متفكرا طويلا.. ثم لم يعط جوابا!

Richard Dawkins gets intellectually trounced by clever creationist.

https://www.youtube.com/watch?v=gSr7S3mPW9I

المطلب الرابع: الحياة.. معلومة قبل المادَّة

جون ويلر John Wheeler (١٩١١-٢٠٠٨م): عالم فيزياء نظرية أمريكن. من أهم من اعتنوا بدراسة نظرية النسبية العامة في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد قيل: إن عالم الفيزياء النظرية البارز **(جون ويلر)** قد أنفق ثلث عمره الأول معتقدا أن «**الوجود كله جزيئات**» (مادية القرن ١٩)، والثلث الثاني أن «**الوجود كله مجالات (fields)** (فيزياء الكم في القرن ٢٠)، والثلث الأخير أن «**الوجود كله معلومات**» (القرن ٢١).

Physicist Rob Sheldon: ***What ID is really about***.

https://uncommondescent.com/intelligent-design/physicist-rob-sheldon-what-id-is-really-about/

جورج والد George Wald (١٩٠٦-١٩٩٧م): عالم وظائف أعضاء أمريكي. درس البيولوجيا في جامعة «هارفارد».

وذاك قريب مما انتهى إليه **(جورج والد)** الحائز على نوبل في الطب، الذي قال حاكيا أزمته مع الإلحاد: «**لابد لي من الاعتراف أنه قد بدا لي في الآونة الأخيرة -مع بعض الصدمة في البداية لحساسيتي العلمية- أن... العقل، بدلا من أن يظهر في وقت متأخر من تطور الحياة، وجد دائما كمبدأ أول، مصدر الحقيقة الفيزيائية وأعراضها، وأن الشيء الذي يتكون منه الواقع المادي هو شيء عقلي. إن العقل هو الذي يشكل الكون المادي الذي يولد الحياة، وفي نهاية المطاف يطور الكائنات التي تدرك وتخلق**»

George Wald, ١٩٨٤, '***Life and Mind in the Universe***', International Journal of Quantum Chemistry: Quantum Biology Symposium 11, 1984: 1-15.

المبحث الثاني: نشأة الحياة

وقد اضطر **(داوكينز)** أن يفر إلى غيبيات غير مبرهنة، دفعا للحرج العلمي، بقوله: «**ليست عندنا أدلة توضح ماهية الخطوة الأولى لصناعة الحياة، لكننا نعلم نوع الخطوة التي يجب أن تكون. إنها يجب أن تكون شيئاً يسمح للانتخاب الطبيعي بأن يبد العمل**»

Richard Dawkins, ***The Greatest Show on Earth: The Evidence of Evolution***, p419.

المطلب الأول: ما هي الحياة؟

ليس بالإمكان تعريف الحياة بعبارة بسيطة واحدة، وإنما من الممكن بيان حقيقتها من خلال ذكر

سبع خصائص تشترك فيها الأنظمة الحية، وهي:

١. التنظيم الخلوي Cellular organization: المخلوقات جميعها تتكون من خلية واحدة أو أكثر. والخلايا، وهي غالبا أصغر من أن ترى بالعين المجردة، تنجز الأنشطة الأساسية للحياة.
٢. التعقيد المنظم: المخلوقات الحية جميعها معقدة، ولكنها بالغة التنظيم.
٣. الحساسية: تستجيب المخلوقات جميعها للمنبهات.
٤. النمو والتكاثر: المخلوقات جميعها قادرة على النمو والتكاثر.
٥. استخدام الطاقة: المخلوقات تأخذ الطاقة وتستعملها لكي تنجز أنواعا مختلفة من الوظائف.
٦. الاتزان الداخلي Homeostasis: المخلوقات جميعها تحافظ على ظروفها الداخلية التي هي مختلفة عن بيئتها وثابتة نسبيا،
٧. التكيف: المخلوقات الحية جميعها تتفاعل مع المخلوقات الأخرى، ومع مكونات البيئة غير الحية بطرق توثر في بقائها.

حتى قال (**بول ديفيس**): إنها أكبر من كل خلاف حول أي قضية من قضايا البيولوجيا.

Paul Davies, ***Cosmic Blueprint: New discoveries in nature's creative ability to order the Universe***, (West Conshohocken, PA: Templeton Foundation Press, 2004) p115.

المطلب الثاني: مُعضلة النَّشأة.. وعقم الخيال العلمي

عالم البيولوجيا الشهير (**كارل ويز**) «**لقد سقطت العديد من الافتراضات الساذجة أو تغير مسارها منذ القرن التاسع عشر من خلال الفحص النظري والجهد التجريبي، وتوجد الآن نظريات بديلة. باختصار، رغم أننا لا نملك حلا، إلا أنه لدينا الآن فكرة عن ضخامة المشكلة**».

Carl Woese and Gunter Wachtershauser, '***Origin of Life***' in Derek E. G. Briggs and Peter R. Crowther ,eds., ***Paleobiology: A Synthesis*** (Oxford: Blackwell Scientific Publications, 1990), p9.

يقول (**بول ديفيس**): «**يشعر العديد من الباحثين بعدم الارتياح في شأن التصريح علنا أن أصل الحياة لغز، رغم أنهم يعترفون بحرية وراء الأبواب المغلقة أنهم في حيرة. يبدو أن هناك سببين لضيق أنفسهم. أولا: هم يشعرون أن ذلك يفتح الباب للمتدينين الأصوليين وتفسيراتهم الزائفة بطرحهم عن إلههم؛ إله الثغرات، ثانيا: هم يشعرون بالقلق بأن اعترافا صريحا بالجهل**

سيرفع عنهم الدعم المالي، خاصة عن أبحاث البحث عن الحياة في الفضاء»

Paul Davies, ***The Fifth Miracle***, 17–18.

كينث نيلزن Kenneth Nealson: دكتوراه بيولوجيا دقيقة. له اهتمام خاص بتطور الحياة في الكون والحياة المايكروبية في الظروف الطبيعية القاسية.

قال (**كينث نيلزن**) المتخصص في علم البيولوجيا الأرضية: «**لا أحد يفهم أصل الحياة. إذا قالوا لك إنهم يفهمون أصل الحياة، فهم ربما يحاولون خداعك**»

خبر هذا المؤتمر نشر أولا في الموقع التخصصي (www.space.com)، لكنه لا يعمل الآن.

ويجنح (**ستيوارت كوفمان**) إلى لغة أعنف في التصريح بقوله: إن الذي يقول لك إنه يعلم كيف بدأت الحياة، هو في الحقيقة «**أحمق أو مخادع**»

Stuart Kauffman, ***At Home in the Universe: the search for laws of self-organization and complexity*** (New York: Oxford University Press, 1995) p31.

ومن طريف ما ذاع في الباب، المقال الذي نشره أحد الصحفيين العلميين في مجلة « Scientific American» ٢٨ فبراير ٢٠١١م، عن مؤتمر علمي نخبوي عن أصل الحياة، تحت عنوان: «**شششش! لا تخبر من يرون الخلق الخاص، العلم لا يعرف أي شيء عن كيفية بدء الحياة**»

Pssst! Don't tell the creationists, but science doesn't have a clue how life began.

https://www.scientificamerican.com/blog/cross-check/pssst-dont-tell-the-creationists-but-scientists-dont-have-a-clue-how-life-began/

ومما قال فيه: «**قبل ٢٠ سنة بالضبط، كتبت مقالا لمجلة «Scientific American» في شكل مسودة، وكان عنوانه ما ذكرته في الأعلى. عارض محرر المجلة ذلك؛ ولذلك اخترنا شي أقل دراماتيكية: «في البداية...: العلماء يجدون صعوبة في الاتفاق على متى وأين -والأكثر أهمية- كيف ظهرت الحياة في البدء لأول مرة على الأرض». ذهب المحرر الآن؛ ولذلك أتيح لي استخدام عنواني القديم، والذي هو أكثر ملائمة للوضع اليوم**»

أوجين كونن Eugene Koonin (١٩٥٦_): بيولوجي من أصلي روسي. له عناية خاصة بالدراسات الجينية. عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم.

وهي الحقيقة التي أخبر عنها عالم البيولوجيا المختص في التاريخ التطوري المبكر للأحياء (**أوجين**

كونن) في كتابه «**منطق الصدفة: طبيعة التطور البيولوجي وأصله**» بقوله: «**دراسات البحث عن أصل الحياة سر «قذر» يندر ذكره: مجال أصل الحياة هو محض إخفاق؛ نحن إلى الآن لا نملك نموذجا متناسقا معقولا لنشوء الحياة؛ فكيف بسيناريو مبرهن له**»

Eugene V. Koonin, ***The Logic of Chance: The Nature And Origin Of Biological Evolution***) Upper Saddle River ,N.J.: Pearson Education, 2012), p391.

المطلب الثالث: أقوى الحُلُول.. عقيم

الزعم أن نظرية (عالم الحمض النووي الريبوزي RNA World) التي تدعي أن بداية الحياة كانت بظهور «الحمض النووي الريبوزي RNA»، بإمكانها فك لغز أصل الحياة وتطورها المبكر.

(RNA) يكاد يكون من المحال أن ينشأ في الماء لهشاشته.

(RNA) كيان معقد، وليس البداية البسيطة التي يحتاجها المذهب المادي التطوري؛ ولذلك قال البيولوجي التطوري (**شابيرو**): «**يبدو أن تكون شيء حامل للمعلومات عبر تفاعل كيميائي غير موجه غير محتمل بصورة كبيرة**»

Robert Shapiro, ***A Replicator was not involved in the origin of life***, IUBMB Life, 49: 173-175, 2000.

(RNA) يحتاج ظروفا غير طبيعية ومفتعلة بصورة عالية لينسخ نفسه.

ذكر الكيميائي (Steven A, Benner) أن الحمض النووي الريبوزي لا يمكن أن يكون قد نشأ على الأرض عند بدء الحياة لعدم توفر الظروف الكيميائية لذلك؛ ولذلك ادعى أن الحمض النووي الريبوزي قد نشأ في كوكب المريخ حيث الظروف أكثر ملاءمة لذلك، ثم سافر هذا الحمض بعد ذلك إلى الأرض!؟

R. Webb, ***Primordial broth of life was a dry Martian cup-a-soup***, New Scientist. August 29, 2013.

نسخ (RNA) نفسه دقيق بما لا يسمح للطفرات بالظهور، والطفرات هي أصل وجود كل ما يلي في تاريخ تطور الحياة.

لم يثبت إلى اليوم أن (RNA) قادر على القيام بالوظائف الخلوية الأولى التي يقوم بها اليوم البروتين.

فرسوا جاكوب Francois Jacob (١٩٢٠-٢٠١٣م): بيولوجي فرسي متخصص في عمل

الإنزيمات. حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٦٥م مشاركة مع (جاك مونو).

قال (فرنسوا جاكوب) الحاصل على جائزة نوبل: «**من الواضح أن ظهور حياة قائمة على (RNA) والانتقال إلى عالم قائم على (DNA) يقتضي وجود عدد مذهل من المراحل، كل مرحلة منها مستبعدة بصورة أعظم من المرحلة السابقة لها**»

Francois Jacob, ***Of Flies Mice and Men***, tr. Giselle Weiss (Harvard University Press, 1998) p21.

ولذلك قال (**ستيفن ماير**) بعد بيان هشاشة هذه النظرية: «**لم يقدم المدافعون عن نظرية (عالم الحمض النووي الريبوزي) أي تقرير عن أصل المعلومات بعيدا عن الالتجاء الغامض إلى الصدفة**»

Stephen C. Meyer, ***Signature In The Cell: DNA And The Evidence for Intelligent Design*** (New York: HarperOne, 2009) p312.

دوغلاس هوفشتادتر Douglas Hofstadter (١٩٤٥_): أستاذ علم الإدراك أمريكي.

وأما (**دوغلاس هوفشتادتر**) فقد كتب -بعد أن صرح أن ظهور الحياة بالانتقال من الجزيئات البسيطة إلى الخلايا الكاملة أمر يكاد يتجاوز خيال الإنسان: «**توجد نظريات مختلفة لتفسير أصل الحياة، وكلها تحاول أن تلتف باحتيال وراء أهم سؤال مركزي في الأسئلة المركزية: كيف نشأت الشفرة الجينية مع آليات ترجمتها؟**»

Douglas Hofstadter, ***An Eternal Golden Braid*** (London, Penguin, 1979), p548.

والظَّريفُ أَنَّ الإعلام نَشَرَ مُؤخَّرًا دَعْوى تزعمُ أنّ العلماءَ قد استطاعوا إنشاءَ الحياةِ من خلالِ خَلْقِ حَمْضٍ نَوويٍّ ريبوزيٍّ، رغم أَنَّ هذه التَّجربةَ قد بدأَتْ بشريطِ حَمْضٍ نوويٍّ ريبوزيٍّ، ولم تَخْلُقْهُ أَوَّلاً، وهو ما يُعارِضُ العشوائيَّةَ المُدَّعاة، والأهمُّ من ذلك أنّ أحد اللَّذَيْنِ قاما بهذه التّجربة العلميّةِ صَرَّحَ أَنَّ «**الافتراض الأقوى هو أن الحياة لم تبدأ بالحمض النووي الريبوزي... الانتقال إلى عالم الحمض النووي الريبوزي، هو مثل أصل الحياة عموما، محفوف بالشك ويعاني من نقص البيانات التجريبية**»

G. Joyce, '***RNA evolution and the origins of life***,' Nature 338: 217-224, 16 March 1989.

T. Lincoln and G. Joyce, '***Self-sustained replication of an RNA enzyme***,'

Science 323 (5918): 1229 - 1232, 2009.

ومن أعظم مظاهر عقم هذه النظرية المقال الذي صدر في المجلة الرسمية لـ «**الأكاديمية الوطنية للعلوم**» الأمريكية، حيث ذهب أصحابه إلى أن ظهور (RNA) بصورة عشوائية على الأرض بعيد جدا، ولذلك زعموا أن (RNA) نشأ خارج الأرض أوَّلا، ثم انتقل إلى الأرض عن طريق الغبار الكوني!

Ben K. D. Pearce, et. Al. '***Origin of the RNA world: The fate of nucleobases in warm little ponds***.

https://www.pnas.org/doi/10.1073/pnas.1710339114

ولذلك قال (**لزلي أورجل**) أحد أبرز المتخصصين في أبحاث نشأة الحياة، بعد أن عرض مشكلات هذه النظرية: «**سيكون الأمر معجزة لو أن شريطا من الحمض النووي الريبوزي قد ظهر [مرة واحدة] في المراحل الأولى من عمر الأرضي**» قبل أن يعقب ضاحكا: «**أرجو ألا يكون هناك مؤمن بالخلق الخاص بين الجمهور**»

Leslie Orgel, "***The RNA World and the Origin of Life***," lecture, ISSOL 2002.

بير لويجي لويزي Pier Luigi Luisi (١٩٣٨_): أستاذ في قسم البيولوجيا في جامعة «روما».

أما عالم الكيمياء الحيوية (**بير لويجي لويزي**) فقد اختصر الكلام بقوله: «**إن سيناريو «عالم الحمض النووي الريبوزي» خيال لا أساس له**»

Susan Mazur, ***The Origin of Life Circus*** (New York: McNally Jackson Books, 2014), p56.

نظرية «عالم الحمض النووي الريبوزي»، أفضل الأطروحات المعروضة على الساحة العلمية، وهي مع ذلك بائسة جدا؛ ذاك هو عنوان مقال علمي نشر منذ بضع سنوات في مجلة عالمانية:

H. S. Bernhardt, ***The RNA World Hypothesis: The Worst Theory Of The Early Evolution Of Life (Except For All The Others)***. Biology Direct 2012. 7:23.

«**لا يحتاج المرء غير أن يُفكّر في ضخامة المُهمَّة ليستنتج أن النُّشُوء التّلقائي للكائن الحي مُستحيل**» (**جورج والد**) الحائز على نوبل سنة ١٩٦٧م.

G. Wald, '***The Origin of Life***,' Scientific Amer 191:46 August 1954.

جورج وايتسايدز George Whitesides (١٩٣٩_): أستاذ الكيمياء في جامعة «هارفارد».

ومما يفضح ذلك قول الكيميائي (**جورج وايتسايدز**) سنة ٢٠٠٧م، أثناء تتويجه بأعلى وسام علمي من طرف «**الجمعية الكيميائية الأمريكية**»: «**نشأة الحياة، هذه المشكلة هي إحدى أعظم المشكلات العلمية. وهي تبدأ بوضع الحياة، ونحن معها، في الكون. يؤمن جل الكيميائيين - مثلي تماما- أن الحياة قد ظهرت بصورة عفوية من خليط جزيئات في بداية عمر الأرض. كيف كان ذلك؟ لا علم لنا البتة بالجواب**»

George M. Whitesides, "***Revolutions in Chemistry***," Chemical and Engineering News 85 (3/26/07) pp 12, 17.

مقال في مجلة Progress in Biophysics and Molecular Biology لمجموعة من العلماء، أن مذهب النشأة العشوائية للحياة من اللاحياة قد «**تم تطويره في وقت كانت فيه الخلايا الحية الأقدم تعتبر هياكل بسيطة للغاية يمكن أن تتطور فيما بعد بطريقة داروينية. كان يجب - بالطبع- أن تعرض هذه الأفكار للفحص بدقة وأن ترفض بعد اكتشاف التراكيب الجزيئية المعقدة للغاية في البروتينات والحمض النووي الصبغي، ولكن ذلك لم يحدث**»

Edward J. Steele, et al. ***Cause of Cambrian Explosion-Terrestrial or Cosmic?*** 13 March 2018.

https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0079610718300798

المطلب الرابع: ظُهُور الحياة، والسَّير عكس القانون

إن ظهور الحياة بنظامها المعقد أمر يخالف ضرورة القانون الثاني للديناميكا الحرارية.

الطاقة الخام عاجزة بصورة تامة عن أن تحول الفوضى إلى نظام، فإن البيوت التي تتعرض إلى الشمس ليل نهار لا تتحول إلى قصور.

وبعبارة أحد الكتب المدرسية الأمريكية للبيولوجيا: «**لقد أكدنا مرارا على المشكلات الجوهرية التي تواجه البيولوجيين من خلال حقيقة التنظيم المعقد للحياة. لقد رأينا أن التنظيم يحتاج إلى صيانة... مجرد دفق الطاقة لا يكفي لتطوير النظام والحفاظ عليه... العمل المطلوب محدد، وعليه أن يتبع التدقيقات، وهو يحتاج إلى معلومات لبيان كيفية التصرف**»

George Gaylord Simpson and William Samson Beck, ***Life: An Introduction to Biology*** (New York: Harcourt, Brace & World, 1965), p466.

فالطاقة لا تنتقل من عنصر مدمر أو مبعثر إلى مصدر نظام أو نماء إلا بتوفر شرطين؛ برنامج لتوجيه

النظام أو النمو (كالمعلومات الجينية في الإنسان)، وقوة لتحويل الطاقة إلى أداة إيجابية للنظام أو البناء.

Henry M. Morris, ***Scientific Creationism*** (AR: New Leaf Publishing Group, 1974), p44.

إذ إن الأشعة فوق البنفسجية الواردة من الشمس مدمرة لأي جزئيات معقدة التركيب على الأرض.

المطلب الخامس: الخَلِيَّة الأولى البدائية، هل هي بدائية؟

إرنست هيكل Ernst Haeckel (١٨٣٤-١٩١٩م): بيولوجي، وعالم تشريح، ومؤرخ علوم. يعد أهم المدافعين عن الداروينية في ألمانيا في عصره.

بعبارة البيولوجي الألماني (**إرنست هيكل**) التي كتبها بعد سنة واحدة من وفاة (**داروين**)-١٨٨٣ م «**لا تتكون [الخلية] من أي أعضاء البتة، وإنما هي مادة بلا شكل، وبسيطة ومتجانسة.. وتتمثل في تكتل كربوني زلالي**»

Ernst Haeckel, ***The History of Creation***, tr. Ray Lankster (London: Trench, 1883), 1/184.

إننا لو ضخمنا الخلية ألف مليون مرة حتى يصبح قطرها ٢٠ كيلومترا وكأنها منطاد ضخم قادر على تغطية مدينة كبيرة مثل لندن، فسيبدو لنا حال الخلية أوضح في نظامه وتعقيده وتكامل عمل مَن يسكنونه.

مقال لعالم الكيمياء الحيوية التطوري (**نِك لين**) في مجلة New Scientist (٢٠٠٩م) «**لا شك أن السلف المشترك [للكائنات الحية] كان يملك حمضا نوويا صبغيا، وحمضا نوويا ريبوزيا، وبروتينات، وشفرة جينية عالمية، ورايبوسومات (مصانع صناعة البروتينات)، وأدينوسين ثلاثي الفوسفات، وإنزيما لصناعة الأدينوسين، كما كانت تفاصيل آليات قراءة الحمض النووي الصبغي وتحويل الجينات إلى بروتينات موجودة أيضا. باختصار، أقدم سلفي مشترك لكل أنواع الحياة يبدو بصورة كبيرة مثل الخلية الحديثة**»

Nick Lane, ***Was our oldest ancestor a proton-powered rock?*** New Scientist 204 (2730): 38-42 17 October 2009.

روبرت ف. جولدبرجر Robert F. Goldberger (١٩٤٤-٢٠٠٣م): أستاذ الكيمياء الحيوية والفيزياء الحيوية الجزيئية في جامعة «كولومبيا» الأمريكية.

وبعبارة عالم الكيمياء الحيوية (**روبرت ف. جولدبرجر**): «**المفهوم الشعبي للخلايا الأولى**

كبداية للأنواع، فهم خاطئ. لم يكن هناك شيء بدائي وظيفيا في هذه الخلايا. لقد كانت الخلية تحتوي أساسا على المعدات الكيميائية الحيوية نفسها لنظيراتها الحديثة. كيف إذن نشأت الخلية الأولى؟ التعليق الوحيد الذي لا لبس فيه في هذه المسألة هو أننا لا نعلم»

David E. Green and Robert F. Goldberger, ***Molecular Insights into the Living Process*** (New York: Academic Press, 1967), p403.

حتى قال (**جاك مونو**) -عالم الكيمياء الحيوية الملحد الحائز على جائزة نوبل-بعد أن بين أن خلية أبسط الكائنات الحية (البكتيريا) تعمل من الناحية الكيميائية أساسا مثل الخلية البشرية «**إن أبسط الخلايا المتاحة لنا للدراسة ليس فيها شيء بدائي primitive**».

Jacques Monod, ***Chance and Necessity***, p134.

ومن المثير هنا أنه قد نشر مؤخرا بحث عن قيام فريق علمي باستحياء بروتين بكتيري عمره ٣,٥ بلايين سنة لتحديد الطريقة التي كانت تعمل بها الخلايا في الزمن القديم جدا مقارنة بالخلايا الحية اليوم، وكانت النتيجة المفاجئة للتطوريين أن عمل البروتينات بعد نصف بليون سنة من ظهور الحياة هو نفسه اليوم، بلا تطور.

Busch, et al. ***Ancestral Tryptophan Synthase Reveals Functional Sophistication of Primordial Enzyme Complexes***. Cell Chemical Biology, 2016.

"**Bacteria perfected protein complexes more than 3.5 billion years ago**." ScienceDaily. Science Daily, 9 June2016.

https://www.sciencedaily.com/releases/2016/06/160609134243.htm

ستفن غروغوت Stephen Grocott كيميائي أمريكي.

«أنت تحتاج أن تملك جدار الخَلِيَّة، ومنظومة الطاقة، ومنظومة الإصلاح الذاتي، ونظام الاستنساخ، ووسيلة ترجمة تفسير الشفرة الجينية المعقدة، ونسخها، إلخ، إلخ. وإن منظومات التواصل المجتمعة في العالم أقل تعقيدا من ذلك بكثير، ومع ذلك لا يؤمن أحد أنها نشأت بالصدفة». الكيميائي (**ستفن غروغوت**).

John F. Ashton, ed., ***In Six Days*** (Green Forest, AR: Master Books, 2001), 149.

المطلب السادس: مُعضلة الرَّصيد الجيني الأدنى

قام عالم الكيمياء الحيوية التطوري (**كريـج فنتور**)، الذي سبق له الكشف عن تفاصيل جينوم الإنسان، مع مجموعة من العلماء بالبحث لمدة عشرين سنة للتوصل إلى أقصى حد أدنى لكائن حي ليستوفي شروط الحياة، وأعلن الفريق نتيجة جهده منذ أشهر قلائل، وهو أن الحد الأدنى من الجينات المطلوبة لحياة خلية مستقلة عن غيرها وقادرة على النمو السليم هو ٤٧٣ جين؛

J. Craig Venter et al., '***Design and synthesis of a minimal bacterial genome***,' Science 25 Mar 2016: Vol, 351.

https://www.science.org/doi/10.1126/science.aad6253

أي: أكثر من نصف مليون حرف نيكلوتيدي بترتيب مخصوص.

C.M. Fraser, et al., '***The minimal gene complement of Mycoplasma genitalium***,' Science 270 (5235): 397, 403.

أو بعبارة أخرى هو يفوق بدرجة كبيرة الحد الأقصى للاحتمالات الممكنة في حدود عمر هذا الكون وسعته: ١ من ($١٠^{١٥٠}$)، وهو ما يساوي الصفر الرياضي!

Behe, Dembski and Meyer, ***Science and Evidence for Design in the Universe*** (San Francisco: Ignatius Press, 2000) p76.

مشكلة كثير من عناصر الخلية أنها مع تعقيدها لا قيمة لها إذا لم توجد بعضها مع بعض في الآن نفسه للقيام بمهمتها؛ ثم إنها هي نفسها لا تستغني عن الخلية لتوجد؛ فجدار الخلية وغشاؤها لا يمكن أن يتكونا دون بروتينات و(RNA) و (DNA)، وهذه الجزيئات لا يمكن أن تحقق الاستقرار دون وجود جدار الخلية وغشائها، ثم إنه لا سبيل لبقاء (RNA) و (DNA) دون بروتينات، ولا سبيل لوجود البروتينات دون (RNA) و (DNA).

المطلب السابع: مُشكلة تعقيد (ما تحت الخلية)

ويليام ثورب William Thorpe (١٩٠٢-١٩٨٦م): عالم حيوان بريطاني. له اهتمام بالبيولوجيا السلوكية. عضو الجمعية الملكية البريطانية.

(ويليام ثورب): «**يشكل النوع الأبسط من الخلايا «آلية» أشد تعقيدا -بصورة لا تتخيل- من أي آلة تم التفكير فيها من طرف الإنسان، فضلا عن صناعتها**».

William Thorpe, '***Reductionism in Biology***,' in Francisco Ayala and Theodosius Dobzhansky, eds., ***Studies in the Philosophy of Biology:***

Reduction and Related Problems (Berkeley, CA: University of California Press, 1974), 117.

هابرت يوكي Hubert Yockey (١٩١٦-٢٠١٦م): فيزيائي وعالم معلومات أمريكي.

تعقيدُ العُضَيَّاتِ التي تعملُ لخدمةِ الخليّةِ داخِلَها. ولنأخُذْ عُضَيَّةً واحدةً من عُضَيَّاتِ الخليّةِ مما يجب أن تَتَوفَّرَ عليه الخليّةُ في مرحلةٍ مُبكّرةٍ من تاريخِها التطوّريِّ، وليكن بروتين (cytochrome c) مثلا. فقد انتهى **(هابرت يوكي)** إلى أن النسبة الاحتمالية للظهور العفوي لهذا البروتين الصغير في وسط غني بالأحماض الأمينية يبلغ تقريبا ($١٠^{٧٥}$)؛ وهو احتمال بالغ الضعف.

Hubert P. Yockey, ***Information Theory, Evolution, and the Origin of Life***, pp 254-255.

أدا يوناث Ada Yonath (١٩٣٩_): مستوطنة يهودية في فلسطين. عضو أكاديمية العلوم الأمريكية.

البيولوجية **(أدا يوناث)** الحائزة على نوبل سنة ٢٠٠٩م في الكيمياء عن أبحاثها في تركيبة (الرايبوسوم) وعمله -إن عناصره الصغرى تظهر «**هندسة ديناميكية مدهشة تم نظمها بإبداع لتقوم بوظائفها**»

Ada Yonath, '**Supervisor's Foreword**,' in Chen Davidovich, ***Targeting Functional Centers of the Ribosome*** (Springer-Verlag, 2011) p vii.

بروس ألبرتز Bruce Alberts (١٩٣٨_): عالم كيمياء حيوية. متخصص في دراسة البروتينات وعلاقتها بتضاعف الكروموسومات عند انقسام الخلية الحية.

يقول **(بروس ألبرتز)** الرئيس السابق لـ «**الأكاديمية الوطنية الأمريكية للعلوم**»: «**لقد كنا دائما لا نحسن تقدير حقيقة الخلايا... من الممكن رؤية كامل الخلية على أنها مصنع يضم شبكة معقدة لخطوط تجميع مُتعالقة، كل منها تضم مجموعة من الآلات البروتينية الكبيرة... لماذا نسمي البنى البروتينية الكبيرة التي تكمن وراء عمل الخلية آلات بروتينية؟ الجواب بدقة: أنها مثل الآلات التي اخترعت من طرف الإنسان للتعامل بكفاءة مع العالم المجهري، هذه البنى البروتينية تحتوي على أجزاء متحركة عالية التنسيق البيني**»

Bruce Alberts, '***The Cell as a Collection of Protein Machines: Preparing the Next Generation of Molecular Biologists***,' Cell, 92 (February 8, 1998): 291.

المطلب الثامن: أصل الحياة.. وضرورة المُعجزة

استنكر (**أرنست شاين**) -الحائز على نوبل للطب- أي دعوى تزعم أن الحياة من الممكن أن تكون قد نشأت بسبب مادي عشوائي؛ قائلا: «**أنا أفضل تصديق قصص الأرواح الشريرة على تصديق مثل هذه الظنون الشاطحة. لقد قلت لسنوات: إن هذه التخرصات حول أصل الحياة لا تقود إلى غاية مفيدة؛ إذ إن أبسط منظومة حياة معقدة للغاية لتفهم بالعبارات البدائية جدا التي استعملها علماء الكيمياء في محاولتهم تفسير ما لا يمكن تفسيره مما حدث منذ بلايين السنين. لا يمكن استبعاد التدخل الإلهي بمثل هذه الأفكار الساذجة**».

Cited in: ***The Life of Ernst Chain: Penicillin and Beyond***, by Ronald W. Clark (London, Weidenfeld & Nicolson, 1985), 147-148.

اعلم أن هناك جائزة مالية سخية جدا مرصودة من مؤسسة علمية-تعليمية (ليس لها ميول دينية) اسمها (Origin of Life Foundation) لمن يجيب عن مجموعة من الأسئلة حول أصل الحياة تدور حول ظهور التشفير الجيني الذي ظهر في المادة الميتة، والعمل التعاوني المنظم والمعقد في صورة الحياة الأولى.

وإنما الأعظم من ذلك أنه لم يتقدم أحد بنموذج يعتقد أنه يستوفي الشروط العلمية الأكاديمية المطلوبة.

كما اعترفت إدارة المؤسسة أن جميع الأدبيات العلمية لأصل الحياة تتجاهل عمدا أهم إشكال، وهو أصل المعلومات البيولوجية المشفرة.

المطلب التاسع: تَضَخُّم المُشكلة

ج. ويليام شوف J. William Schoff (١٩٤١_): أستاذ علوم الأرض في جامعة كاليفورنيا. مدير «مركز التطور ودراسة أصل الحياة». له أبحاث كثيرة في المظاهر الأولى للحياة على الأرض.

قال عالم الأحافير (**ج. ويليام شوف**) في كتابه: «**مهد الحياة: اكتشاف أقدم أحافير الأرض**»: «**لم يتوقع أحد أن بداية الحياة قد وقعت بهذه الصورة المبكرة المذهلة**»

J. William Schopf, ***Cradle of Life: The Discovery of Earth's Earliest Fossils*** (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999) p3.

اكتشف العلماء مؤخرا خبر صخور رسوبية تحتوي كائنات حية (=ما يسمى بالستروماتوليت) غرب جزيرة (غرينلاند) تعود إلى ٣,٧ بلايين سنة. وهي كائنات مايكروبية عالية التعقيد!

Allen P. Nutman et al., ***Rapid Emergence of Life Shown by Discovery of***

3,700-Million-Year-Old Microbial Structures," Nature, published electronically August 31, 2016.

المطلب العاشر: مُشكلة البيضة والدَّجاجة

من المشكلات التي حيرت العلماء، والتي لا حل لها إلا القول بالنشأة الحكيمة للحياة، مشكلة «الدجاجة والبيضة، أيهما أولا؟»

من أشهر الأمثلة التي يسوقها العلماء مشكلة (الرايبوسوم)؛ إذ إن الخلية لا يمكن أن تعمل دونه، فهو يقوم بفك تشفير الحمض النووي الصبغي، غير أنه يحتاج إلى الحمض النووي الصبغي ليوجد ابتداء، فمن الأسبق وجودا، (الرايبوسوم) أم (الحمض النووي الصبغي)؟

كارل بوبر Karl Popper (١٩٠٢-١٩٩٤م): فيلسوف نمساوي له مساهمات بارزة في فلسفة العلوم في القرن العشرين.

إنه السؤال الذي حير فيلسوف العلوم **(كارل بوبر)** حتى قال: «**لا سبيل لترجمة الشفرة إلا باستعمال منتجات معينة من ترجمتها. يمثل هذا الأمر حلقة مفرغة، ودائرة محيرة لكل محاولة لتشكيل نموذج أو نظرية متعلقة بتكوين الشفرة الجينية**»

Karl Popper, '***Scientific Reduction and the Essential Incompleteness of All Science***,' in F. Ayala, and T. Dobzhansky, eds., ***Studies in the Philosophy of Biology*** (Berkeley: University of California Press, 1974) p270.

المطلب الحادي عشر: اعتراض: مُخالفة جماعة العلماء

استبعاد التفسير فوق الطبيعي لنشأة الحياة لم يكن عن برهان علمي باعتراف الماديين أنفسهم.

المطلب الثاني عشر: اعتراض: إله الفجوات

سبب القول -علميا- إن نشأة الحياة حدث فوق طبيعي تطور معارفنا حول شروط نشأة الحياة لا جهلنا بسبيل إقامة الحياة.

والثابت علميا أن نشوء الحياة بالتفاعل الكيميائي العشوائي لا يرتقي فوق الصفر الرياضي؛ فقد دلل **(بول ديفيس)** أن احتمال نشوء بروتين أساسي للحد الأدنى للحياة هو ١ من $١٠^{٤٠٠٠٠}$

Paul Davies, ***The Fifth Miracle***, pp 64–65.

هارولد هوروويتز Harold Morowitz (١٩٢٧-٢٠١٦م): عالم فيزياء حيوية أمريكي. له اهتمام خاص بدراسات نشأة الحياة. درس البيولوجيا والفلسفة الطبيعية في « George Mason

University».

وأما (**هارولد موروووتز**) فقد ذهب إلى أن احتمالية ظهور الحياة مع كل العناصر الضرورية لها بصورة عفوية من الحساء الأوَّلي المزعوم ١ من ١٠^١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠.

Hugh Ross, ***The Creator and the Cosmos***, pp 139-141.

الحياة صُورةٌ وأثرٌ للمعلومات؛ وهو الأمر الذي نَبَّهَ عليه مقالٌ صدر مؤخّرًا في مجلة Science لعالِمِ كيمياء وباحثةٍ في الفيزياء النَّظرية؛ إذ رَغْمَ ولائهما التّامِّ للحلول الماديّةِ إلاَّ أنّهما أَقَرَّا أنَّ دراساتِ البحثِ عن أصلِ الحياة محتاجةٌ إلى مراجعةٍ جذريّةٍ؛ إذ هي تسيرُ في غير الطريق الصَّحيحِ متجاهلةً البحثَ عن أصلِ المعلومات، ومُعْتَنِيةً أساسًا بالحلول الكيميائيّة الجامدةِ. فقد قالا: «**إن التقدم سيتم عند تحدي كل الشروط التاريخية التي افترض أنها مهمة لنشأة الحياة... على الباحثين أن يتحدوا النماذج الحالية.. بما أن الحياة ليست فقط نسخا من المعلومات وإنما هي أيضا تستعمل معلومات لتكون نفسها، فربما إذن علينا أن نصف بداية الحياة أنها: آلات بسيطة قادرة على بناء آلات أكثر منها تعقيدا بقليل**»

Leroy Cronin and Sara Imari Walker, '***Beyond prebiotic chemistry***,' Science 03 Jun 2016: Vol. 352, Issue 6290, pp 1174-1175.

المطلب الثالث عشر: خُلاصة النَّظر، المعجزة

إيليا بريغوجين Ilya Prigogine (١٩١٧-٢٠٠٣م): كيميائي بلجيكي من أصول روسية.

يقدم لنا (**إيليا بريغوجين**) -الكيميائي الحاصل على جائزة نوبل- الاحتمال الرياضي لنشأة واقع مادي حي؛ بقوله: «**احتمال نشوء المركبات العضوية والعمليات المنسقة بدقة بالغة والمجسدة لخصائص الكائنات الحية، صفر**»

Hya Prigogine, Gregoire Nicolis and Agnes Babloyants, '***Thermodynamics of Evolution***', (part I). Physics Today Vol. 25,1972, November, p23.

فرنر أربر Werner Arber (١٩٢٩_): عالم أحياء دقيقة وجينات سويسري.

ولا مخرج من هذا العجز غير الإيمان بالخالق، ولذلك يقول (**فرنر أربر**) الحائز على جائزة نوبل: «**رغم أنني كبيولوجي عليّ أن أعترف أنني لا أفهم كيف بدأت الحياة... [لا] أني أعتقد أن الحياة لم تبدأ إلا مع وجود خلية عاملة وظيفيا... كيف تجمعت هذه البنى المعقدة معا؟ هذ أمر لا يزال ملغزا بالنسبة لي. تمثل لي إمكانية وجود خالق، إله، حلا مرضيا لهذه المشكلة**»

Henry Margenau and Roy Abraham Vargesse, eds. ***Cosmos, Bios, Theos***,

p141.

المبحث الثالث: التَّشفِير

(ريتشارد داوكينز): «**يحمل الحمض النووي الصبغي معلومات مماثلة بصورة كبيرة جدا لنوع معلومات الحاسوب. وبإمكاننا أن نقيس سعة الجينوم بـ «البيتات» (bits) أيضا إذا أردنا ذلك. لا يحمل الحمض النووي الصبغي شفرة ثنائية، وإنما هي شفرة رباعية؛ ففي حين يمثل (١) و (٠) وحدة المعلومة في برمجة الكمبيوتر، تُمثل (T) و (A) و (C) و (G) وحدات الجينوم**»

Richard Dawkins, ***A Devil's Chaplain***, p95.

(بول ديفيس): «**تكمن داخل كل واحد منا رسالة. إنها مكتوبة بشفرة قديمة، ضاعت بداياتها مع الزمن. تحتوي الرسالة بعد فك تشفيرها على تعليمات حول كيفية صناعة إنسان... لم تكتب الرسالة بحبر أو حرف مطبعي؛ بل بذرات... على الرغم من أن الحمض النووي الصبغي بناء مادي إلا أنه يحمل في رحمه معنى. إن ترتيب الذرات على طول الشريط الحلزوني لحمضك النووي هو الذي يحدد مظهرك وحتى -إلى درجة كبيرة- كيف تشعر وتتصرف. الحمض هو مخطط (blueprint)، أو بصورة أدق خوارزمية، أو دليل تعليمات لبناء إنسان حي يتنفس ويفكر**»

Paul Davie, ***The Fifth Miracle***, p22.

المشكلة الأولى: التشفير لغة لها قواعد نحوية وصرفية، ورسالة من جنس المعلومات

المشكلة الثانية: التشفير يقتضي-ضرورة-وجود:

أ- شفرة.
ب- مُشفِّر.
ت- قواعد تشفير.
ث- قواعد لِفَكّ التَّشفير.

فمن أين جاء كل ذلك إذا كان الوجود المادي بلا حكمة ولا غاية؟

جون مينارد John Maynard (١٩٢٠-٢٠٠٤م): عالم أحياء تطورية ووراثة بريطاني. رأس «مؤسسة دراسة التطور».

قال البيولوجي التطوري **(جون مينارد)**: «**ربما يشكل أصل الشفرة [الجينية] أكبر مشكلة محيرة في البيولوجيا التطورية. آلية الترجمة الحالية هي في الآن نفسه معقدة جدا، وشائعة جدا، وأساسية جدا حتى إنه من الصعب تصور كيف جاءت إلى الوجود**».

John Maynard Smith and Eors Szathmary, ***The Major Transitions in Evolution*** (OUP Oxford, 1997), p81.

جون مادوكس John Maddox (١٩٢٥-٢٠٠٩م): فيزيائي بريطاني. عضو فخري في «الجمعية الملكية» البريطانية. عمل محررا في مجلة (Nature) العلمية لمدة ٢٢ سنة.

كما اعترف الملحد العنيد -المحرر العلمي في مجلة «Nature»- **(جون مادوكس)** بالأزمة بقوله: «**إنه إذن أمر مخيب للآمال -ولكنه مع ذلك ليس بالأمر المفاجئ- أن أصل الشفرة الوراثية ما يزال غامضا كما هو أصْل الحياة نفسه**».

John Maddox, ***The genetic code by numbers***, Nature 367:111, 1994.

المشكلة الثالثة: التعقيد والفاعلية العاليان لنظام التشفير في الخلية بما يتجاوز الحد الأدنى المطلوب لحياة الكائن الحي حتى إنه من الممكن تخزين٢١٥ جيجابايت من المعلومات المشفرة في جرام واحد من «الحمض النووي الصبغي»

DNA could store all of the world's data in one room.

https://www.science.org/content/article/dna-could-store-all-worlds-data-one-room

المشكلة الرابعة: يقر الدراونة أن «الحمض النووي الصبغي» لم يتطور منذ ظهوره منذ بلايين السنين بعد ظهوره بصورة عشوائية، فهو كما وصفه **(فرنسيس كريك)**: «**صدفة متجمدة frozen accident**».

المبحث الرابع: وَعْي الكائنات الحَيَّة الدُّنيا

الوعي ظاهرة كونية لها صور دنيا غير الصورة العليا التي يحتكرها الإنسان في عالم الأحياء. ومن أسباب ظهور الوعي الحاجة إلى تحقيق البقاء بأسباب ذكية ومعقدة، وحسن التعامل مع البيئة المجاورة، وتبادل الخطاب، والتوجيه والتحذير بمنطق مفهوم وسلس. وتلك أمور يقف أمامها فقه «**الطفرات العمياء**»، أعمى لا يبصر، ولا يحسن تفسيرا.

كتب البيولوجي التطوري **(جيمس شابيرو)** مقالا علميا مهما بعنوان «**البكتيريا صغيرة لكنها ليست غبية**»، قد قال ملخصا هذا البحث: «**علّمتني خبرتي على مدى أربعين سنة في علم الوراثة البكتيرية أنّ البكتيريا تمتلك العديد من القدرات المعرفية والحسابية والتطورية التي لا يمكن تصوّرها في العقود الستة الأولى من القرن العشرين. تحليل العمليات الخلوية [المتعلّقة بالخليّة] مثل التمثيل الغذائي، وتنظيم تخليق البروتين، وإصلاح الحمض النووي يثبت أنّ**

البكتيريا ترصد باستمرار بيئاتها الخارجية والداخلية وتحسب نواتجها الوظيفية على أساس المعلومات التي يقدمها جهازها التحسّسي. وقد كشفت دراسات إعادة التركيب الجيني، والاستذابة، ومقاومة المضادات الحيوية، وبحثي الخاص في العناصر القابلة للنقل، عدة أنظمة بكتيرية واسعة النطاق لتعبئة جزيئات الحمض النووي الصبغي وهندستها.

وقد دفعتني دراسة تطوير المستعمرات وتنظيمها إلى أن أُكبر مدى التعاون الواسع للخلايا في معظم الأنواع البكتيرية. وتُبيّن البحوث المعاصرة في العديد من المختبرات والمتعلّقة بظاهرة التواصل بين الخلايا والتكافل وتطوّر الأمراض أن البكتيريا تستخدم آليات متطورة للاتصالات الخلَويّة، كما أنّ لديها القدرة على قيادة بيولوجيا الخلية الأساسية من «أعلى» النباتات والحيوانات لتلبية احتياجاتها الخاصة. هذه السلسلة الرائعة من الملاحظات تتطلب منا مراجعة الأفكار الأساسية حول معالجة المعلومات البيولوجيّة والاعتراف بأنّ أصغر الخلايا هي أيضًا كائنات حية.»

James Shapiro, '***Bacteria are small but not stupid: cognition, natural genetic engineering and socio-bacteriology***,' Stud Hist Philos Biol Biomed Sci. 2007 Dec; 38(4): 807-19.

تعتبر -مثلا- عمليات مراجعة النسخ في «الحمض النووي الصبغي» من غرائب عالم العضيات في الخلية؛ إذ إن المراجعة والتصحيح لا يمكن عزوهما إلى العشوائية ولا ردهما إلى تطور أعمى يقوده الانتخاب الطبيعي.

وقد أثبت بحث أجري منذ عقدين من الزمان أن هناك ١٣٠ جينا في الإنسان لإصلاح أعطاب الحمض النووي الصبغي، وأن المستقبل منبئ بالكشف عن مزيد منها.

R. D. Wood, et al. ***Human DNA repair genes***. Science 2001. 291:1284.

كما جاء حديثا في مقال عن تفاعل الخلية مع ما يصيبها من ضرر-في واحدة من أهم المجلات العلمية المختصة في دراسة الخلية «**يتم إصلاح الحمض النووي الصبغي من قبل مجموعة كبيرة من الأنشطة الإنزيمية التي تعدل كيميائيا الحمض النووي الصبغي لإصلاح التلف الذي يصيبه... لا بد أن تكون هذه الأدوات الخاصة بإصلاح الأعطاب موجودة كلها لأن كلا منها بإمكانه أن يعبث بسلامة الحمض النووي الصبغي إذا أسيء استعماله أو سمح له أن يتعامل مع الحمض النووي الصبغي في غير الوقت أو المكان المناسبين**».

Stephen J. Elledge and Alberto Ciccia, '***The DNA Damage Response: Making It Safe to Play with Knives***,' in Molecular Cell 40(20) October 22,

2010, 179-180.

ويشرح (**جيمس شاييرو**) عملية المراجعة بقوله: «**كل الخلايا، من البكتيريا إلى الإنسان تملك طائفة مدهشة من أنظمة الإصلاح التي تعمل على إزالة المصادر العرضية والعشوائية لمصادر الطفرات. توجد مستويات عديدة لآليات التدقيق تتعرف على الأخطاء التي تحدث حتما خلال تضاعف الحمض النووي الصبغي وتلغيها... ولنا أن نقول بسبب أنظمة التدقيق والإصلاح هذه: إن الخلايا الحية لا تعد ضحايا سلبية للقوى العشوائية للكيمياء والفيزياء. إنها تكرس مصادر كبيرة لحذف الاختلاف الجيني العشوائي**»

James Shapiro, '***A third way***,' Boston Review, p2.

وقد نال ثلاثة من كبار العلماء جائزة نوبل مشاركة سنة ٢٠١٥م لاكتشافهم أعماقا جديدة لآلية إصلاح أعطاب الحمض النووي الصبغي. ونشر موقع (BBC) مقالا جاء فيه عن عمل الفائز الأقل بالجائزة أنه كان اعتقاد العلماء في السبعينيات أن الحمض النووي الصبغي جزيء مستقر، لكن البروفسور (**لندهال**) أثبت أنه ينحل بمعدل سريع مفاجئ.

P. Rincon, '***Chemistry Nobel: Lindahl, Modrich and Sancar win for DNA repair***,' bbc.com 7 October 2015.

https://www.bbc.com/news/uk-england-34464580

واكتشف (**بول مودريتش**) -الفائز الثاني بالجائزة- آلية سماها (mismatch repair)؛ إذ تقوم إنزيمات بالبحث عن الأخطاء بعد تضاعف الحمض النووي الصبغي، وتقوم أخرى بإصلاحها. وهي آلية بالغة الدقة حتى إن اللجنة المانحة لجائزة نوبل قالت: إنها «**تستخرج تردد الأخطاء أثناء نسخ الحمض النووي الصبغي إلى درجة ١ من الألف**».

أما ثالث الفائزين بالجائزة (عزيز سنكار)، فقد اكتشف وجود إنزيمات تقوم بقطع جزء من شريط الحمض النووي الصبغي المعطوب، وإزالته، وتبديله بآخر صحيح، وهو ما يسمى بـ(nucleotide excision repair).

(**بول ديفيس**): «**إن الحساء الكوني الأول عليه أن يواجه عوامل الفساد وحده دون عون من منظومة إصلاح؛ فهو بذلك يسير ضد احتمالات فشل ليست فقط كبيرة، وإنما هي أيضا مرهقة للعقل**»

Paul Davies, ***The Fifth Miracle***, p93.

وقد اكتشف مؤخرا الدور العظيم لبروتين (TP53) الذي يقوم بتفعيل الجينات التي تقوم بإصلاح

الخلية. وبين باحثون بلجيكيون أن 50 % من حالات السرطان تزامنت مع وجود مشكلات في هذا البروتين؛ ففقد الخلية -مثلا- هذا البروتين يحفز ظهور السرطان.

KU Leuven, Cancer-preventing protein finds its own way in our DNA.

https://www.kuleuven.be/kankerinstituut/en/news/cancer-preventing-protein-finds-its-own-way-in-our-dna

يقول أحد هؤلاء العلماء: «**بعد ثوان من الحادث المؤذي، تبدأ الآليات في العمل. بطريقة فصامية تبدأ الخلية في عملية الإصلاح وفي الآن نفسه الإعداد لعملية الموت المبرمج. لقد لاحظنا عملية غير محددة تدمج إشارات لعملية الإصلاح الجاري وآلية موت الخلية. يشكل بروتين يدعى (UFD2) تجمعات ضخمة.. ويتأكد من الخيار المطلوب؛ أهو في التقدم للإصلاح أم هو موعد الموت**» إننا إذن أمام جزيء قادر على اتخاذ قرارات مصيرية في أوقات حرجة تبعا لحسابات علمية دقيقة.

Leena Ackermann et al. '***E4 ligase-specific ubiquitination hubs coordinate DNA double-strand-break repair and apoptosis***,' Nature Structural Molecular Biology (2016).

المبحث الخامس: التَّعقيد غير القابل للتَّبسيط

التعقيد غير القابل للتبسيط Irreducible complexity، برهان علمي جديد شغل حيزا كبيرا من الجدل الإيماني الإلحادي في العقود الأخيرة.

المطلب الأول: التَّحدِّي الذي ارتضاه الدَّراونة

قال (**داروين**) في كتابه «**في أصل الأنواع**» إنَّه «**إذا تم إثبات وجود أي عضو معقد ليس بالإمكان أن يتشكل من خلال تغييرات متعددة ومتتالية وطفيفة، فستنهار نظريتي انهيارا تاما**»

Charles Darwin, ***On the Origin of Species***, p175.

وقال (**داوكينز**) لاحقا مؤيدا تحدي (**داروين**): «**لقد أصاب القائلون بالمذهب الخلقي في أنه إذا تم إثبات وجود تعقيد حقيقي سليم غير قابل للتبسيط، فإن ذلك من شأنه أن يدمر نظرية داروين**»

Richard Dawkins, ***The God Delusion***, p125.

المطلب الثاني: التَّحدِّي الذي قبله المُؤلِّهة

وقد قدم (**بيير-بول غراسي**) رئيس أكاديمية العلوم الفرنسية-مثال تجلط الدم، برهانا على التعقيد غير القابل للتبسيط.

Pierre-Paul Grassei, ***L 'Evolution du Vivmt, Matériaux pour une Nouvelle Théorie Transformiste*** (Paris: A. Michel, 1973).

The Evolution of Life, Materials for a New Transformist Theory.

وهو المثال الذي كرره عالم البيولوجيا الدقيقة (**مايكل بيهي**) في كتابه الخطير «**صندوق داروين الأسود**» مع أمثلة أخرى... وهو النظام الواحد الذي يتكون من عدة أجزاء متآلفة ومتقاطعة تساهم في الوظيفة الأساسية لعمله. ولا يمكن الوصول إليه من خلال الإضافات المتلاحقة. فهذا النظام غير قابل للتبسيط لأنه لا يقبل التطور والتحسين ليصل إلى مستوى أداء وظيفته الأساسية؛ فلا بد أنه قد نشأ مرة واحدة على صورة مركبة ومعقدة.

Behe, ***Darwin's Black Box***, p396.

المطلب الثالث: هل هَدَمَ الدَّراونة أيقونة (بيهي)؟

تدليس الدراونة لبرهان التعقيد غير القابل للتبسيط.

ويقول (**بيهي**) تعليقا على اللغط الشديد الذي أثاره الدراونة على الأمثلة التي يقدمها لهذا التعقيد: «**لا أحد في جامعة هارفارد، ولا أحد في معاهد الصحة الوطنية الأمريكية، ولا أي عضو في الأكاديمية الوطنية للعلوم، ولا أحد من الفائزين بجائزة نوبل.. لا أحد على الإطلاق بإمكانه تقديم وصف تفصيلي لكيفية تطور الأهداب، أو الرؤية، أو تخثر الدم، أو أي عملية بيوكيميائية معقدة تطورت على الطريقة التي تدعيها الداروينية**»

Michael J. Behe, ***Darwin's Black Box***, p187.

ويعد (**سوط البكتيريا**) **Bacterial flagellum** أبرز مثال على التعقيد غير القابل للتبسيط.

فوجود بعض أجزاء (**سوط البكتيريا**) في عضية في الخلية يلزم منه -عند الدراونة- أن هذا السوط قد تطور عنه... لكن هذا الاعتراض معارض بأحدث الدراسات العلمية التي تقرر أن السيناريو الأقرب-إن قلنا بعلاقة هذين الجهازين بعضهما ببعض-هو أن (Type III Secretory System T3SS)) جاء بعد (سوط البكتيريا) لا العكس.

Sophie S. Abby and Eduardo P.C. Rocha, '***An Evolutionary Analysis of the Type III Secretion System***.

https://www.researchgate.net/publication/264856167_An_Evolutionary_Analysis_of_the_Type_III_Secretion_System

وهو ما قرره (**سكوت منيتش**) المتخصص العالمي في (**سوط البكتيريا**).

وأكده بيولوجيون تطوريون معروفون؛ ومن ذلك قول بعضهم: «**يبدو أنه من المرضي القول: إن أصل منظومة (type III secretion) ... قد تطور من هذا التركيب السوطي**»

J. Mecsas and Strauss, E.J., ***Molecular Mechanisms of Bacterial Virulence: Type III Secretion and Patho genicity Islands***, Emerging Infectious Diseases 2(4), October-December 1996.

https://wwwnc.cdc.gov/eid/article/2/4/96-0403_article

وقول آخرين: «**نحن نقترح أن الجهاز السوطي كان السلف التطوري لمنظومات إفراز (type III secretion)**».

L. Nguyen et al., '***Phylogenetic analyses of the constituents of Type III protein secretion systems***,' J. Mol. Microbiol. Biotechnol. 2(2):125-44, April 2000.

يتفق الجميع أن البيولوجي الداروينى (**كنث ملر**) هو أهم من رد نموذج التعقيد غير القابل للتبسيط في هذا السوط البكتيري وسفهه، إلا أنه في مناظرة متأخرة مع فيلسوف العلوم (**بول نلسون**) سنة (٢٠٠٥م) اعترف أنه هو نفسه لا يجزم أي «الآلتين» ظهرت أولا، (T3SS) أم (سوط البكتيريا) ...!

Science, Religion and Intelligent Design-Paul Nelson vs Kenneth Miller

https://www.youtube.com/watch?v=6Ws5LuGZBUs

فالقضية الأكبر ليست وجود البروتينات الضرورية لبناء السوط (وهو أمر مشكل)، وإنما وجود هندسة تنظيمية وترتيبية.

المطلب الرابع: بطَّارِيَّتُكَ تَتَحَدَّاهُم

من الأمثلة الأخرى للتعقيد غير القابل للتبسيط، إنزيم (ATP synthase)، وهو مختص بإنتاج الطاقة للخلية، ويتكون من ٤٠٠٠٠ ذرة فقط... وخطورة هذا الإنزيم في الجدل ضد الداروينية أن وظيفيته تقتضي أنه كان موجودا في بداية الحياة؛ إذ لا يمكن للحياة أن تتطور من دونه.

Hopkins Study Reveals Key Details On How We Get Energy

https://www.sciencedaily.com/releases/1998/09/980915122233.htm

المطلب الخامس: العَتَّالُ الذَّكِيُّ

وهو في رأي الكثيرين أكثر المحركات ظرافة في شكله، وبراعة في وظيفته.

أرجو مشاهدة الفيديو التالي لتصور تفاصيل هذا الكائن ووظيفته:

The Workhorse of the Cell: Kinesin

https://www.youtube.com/watch?v=gbycQf1TbM0

- له ذراعين على الحقيقة لا المجاز لحمل الأثقال.
- له رجلان للمشي على الحقيقة لا المجاز. وهو ينقل العضيات الثقيلة في الخلية على الطريق السريعة.

Kinesin protein walking on microtubule

https://www.youtube.com/watch?v=y-uuk4Pr2i8

- يقوم بتغيير حجم خطواته تبعا لثقل الحمولة.
- عنده قدرة على معرفة عوائق الطريق، وتجاوزها. وهو في ذلك يملك منظومة شبيهة بـ (GPS) تؤهله لإعادة ترتيب سير الرحلة إذا حصل طارئ في إعادة ترتيب خارطة الوصول إلى مقصده.

وقد كشف البحث عن أهمية دور هذا العتال في عملية انقسام الخلية. وهو ما يظهر أن الحياة الأولى لا تستغني عن عمله لضمان بقاء الحياة قبل ظهور الانتخاب الطبيعي.

ستفن م. بلوك Steven M. Block (١٩٥٢ـ): عالم فيزياء حيوية أمريكي. عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم.

يقول (**ستفن م. بلوك**) رئيس جمعية الفيزياء الحيوية الأمريكية: «**الحركة على مستوى الخلية هي السمة المميزة للكائن الذي على قيد الحياة. والسؤال الأساسي هو: كيف تعرف الكائنات الحية كيف تتحرك؟ الجواب: هو أنها تنشئ (كينيسين) وعددا آخر من المحركات البروتينية الفعالة جدا. لو فشل (كينيسين) تماما في ذلك؛ لكنت فشلت في أن تكون جنينا؛ لأن خلاياك ما كانت لتعيش. الأمر على هذه الأهمية**»

Charles L. Asbury, Adrian N. Fehr, Steven M. Block, '***Kinesin Moves by an***

Asymmetric Hand-Over-Hand Mechanism,' Stanford News Service, 12/5/03.

المبحث السادس: النَّظم الفائض عن الحَدّ الأدنى للحاجة المعيشية (Overdesign)

المطلب الأول: فائض الحاجة العضوي

وقد كشف البروفسور **(جارد دايمند)** من جامعة كاليفورنيا أن القدرة الوظيفية للأمعاء عند الإنسان ضعف ما يحتاجه الإنسان لحياة معافاة، وأن منظومة عمل الكبد عندنا ثلاثة أضعافي المطلوب، وأن قدرة البنكرياس عشرة أضعاف الحد الأدنى لجسم سليم.

J. Diamond, "***Best Size and Number of Human Parts***," Natural History, 103(6) (1994): p78.

وتلك معضلة داروينية؛ فإننا إن قبلنا -جدلا- أن التفسير الدارويني قادر على تفسير ظهور اليد بسبب الحاجة إلى الصيد، يبقى أن نفسر قدرة اليد على القيام بوظائف كثيرة جدا تربو على مجرد رمي رمح وذبح حيوان؛ فالإنسان قادر على القيام بأعمال فنية كالرسم والنحت، وأعمال للتكسب الاختراع كثيرة.

القضية على الصحيح هي أن كل ما في الإنسان يحقق فوق الكفاية، كملكات الشم، والتذوق، والكلام... والجانب العاطفي.

المطلب الثاني: الآلات الدِّفاعية والهُجُومية للحيوانات والنَّباتات

تعج الطبيعة بنماذج غاية في التعقيد والتكامل عند الحيوانات والنباتات لدفع الأعداء أو السيطرة على الضحايا، وهي أعظم تعقيدا مما يحتاج إليه لتحقيق البقاء.

وهي في تعقيدها تبلغ درجة لا يمكن للتفسير الدارويني الترتيبي (Gradualist) البطيء أن يشرح نشوؤها...الخنفساء المتفجرة (Bombardier Beetle): تمتلك هذه الخنفساء القدرة على إطلاق مفرقعات في مواجهة خصومها.

لسان الحرباء.. وسرعة النفاثة: تلتقط الحرباء ضحيتها بلسانها الذي قد يبلغ طوله مرة ونصف طول الحرباء نفسها. ومن عجائبه سرعته العالية؛ إذ يبلغ (٥٠g)؛ أي: خمسين مرة ضعف السرعة الناجمة عن الجاذبية، وهي سرعة خارقة؛ إذ تبلغ سرعة طائرات (جت) الحربية (10g) فقط.

فإن لسان الحرباء السريع يقبض على ضحيته الكبيرة بآلية أخرى؛ وهي أن تسحب الحرباء عضلتي الجزء الأوسط من طرفي اللسان قبل إصابة الضحية، مشكلة شفاطة مفرغة للهواء (suction cup) والمثير هنا أن اللسان القذفي والطرف العامل كشفاطة لا يعمل أي منهما دون الآخر لالتقاط

الضحية؛ بما يعني: الحاجة إلى آليتين دقيقتي التركيب للقيام بمهمة حياتية ضرورية.

A. Herrel, et al. ***The Mechanics Of Prey Prehension In Chameleons***, J. Exp. Biol. 203:3255-3263, 2000.

لقد أدهشت هذه النبتة العلماء حتى قال فيها (**داروين**): «**إنها واحدة من أعظم [النباتات المفترسة] في العالم**».

Darwin, ***Insectivorous Plants*** (Murray, London, 1875).

المطلب الثالث: البناء التَّمويهي للكائنات الحَيَّة

من أبرز نماذج الكائنات ذات البنية التمويهية ما يعرف بالشبحيات أو العصويات (Phasmatodea)، وهي حشرات تشبه الأغصان، أو أوراق الأغصان أو ساق النبات، ولها أرجل صغيرة جدا، وهو ما يوفر لها القدرة على التخفي وكأنها جزء من النبات الموجود حولها. ويوجد منها قرابة ٢٠٠٠نوع.

ومن أشهر أنواع (الحشرة الورقية) (Leaf insect) حشرات تعيش في الهند لها أجنحة على شكل ورقة، ولها بيوض على شكل بذور النبات، وهي تعيش جل يومها ساكنة كالنبات!

ويبقى أن أفضل طريق لبيان القدرة التمويهية العالية لهذه الكائنات النظر في صورها لإدراك سذاجة الحديث عن العشوائية في صناعة آلات التخفي في عالم الحيوان.

- حشرة على جناحيها صورة حشرتين.
- حشرة (Trychopeplus) على شكل غضن مورق.
- حشرة على شكل ورقة جافة.
- حشرة على شكل ورقة خضراء.
- فراشة الورقة الجافة.
- حشرة على شكل غضن شجرة.

المبحث السابع: الزَّوجيَّة وظُهُور التَّكاثُر الجنسي

المطلب الأول: الزَّوجيَّة، التَّحدِّي القرآني الصَّلب

أمر الزوجية في عالم الأحياء معضلة من وجهين، أولهما: طابع الزوجية نفسه، وثانيهما: طابع التكاثر الجنسي الذي يعارض مبادئ التطور الداروينى.

الزوجية في عالم الإنسان: «**وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ**» [النجم: ٤٥]

الزوجية في النبات: «وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ» [الرعد: ٣].

الزوجية في أفراد الكون عامة: «وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ» [الذاريات: ٤٩].

مشكلة نشأة التقابلية بعد عصر التكاثر غير الجنسي: سببها، وآليتها، وكيف وجد الزوجان معا؛ إذ إن تطور أحدهما دون الآخر سيقضي عليه بالفناء.

تطور الأعضاء الجنسية للذكر والأنثى رغم أنهما في جسدين منفصلين بعضهما عن بعض.

ظهور العملية التكاثرية بتعقيدها الهائل جدا.

إن مشكلة التكاثر الجنسي، معضلة كبرى يقر بها أكابر الدراونة حتى قال (**غراهام بل**): «**الجنس هو ملك المشكلات في البيولوجيا التطورية. ولعله لم تثر ظاهرة طبيعية أخرى مثل هذا القدر من الاهتمام، ومن المؤكد أنه لم يثر شيء ما أثاره هذا الأمر من عظيم الالتباس. أفكار داروين ومندل التي كسفت حلولا لكثير من الأمور الغامضة، فشيلت إلى الآن فيما هو أكثر من إلقاء ضوء خافت ومتهدج على اللغز الأساسي للجنسي، موكدة غموضه**»

غراهام بل Graham Bell: أستاذ البيولوجيا في McGill University

Graham Bell, ***The Masterpiece of Nature: The Evolution of Genetics and Sexuality*** (London: Croom Helm, 1983), p19.

وهذا (**داوكينز**) نفسه يقول في كتابه الذي ألفه لبيان قدرة العشوائية مع الوقت على صناعة العجائب: «**توجد عدة نظريات حول سبب ظهور الجنس، وليس منها ما هو مقنع بحسم**».

Dawkins, ***Climbing Mount Improbable*** (W. W. Norton & Company, 1997), p75.

هي الغياب التام لشواهد الانتقال من التطور اللاجنسي إلى التطور الجنسي.

تقول عالمة الجينات (**كم لورز**): «**تقرر نظريات العلماء أن كل الحيوانات والنبات ثنائية الجنس أو التي لها جنسان قد تطورت وفقا لمجموعة معينة من المراحل. لم يوجد مثال واحد إلى الآن للمراحل الأبكر؛ ولذلك فهذه المراحل لم يتم إثبات أنها قد وقعت**»

Jeanna Bryner, ***Scientists Put Sex Origin Mystery to Bed***.

https://www.nbcnews.com/id/wbna27927661

إن إشكالات الظاهرة الجنسية التكاملية العصية على التفسير العشوائي، والتدرجي، واسعة جدا،

ظاهرة في كل تفصيل من البناء العضوي للجهاز التناسلي، والعاطفة الجنسية، وقد تناولها كتاب

Problem: Exposing Evolution's Fatal Flaw-The Origin of Sex.

الصادر هذه السنة بالنظر؛ بحديثه عن الفجوة المحيرة بين التكاثر غير الجنسي وانفجار الحياة المتكاثرة جنسيا؛ فذاك عند مؤلف الكتاب الخلل القاتل لنظرية (**داروين**).

المطلب الثاني: رحلة الإنجاب، رصيد لا ينتهي من العجائب

رحلة الإنسان من تكون الحيوان المنوي في الرجل والبويضة في المرأة، إلى نهاية المسيرة باستهلال الجنين من بظن أمه، لا بد أن تنتهي إلى الاستخفاف بالقدرة الخلقية للعشوائية.

يجيبك (**داروين**) بقوله: «**إذا أمكن إثبات أن أي جزء من بناء أي من الأنواع الحية قد تم تشكيله من أجل نفع حضري لنوع آخر، فإنه من شأن ذلك القضاء على نظريتي**».

Darwin, ***On the Origin of Species***, p184.

المبحث الثامن: التَّماثُل عن غير أصل مُشترك (مُشكلة التَّطوُّر المُتقارب)

المطلب الأول: التَّطوُّر المُتقارب، مهرب الدُّوغمائيين

التطور المتقارب (**Convergent Evolution**) هو ظهور الخصيصة في أكثر من كائن حي دون أن توجد في أقرب سلفي مشترك-مزعوم-لهم... «**التطور المتقارب خديعة الدراونة. لقد اختلقوه ليحفظوا الشجرة التطورية من الانهيار، لكن ليس بإمكانهم بيان كيف يقع هذا التقارب. وكما قال جوزيف كيتنغ (٢٠٠٢م) في سياق آخر، فإن الأمر لا يعدو كونه «تفسيرا زائفا»، ومن الممكن أن يخدعنا أننا فسرنا بعض جوانب البيولوجيا، في حين أننا في الواقع لم نفعل سوى إطلاق اسم جديد على ما نجهله**».

Lee Spetner, ***The Evolution Resolution: Why Thinking People are Rethinking the Theory of Evolution***, p92.

قال (**جاي جولد**): «**لا توجد بداية من الممكن تحديدها من البدء، ولا شيء من الممكن أن يحدث مرة ثانية بالطريقة نفسها؛ لأن كل مسار يسلك عبر آلاف من المراحل غير المتوقعة. غير أي حدث أول، ولو بقليل، ودون أن تكون له أهمية ظاهرة في ذاك الوقت؛ وسيتدفق التطور في طريق مختلف بصورة مختلفة جدا**»

Stphen J. GosM, ***Wonderful Life: The Burgess Shale and the Nature of History*** (New York, NY: W.W. Norton & Company, 1989), 51.

ثم إن القول بضغط الانتخاب الطبيعي لتفسير كثير مما نعرفه من نماذج ما يعرف بـ «التطور المتقارب» ينقضه أن نجد هذه النماذج في بيئات مختلفة لها قوى ضغط وحصر مختلفة.

فقد وجدت في بلاد متباعدة ذات طبائع طبوغرافية وبيئية متباعدة.

قول (**لي سبتنر**): «**لا يوجد أي دعم تنظيري للتقارب، وكل حجة قدمت لدغمها هي نتاج الاستدلال الدائري**»

Lee Spetner, ***Not by Chance! Shattering the Modern Theory of Evolution***, p89.

المطلب الثاني: صدمة العُلماء

يبين عالم الإحاثة التطوري (**سيمون كنواي موريس**) صدمة العلماء بسبب كشفهم للتطور المتقارب المكثف بقوله: «**أصابتني الدهشة بصورة خاصة -أثناء مراجعتي المكتبات- بالنعوت التي ترافق أوصاف التطور المتقارب. كلمات مثل: «مميز»، و «مدهش»، و «غير مألوف»، وحتى «مذهل»، و «غريب»، كانت شائعة. تردد عبارات المفاجأة مقترنة بأوصاف التقارب يوحي بوجود ما يقرب من شعور عدم الارتياح بسبب هذه التشابهات. في الواقع، أشعر بصورة عالية أن بعض هؤلاء البيولوجيين يستشعرون شبح الغائية يطاردهم**»

Simon Conway Morris, ***Life's Solution: Inevitable Humans in a Lonely Universe*** (Cambridge University Press, 2003), p128.

وكيف لا يصدم العلماء وقد اضطروا إلى القول: إن العين (بتعقيدها) قد «تطورت» على الأقل ٤٠ مرة، وربما بلغت مرات «تطورها» ٦٥ مرة.

Land, M. F. and R. D. Femald (1992) ***The Evolution of Eyes***. Annual Review of Neuroscience 15: 1-29.

إن الدراونة يحسنون اللعب بالعناوين، ويعملون تحت شعار: «**أعطه اسما give it a name**»

جوناثان لوسوس Jonathan Losos (١٩٦١-): بيولوجي أمريكي. مدير مختبر لوسوس بجامعة هار فارد، وأمين متحف علم الحيوانات الزاحفة في متحف هارفارد لعلم الحيوان المقارن.

«**اكتشف العلماء في السنوات الأخيرة التقارب تقريبا في كل سمة من الخصائص التي قد تخيلها**» البيولوجي (**جوناثان لوسوس**)

Jonathan B. Losos, ***Improbable Destinies: Fate, Chance, and the Future of Evolution*** (New York: Riverhead Books, 2017), p41.

المطلب الثالث: تعدُّد أنواع التَّطوُّر المُتقارب

فضل رنا Fazale Rana (١٩٦٣_): عالم كيمياء حيوية أمريكي. من أعلام المؤلفين في دلالة العلم على الخالق في أمريكا.

وقد ذكر عالم الكيمياء الحيوية **(فضل رنا)** مئة مثال على التطور المتقارب في العالم الصغروي للأحياء على مستوى الجزيئات الحيوية (biomolecules) وأنظمة الكيمياء الحيوية، مع توثيق ذلك من المصادر العلمية الأكاديمية.

Fazale Rana, ***Origins of Life***, pp 207–214.

كيف نسمع الأصوات https://www.youtube.com/watch?v=2r6zL-kIcO4

هي نفسها موجودة في الجندب الذي يعيش في أمريكا الجنوبية، والمعروف باسم (Copiphora gorgonensis) رغم أن أذنه لا تتجاوز في حجمها حبة الأرز.

F. Montealegre et al., '***Convergent Evolution Between Insect And Mammalian Audition***' Science 338(6109): 968-971, 16 November 2012.

المجلة العلمية -المادية- الشهيرة (New Scientist) قد قالت عن أذن الثَّدييَّات قبل الكشف عن عملية السمع عند هذا الجندب: «**كانت العملية معقدة جدا حتى إن الخبراء في الثدييات افترضوا أنها -ضرورة- قد حدثت مرة واحدة فقط**»

J. Hecht, '***So Good They Were Invented Twice***,' New Scientist 185(2487): 16, 2005.

جهاز الرصد بالصدى:

من أغرب الحالات التي أحرجت الدراونة في أدبيَّاتهم، تطابق منظومة الرَّصد بالصَّدى (echolocation system) عند الخفاش والدولفين والحوت (Whales)... وتعقيد هذه الآلية يمتد من الآلة الخارجية للرَّصد إلى عمل الدماغ في ترجمة ارتداد الموجة.

والأعجب -ربما- مما سبق أن العلماء يتحدثون عن «تطور متقارب» للرَّصد بالصدى حتى في جنس الخفافيش نفسها؛ إذ يقولون: إن نوعي (horseshoe bat) و (mustached bat) قد تطور كل منهما بطريق منفصلي عن الآخر لينتهيا إلى المنظومة نفسها، حتى قال **(نويلر)** (Neuweiler)-التطوري إن هذا التطور هو أكثر الأنواع إثارة

Neuweiler G. (2003) ***Evolutionary aspects of bat echolocation. Journal of Comparative Physiology***, A 189: 245-256.

المبحث التاسع: اللُّغة

كتب عدد من علماء الأنثروبولوجيا التطوريين: «**لا تقدم الدراسات المتعلقة بالحيوانات تقريبا أي شيء مواز للتواصل اللغوي الإنساني، ولا شيء للقدرة البيولوجية المؤسسة له... ما تزال الأسئلة الأساسية المتعلقة بأصول قدرتنا اللغوية وتطورها غامضة كما كانت من قبل**»

Marc Hauser, Charles Yang, Robert Berwick, Ian Tattersall, Michael J. Ryan, Jeffrey Watumull, Noam Chomsky and Richard C. Lewontin, '***The Mystery Of Language Evolution***,' Frontiers in Psychology, Vol 5:401 (May 7, 2014).

ناعوم تشومسكي Noam Chomsky (١٩٢٨_): عالم لغويات وفيلسوف وناشط سياسي أمريكي شهير.

عالم اللغويات الشهير (**ناعوم تشومسكي**) بقوله: «**تبدو اللغة الإنسانية ظاهرة فريدة، دون نظير معتبر في عالم الحيوان. إذا كان الأمر كذلك؛ فإنه لا معنى البتة لطرح مشكلة تفسير تطور لغة الإنسان من أنظمة أكثر بدائية للتواصل... لا يوجد داع لتصور «ثغرات» من الممكن العبور فوقها**»

Noam Chomsky, ***Language and Mind***, (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), p59.

ظاهرة معرفية تبدأ بالنشاط العصبي وتنتهي بالنطق.

المبحث العاشر: النَّظم في مُواجهة نبوءات الدَّاروينية

يتَّفِقُ كثير من الممارسين للعُلومِ اليومَ أَنَّ كُلَّ دعوى عِلْميّةٍ لا تُخْضِعُ نفسَها للاختبارِ العِلْميِّ، لا بدَّ أن تُصَنَّفَ ضمنَ العِلمِ المُزَيَّفِ (pseudo-science)؛ أَيْ: وُجُوبَ خُضُوعِ هذه الدَّعْوى لإمكانِ الدَّحْضِ (falsifiability). ومن أَهَمِّ سُبُلِ محاولةِ دَحْضِ الدَّعْوى النَّظَرُ في نُبُوءاتها؛ بأن يُقالَ: إذا صَحَّتْ هذه الدَّعْوى؛ فلا بُدَّ أنّه سَيَنْتُجُ عنها كذا في العالم الماديِّ؛ كالقولِ: إذا كانت الأرضُ مُسَطَّحةً، فلا بُدَّ أن تكون لها حدودٌ عند أطرافها.

ومنها قول البيولوجي (**ج. ب. أس. هالدين**) سنة ١٩٤٩م إنه ليس بإمكان التطور البتة أن ينتج «**آليات مختلفة، مثل العجلة والمغناطيس؛ إذ ستكون عديمة الفائدة حتى تصل إلى مرحلة كاملة إلى حد ما**»

D. Dewar, L.M. Davies, and J.B.S. Haldane, ***Is Evolution a Myth? A Debate between D. Dewar and L.M. J.B.S.*** (London: Watts Co., 1949) p90.

وقال (**داوكينز**): «**المحرك السوطي للبكتيريا أعجوبة الطبيعة. إنه يقدم النموذج الوحيد المعروف خارج التكنولوجيا البشرية لمحور العجلة الدوار الحر. أعتقد أن العجلات الكبيرة للحيوانات الكبيرة نماذج حقيقية للتعقيد غير القابل للتبسيط، ولعلها لذلك لا توجد في الطبيعة**»

Dawkins, ***The God Delusion***, p130.

العجلات: كشف العلماء وجود محركات على مستوى الخلية تتضمن أشكالا عجلية؛ فقد كشف البحث العلمي وجود بكتيريا اسمها (bacterium MO-١).

كما كشف مجموعة من العلماء من جامعة (**كمبردج**) عن حشرة تحمل في بنائها عجلات بسن، وهي حشرة تعيش قافزة بين أوراق النبات، واسمها.Issus coleoptratus

Juanfang Ruan, at al. ***Architecture of a flagellar apparatus in the fast-swimming magnetotactic bacterium MO-1***, Proc Natl Acad Set USA. 2012 December 11: 109(50): 20643-20648.

http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC3528567

وجاء في وصف هذه العجلات/التروس أنها تشابه بصورة مذهلة تروس الدراجات الهوائية ومحركات السيارات من ناحية الشكل، وتعاشقها، وترتيب حركتها، وامتصاص الصدمات.

Functioning 'mechanical gears' seen in nature for first time sciencedaily.com, 12 September 2013.

https://www.sciencedaily.com/releases/2013/09/130912143627.htm

غريغوري ستون Gregory Sutton: عالم أمريكي متخصص في الهندسة الحيوية. أستاذ في جامعة «بريستول».

وصرح (**غريغوري ستون**) العضو في الفريق البحثي، قائلا: «**نحن نتصور التروس عادة كأشياء نراها في المصنوعات المصممة من الإنسان، لكننا وصلنا إلى تلك القناعة فقط لأننا لم نبحث جيدا**»

المغناطيس: كشف العلم اليوم أن السلاحف والفراشات الملكية تستعمل أجهزة الاستشعار المغناطيسي للملاحة.

G. Torr, ***Magnetic Map Readers***. Nature Australia 25(9):7-8, Winter 1997; Jules H Poirier, ***From Darkness To Light To Flight: Monarch -- The Miracle***

Butterfly (El Cajon, Calif.: Institute for Creation Research, 1995).

المبحث الحادي عشر: ملاحدة ينصرون بُرهان النَّظم

جونتر بشلي Giinter Bechly (١٩٦٣_): عالم أحافير وحشرات ألماني.

سنة ٢٠٠٩م، ترأس عالم الإحاثة الكبير **(جونتر بشلي)** في ألمانيا احتفالا مشهودا بمرور ١٥٠ عاما على نشر كتاب «**في أصل الأنواع**» **(لداروين)**.

الظريف في موقف **(جونتر بشلي)** أنه قد حكم على كتب خصوم الدراونة دون قراءتها، وهذا حال عامة من كتبوا مدافعين عن التفسير العشوائي لتاريخ عالم الأحياء... فهاله أن كل ما يعرفه عن النظم الحكيم يجمع بين التدليس والمغالطة، وفي ذلك قال: «**وقد فاجأني أن أكتشف الحجج التي وجدتها في تلك الكتب كانت مختلفة تماما عما سمعته من الزملاء أو عند مشاهدة أشرطة فيديو يوتيوب حين يكون النقاش حول التصميم الذكي مقابل مذهب التطور كما في الداروينية الحديثة. وكان لدي انطباع أن هؤلاء الناس يتعرضون لسوء المعاملة؛ فإن موقفهم يساء عرضه من جهة، ومن جهة أخرى لا تلقى هذه الحجج قبولا لائقا**».

في فيديو الاحتفاء بكتاب **(مايكل بيهي)**: «**الصندوق الأسود لداروين**». وهذا الفيديو مقتطع منه، وفيه كلامه صوتا وصورة:

A German Scientist Speaks Out about Intelligent Design

https://www.youtube.com/watch?v=fqiXgtDdEwM

أن يجهر باقتناعه بمذهب «**التصميم الذكي**» سنة ٢٠١٥م، ... لم تكن مفاجأة لأحد أن يتعرض **(بشلي)** بعد خروجه من دائرة العشوائيين إلى أذى شديد من اللوبيين الإلحادي والدارويني؛ فقد طرد من وظيفته مديرا لإحدى المؤسسات البحثية الألمانية، وطلب منه المتحف أن يستقيل طواعية، خاصة أن زملاءه في المتحف ما عادوا يرغبون في التعاون معه.

وقد وقف ثلاثة من أئمة الإلحاد في القرن العشرين أمام الحمض النووي بانبهار شديد، أولهم عالم الكيمياء الحيوية **(فرنسيس كريك)**، مكتشف الحمض النووي الصبغي، الذي حاز بسبب هذا الكشف جائزة نوبل سنة ١٩٦٢م.

لكنه صرح مع ذلك قائلا: «**ليس بإمكان الإنسان الصادق المتسلح بجميع المعرفة المتاحة لنا الآن إلا أن يقر أن أصل الحياة يبدو في هذه اللحظة-بصورة ما-تقريبا كمعجزة؛ إذ الشروط التي كان يجب استيفاؤها لبدء الحياة كثيرة جدا**»

حتى قال بصراحة -يحمد عليها-: «**كل مرة أكتب ورقة علمية عن أصل الحياة، أقسم أنني لن**

أكتب أخرى لأن هناك كثير من التكهنات مع قليل من الحقائق»

Francis Crick, ***Life Itself: Its Origin and Nature*** (New York: Simon & Schuster, 1981), p88.

ومن الغريب أن تجد موقف (**داوكينز**) على مقربة من موقف (**كريك**)؛ فإنه لما سئل في لقائه الشهير مع المذيع (**بن شتاين**) في فيديو (المطرودون) (Expelled): «**ما رأيك في إمكانية أن يكون المصمم الذكي جواب بعض مسائل الجينات أو التطور؟»، قال: «من الممكن أنه في زمن مبكر، في مكان ما في الكون، تطورت حضارة-ربما-بسبب آليات داروينية إلى مستوى تكنولوجي عال جدا جدا، وصممت شكل حياة بذروه-ربما-في هذا الكوكب.... وأعتقد أنه بإمكانك أن تجد دليلا على ذلك إذا نظرت إلى تفاصيل الكيمياء الحيوية، والبيولوجيا الجزيئية، رتما تجد إمضاء لمصمم ما**».

“**It could be that at some earlier time, somewhere in the universe, a civilization evolved by probably some kind of Darwinian means to a very, very high level of technology-and designed a form of life that they seeded onto perhaps this planet.... And l suppose it’s possible that you might find evidence for that if you look at the details of biochemistry, molecular biology, you might find a signature of some sort of designer**.” Expelled, DVD, directed by Nathan Frankowski (Premise Media, 2008).

الفيلسوف الملحد (**أنتوني فلو**) الذي دافع بشراسة عن الإلحاد طوال القرن العشرين ... «**لما سئلت في هذه الندوة إن كانت الدراسات الأخيرة حول أصل الحياة تشير إلى نشاط ذكاء خلاق، أجبت: نعم، أنا الآن أعتقد أنها كذلك... تقريبا هي كذلك بصورة كلية بسبب أبحاث الحمض النووي الصبغي. أعتقد أن ما فعلته مادة الحمض النووي الصبغي أنها أظهرت من خلال تعقيد الترتيب المطلوب-والذي لا يكاد يصدق-لإنتاج (الحياة)، أن ذكاء لا بد أنه قد تدخل للحصول على العناصر المتنوعة بصورة مذهلة لتعمل معا. إنه التعقيد العظيم لعدد العناصر والدقة الهائلة لطرائق عملها المشترك. التقاء الأمرين السابقين في الوقت المناسب بالصدفة هو ببساطة أمر مستبعد. إن الأمر كله متعلق بضخامة التعقيد الذي تم التوصل إلى النتائج من خلاله، والذي بدا لي على أنه أشبه بعمل الذكاء**»

Antony Flew with Roy Abraham Varghese: ***There is a God, How the world's most notorious atheist changed his mind*** (New York: HarperOne, 2008), pp 74-75.

رك سمالي Richard Smalley (١٩٤٣-٢٠٠٥م): أستاذ الكيمياء والفيزياء والفلك في جامعة «رايس».

كما قادت الخلية الكيميائي والفيزيائي الحائز على جائزة نوبل **(ريتشارد سمالي)** إلى ترك مذهبه اللا أدري والإيمان بإله في آخر حياته.

متخصص في «**تقنية الجزيئات متناهية الصغر nanotechnology**» حيث يجتهد العلماء طويلا لاختراع تراكيب وآلات مجهرية، لكنهم يكتشفون في ختام الأمر، وبعد الحساب والاختبار والصبر أنها بسيطة جدا، وساذجة جدا إذا قيست بآلات الخلية.

برادلي مونتون Bradley Monton (١٩٧٢_): أستاذ مساعد للفلسفة في جامعة «كولورادو».

وقد كتب منذ سنوات قليلة فيلسوف العلوم الملحد **(برادلي مونتون)** كتابه «**البحث عن الله في العلم: ملحد يدافع عن التصميم الذكي**»، ورد فيه على كثير من شبهات الملاحدة حول ظاهرة النظم في الكون.

المبحث الثاني عشر: نُقُودٌ واعْتِرَاضَات

المطلب الأول: التَّطوُّر ليس صُدْفَوِياً

الانتخاب الطبيعي عملية تكميلية لما ينتج عن الطفرات العشوائية.

(جاك مونو) الحائز على جائزة نوبل كتب: «**الصدفة وحدها مصدر كل تجديد، كل خلق في المحيط الحيوي. الصدفة الصرفة، الصرفة مطلقا، ولكنها عمياء، تقع في عمق جذور الصرح الهائل للتطور**»

Jacques Monod, ***Chance and Necessity***, p112.

دوجلاس فتوياما Futuyma Douglas: عالم بيولوجيا تطورية أمريكي.

البيولوجي التطوري الشهير **(دوجلاس فتوياما)** نسبة الطبيعة الصدفوية (العشوائية) إلى كل من الطفرات والانتخاب الطبيعي.

Douglas Futuyma, ***Evolutionary Biology***, (Sunderland: Sinauer, 1998) p5.

ومن الطريف في هذا الباب اعتراض **(لاري موران)** -عالم الكيمياء الحيوية الكندي الداروينيي المعروف بعدائه الشديد لما يعرف «بالتصميم الذكي»- على الفيزيائي الملحد **(لورنس كراوس)** لما زعم في مناظرته مع (ستيفن ماير) و (دنيس لامورو) -١٩مارس٢٠١٦م-أن الداروينية غير عشوائية. فقد كتب **(موران)** مقالا بعنوان: «**تحتاج أن تعرف البيولوجيا إذا كنت ستناظر خلقيا**

يرى التصميم الذكي»، وأنكر فيه على **(كراوس)** إنكاره حقيقة العشوائية، واتهمه أنه كان ينقل هذه الدعاوى الفاسدة عن **(داوكينز)**.

You need to understand biology if you are going to debate an Intelligent Design Creationist.

https://sandwalk.blogspot.com/2016/03/you-need-to-understand-biology-if-you.html

اعترف **(داوكينز)** أن احتمال نشوء إنزيم يتكون من ١٠٠ حمض نووي ريبوزي هو ١ من ($٢٠^{١٠٠}$)، وهو عدد أكبر بكثير من عدد الجسيمات في الكون. ثم عاد فقال: «**ليست الداروينية نظرية صدفة عشوائية. إنها نظرية طفرة عشوائية مع انتخاب طبيعي تراكمي غير عشوائي**»

Richard Dawkins, ***Climbing Mount Improbable***, p75.

وهي دعوى فاسدة؛ لأنها لا تفسر ظهور الإنزيم الأوَّل الذي احتاجته البكتيريا الأولى قبل بداية عمل الانتخاب الطبيعي، بالإضافة إلى أن الإنزيم يمثل منظومة حيوية غير قابلة للتبسيط.

المطلب الثاني: الدَّاروينية أبطلت أوهام النَّظم، العين نموذجا!

مقال نشرته مجموعة علمية داروينية من جامعة (Leicester) -بينت فيه أن أحد الكائنات البحرية العمياء اليوم كان كائنا مبصرا منذ ٣٠٠ مليون سنة (فهو تدهور لا تطور) «**العين بناء معقد، ولا بد أنها قد تطورت عبر تغييرات قصيرة متتالية، ولكنها تغيرات غير محفوظة في الحيوانات الحية، وإلى الآن يعتقد أن هذه التفاصيل التشريحية لا يمكن أن تحفظ في الأحافير**».

Sarah E. Gabbott, '***Pigmented Anatomy In Carboniferous Cyclostomes and The Evolution of The Vertebrate Eye***,' Proceedings of the Royal Society, Biological Sciences, 2016: 283 (1836): 20161151.

ويفاجئنا الكشف الأحفوري مرة أخرى؛ فقد كشف علماء الأحافير -بينما أخط هذه الكلمات- عن أقدم عين، وهي تعود إلى حيوان عاش ٥٣٠ مليون سنة مضت؛ أي: في بدايات العصر الكامبري، والخلاف بينها وبين العين المركبة الحالية ليس كبيرا، رغم تعقيد هذه العين؛ حتى قال أحد الباحثين في جامعة إدنبرة: «**من المثير أن هذه الأحفورة تظهر أن تركيب العيون المركبة وعملها لم يتغير إلا قليلا منذ نصف بليون سنة**»

530-million-year-old fossil has look of world's oldest eye, study suggests

https://phys.org/news/2017-12-million-year-old-fossil-world-oldest-eye.html

Brigitte Schoenemann, et. al., '***Structure and function of a compound eye, more than half a billion years old***', Proceedings of the National Academy of Sciences (2017).

وقد اعترف بالتدليس الداروينيِ البيولوجي التطوري الصلب (**شون ب. كرول**)؛ إذ يقول لك: «**يجب ألا تخدع بالتركيب والمظهر البسيطين لهذه العيون. لقد بنيت بالاعتماد على عدة مكونات تستعمل في عيون أكثر براعة**»

Sean B. Carroll, ***The Making of the Fittest: DNA and the Ultimate Forensic Record of Evolution*** (W. W. Norton, 2006), p198.

حتى يصح تفسير (**داروين**) لا بد أن تكون العيون الأولى الأكثر بدائية، وألا تظهر العيون المعقدة إلا في مرحلة متأخرة.

ولا يملك الدراونة ادعاء ذلك؛ فقد ظهرت الأعين المعقدة جدا في أولى مراحل العصر الكامبري.

فرنك ب. سلزبري Frank B. Salisbury (١٩٢٦-٢٠١٥م): أستاذ البيولوجيا وعلم البيئة، ورئيس قسم علم النبات في جامعة «يوتا». من مؤلفاته الكتاب المدرسي الشهير في علم النبات «Plant Physiology»

يقول البيولوجي (**فرنك سلزبري**) عن تطور العين: «**إن تطور مثل هذه الأعضاء مرة واحدة أمر عسير، ولذلك فالتفكير في ظهورها مرات كثيرة طبق نظرية الداروينية الجديدة يجعلني أشعر بالدوار**»

Frank B. Salisbury, ***Doubts about the Modem Synthetic Theory of Evolution***, The American Biology Teacher, Vol. 33, No. 6 (Sep 1971), p338.

(**داروين**) نفسه كان على وعى بتهافت تفسيره لتطور العين وتعسفه، فقد رد على (**أسا غراي**) لما أنكر عليه ضعف عدد من دعاويه، ومنها حديثه عن تطور العين، بقوله: «**وأما ما تعلق بنقاط الضعف، فأنا أتفق معك. ولا يزال التفكير في العين إلى اليوم يصيبني بقشعريرة، ولكنني عندما أفكر في التدرجات الدقيقة، يقول لي عقلي: إنه عليّ أن أتغلب على هذه القشعريرة**»

Francis Darwin, ed., ***The Life and Letters of Charles Darwin*** (New York: D. Appleton and Co., 1899), 2/67.

خلاصة الكلام في التطور المزعوم للعين قول جراح العين الشهير (Ming Wang) الذي أجرى آلاف العمليات الجراحية، وله عشر براءات اختراع: «**بإمكاني أن أقطع بالشهادة -كطبيب وعالم- لحقيقة أنه من المحال أن يفسر الانتخاب الطبيعي التعقيد المُدهش للعين**»

Cited in: Rice Broocks, ***God's Not Dead: Evidence for God in an Age of Uncertainty*** (Thomas Nelson Publishers, 2015), p105.

المطلب الثالث: بُرهان النَّظم لا يُحدِّد المُصمِّم

برهان النظم يدل على وجود ذات -لا مجرد «قوة!»- تمتاز بالقدرة والعلم العظيمين جدا، وهي ذات وليست مجرد «قوة»؛ لأنها تملك إرادة واختيارا، فهي تفعل عن اختيار بعلم وقدرة يعجز العقل عن تصورهما لعظيم-وعجيب-فعلها في عالم الأحياء.

المطلب الرابع: بُرهان النَّظم وحُجَّة «إله الفجوات»

إله المعلومات: البراهين التي سقناها سابقا مصدرها العلم بالواقع لا الجهل به؛ فالملاحدة أنفسهم يعترفون أن نجاح **(بيهي)** وغيره في إثبات التعقيد غير القابل للتبسيط في بناء الكائنات الحية حجة للنظم الحكيم الذي نعزوه إلى الله-سبحانه -

ويمثل عالم البيولوجيا الجزيئية **(جيمس أ. شبيرو)** في كتابه الصادر منذ سنوات: «**التطور: رؤية من القرن الحادي والعشرين**» (٢٠١١ م)

Evolution: A View from the 21st Century.

هذا التيار، فهو يقرر أن الخلية شديدة الذكاء في تعاملها مع نفسها ومع ما حولها، وأن التفسير الداروينى تبسيطي إلى درجة غبية، وأن المعلومة سر تنظيم الوجود الحي وعمله، لكن **(شابيرو)** ومن معه يرفضون كل تفسير فوق طبيعي؛ لأنهم-باعترافهم-عندها يذعنون بدءا وقصرا للتفسير المادي.

هذا ما صرح به **(شابيرو)** بوضوح في تعقيبه على اتهام **(دمسكي)** له أنه اختار موقفا وسطا بين «الداروينية» و«التصميم الذكي».

"Is James Shapiro a Design Theorist?": James Shapiro Replies

https://antidarwin.wordpress.com/2013/01/04/is-james-shapiro-a-design-theorist-james-shapiro-replies/

كما يقول **(بول ديفيس)** «**إذا كانت الطبيعة ذكية جدا لاستغلال الآليات التي تدهشنا ببراعتها؛ أفليس ذلك حجة مقنعة على وجود نظم...؟ إذا كانت خيرة عقول البشر في العالم غير قادرة**

على أن تكشف العمل العميق للطبيعة إلا بمشقة، فكيف من الممكن -إذن- تصور أن هذه الأعمال حصيلة محض أحداث عشوائية، أو أثر صدفة عمياء؟!»

Paul Davies, ***Superforce***, pp 234–236.

إن الأمور التي تظهر «تعقيدا مخصوصا» و«تعقيدا غير قابل للتبسيط» تنسب دائما في تفسيراتنا الشخصية وفي تفسيرات العلماء إلى الذكاء أو الحكمة

إذ إن عالم الخلية كما تم كشفه في العقود الأخيرة قد فضح سطحية التناول الإلحادي لهذا العالم الفسيح بعده مادة بسيطة سهلة التكوين والنسخ.

التفكير الرغبوي لعلماء الطبيعة الماديين...قول الكيميائي **(روبرت شابيرو)** في كتابه الشهير عن أصل الحياة: إن عددا من العلماء قد يتجهون إلى الدين بعد العجز عن الكشف عن أدلة حاسمة لتفسير أصل الحياة، وأما هو فسيحاول أن ينتقي من الاحتمالات القائمة أفضلها، حتى إن كانت كلها ضعيفة.

Shapiro, Origins: ***A Skeptic's Guide to the Creation of Life in the Universe*** (London: Penguin, 1988), p130.

إدجار أندروز Edgar Andrews (١٩٣٢_): فيزيائي إنجليزي. أستاذ المواد بجامعة لندن.

«**الزعم أنه مع الزمن، سيفسر العلم كل شيء، هو ببساطة صياغة الملحد لإله الفجوات**»
الفيزيائي البريطاني **(إدجار أندروز)**.

المطلب الخامس: هيوم، ومُعارضة قياس الحكمة الإلهية على الذَّكاء البشري

هناك جدل واسع بين المتخصصين في الفكر الهيومي حول موقف هذا الفيلسوف **(هيوم)** من وجود الله. وقد ذهب عدد من الباحثين إلى أن **(هيوم)** لم يرفض وجود الله، وإنما شك في إمكان إقامة الدليل على ذلك. وفي هذا يقول **(نيكولاس كبلدي Nicholas Capaldi)** -المتخصص في الفكر الهيومي: «**لم يقل هيوم في أي من كتاباته إنه لا يقبل وجود الله، ولا حتى أوحى بذلك. على العكس من ذلك، يقول هيوم في عدة أماكن: إنه يقبل بوجود الله**».

Nicholas Capaldi, ***David Hume*** (Hall & Co, 1975), chapter 9 (Cited in: Peter Williams, ***A Faithful Guide to Philosophy***, Milton Keynes: Authentic Media, 2013, p113)

واللا عشوائية ضرورة الفعل الموجه الذي يشف عن إرادة وحكمة.

المطلب السادس: التَّصميم المَعِيب

يخلط هذا الاعتراض بين مسألتين: قصور المخلوقات عن الكمال، وعيوب الخلق.

قصور المخلوقات عن الكمال التام: يعتقد المخالف أن الخلق الإلهي لا بد أن يبلغ الكمال في الصنعة مطلقا. وهذا إلزام فاسد، وسبب ذلك أن الله يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، وفعله مرتبط بعلته، لا بطبيعة المخلوق.

لذلك فتفسير قوله تعالى: «**ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ**»؛ أنه سبحانه أحسن هذا الخلق بما يفي بالغاية من الخلق، لا بما يحقق للمخلوقات الخلود أو يمنع عنهم الأذى.

ولذلك قال (**القرطبي**) المفسر: [«**أَحۡسَنَ**»**؛ أي: أتقن وأحكم، فهو أحسن من جهة ما هو لمقاصده التي أريد لها**.]

وبعبارة أوضح، نحن لا نؤمن «بالنظم الأقصى optimal design»؛ فالله-سبحانه-لم يخلق أشياء العالم على صورة ليس بعدها زيادة، وإنما خلقها على أحسن صورة تؤدي الحكمة من خلقها.

إن السيارات والهواتف والكمبيوترات.. تدل ضرورة على أنها نتاج عقول ذكية، لكنها كلها معيبة بقابلية الكسر وفساد برامج التشغيل وتعطل آلية الشحن. فهي وإن كانت معيبة من وجه إلا أنها تكشف عن ذكاء صانعها من الأوجه الأخرى.

وكما يقول (**دمسكي**): «**لا يعني مجرد إمكان أن نتخيل دائما بعض التحسين في التصميم أن البناء موضوع النظر لم يكن مصمما، أو أنه بالإمكان القيام بهذا التحسين، أو أن التحسين-حتى إذا كان بالإمكان تنفيذه-لن يترتب عليه فساد في مكان آخر**»

William A. Dembski, ***Intelligent Design is not Optimal Design***.

https://www.discovery.org/a/86/

«**إذا لم أكن أعلم أن كذا متقن الصنع، فهو معيب!**» أو «**لا أعلم الحكمة من خلق كذا، فوجود كذا دال أنه لا وجود لخالق!**»،

الحمض النووي الصبغي الخردة: ... ومع تطور الدراسات الجينية؛ اكتشف العلماء جناية الداروينية على العلم؛ إذ تبين أن من هذا الحمض النووي ما يقوم بوظائف ضرورية جدا لعمل الخلية.

ريتشارد سترنبرج Richard Sternberg: بيولوجي أمريكي، حاصل على دكتوراه في التطور الجزيئي وأخرى في علم الأنظمة (البيولوجيا النظرية).

حتى قال عالم الجينات-التطوري- **(جيمس شابيرو)** والبيولوجي التطوري **(ريتشارد سترنبرج)**: «**في يوم ما، سنعد ما كان يدعى «الحمض النووي الصبغي خردة» مكونا أساسيا «لخبير» حقيقي في نظم التحكم الخلوي**»

Richard Sternberg and James A. Shapiro, "***How Repeated Retroelements format genome function***," Cytogenetic md Genome Research, Vol. 110: 108-116 (2005).

وقد صدمت الجماعة العلمية في الغرب بعد كشف البرنامج العلمي (إنكود)

ENCODE [**Enc**yclopedia of **D**NA **E**lements]

أن جل «الحمض النووي الصبغي» غير التشفيري والتكراري

Noncoding and repetitive DNA

دان غرور Dan Graur (١٩٥٣_): عالم متخصص في التطور الجزيئي. أستاذ علم الحيوان في جامعة تل أبيب.

يحتوي على معلومات تنظيمية أساسية؛ حتى قال البيولوجي التطوري الملحد الشهير **(دان غرور)**: «**إذا كانت نتائج مشروع (إنكود) صحيحة؛ فالتطور خطأ**»

Dan Graur, ***How to Assemble a Human Genome?*** (December 2013).

https://www.slideshare.net/dangraur1953/update-version-of-the-smbesesbe-lecture-on-encode-junk-dna-graur-december-2013

https://bereanarchive.org/articles/reviews/graur-how-to-assemble-a-human-genome-2013.php

إبهام الباندا: أشهر رمز للتصميم المعيب في الأدبيات التطورية هو الإصبع الزائد لحيوان الباندا. وقد اختار **(جاي جولد)** لأحد كتبه هذا الاسم

The Panda's Thumb: More Reflections in Natural History (1980).

بيانا لأهمية هذه الظاهرة في إثبات التطور؛ إذ يزعم **(جولد)** أن موقع هذا العظم من المعصم معيب، والأولى أن يكون على شكل إبهام الإنسان المقابل لبقية ا لأصابع.

إذ إن الباندا تستعملها ببراعة لتقشير أعواد الخيزران؛ بل أثبت علماء يابانيون أن هذا «الإبهام» موجود في مكان مثالي لتأدية وظيفته، فقد كتبوا-بعد أن صوروا يد الباندا بالرنين المغناطيسي-أن

هذا العظم «يمكن الباندا من التعامل مع الأشياء ببراعة كبيرة"، وأن الطريقة التي تستعمل بها الباندا هذا العظم الناتئ لالتقاط الأشياء «تجعله واحدا من أحد أعظم أنظمة التعاطي مع الأشياء في تطور الثدييات»

Hideki Endo, Daishiro Yamagiwa, Yoshihiro Hayashi, Hiroshi Koie, Yoshiki Yamaya, Junpei Kimura, '***Role of the giant panda's pseudo-thumb***,' Nature, Vol: 347:309-310, January 28, 1999.

البحث الذي نشره باحثان من جامعة (Technion-Israel Institute of Technology) حيث أكدا أن شبكية عين الإنسان تمثل درجة عالية من النظم البارع؛ إذ يقوم العصب البصري فوق الشبكية بجعل الرؤية أعلى في دقتها؛ فقد تبين أن هذا العصب البصري هو «**هيكل أمثل صمم للحفاظ على حدة الصورة في شبكية العين. إنه يلعب دورا حاسما في جودة الرؤية، عند الإنسان والأنواع الأخرى**».

Labin, A.M. and Ribak, E.N., ***Retinal glial cells enhance human vision acuity***, Physical Review Letters 104, 16 April 2010.

https://journals.aps.org/prl/abstract/10.1103/PhysRevLett.104.158102

جورج أيوب George Ayoub: أستاذ البيولوجيا في «Santa Barbara City College».

وماذا لوكان العصب البصري عند الإنسان كما يريد (**داوكينز**) ليوافق الكمال المزعوم؟ يجيبنا البيولوجي (**جورج أيوب**) بقوله: إن ذلك سيعيق الصورة الطبيعية للتدفق الطبيعي للدم؛ إذ سيضايق العصب العروق الدموية. وانتهى إلى القول: «**في محاولة إزالة المنطقة المعتمة، أنشأنا عدة مشكلات وظيفية جديدة أعظم حدة وتحتاج حلا**»

George Ayoub, "***On the Design of the Vertebrate Retina***," Origins & Design, vol. 17:1 (Winter) 1996).

www.arn.org/docs/odesign/od171/retinal71.htm

والجواب العلمي: هو أن العصب الحنجري الراجع يسلك طريقا طويلا لأن غايته ليست قاصرة على الوصول إلى الحنجرة؛ إذ إنه يقوم أيضا بتغذية أجزاء من القلب وعضلات القصبة الهوائية والأغشية المخاطية والمريء.

Gray's Anatomy, 1980, 40th edition of 2008, pp 459, 588–589.

المطلب السابع: النَّظم الحكيم عِلْم زائف

الجدل بين فلاسفة العلوم حول حد ما هو علمي، أو ما يعرف بـ The Problem of Demarcation، لم ينته، ولا تبدو له نهاية؛ لأن كل ضابط يميز بين العلم والزيف ينتهي دائما إلى إخراج بعض العلوم الثابتة من حد العلم؛ فمن أشهر هذه الضوابط مثلا قبول النظرية للاختبار، وهذا الضابط لا بد أن يؤول إلى إخراج علوم مثل أصل نشأة الكون وعامة مباحث الكوزمولوجيا من دائرة العلم الحقيقي إلى دائرة العلم الزائف؛ ولذلك «**أهمل جل فلاسفة العلوم البحث عن حد ما هو علمي**»

بحث فيلسوف العلوم **(لاري لاودا)** في مقال بعنوان:

The Demise of the Demarcation Problem

أزمة إثبات ضابط مخكم لمفهوم العلم، وكشف أن التعريفات قد انتهت إلى مجموعة تناقضات.

Dominic J. Balestra, '***Science and Religion***' in ***Philosophy of Religion: A Guide to the Subjected***, Brian Davies, ed. (London: Continuum, 2003) p350.

أولهما: أن النظم الذكي قابل للدحض؛ إذ إن له نبوءات من الممكن اختبار صدقها.

دوغلاس فوتوياما Douglas Futuyma (١٩٤٢_): بيولوجي أمريكي شهير. رئيس «جمعية دراسة التطور».

البيولوجي التطوري **(فوتوياما)**: «**لا يوجد البتة خلاف بين علماء البيولوجيا حول حقيقة حصول التطور... لكن نظرية كيف وقع التطور مسألة أخرى مختلفة تماما، وموضوعها محل نزاع حاد**»

Douglas J. Futuyma, '***Evolution as Fact and Theory***,' BIOS 56 (1985): p8.

النظم الذكي هو التفسير العلمي الوحيد لكثير من مظاهر الحياة، مثل الانفجارات الخلقية المتكررة؛ فهو دال هنا على وجود الإرادة والقصد والغائية، وهي أمور تعجز التفسيرات المادية أن تفي بها.

علمية النظم من جنس علمية مذهب البيولوجيا التطورية؛ فهما داخلان في جنس «العلوم التاريخية» التي تدرس المسائل العلمية بآليات البحث التاريخي التي عمدتها القرائن لا الفحص المباشر؛ إذ تقوم على «**إعادة تركيب الماضي لتفسير الحاضر بالعودة إلى الماضي**»

Behe, Dembski and Meyer, ***Science and Evidence for Design in the Universe***, p178.

وقد تبنى (**داروين**) نفسه هذا المسلك البحثي؛ فقد كتب إلى صديقه العالم (**أسا جراي**): «**اختبرت هذه الفرضية [الأصل المشترك للكائنات الحية] بمقارنتها بالعديد من الدعاوى الثابتة والعامة التي أمكنني دراستها في التوزيع الجغرافي، والتاريخ الجيولوجي، والقرابة... ويبدو لي أنه إذا افترضنا أن مثل هذه الفرضية كانت لشرح هذه الدعاوى العامة، فيجب علينا، وفقا للطريقة العامة لدراسة كل العلوم، أن نقبلها حتى يتم التوصل إلى فرضية أفضل**»

Francis Darwin, ed., ***Life and Letters of Charles Darwin*** (London: D. Appleton, 1896), 1/437.

نحن هنا أمام تفسيرين ينتهيان إلى آلِيَّتَين غَيبِيَّتَين؛ ولذلك فالحكم للقرائن لا الرصد المباشر.

مراجع للتَّوسُّع

William A Dembski and Sean McDowell, ***Understanding Intelligent Design***, Eugene, Or.: Harvest House Publishers, 2008.

William Dembski, ***Being as Communion: A Metaphysics of Information*** Burlington, VT: Ashgate Publishing Ltd, 2014.

الفصل الرابع: الجمال الشَّفيف

كلارك بنوك Clark Pinnock (١٩٣٧-٢٠١٠م): أستاذ اللاهوت النظامي في McMaster Divinity College.

«**أفضل مواجهة لتحدي الإلحاد، والعدمية التي تقترن به عادة، هي برؤية أوضح للجمال البهي الذي خلقه الله، لا عن طريق محاججات عقلية**». اللاهوتي (**كلارك بنوك**)

Clark H. Pinnock, ***Most Moved Mover: A Theology Of God's Openness*** (Carlisle: Paternoster Press, 2002) p2.

فالجمال أثر خلق إلهي وليس مظهرا اعتباطيا، إنه أثر عن حقيقة الذات العلية؛ قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجمالَ**» رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (ج/٩١).

والبهجة في النفس أثر عن صنعة لها طبيعة خاصة تنشر السعادة في القلب.

إذا كان الكون مادة وطاقة في حال عبث دائب وأعمى؛ فالمتوقع ألَّا يوجد جمال في الكون؛ إذ الجمال معطى كوني مرتبط بغائية لإمتاع الذائقة؛

- أن يكون الكون جميلا، تعبيرا عن قدرة الله العظيمة.

- أن يكون الكون جميلا، تعبيرا عن جمال الله-سبحانه.
- أن يكون الكون جميلا، لاستثارة وعي الإنسان لوجود الجمال دلالة على الخالق.
- أن يكون الكون جميلا تعبيرا عن رحمة الله الذي يريد إمتاع خلقه في الدنيا.
- أن يكون الجمال هو الأصل لا الاستثناء.

دلالة جمال المخلوقات (المادة وقوانينها) والقدرة على كشفها والاستمتاع بها على وجود المصور (الله).

إن برهان الجمال-دليلا على وجود الله-قائم على حقيقتين: وجود الجمال في الكون، ووجود حاسة تذوق الجمال في الإنسان والحيوان.

١. العشوائية لا تنتج جمالا موضوعيا.
٢. الكون يضم جمالا موضوعيا.
٣. جمال الكون لا يمكن تفسيره بالعشوائية.
٤. جمال الكون أثر عن نظم غائي.

توماس دباي Thomas Dubay (١٩٢١-٢٠١٠م): قسيس كاثوليكي، درس في عدد من الجامعات الأمريكية.

«**تستثير التجربة الحادة لجمال عظيم توقا غير مسمى لشيء أعظم مما من الممكن أن تقدمه الأرض. تعيد الروعة الأنيقة إيقاظ حاجتنا اللهفى إلى ما هو لانهائي، جوعتنا إلى ما هو أكبر مما تملك المادة أن تقدمه**» الكاتب (توماس دباي)

Thomas Dubay, ***The Evidential Power of Beauty: Science and Theology Meet*** (San Francisco: Ignatius Press, 1999), p56.

المبحث الأول: الجمال في عين العِلْم

المطلب الأول: الجمال والكون الإلحادي، لماذا يتنافران؟

والمتأمل في كتابات أئمة الإسلام...يرى أن الجمال حجة بارزة فيها...قال **(ابن القيم)**: «**أما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها: {يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ}**» [فاطر: ١]

ابن القيم، ***روضة المحبين*** (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م)، ص١ ٢٢.

الشيخ **(محمد الغزالي)**: «**الإيمان الذي يصوغه القرآن في النفوس، إنما من أجل أن يرفع به مستوى الإنسان ليكون ذواقا لما في آفاق الأرض والسماء من نواحي الجمال. ولا يتم إيمان**

الإنسان إلا إذا نظر إلى الكون على أنه هذه الصفحات التي يتجلى فيها الجمال الإلهي والمجد الإلهي»

حوار مع الشيخ (الغزالي) بعنوان «***الفن ليس غريبا عن الإسلام***»، مجلة «نصف الدنيا». ١٠ مارس ١٩٩١م.

يقول (**أبو حامد الغزالي**): «**كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له؛ فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال. وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر؛ فالفرس الحسن: هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة، وشكل، ولون، وحسن عدو، وتيسر كر وفر عليه. والخط الحسن: كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها، ولكل شيء كمال يليق به**»

أبو حامد الغزالي، ***إحياء علوم الدين*** (بيروت: دار المعرفة)،٤/٢٩٩.

جمال المظهر في أوضح عبارة وأكثرها اختصارا: أنماط متآلفة من النظام.

Richard Swinburne, ***Is There a God***, p54.

فإن الفوضى قبح ولذلك يدرك عشاق الجمال؛ الجمال في تناغم الألوان، وتناظر الأشكال، وتعانق الخطوط، وتردد الأصوات، وسباحة الأجرام، وهي أمور تثير في النفس بهجة الاستمتاع، وتبعث في العقل تقديرا إيجابيا للمرئي.

فإن براعة برهان الجمال في أنه-مع برهان الأخلاق-يجمع بين مخاطبة العقل المولع بالقواعد الصارمة الجافة، ومحاورة العاطفة بذائقتها المرهفة الحساسة؛ وهو بذلك يعقد بين طرفي الذات الإنسانية: العقل والروح... وبرهان الجمال، برهان نفاذ يقتحم على القلوب أسوارها.

إن الإحساس الجمالي في الإنسان عميق؛ موصول بدواخل النفس ونظام العقل.

إلين دسنايك Ellen Dissanayke: باحثة أمريكية، درست في عدد من الجامعات الأمريكية. لها عناية خاصة بالجمال وأثره في ثقافة الإنسان منذ القدم.

حتى إن الفيلسوفة (**إلين دسنايك**) رأت أن يسمى جنس «الإنسان العاقل» باسم: « Homo Aestheticus» (الإنسان الجمالي)؛ إذ الإحساس بالجمال واحد من أعظم المكونات النفسية للإنسان.

Ellen Dissanayake, ***Homo Aestheticus: Where Art Comes From And Why*** (Seattle: Univ. of Washington Press 2010).

والنفس المؤمنة تجد في طابع الجمال الآخذ بتفاصيل هذا الوجود الحقيقة تقتحم أعماق الإنسان

دون إزعاج، وأما الملحد، فإن الجمال قذى في عينيه وكدر في قلبه؛ إذ كيف يجتمع الضدان: عبث وقصد، وكرم وشح، وإدلال وتجهم...؟!

يقول الواعظ البليغ (**تشارلز سبرجيون**) في بيان علاقة الإيمان بوجود الله بفيض الجمال في الكون: «**خلق الله الطبيعة ليس فقط لحاجياتنا الأساسية، وإنما أيضا لاستمتاعنا. إنه لم يكتف بخلق حقول الذرة، وإنما خلق البنفسج وزهر الربيع العطري. الهواء وحده كاف لنا للتنفس، ولكن انظر كيف حمل الهواء بنسائم العطور. الخبز وحده قادر أن يحفظ لنا حياتنا، ولكن لاحظ أمر الفواكه الحلوة التي تفيض من حضن الطبيعة. ألوان الزهور، جمال المشاهد، تغاريد الطيور، كلها تظهر كيف تفضل الخالق العظيم بإشباع كل حاسة في الإنسان. ليس خطيئة أن يستمتع المرء بهذه العطايا من السماء، ولكن سيكون من الحماقة أن يسد المرء بالأسداد على روحه أمام سحرها**».

Charles Haddon Spurgeon, Susannah Spurgeon, ***C.H. Spurgeon's Autobiography: 1856-1878*** (London: Passmore and Alabaster, 1899), 3/52.

قال الإمام (**ابن القيم**): «**ومن أسمائه الحسنى: الجميل، ومن أحق بالجمال ممن خلق كل جمال في الوجود؟! فهو من آثار صنعه؛ فله جمال الذات، وجمال الأوصاف، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء؛ فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها جميلة... فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات، فإذا شاهد شي من جمال الأفعال؛ استدل به على جمال الصفات، ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات**»

ابن القيم، ***الفوائد*** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ص١٨٢.

الطبيعة جميلة بصورة منتظمة في حين أن صنائع الإنسان يندر أن تكون جميلة في غياب القصد الفني.

المطلب الثاني: الجمال الرياضي، معيار العلم

يعد الجمال في الصياغة الرياضية للكون من أبرز المعالم الكونية المنافرة للتصور الإلحادي لركامية المادة والطاقة.

فرانك ويلكزك Frank Wilczek (١٩٥١_): عالم فيزياء نظرية أمريكي. أستاذ الفيزياء في Massachusetts Institute of Technology.

من أهمها كتاب (**فرانك ويلكزك**) الفيزيائي الحائز على جائزة نوبل سنة ٢٠٠٤م: «**سؤال جميل: الكشف عن الجمال العميق للطبيعة**» وقد أكد فيه حقيقة التناظر في الكون، وهو الملمح الذي

انتبه إلى غرابته كثير من الفلاسفة القدماء والفيزيائيين المعاصرين.

A Beautiful Question: Finding Nature's Deep Design

ويخبرنا العلماء أن من أعظم معالم يقيننا أن فهمنا للعالم موافق لحقيقة العالم، أن تكون القوانين المكتشفة محلاة بطابع الجمال.

وفي ذلك يقول الفيزيائي **(بول ديفيس)**: «**الاعتقاد السائد بين العلماء أن الجمال هاد موثوق للحقيقة، وأن كثيرا من التقدم الحاصل في الفيزياء النظرية قد احتاج أناقة رياضية (Mathematical elegance) للنظرية الجديدة**»

ويضيف: «**أحيانا عندما تكون الاختبارات المعملية صعبة، تعد هذه المعايير الجمالية أكثر أهمية من التجربة**»

Paul Davies, ***The Mind of God***, p175.

و**(لأينشتاين)** عبارة لامعة يقول فيها: «**النظريات الفيزيائية الوحيدة التي نحن على استعداد لقبولها هي النظريات الجميلة**»

"**The only physical theories that we are willing to accept are the beautiful ones**."

E. Wigner, ***The Unreasonable Effectiveness of Mathematics in the Natural Sciences***, Communications in Pure and Applied Mathematics, vol. 13, No. I (February 1960).

أما عالم الفيزياء النظرية **(جون بولكنجهورن)**، فيقول عن جمال الرياضيات التي تحكم عالم الفيزياء: «**نحن نعيش في عالم يتمتع نسيجه المادي بجمال عقلاني شفافي... ليس هناك سبب مسبق لوجوب ظهور المعادلات الجميلة لتكون مفتاح فهم الطبيعة... لا يبدو أنه بالإمكان تفسير ذلك بعده صدفة سعيدة**»

Polkinghome, ***Belief in God in an Age of Science*** (Harrisburg, Pa.: Trinity Press International, 1998), p2.

والجمال بذلك بعد خامس مستقل، أو هو بعد كامن في التحام الأبعاد الأربعة.

جورج ستانسيو George Stanciu: عالم فيزياء نظرية أمريكي. عميد كلية «ماجدلين». مهتم بفيزياء الكم.

روبرت أوجروس Robert Augros (١٩٤٣_): أستاذ الفلسفة في كلية القديس «أنسلم». له عناية خاصة بمباحث العلم والجمال.

قال (**جورج ستانسيو**) و(**روبرت أوجروس**): «**كل أكابر الفيزيائيين... يتفقون أن الجمال هو المعيار الأولي للحقيقة العلمية**».

Robert M. Augros and George N Stanciu, ***The New Story of Science*** (Toronto: Bantam Books 1986), p39.

المطلب الثالث: الجمال.. أصل العِلْم

عالم الرياضيات والفيزياء-الشهير-(**هنري بوانكاري**): «**العالم لا يدرس الطبيعة لأنه من المفيد القيام بذلك، وإنما يدرسها لأنه يستمتع بذلك، ويستمتع بذلك لأن الطبيعة جميلة. لو لم تكن الطبيعة جميلة لما كان من المفيد معرفتها، ولا كانت الحياة تستحق أن تعاش. أنا لا أتحدث-بطبيعة الحال-عن الجمال الصادم للحواس المتعلق بجمال الصفات والمظهر، ولست أحتقر ذاك اللون من الجمال، ولكنه جمال لا علاقة له بالعلم. ما أعنيه هو أن الجمال الأكثر حميمية هو الذي يرد من النظام المتناغم لأجزائه، والذي من الممكن للذكاء الخالص أن يرصده**»

Henri Poincare, ***Science Meithode*** (Paris: Flammarion,1947), p15.

جيمس واطسن James Watson (١٩٢٨_): عالم بيولوجيا جزيئية وجينات أمريكي.

(**جيمس واطسن**) -عالم البيولوجيا الحاصل على جائزة نوبل-مثلا-عن رحلته في الكشف عن تركيب الحمض النووي الصبغي (DNA) مع (**فرنسيس كريك**)؛ فيذكر أن فريقه العلمي حاول مع فرق أخرى البحث عن شكل الحمض النووي الصبغي، ولم يرضه شيء مما قيل حتى وقع في ذهنه الشكل الحلزوني المزدوج، فقال: «**... فاجتمعنا في الغداء، ونحن نقول بعضنا لبعض: إن شكلا بهذا الجمال لابد أن يوجد**». ولما قارن (**واطسن**) مع بقية العلماء الشكل الذي اهتدوا إليه رياضيا، بما أثبتته الأشعة، اكتشفوا أن اهتداءهم بالجمال قادهم إلى الحق.

James D. Watson, ***The Double Helix: A Personal Account of the Discovery of the Structure of DNA*** (New York: Atheneum, 1968), p131.

عالم الفيزياء النظرية والرياضيات (**هيرمان فايل**)؛ فقد كان من الذين يصرحون أن غايته من أعماله العلمية التوفيق بين الجمال والحقيقة وأنه إذا بدا له تعارض ظاهري بينهما، أخذ بالجمال على حساب الظواهر العلمية؛ يقينا في طابع الجمال في البناء الكوني؛ وشاهد ذلك من حياته العلمية ما كان في أبحاثه الخاصة في نظرية الجاذبية كما دونها في مؤلفه «**المكان، Raum Zeit Materie**

الزمان، المادة».؛ فإنه لم يكن مقتنعا أن نظريته صحيحة، لكنه لم يكن يرغب في التخلي عنها لجمالها؛ فاحتفظ بها لطابع الجمال فيها؛ ثم تبين لاحقا صدق حدس (فايل)؛ فقد ألحقت نظريته بكهروديناميكا الكم»

S. Chandrasekhar, ***Truth and Beauty: Aesthetics and Motivations in Science*** (Chicago; London: University of Chicago Press, 1990) pp 56-66.

يقول الفيزيائي الملحد **(واينبرج)**: «**توجد البساطة [في قوانين الكون]، وهي صفة جميلة، ونجدها في القوانين التي تحكم المادة التي تعكس شي كامنا في البناء المنطقي للكون في مستوى عميق جدا**»

Steven Weinberg, ***Facing Up*** (Cambridge; London: Harvard University Press, 2003), p24.

حتى قال «**أينشتاين**»: «**دون الإيمان بالتناغم العميق في الكون، لا يمكن أن يوجد العلم**».

Albert Einstein and Leopold Infeld, ***The Evolution of Physics*** (New York: Simon and Schuster, 1938), p313.

من أظهر أوجه التناغم والتناسق، ظاهرة التناظر (symmetry) في الكون، والمجرة، والمجموعة الشمسية، والأرض، والكائنات الحية، والذرة...قال الفيزيائي الشهير **(فرنر هايزنبرج)**: «**تشكل خصائص التناظر دائما أهم السمات الأساسية للنظرية العلمية**».

Wemer Heisenberg, ***Across the Frontier*** (New York: Harper and Row, 1974), p167.

من أعظم دلائل الخلق والتصميم أن يكون كوننا بهذا الجمال الدافق رغم آنه نشأ عن مقدمة أولى عنيفة توصف فيزيائيا آنها «انفجاره».

المطلب الرابع: تغريد العصافير.. دراسة حالة

من أعذب مظاهر الجمال في عالم الطبيعة جمال تغريد الطيور، والتغريد مجموع أصوات متناغمة تبعث في النفس الانشراح والمتعة...الطيور تعتمد تقنيات عالية في ترتيب الأصوات وتنظيمها.

وقد أعد **(أوليفييه مسيان)** -عالم الطيور وأحد أكبر الملحنين في القرن العشرين- قطعا موسيقية على البيانو بعنوان (كتالوج طائر) Catalogue d'Oiseaux، وهي قائمة على تغريدات مجموعة من الطيور مثل (golden oriole) و(alpine chough) و (tawny owl) و (rock thrush) و (buzzard) و (reed warbler) ...

أوليفييه مسيان Olivier Messiaen (١٩٠٨-١٩٩٢م): فرنسي. عازف أرغن واختصاصي علم الطيور.

وكتب **(مسيان)** عن تغريد الطيور: «**لقد أدركت حقيقة أن هناك أشياء كثيرة لم يخترعها الإنسان، وأن هناك أشياء كثيرة في الطبيعة موجودة ببساطة حولنا. والإشكال في أمرها أن أحدا لم يهتم بها. يتحدث البشر عن جداول (modes) وسلم موسيقي: الطيور لديها موازين وسائط. هناك الكثير من الحديث عن تقسيم فترات نغمية صغيرة: الطيور تغني هذه الفواصل**»

Information sheet accompanying the CD by Martin Zehn (Piano), ***Catalogue d'oiseaux***, Art Nova Classics, 2000.

اعترف **(و. هـ. ثورب)** -أحد أهم العلماء المختصين في تغريد الطيور- أنه: «**من الصعب تصور أي سبب انتخابي للنقاء العالي لبعض نوتات العصافير**».

Cited in: S. Burgess, ***Hallmarks of design: Evidence of purposeful design and beauty in nature*** (Leominster, UK: Day One Publications, 2002), p. 113.

ومن عجائب الطيور، قدرتها على تقديم تغريدات ثنائية بين الذكر والأنثى، أو بين ذكرين أو أنثيين؛ بل وحتى التغريد الرباعي بين أربعة طيور. وهذا التغريد الأوركستري لا يحسنه إلا المتمرسون به من البشر.

ظاهرة جمال التغريدة وتعقيدها.

المبحث الثاني: الجمال يتحدَّى الاختزال المادِّي

المطلب الأول: هل الجمال في عين الرَّائي أم هو حقيقة موضوعية؟

إذ أقروا بظاهر الجمال، ولكن نسبوه إلى عين الرائي...يقول (هيوم): «**ليس الجمال صفة الأشياء نفسها. إنه يوجد فقط في العقل الذي يفكر في هذه الأشياء. وكل عقل ينظر إلى جمال مختلف**»

David Hume, ***On the Standard of Taste***, in ***Essays and Treatises on Several Subjects*** (London: T. Cadell, 1784) 1/244-245.

إن من يقول: إن هذه الزهرة جميلة؛ يصف ما يراه، ويتفاعل انطباعيا مع حقائق موجود خارجي، ولا يصف شعوره بالجمال.. فالجمال حقيقة قائمة، حتى لو لم يوجد إنسان ليلحظه، والجمال أفضل من القبح حتى لو لم يوجد إنسان ليعلن هذا الحكم.

إن العادة التي تحكم أفكارنا ومواقفنا القيمية كلها هي أن الأشياء على ما تبدو عليه حتى يظهر خلاف ذلك، وذاك ما يصفه (**سوينبرن**) بقوله: «**إنه مبدأ عقلي أساسي، وهو الذي أسميه: مبدأ المبادرة إلى التصديق؛ أي: أنه علينا أن نصدق أن الأشياء على ما تبدو عليه (بالمعنى المعرفي) حتى توجد عندنا حجة أننا مخطئون**»

Richard Swinburne, ***Is There a God?*** p115.

غوليلمو ماركوني Guglielmo Marconi (١٨٧٤-١٩٣٧م): مخترع إيطالي.

يقول (**غوليلمو ماركوني**) الحائز على جائزة نوبل للفيزياء: «**الوحدة المتناغمة للقضايا والقوانين تشكل الحقيقة؛ الوحدة المتناغمة من الخطوط والألوان والأصوات والأفكار تشكل الجمال، في حين أن الانسجام بين العواطف والإرادة يشكل الخير، وهو الذي يدعو الإنسان إلى طلب الاكتمال ويقوده إلى البحث عن الكمال المطلق بما يمثله من تعبير نهائي للخالق الأزلي والأعلى**»

Maria Cristina Marconi, ***Mio Marito Guglielmo*** (Milano: Rizzoli, 1995), p260.

والجمال-كما يقول (**ديفيد بوم**) -أحد أكبر علماء فيزياء الكم في القرن العشرين ليس حالة ذوقية شخصية، وإنما هو حال ديناميكية، فأي عمليات متطورة تشمل النظام والتركيب والكليات المتناسقة، هي التي تقتضي منا استعمال لغة جديدة موضوعية تعبر عن حقيقة الجمال؛ إذ إن إدراكنا للجمال ليس ذاتيا بصورة تامة.

David Bohm, ***On Creativity***, Lee Nichol, ed. (London; New York: Routledge, 1998), pp ix-x.

إننا لا نشير إلى شعورنا إلا لبيان حقيقة أنه أثر لمشاهدة الشيء الجميل، ولا نرى وجود طابع الجمال في الشيء رهين حضورنا؛ فالجمال قائم هناك، وهناك كنا لنشهده.

كما أن من يستشعر جمال شيء، لا يحس في نفسه أنه يندفع إلى هذا الشعور بوعي، وإنما يدهمه هذا النبض المفاجئ حتى يتملكه؛ فالوعي لا يصنع الجمال، وإنما اكتشافنا للجمال هو الذي يحدث وعينا به.

يقول أحد الكتاب: «**أنا أومن أن الزهور جميلة على الحقيقة، ولذا فجمالها له واقع موضوعي. إن لم يكن الأمر كذلك؛ فالورد عندها لا يملك جمالا أكثر واقعية من قطعة من الفحم أو مسمار صدئ. ومع ذلك، لدي كل الأسباب التي تجعلني أعتقد أن الورد أكثر جمالا من غيره**»

Antony Latham, ***The Naked Emperor: Darwinism Exposed*** (London: Janus, 2005), p157.

واللذاذة أصل الوعي بالجمال. ولذلك لا بد أن نميز بين وجود القيمة، والإحساس بها؛ فإنهم لا يلتقيان ضرورة؛ واجتماعهما رهين توفر الحساسية المعرفية أو الذوقية.

ومن أيسر طرق العلم بفساد المذهب الذاتي للجمال الحكم على المظاهر الجمالية عند مقارنتها بما لا يزعم أحد جماله؛ خذ مثلا مظهرا من مظاهر الفن الإسلامي، كقبة مسجد أندلسي تغمرها خطوط منتظمة لأشكال هندسية متنوعة على نمط متناظر، تتوسطها آيات قرآنية ذات خط تنتهي حروفه بما يشبه أوراق الشجر، ثم خذ ورقة بيضاء، وأعطها لطفل صغير يرسم عليها ما شاء لينتهي إلى خطوط متعرجة لا توحي بشيء. والآن اسأل نفسك: هل «شخبطة» الطفل تساوي جماليا المنظر الفني في قبة المسجد؟ وهل الفارق بينهما قاصر على جانب الإحساس الذاتي فيك؟ أم أن هناك فارقا بين المنظرين لطبيعة الجمال في خطوط سقف المسجد يخلو منها الخط المتعرج لهذا الطفل؟! الجواب كامن في بداهة معرفتنا بالحكم في مثل هذه المواقف.

دلت دراسة لباحث نفسي من جامعة «إكستر» أن في المواليد الجدد الذين لم تتجاوز سنهم الأسبوع وعي أصيل بالأشياء الجذابة، ولذلك يفضلون الأشخاص الجميلين

Dean L. Overman, ***A Case for the Existence of God*** (Lanham: Rowman & Littlefield, 2009), pp 57-58.

إن اختلاف الناس حول الحكم الجمالي على أشياء معينة، وتنازعهم الشديد في ذلك، وحماستهم لتخطئة بعضهم؛ برهان أنهم يؤمنون أن الجمال حقيقة قائمة في الشيء، وأنه ليس محض خاطر ذوقي تفتعله النفس دون حافز خارجي حقيقي.

كما أننا إذا قلنا في شيء ما: إنه غير جميل، ثم غيرنا مذهبنا إلى الإقرار بجماله؛ فإننا لا نرد ذلك إلى تحول ذاتي خاص في أنفسنا، وإنما نرده إلى وعينا بقيمٍ جماليةٍ لم ننتبه إليها عند النظرة الأولى؛ فحقيقة الجمال كانت قائمة في الشيء من قبل، غير أننا لم نع ذلك إلا لاحقا.

أنثوني أوهير Anthony O'Hear (١٩٤٢_): فيلسوف بريطاني. أستاذ الفلسفة في جامعة «Buckingham». المدير الفخري للمؤسسة الملكية للفلسفة.

«عندما يقول المرء إن رسما ما جميل والآخر قبيح؛ فإنه يقول شيِ ما حول الرسوم، شيء ما من الممكن تفسيره والجدال حوله ومناقشته. إنه أيضا أمر ما من الممكن للناس أن يكونوا فيه على صواب أو خطأ». الفيلسوف اللا أدري (**أنثوني أوهير**).

Anthony O'Hear, ***Beyond Evolution*** (Oxford: Clarendon Press; New York:

Oxford University Press, 1999) p128.

ومن دلائل موضوعية الجمال استخدامنا المشترك لمفاهيم جمالية واحدة، مثل أوصاف: جميل، ورائق، ومبهج، وأنيق، وسام، ومثير... وما كان أن تكون لدينا فكرة مشتركة عما تعنيه هذه المصطلحات إذا كانت لا تدل على شيء موضوعي قائم خارج عنا. إن فهمنا المشترك لمعاني هذه المصطلحات الجمالية يدل على أنها تستند إلى شيء يتجاوز الاستجابات الذاتية..

James Spiegel and Steven Cowan, ***The Love of Wisdom*** (Nashville, Tenn: B&H Academic, 2009), pp 432-433.

لويس توماس Lewis Thoma (١٩١٣-١٩٩٣م): باحث علمي أمريكي. مكتشف إحدى الخصائص المتميزة لإنزيم «باباين» الذي يساعد على هضم البروتينات.

وقد عبر الباحث العلمي **(لويس توماس)** عن هذه الأزمة بقوله: «**كيف آل الأمر بعامة العلماء اليوم أن يستحيلوا إلى مثل هذا الجلمود الجامد الساكن، يكتبون أوراقهم التأملية الباردة، كما لو كانت هذه التقارير هي الحقائق المتوقعة، والعادية، والواضحة في هذه المسألة، بدلا من المسارعة بمغادرة مختبراتهم إلى الشوارع معلنين بصوت عال ابتهاجهم بروعة الطبيعة؟ لن أعرف أبدا لم هم كذلك**»

Cited in: Thomas Dubay, ***The Evidential Power of Beauty***, pp 72-73.

و. ر. سرلي W. R. Sorley (١٨٥٥-١٩٣٥م): فيلسوف أسكتلندي.

قول **(و. ر. سرلي)**: «**يجب أن نميز بين أمرين: القيمة، والوعي بالقيمة؛ إذ إنهما لا يتلازمان ضرورة**».

W.R. Sorley, ***Moral Values and the Idea of God***, p124.

المطلب الثاني: بُرهان الجمال وأزمة التَّفسير الدَّاروينِي

ولآجل ذلك تقف الداروينية عاجزة عن تفسير الظاهرة الجمالية في الوجود الحي؛ فإن الجمال في جل صوره ليس ضمانة للبقاء في ظل مفهوم بقاء الأصلح. لكن هذا الزعم فاقد للأصل التفسيري الأوَّل لظاهرة التذوق الجمالي لدى إناث الحيوانات؛ فإن حاسة التَّذوُّق هذه تحتاج إلى آلية تَسْتَفِزُّها وتحدد اختياراتها.

وما هو أعظم من ذلك هو أن الانتخاب الجنسي لا يفسر ظهور الجميل والأجمل ابتداء.

«الانتخاب الجنسي» -إن صح تفسيرا-يفسر بقاء الأجمل ولا يفسر ظهور الأجمل...مجموعة من العلماء في اليابان رأسهم **(ماريكو تكهاشي)** من جامعة طوكيو، وأثبتوا بعد دراسات وأبحاث متأنية

لسبع سنوات أن إناث الطاووس لا تهتم بجمال الذكور عند التزاوج، بما يبطل وهم (داروين)، ويفتح في نظريته شرخا جديدا.

M. Takahashi et al., in ***Animal Behavior*** 75(4): 1209-1219, 2008.

هو قد أعرب عن انبهاره بوجود حاسة تذوق الجمال عند أنثى الطاووس.

Darwin, ***The Descent of Man*** (London: John Murray, 1888), p349.

وما قعده (داروين) يقف ضرورة ضد التفسير التطوري لظهور الجمال؛ فهو القائل: «**لا يمكن للانتخاب الطبيعي أن ينتج أي تعديل في نوع حصرا لمصلحة نوع آخر**»

"**Natural selection cannot possibly produce any modification in a species exclusively for the good of another species**."

On the Origin of Species, p183.

فإن عامل الاصطفاء الطبيعي تبعا لمراحل «الانتخاب الجنسي» لا يمكن أن يحدث أثرا إيجابيا على مستوى ما لا يدرك بالعين المجردة، ولكننا نعلم يقينا أن العالم المجهري طافح بالجمال الذي يحكم بنيته.

روبرت هوك Robert Hooke من أوائل من استعملوا المجهر الحديث لغرض دراسة البيولوجيا. وهو الذي سمى «الخلية» بالإنجليزية Cell.

يقول الكيميائي (**جيمي دافيس**) واللاهوتي (**هاري بو**): «**استعمل العالم الإنجليزي روبرت هوك (١٦٣٥-١٧٠٣م) المجهر لاكتشاف الطبيعة. وقد انبهر هوك عند ملاحظته أن الطبيعة على المستوى المجهري ليست فقط فاعلة، وإنما هي أيضا جميلة؛ فقد أبهرته زخارف قشر السمك وعيون الحشرات. لقد أذهله أنه تحت المجهر تبدو صنائع البشر (مثال: حد الشفرة) غير مثالية على خلاف صنائع الطبيعة. بالنسبة لهوك، هذا الجمال والكمال يشير إلى مصمم**».

Davis and Poe, ***Designer Universe: Intelligent design and the existence of God*** (Nashville, Tenn.: Broadman & Holman, 2002) p215.

الجمال في عالم المجهريات عصي بصورة كلية على التفسير الداروينى.

والتطور العشوائي عاجز أيضا عن تفسير آلية إدراك الجمال وتذوقه في الكائن الحي؛ فالإنسان - مثلا-قادر على أن يحيا بعين لا ترى الألوان، فلماذا اكتسب القدرة على الرؤية الملونة، علما أن الألوان لا حقيقة لها خارجا، فهي تتغير بتغير موجات الضوء المنعكس منها أو الصادر عنها أو ترددات؟!

وقد اعترف (**داروين**) بعجزه عن فهم ظهور الحاسة الجمالية في الإنسان والحيوان، متسائلا: «**كيف للحس الجمالي في أبسط أشكاله (مثل استقبال أنواع مخصوصة من المتعة من ألوان وأشكال وأصوات مخصوصة) أن يتطور في بادئ الأمر في دماغ الإنسان والحيوانات الدنيا؟ ذاك موضوع غامض جداً**»

Darwin, ***On the Origin of Species***, p212.

كما أضاف إلى سجالنا اعترافا خطيرا، وهو أن دعوى خصومه أن الجمال قد وجد لإمتاع الإنسان (أو لمحض التنوع) لو صحت فإنها تهدم بصورة كلية نظريته.

"**Such doctrines, if true, would be absolutely fatal to my theory.**"

جون رسكن John Ruskin (١٨١٩-١٩٠٠م): إنجليزي. أحد أئمة النقد الفني في زمانه.

وقد كان (**جون رسكن**) -الناقد الفني وزميل (داروين) أيام الدراسة، كتب: «**لقد انغمست بنفسي في هذه النظرية، راجيا أن أتعلم بعض قوانين الحياة الموجودة والتي تنظم الوضع الخاص للون، ولكن يبدو أنه لا توجد قوانين من هذا النوع معروفة**».

John Ruskin, ***The Eagle's Nest*** (London: George Alien, 1905), p200.

والظريف هنا هو أن (**داروين**) نفسه قد اعترف في حديث خاص بالقول: «**منظر ذيل الطاووس، كلما تأملته، تشنجت**»

Darwin to Asa Gray, Apr. 3, 1860.

جون رسكن John Ruskin (١٨١٩-١٩٠٠م): إنجليزي. أحد أئمة النقد الفني في زمانه.

لقد أزهق جمال هذا الريش (**داروين**) بشدة حتى قالت الناقدة (**هليلينا كرونن**): إن ذيل الطاووس كان يُمثِّل لـ(**داروين**) ذيلا «وعليه إبرة لسع».

هلينا كرونن Helena Cronin (١٩٤٢_): فيلسوفة، داروينية. مديرة «مركز فلسفة العلم الطبيعي والاجتماعي»، و «مركز داروين» في مدرسة لندن للاقتصاد.

Barbara Jean Larson and Fae Brauer, eds. ***The Art of Evolution: Darwin, Darwinism, and Visual Culture*** (Lebanon: University Press of New England, 2009) p49.

وهو ما اضطر صاحبي كتاب «**فلسفة الجمال التطورية**» أن يعترفا أن التفسير الطبيعاني للجمال «لا يزال في مراحله الطفولية» وأن الحديث عن الأرضية البيولوجية لم ينجح في الوفاء للحق

بعد.

Eckart Voland and Karl Grammer, ***Evolutionary Aesthetics*** (Berlin; London: Springer, 2011), p4.

إذا كان الجمال مبرمجا بيولوجيا بصورة تامة، منتخبا فقط لقيمته في تحقيق البقاء؛ فمن المدهش-إذن-أن نرى إعادة ظهور الجمال في العالم الخفي للفيزياء الأساسية التي ليس لها اتصال مباشر بالبيولوجيا. من ناحية أخرى، إذا كان الجمال أكثر من مجرد عمل بيولوجي حيوي، وإذا كان التقدير الجمالي لدينا ينبع من الاتصال بشيء أكثر حزما وأكثر نفاذا، فمن المؤكد عندها أن الجمال حقيقة ذات أهمية تدل بصورة كبيرة أن القوانين الأساسية للكون يبدو كأنها تعكس وجود هذا «الشيء». الفيزيائي (**بول ديفيس**).

Paul Davies, ***The Mind of God***, p176.

المبحث الثالث: ملاحدة يَنْصُرُون برهان الجمال

حتى اضطر الفيلسوف (**عمانويل كانط**) — الذي أثر في العقل المعاصر بصورة بالغة في إنكار الأدلة العقلية على وجود الله-أن يقول: «**شيئان يملآن العقل بالإعجاب المتنامي والإجلال كلما تابع المرء تأملهم بتكرار وحدة: السماء المرصعة بالنجوم فوقي والقانون الأخلاقي في داخلي**»

Immanuel Kant, ***Critique of Practical Reason*** (Indianapolis: Hackett Publishing Company, 2002)، p203.

جون س. رايت John C. Wright (١٩٦٢_): كاتب أمريكي له عناية بأدب الخيال العلمي.

قال الكاتب الصحفي (**جون رايت**) -المتحول من الإلحاد إلى الإيمان بالخالق -: «**إن أقوى برهان ضد الإلحاد... ليس هو برهان من الممكن أن يصاغ بكلمات؛ إذ هو برهان الجمال... إذا كنت فعلا ترى جمالا حقيقيا ونسيت في لحظة نفسك؛ فاعلم عندها أنك قد انسلخت من نفسك في شيء أكبر. في تلك اللحظة اللا زمنية من الانقطاع المجيد، يدرك القلب أن العالم الممل الذي ألف الخيانة والألم والإحباط والحزم ليس هو العالم الوحيد هنا، حتى إن كان اللسان لا يملك أن يعبر عن ذلك بكلمات. إن الجمال يشير إلى عالم خارج هذا العالم، عالم أعلى، بلد الفرح حيث لا يوجد الموت. إن الجمال يشير إلى ما هو إلهي. إن اليساريين يبغضون هذا البرهان؛ إذ إنه لا يمكن أن يصاغ في كلمات؛ ولذلك لا يمكن أن ينقض بكلمات**»

John C. Wright, ***How We've Been Robbed of Beauty by the Left***.

https://freedom4um.com/cgi-bin/readart.cgi?ArtNum=167416&Disp=1

إ. ر. إمت E.R. Emmet: أستاذ الفلسفة في «Winchester College»

الفيلسوف (**إ. ر. إمت**) -وهو ممن ينكرون موضوعية الجمال- يعترف قائلا: «**لا يوجد شك كبير في أن وجهة النظر [المتعلقة بالجمال] والتي تبناها بحماسة الفلاسفة في الماضي، من أفلاطون فصاعدا، هي أن الجمال حقيقة موضوعية؛ أي: إن الجمال-بمعنى ما-هو أمر قائم في الوجود، وأن كون الشيء جميلا أم لا متعلق بحقيقة الوجود لا الرأي أو الذوق، وأن أحكام الناس المتعلقة بالجمال هي حق أو باطل، صواب أو خطأ**»

E.R. Emmet, ***Learning to Philosophise*** (Baltimore: Penguin, 1968), p119.

وقد أثبت إحصاء أجري على عينة تضم ٣٠٠٠ فيلسوف محترفي (Professional philosophers)، ٧٢,٨% منهم ملاحدة، أن ٤١٪ منهم «يقبلون أو يميلون» إلى مذهب موضوعية الجمال، في حين لا «يقبل أو يميل» إلى الرؤية الذاتية للجمال غير ٣٤,٤% من هؤلاء الفلاسفة.

http://philpapers.org/surveys/results.pl

بيتر كريفت Peter Kreeft (١٩٣٧_): فيلسوف أمريكي، لكتبه حضور شعبي واسع. من أعلام الدفاعيين النصارى في العالم.

ويحدثنا الفيلسوف (**بيتر كريفت**) عن تجربته مع الملاحدة وبرهان الجمال بقوله: إنه كان على علاقة بثلاثة من الملاحدة، اثنان منهم أساتذة فلسفة في الجامعة وثالثهم تحول إلى راهب، وقد قادهم برهان الجمال إلى ترك الإلحاد والكفر بالدهرية المادية العمياء.

Peter Kreeft, ***Heaven. The Heart's Deepest Longing*** (San Francisco: Ignatius Press, 1989), p111.

يقول عالم الفيزياء الملحد العنيد (**ستيفن واينبرغ**): «**تبدو فعالية الأحكام الجمالية مدهشة بصورة كبيرة بالضبط عند تطبيق الرياضيات البحتة في الفيزياء.... وقد وجد أن التراكيب الرياضية التي اعترف بها من قبل علماء الرياضيات أنهم طوروها بسبب بحثهم عن شيء من الجمال هي ذات قيمة عظيمة عند الفيزيائيين**» وأضاف بعبارة مفاجئة: «**عليّ أن أعترف أن الطبيعة تبدو أحيانا أجمل مما هو ضروري بحت**»

Steven Weinberg, ***Dreams of a Final Theory*** (London: Vintage Digital, 2010), p153.

وأما (**داوكينز**)، فقد قال في لقاء أجرته معه قناة (BBC Channel 4) سنة ١٩٩٤م: «**العالم**

والكون مكانان في غاية الجمال، وكلما فهمنا الكون، بدا لنا بصورة أجمل. إنها تجربة مثيرة للغاية أن يولد المرء في هذا الكون».

http://www.1hup.edu/~dsimanek/dawkins.htm

وقال فيما هو قريب من ذلك- في لقاء صحفي معه «**أود أن أقول: إن لدي رؤية إيجابية جدا، وأكاد أقول: شاعرية، للكون من الناحية العلمية.... الرهبة والإعجاب هما أمران يشعر بهما المتدينون بلا شك، ولكنني أشعر بشيء من الغضب عندما يزعم المتدينون-بصورة ضمنية- أنهم يحتكرون هاتين العاطفتين**»

http://www.thirdworldtraveler.com/Dawkins_Richard/RDawkinsinterview_NPollard.html

إن جمال العالم من ناحية علمية قد ألزم (داوكينز) أن يقول في غفلة من نفيه اللجوجة: «**العالم الحقيقي -إذا فهم بطريقٍ علميٍّ- جميل بصورة عميقة ومثير بصورة دائمة**».

Richard Dawkins, ***A Devil's Chaplain***, p42.

والجمال هو الذي جعل الفيزيائي الملحد **(لورنس كراوس)** يقول: «**توجد شاعرية جديرة بالملاحظة في الطبيعة**»

Lawrence M Krauss, ***The Greatest Story Ever ToldU- So Far: Why Are We Here*** (Atria Books 2017), p201.

ما الفارق-إذن -بيننا وبين أعلام الإلحاد؟ ليست هي-إذن-المقدمات، وإنما هو ربط الحقائق بلوازمها، والمقدمات بنتائجها!

«**من وجهة نظر داروينية، يعسر بجد تفسير: الحقيقة، والخير، والجمال، واهتمامنا بذلك**». الفيلسوف **(أنثوني أوهير)**.

أنثوني أوهير Anthony O'Hear (١٩٤٢-): فيلسوف بريطاني. أستاذ الفلسفة في جامعة «باكنغام»، والمدير الفخري «للمؤسسة الملكية للفلسفة».

Anthony O 'Hear, ***Beyond Evolution***, p214.

يلزم من إنكار حقيقة الجمال أن أجمل شيء في العالم كأقبح شيء فيه، فأر متعفن كزهرة أوركيد.

مراجع للتَّوسُّع

Thomas Dubay, ***The Evidential Power of Beauty: Science and Theology***

Meet, San Fransisco, Calif.: Ignatius, 1999.

Benjamin Wiker and Jonathan Witt, ***A Meaningful World: How the Arts and Sciences Reveal the Genius of Nature***, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2006.

Russell Howell, "***Does Mathematical Beauty Pose Problem for Naturalism?***" Christian Scholar's Review (2007).

Nancy Pearcey, ***Saving Leonardo: A Call to Resist the Secular Assault on Mind***, Nashville, Tennessee: B & H Publishing Group, 2010.

مُحلق: توحيد أم تعدُّد آلهة

الإسلام دين التوحيد النقي:

يقول الأستاذ (**أنور الجندي**): «**إذا قيل: إن لكل دين طابعا؛ فإن طابع الإسلام هو «التوحيد»؛ فهو لبابه، ومنهجه، وقوامه، والقائم المشترك على قِيَمِهِ المُختلفة، والعامل الأساسي الذي يفصل بين الإسلام وبين عديد من المذاهب والفلسفات والعقائد التي تقوم على أساس الوثنية أو الإلحاد أو تعدد الآلهة أو إنكار الله الحق**»

أنور الجندي، ***الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي*** (القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٠-١٩٨٠م)، ص٣٤.

فلهلم شمت Wilhelm Schmidt (١٨٦٨-١٩٥٤م): لغوي وأنثروبولوجي وباحث في تاريخ الدين.

عالم الأنثروبولوجيا (**فيلهلم شمت**)، في مؤلفه الضخم «**أصل فكرة الله**» (Der Ursprung der Gottesidee)؛ إذ بين أن الدين البدائي عند جميع القبائل تقريبا قد بدأ بعبادة إله واحد، هو إله السماء.

لم يكن (**شمت**) بدعا فيما قال فقد سبقه عدد من الباحثين الجادين؛ إذ أثبت (**لانج**) عقيدة «الإله الأعلى» عند القبائل الأكثر بدائية في أستراليا وإفريقيا وأمريكا، وهو ما أثبته كل من (**شريدر**) عند الأجناس الآرية القديمة، و(**بروكلمان**) عند الساميين قبل الإسلام، و(لاروي) و(كاترفاج) عند أقزام أواسط إفريقيا.

دراز، ***الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان***، ص١٠٧ -١٠٨.

من أوضح البراهين العقلية وأقدمها دلالة على امتناع تعدد الآلهة، ما يلزم من وجود إلهين من

محالات إذ إن وجود إلهين يقتضي احتمال اختلافي إرادتهما.

١. أن يتم ما أرادا، وذاك محال لامتناع تحقق الشيء وضده.
٢. ألا يتم ما أرادا؛ وذاك ممتنع؛ لأن المتناقضين لا يرتفعان، فلا بد أن يجري أحدهما.
٣. أن يتم مراد أحدهما بالغلبة، ولا يمضي أمر الآخر، والذات التي لا تمضي إرادتها لا تستحق مسمى الإله.

وملخص ما سبق قول (**الباقلاني**): «**وليس يجوز أن يكون صانع العالم اثنين، ولا أكثر من ذلك، والدليل على ذلك أن الاثنين يصح أن يختلف، ويوجد أحدهما ضد مراد الآخر؛ فلو اختلفا، وأراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، لوجب أن يلحقهما العجز، أو واحدا منهما؛ لأنه محال أن يتم ما يريدان جميعا لتضاد مراديهما. فوجب أن لا يتما، أو يتم مراد أحدهما، فيلحق من لم يتم مراده العجز. أو لا يتم مرادهما، فيلحقهما العجز. والعجز من سمات الحدث، والقديم الإله لا يجوز أن يكون عاجزا**»

الباقلاني، ***تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل*** (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م)، صـ٤٥.

ماذا لو كان الإلهان في اتفاق تام، ألا ينفي ذلك دلالة هذا البرهان على التوحيد؟

أن اتفاق الإلهين الفعلي لا ينفي إمكان اختلافهما تقديرا. وحسم الخلاف الممكن بينهما ينتهي ضرورة إلى ما قررناه سالفا عند الاختلاف الفعلي. ثم إن اتفاق الإلهين على إرادة أمر ما وإمضائه يلزم منه أنهما يشتركان في فعل الفعل نفسه، وهذا يعني: اشتراكهما في التأثير، ويلزم من ذلك نقصهم لحاجتهما إلى الاشتراك، وأما إن كان فعل أحدهما العلة الوحيدة للفعل كانت إرادة الثاني بلا أثر، وهو ما ينقض ألوهية الثاني.

قال (**ابن تيمية**): «**فكل من المشتركين في مفعول فأحدهما مفتقر إلى الآخر في وجود ذلك المفعول، محتاج إليه فيه، وإلا لم يكونا مشتركين؛ لأن كلا منهما إما أن يكون مستقلا بالفعل منفردا به أو لا يكون: أ-وإن كان مستقلا به منفردا به امتنع أن يكون له فيه شريك أو معاون. فإن لم يكن مستقلا منفردا به لم يكن المفعول به وحده؛ بل به وبالآخر، ولم يكن هو وحده كافيا في وجود ذلك المفعول؛ بل كان محتاجا إلى الآخر في وجود ذلك المفعول، مفتقرا إليه فيه**»

ابن تيمية، ***مجموع الفتاوى***، ٢٠/٩٧.

والناظر في هذا الوجود لا يجد فيه غير الانتظام على صورة واحدة معجبة لا يداخلها اضطراب ولا تشويش. وحدة قانون العالم الطبيعي هي التي تحفز علماء الفيزياء للبحث عن قانون يوحد

شبكة القوانين الفيزيائية للكون، أو ما يعرف ب «نظرية كل شيء Theory of everything» والتي تختصر في حروف (TOE).

ستفن ديفز Stephan Davis (١٩٤٠): فيلسوف أمريكي له عناية خاصة بفلسفة الدين.

يقول الفيلسوف (**ستفن ت. ديفز**): «**إذا كان هناك أكثر من مصمم، فكم سيكون عددهم؟ ولماذا يتعاونون؟ لا نحتاج إلى طرح هذين السؤالين إذا كان هناك مصمم واحد**».

Stephen T. Davis, ***God, Reason and Theistic Proofs*** (Edinburgh: University Press, 1997), p103.

ذهبت الكنيسة بعد زمن المسيح عليه السَّلام بمدة إلى القول بعقيدة التثليث؛ وهي عقيدة صريحة في تقريرها وجود ثلاثة آلهة منفصلة عن بعضها، تدخل في مجموعها تحت اسم «الإله الواحد»..

ورغم اختراع الكنيسة لمصطلح «**أقنوم**» للقول: إن الأقانيم الثلاثة هي ذات إلهية واحدة؛ إلا أن الأقنوم هو نفسه ذات؛ ولذلك تتحدث أدبيَّات اللاهوت الإنجليزية عن الأقنوم على أنه «ذات» «person» دون مواربة.

قديس الكنيسة (**إبيفانيوس**): «**لا يوجد ثلاثة آلهة؛ بل إله واحد حقيقي؛ لأن الابن الوحيد المولود هو واحد من واحد، وواحد أيضا هو الروح القدس الذي هو واحد من واحد؛ أي: ثالوث في وحده، وهو إله واحد: آب وابن وروح قدس**».

نقله: توماس ف. تورانس، ***الإيمان بالثالوث (الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى)***، تعريب: عماد إسكندر (القاهرة: مكتبة باناريون، ٢٠٠٧م)، ص٣٥٧.

ملارد إريكسون Millard Erickson (١٩٣٢_): قسيس معمداني وأستاذ اللاهوت في Baylor University يعد اليوم من أبرز اللاهوتيين الإنجيليين.

قول اللاهوتي (**ملارد إريكسون**): «**تقدم هذه العقيدة من عدة أوجه مفارقات غريبة strange paradoxes**»

Millard J. Erickson, ***God in Three Persons: a contemporary interpretation of the Trinity*** (Grand Rapids, MI: Baker Books House, 1995), p. 11.

إن على المؤمن أن يتعايش مع التناقضات والمفارقات Paradoxes

See Roger Hazelton, '***The Nature of Christian Paradox***', Theology Today 6 (1949), pp.324-335; Vermon C. Grounds, '***The Postulate of Paradox***'.

Bulletin of the Evangelical Theological Society 7 (1964), pp. 13-41; John V. Dahms, '***How Reliable is Logic?***' Journal of the Evangelical Theological Society 21.4 (1978), 369-80.

دونالد بلوتش Donald Bloesch (١٩٢٨-٢٠١٠م): قسيس ولاهوتي أمريكي معروف.

فقد زعم (**دونالد بلوتش**) أن «**حقيقة الإيمان لا يمكن أن تترجم إلى نسق متناسق نهائي ينفي الأسرار والمفارقات في الإيمان**»

Donald Bloesch, ***Essentials of Evangelical Theology*** (CA: Harper & Row, 1978), 1/18.

جاء في موسوعة The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism «**يتفق النقاد عامة أنه لا توجد عقيدة تثليث في العهد القديم ولا في العهد الجديد**»

Richard McBrien, ed. ***The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism*** (New York HarperCollins, 1995), p564.

أندروز نورتن Andrews Norton (١٧٨٦-١٨٥٣م): لاهوتي أمريكي. من أئمة التيار النصراني التوحيدي في القرن التاسع عشر.

ولذلك قال اللاهوتي (**أندروز نورتن**): «**من الممكن تتبع هذه العقيدة، واكتشاف مصدرها، ولكن ليس في الوحي المسيحي، وإنما في الفلسفة الأفلاطونية التي كانت الفلسفة السائدة على مدى الفترات الأولى بعد ظهور النصرانية، وهي التي كان جميع كبار الكتاب النصارى-الآباء كما يسمون -، تلاميذها، بدرجة كبيرة أو صغيرة**»

Andrews Norton, ***A Statement of Reasons for not Believing the Doctrines of Trinitarians, Concerning the Nature of God and the Person of Christ*** (Boston: American Unitarian Association, 1870), p94.

الختام في كلمات

ما الدليل على وجود الله؟

دليل ذلك كل شي.

الوجود ينطق طلبا لتفسير..

وجود الوجود يطلب تفسيرا...

أعراض الوجود تطلب تفسيرا...

مفهوم الإنسان. لأنه شيء أرقي من ركام الذرات . يطلب تفسيراً

ولن ينتهي الباحث عن الحق إلى أن للوجود معنى، وللحياة قيمة، وللعقل قدرة، وللخلق سلطانا، وللجمال مظهرا... إلا إذا آمن بالله.

وأما من اختار ألا يؤمن بالله بعد قراءة هذا الكتاب-وهو قطف يسير من جنان البراهين، وإلماعة في عجالة -، فلن أطلب منه سوى شيء واحد، بلسان جازم: عش إلحادك-إن استطعت -!

عش ملحدا في باب فهم الكون، ومعرفة قيمة الإنسان، وحقيقة العقل الدارويني، والأخلاق والجمال الذاتيين...! عش ملحدا، كما يجب أن يكون الملحد، ولو يوما واحدا...!

وعندما تنتهي إلى أن الإلحاد فكرة لا تعاش، وأن الملحد الصميمي خرافة كخرافة العنقاء؛ أعد قراءة هذا الكتاب بعين من يطلب الحق بقلب هادئ، راض بمآلات البحث..

هذا الكتاب لا يدعو الملحد واللا أدري إلى الانتقال إلى الإيمان.. وإنما يدعوهما إلى التصالح مع النفس، والعيش برؤية كونية واحدة لا تتضاد أبعاضها. وذلك باكتشاف الإيمان الكامن في حقيقة العقل والقلب.

البحث في التوحيد، أمره هين بعد العلم بوجود الله؛

كلمة في الختام

{أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ} [إبراهيم: ١٠]

المصادر والمراجع

الكتب العربية

بدر، عادل محمود، ***برهان الإمكان والوجوب بين ابن سينا وصدر الدين الشيرازي***، اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٦م.

فرج، مرتضى، ***أفي الله شك؟*** بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١٣م.

يلماز، عرفان، ***التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا***، تعريب: رشا حسن ووليد علي أبو شعير، القاهرة: دار النيل، ١٤٣٤هـ_٢٠١٣م.

الكتب الإنجليزية

Atkins: Peter. ***On Being: A scientist's exploration of the great questions of***

existence, New York: Oxford University Press, 2011.

Brierley: Justin. ***Unbelievable?*** London: SPCK, Society for Promoting Christian Knowledge, 2017·

Burgess: S. ***Hallmarks of design: Evidence of purposeful design and beauty in nature***, Leominster, UK: Day One Publications, 2002.

Burgin: Mark. ***Theory of Information: Fundamentality, Diversity and Unification***, Singapore: World Scientific, 2010.

Campbell: John Angus and Stephen C., eds. ***Darwinism, Design, and Public Education***, East Lansing: Michigan State Univ. Press, 2004.

Cannavo: Salvator. ***Quantum Theory: A Philosopher's Overview***, Albany, State University of New York Press, 2009.

Day: Vox. ***The Irrational Atheist***, Dallas, Tex.: BenBella Books, 2008.

Dembski: William and Witt: Jonathan. ***Intelligent Design Uncensored***, InterVarsity Press, 2010.

Dissanayake: Ellen. ***Homo Aestheticus: Where Art Comes from And Why***, Seattle: Univ, of Washington Press 2010.

Feser: Edward. ***Five Proofs of the Existence of God***, San Francisco Ignatius Press, 2017·

Keller: Timothy J ·***The Reason for God: Belief in an Age of Skepticism***, New York: Penguin, 2008.

Latham: Antony. ***The Naked Emperor: Darwinism Exposed***, London: Janus, 2005.

Lewis: C.S. ***Mere Christianity***, The Complete C. S. Lewis Signature Classics, San Francisco, Calif.: Harper San Francisco, 2002.

Martin: Michael, ed. ***The Cambridge Companion to Atheism***, New York: Cambridge University Press, 2007·

Mazur: Susan. ***The Origin of Life Circus***, New York: McNally Jackson Books, 2014.

McGrath: Alister. ***The Twilight of Atheism***, London: Rider & Co, 2005.

Metaxes: Eric. ***Miracles: What They Are, Why They Happen, and How They Can Change Your Life***, New York: Plume, 2014.

Miller, Corey and Gould, Paul: eds. ***Is Faith in God Reasonable? Debates in Philosophy, Science, and Rhetoric***, New York: Routledge, 2014.

Monton: Bradley. ***Seeking God in Science: an atheist defends intelligent design***, Toronto Broadview Press, 2010.

Moreland: J. P. et. al. eds. ***Theistic Evolution: A Scientific, Philosophical, and Theological Critique***, Wheaton, Illinois: Crossway, 2017.

Pearcey: Nancy. ***Finding Truth: 5 Principles for Unmasking Atheism, Secularism, and Other God Substitutes***, Colorado Springs, CO: David C. Cook, 2015.

Pearcey: Nancy. ***Saving Leonardo: A Call to Resist the Secular Assault on Mind, Morals, & Meaning***, Nashville, Tennessee: B & H Publishing Group, 2010.

Plantinga: Alvin. ***Where the Conflict Really Lies: Science, Religion, and Naturalism***, New York: Oxford UP, 2011.

Potter: Michael K. ***Bertrand Russell's Ethics***, London; New York: Continuum, 2006.

Rosenberg: Alexander. ***The Atheist's Guide to Reality: enjoying life without illusions***, New York: w. w. Norton, 2011 ·

Sarfati: Jonathan. ***The Greatest Hoax on Earth? Refuting Dawkins on evolution***, Kindle edition.

Spitzer: Robert. ***The Soul's Upward Yearning: Clues to Our Transcendent Nature from Experience and Reason***, San Francisco, California Ignatius

Press, 2015.

Stewart: Robert B., ed. ***God and Cosmology: William Lane Craig and Sean Carroll in Dialogue***, Fortress Press, 2016.

Stokes: Mitch. ***How to Be an Atheist Why Many Skeptics Aren't Skeptical Enough***, Wheaton: Crossway, 2016.

Turek: Frank. ***Stealing from God: Why atheists need God to make their case***, Colorado Springs, CO: NavPress, 2015.

Zacharias: Ravi. ***The Real Face of Atheism***, Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 2004.

الحمد لله رب العالمين